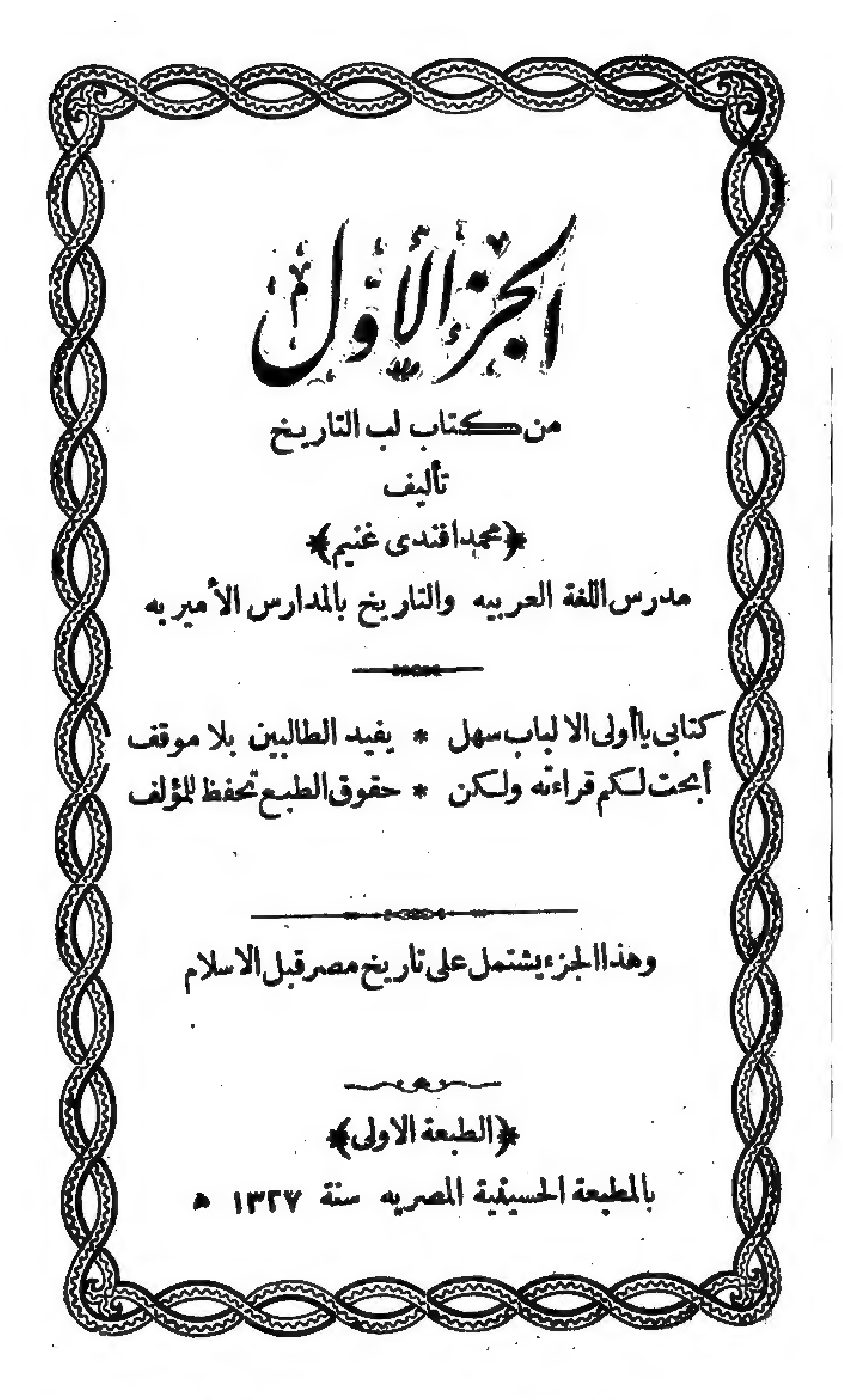


الجزء الأول

من كتاب لب التاريخ

تأليف

﴿محمد افندي غنيم﴾

مدرس اللغة العربيه والتاريخ بالمدارس الأميريه

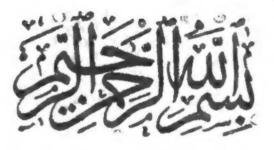
كتابي يا أولي الالباب سهل * يفيد الطالبين بلا موقف

أبحت لكم قراءته ولكن * حقوق الطبع تحفظ للمؤلف

وهذا الجزء يشتمل على تاريخ مصر قبل الاسلام

﴿الطبعة الاولى﴾

بالمطبعة الحسينية المصريه سنة ١٣٢٧ هـ



حمداً لمن جعل تاريخ السابقين * تبصرة وذكرى للاحقين * وصلاة وسلاما على سيدنا محمد الذى قص الله عليه أحسن القصص * فأطلعه على عجائب الاخبار وغرائب القصص * وعرّفه كثيرا من أحوال الماضين * وأنباء الأنبياء والمرسلين * تثبيتا للفؤاد وموعظة وذكرى للمؤمنين * وعلى آله وأصحابه الذين خلدوا لأنفسهم أعظم المفاخر * وتركوا للمقتدى بهم أحسن المآثر * اذ قضوا طويل أعمارهم فى طاعة رب العالمين * وصرفوا نفيس أيامهم فى هدى المهتدين وقمع المتمردين ﴿وبعد﴾ فان الانسان يميل بطبعه لاستماع الأخبار * ويشتاق بفطرته لمعرفة ما كان فى سالف الأعصار * خصوصا اذا كان ذلك متعلقا بأحوال وطنه الذى تربى فيه صغيرا * ونشأ على محبته كبيرا * ليكون على بينة من أمره * ويصرف فى خدمته الصادقة ما بقى من عمره * ويسعى فى اعادة مجده * وتجديد سعده * ولذلك قد اعتنت كل أمة من الامم الراقية بالمحافظة على تاريخ سلفها * وتعليم ذلك للناشئين من خلفها * وكذلك قد اعتنت بهذا الامر حكومتنا المصريه * سيما فى هذه النهضة العصرية * فى وقت ظهرت فيه بشائر التقدم والنجاح * وتوافق الجميع فيه على ما يوجب الرفعة والفلاح *

كيف لا وهو عصر خديوينا العباس * الذى أطلق بالثناء عليه ألسنة جميع الناس * حيث انه حفظه الله قد اعتنى بنظام الأزهر الشريف * والجامع الأنور المنيف * الذى هو فى الحقيقة أعظم مدرسة اسلاميه * فى سائر أنحاء الكرة الارضيه * وأدخل فيه كثيرا من العلوم التى كان الدهر محاها * وأهملها تتابع الايام وأنساها * من ذلك فن التاريخ الذى قد أجمعت على فضله العقلاء * ولم يجهل عظيم فوائده أحد من النبلاء * خصوصا تاريخ مصر والعرب والاسلام * فانه يعترف بفضله الخاص والعام * ولذلك جعل موضوع درس طلبة هذا الجامع * لما امتاز به من كثير الفوائد وعظيم المنافع * ولما كانت الكتب الموجودة ليس فيها كتاب * جامع لما تقررت قراءته للطلاب * قد كلفنى من لا تسعنى مخالفته * وتتعين علىّ طاعته * مولانا الاستاذ الاكبر * شيخ الجامع الازهر من هو عريق في الفضل بعيد عن المساوى * (صاحب الفضيلة الشيخ حسونه النواوى) * بتأليف كتاب جديد * ومختصر مفيد * يكون شاملا لما تقررت دراسته الطلبة من هذا الفن الجليل * ليهتدوا به الى سواء السبيل * وألح علىّ الطلبة إلحاح صاحب الحاجه * وأكثروا من الطلب واللجاجه * فأجبتهم مع اعترافى بالعجز والتقصير * لعلمى أن التاريخ بحر غزير * يحتاج الى دقة وتفكير * وزمن طويل وتعب كثير * وشرعت بعون الله تعالى فى تأليف هذا الكتاب ليكون معينا للطلاب * وسميته (لب التاريخ) ودعوت الله أن يساعدنى على تأليفه * وجمعه وتصنيفه * وأن ينفع به كل طالب * من أهل المشارق والمغارب * انه على ما يشاء قدير * وبالاجابة جدير *

﴿ مباد أوليه وتعاريف تاريخيه ﴾

لكل فن مباد عشرة عرفت * اسم وحدّ وموضوع وواضعه

وثمرة فضله والحكم نسبته * الى العلوم بها تزهو مطالعه
فافطن لها وبالاستمداد قد كملت * مسائل الفن كي يهدى مطالعه

(أما اسم هذا الفن) فهو التاريخ ومعناه لغة التوقيت واصطلاحا علم يبين أسماء مشاهير الناس وأزمنتهم وأمكنتهم وأعمالهم وأعمارهم وحوادثهم الشهيرة وحده بعضهم بأنه علم يبين حوادث الايام التى أهمها سلسلة الأعمال البشرية ومالكل من سبب وغاية من جهة تأثيرها فى العمران البشرى والاجتماع المدنى قوة أوضعفا خيرا أوشرا ويطلق أيضا على ذكر الحوادث مع التنصيص على الوقت الذى وقعت فيه وعلى يوم وقعت فيه حادثة شهيرة لأمة من الامم أودولة من الدول أوشخص من الناس وجعلت مبدأ لغيرها كحادثة الطوفان بالنسبة للقدماء وميلاد عيسى عليه السلام بالنسبة للمسيحيين والهجرة النبوية بالنسبة للاسلام

وينقسم التاريخ الى قسمين أثرى وهو ماوردت به الكتب المنزلة وبشرى وهو ماألفه الناس من قصصهم وحوادثهم الشهيرة الحاصلة فى أى زمان ومكان وينقسم التاريخ البشرى الى ثلاثة أقسام قديم ومتوسط وحديث فالقديم من مبدا الخليقة الى وقت الطوفان سنة ٢٢٤٢ من هبوط آدم من الجنة والمتوسط من زمن الطوفان الى فتح القسطنطينية بالاسلام سنة ٨٥٧ بعد الهجرة وذلك بعد سقوط الدولة الرومانية الشرقية والحديث من فتح القسطنطينية الى وقتنا هذا وبعضهم يقسمه الى قسمين ماقبل الاسلام ومابعده فما كان قبل الاسلام فهو قديم وما كان بعده فهو حديث وجرى على ذلك كثير من مؤرخى العرب ولكل أمة تقاسيم مخصوصة غير هذه على حسب المقتضيات التى اقتضتها الحوادث والانقلابات

ثم التاريخ أيضا اماعام واماخاص فالعام هو مايعم ممالك كثيره وأما

شهيره والخاص هو ما يختص بأمة من الامم كتاريخ الامة المصرية أو العربية أو الفرس أو الروم أو برجل شهير أو ذى شأن خطير كالنبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والمرسلين والخلفاء والسلاطين أو بحادثة شهيرة كحادثة الطوفان أو الفيل أو الهجرة

(وأما موضوعه) فهو أعمال الانسان فى أى زمان ومكان وحالة المدنية والعمران فيكشف به للطالب الحقيقة من عهد مبدا الخليقه وقد سبق تقسيمه الى أثرى وبشرى

فأما واضع الأثرى فهو الله سبحانه وتعالى حيث أنزله في الكتب المنزلة على أنبيائه

وأما البشرى فهو من وضع الانسان وهو قديم الوضع من عهد آدم عليه السلام ومأخذ ذلك قوله عند استيقاظه من رقدته التى ألقاها الله عليه ليخلق حواء من ضلعه كما ورد فى التوراة (هذه عظم عظمى ولحم لحمى) اذ قوله هذا هو حكاية حادثة شاهدها وواقعة حال حققها ثم ترقى التاريخ بهذا المعنى شيأ فشيأ كسائر العلوم البشرية حتى دوّن وكذلك التاريخ بمعنى التوقيت قديم الوضع أيضا فقد روى ابن عساكر فى تاريخه باسناده الى الزهرى والشعبى قال لما هبط آدم عليه السلام من الجنة وانتشر ولده أرخ بنوه من هبوط آدم عليه السلام حتى بعث الله تعالى نوحا فأرّخوا بمبعثه الى أن حصل الطوفان فأرّخوا به حتى جاءت حادثة نار ابراهيم عليه السلام فأرخوا بها ثم اجتمع رأى كل أمة فأرّخ الروم واليونان بظهور اسكندر الرومى وأرّخ المسيحيون بميلاد عيسى عليه السلام وأرّخ بنو اسحق من مبعث نبى الى مبعث نبى آخر وأرّخ بنو اسماعيل من بنيان البيت حين بناه ابراهيم واسماعيل حتى تفرقوا فكان كلما خرج قوم من تهامة أرّخوا بخروجهم ومن بقى بتهامة منهم أرخ بخروج سعد ونهد وجهينة بنى زيد من

تهامة حتى مات كعب بن لؤى فأرخوا من موته ومازالوا يؤرخون ما كان من الحوادث حتى أتى عام الفيل فجعلوه تاريخا الى أن حصلت الهجرة فأرخوا بها و بقيت مبدأ للتاريخ الاسلامى الى الآن اه

والمشهور أن أول من أرخ بالهجرة هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته سنة ١٧ هجريه ويقابله ما نقله صاحب جواهر السلوك فى تاريخ الملوك من أن التاريخ سنة ماضية أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كتب كتابه لنصارى نجران فقال لعلى رضى الله عنه اكتب انه كتب لخمس من الهجرة (ونقل عن الطبرى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالتاريخ حين قدم المدينة ولم يزالوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمه حتى أمر عليا أن يؤرخ بالهجرة فالمؤرخ بالهجرة اذاً هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعه فى ذلك عمر رضى الله عنه

ويزعم مؤرخو الفرنج أن أول مؤرخ فى العالم هو موسى عليه السلام وأن التوراة أقدم تاريخ وجد وأشهر المؤرخين القدماء عند الرومان هو (ديودور) الصقلى وعند اليونان هو (هيرودوت) وعند قدماء المصريين هو (مانيتون) وأول أمة اعتنت بنقش حوادثها التاريخية هى الامة المصرية فانه لم تزل كهنة المصريين وملوكهم يعتنون بهذا الامر من قديم الزمان قبل الميلاد بنحو خمسة آلاف سنة كما تشهد بذلك آثارهم وتنطق به أخبارهم وكما نص عليه القرمانى فى تاريخه المسمى بأخبار الاول وآثار الدول حيث قال وأول التواريخ التى بأيدى الناس هو تاريخ القبط لانهم بعد الطوفان بقليل وقد اشتهر فى العرب كثير من المؤرخين وصنفوا فيه كتبا كثيرة حتى عدّ بعضهم للعرب أكثر من ألف وثلثمائة مصنف وعدّ منها خمسة عشر مؤلفا حسنة الترتيب قليلة الكلام على الحوادث التاريخية القديمة جديرة بالاعتناء

بها والرجوع اليها ومن مشاهير مؤرخيهم أبو الفدا وبهاء الدين وأبو الفرج وهؤلاء معدودون عند مؤرخي أوروبا من الطبقة الاولى وان كان ابن خلدون والمقريزي وجلال الدين السيوطي والواقدي والطبري والمسعودي وابن الاثير والنويري وابن الفرات وابن الجوزي والعتبي وأمثالهم ليسوا أقل منهم في الاعتبار وقد ترجمت لهم في الجزء الاول من كتابي خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والاسلام

(وأما ثمرته) فهي الانتفاع بذكر الحوادث التي حصلت في الكون خيرا كانت أو شرا والتبصر في الامور بقياس الحاضر على الغائب والاسترشاد بما فات في كل ما هو آت للتخلي عن الصفات الذميمه والتحلي بالاخلاق الجميده وقال ابن خلدون رحمه الله ان التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم في أخلاقهم والانبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا وفي هذه العبارة أعظم دليل على نفاسة فن التاريخ وجزيل فوائده وكفاه شرفا قول الامام علي رضي الله عنه يرغب ابنه الحسن فيه يابني اني وان لم أك قد عمرت عمر من كان قبلي من الامم فقد نظرت في أعمالهم وتفكرت في أخبارهم وتبصرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كاني بما انتهى الي من أمرهم قد عمرت من أولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله فانه كرم الله وجهه قد أودع في هذه العبارة ما يرشد الانسان الى الغرض المقصود من التاريخ وفي كتاب الله وسنة رسوله من أخبار الامم السالفة وأحوال القرون الماضية ما فيه عبرة لذوي البصائر قال تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك

وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) وقال جل شأنه (ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر) وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني اسرائيل حتى نصبح ولم تزل الصحابة بعده يتفاوضون في حديث من مضى ويتذاكرون في أخبار من سبقهم من الناس وقال ابن الاثير في الكامل ولقد رأيت بعضا ممن يدعي المعرفة والدرايه ويظن في نفسه التبحر في العلم والروايه يحتقر التواريخ ويزدريها ويعرض عنها ويلغيها ظنا منه أن غاية فائدتها انما هي القصص والاخبار ونهاية معرفتها الأحاديث والاسمار وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره ومن رزقه الله طبعا سليما وهداه صراطا مستقيما علم أن منافعها كثيره وفوائدها الدنيويه والاخرويه جمة غزيره وها نحن نذكر شيأ مما ظهر لنا فيها ونكل الى الناظر فيها معرفة باقيها (منها) أن الانسان لا يخفى أنه يحب البقاء ويرغب أن يكون في زمرة الاحياء فياليت شعري أي فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين فاذا طالعها فكأنه عاصرهم واذا علمها فكأنه حاضرهم (ومنها) أن الملوك ومن اليهم الامر والنهي اذا وقفوا على ما فيها من سير أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس ويروونها خلفا عن سلف ونظروا الى ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الاحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استقبحوها وأعرضوا عنها وطرحوها واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم وان بلادهم وأموالهم عمرت وأموالها درت وكثرت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وتركوا ما ينافيه هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الاعداء وخلصوا بها من

المهالك واستصفوا نفائس المدن وعظيم الممالك ولو لم يكن فيه غير ذلك لكفى به فخرا (ومنها) ما يتجمل به الانسان فى المحافل بذكر شئ من معارفها ونقل طريفة من طرائفها فترى الاسماع مصغية اليه والوجوه مقبلة عليه والعقول متأملة ما يورده ويصدره ومستحسنة ما يذكره
وأما فوائده الاخروية فكثيرة أيضا (منها) أن العاقل اللبيب اذا فكر فيها ورأى تقلب الدنيا بأهلها وتتابع نكبات قاطنيها وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم فلم تبق على جليل ولا حقير ولم يسلم من شرها غنى ولا فقير زهد فيها وأعرض عنها وأقبل على التزود للآخرة منها ورغب فى دار تنزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من تلك النقائص ولعل قائلا يقول ما نرى ناظرا فيها زهد فى الدنيا وأقبل على الآخرة ورغب فى درجاتها العالية فياليت شعرى كم رأى هذا القائل قارئا للقرآن العزيز وهو سيد المواعظ وأفصح الكلام يطلب به اليسير من هذا الحطام فان القلوب مولعة بحب العاجل (ومنها) التخلق بالصبر والتأسى وهما من محاسن الاخلاق فان العاقل اذا رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبى مكرم ولا ملك معظم بل ولا أحد من الناس علم أنه يصيبه ما أصابهم وينوبه ما نابهم ولهذه الحكمة وردت القصص فى القرآن المجيد ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد اهـ
(وأما فضله) فان من تأمل فى جميع ما ذكرناه ومن فوائده قد أوردناه علم أنه من أفضل العلوم وأنفعها وأجلها قدرا وأرفعها حيث انه أعظم مرب للاذهان ومرق لحالة الانسان والعمران وبه يعرف من خلف سيرة من سلف ولولاه لجهلت الانساب ونسيت الاحساب ولم يعلم الانسان أن أصله من تراب
(وأما حكمه) فانه يكون سنة فى أغلب الحالات وربما كان فرض كفاية كسائر العلوم والفنون التى ليست من أصول

الدين والحرف والصنائع التي تجلب للانسان جزيل المنافع وقد نص كثير من العلماء على عموم نفعه وكثرة فضله وفخامة قدر المشتغل بروايته ونقله وأنه يتعين منه معرفة القدر الذي يتوقف عليه شيء من أصول الدين أو فروعه كما نص على ذلك الشيخ المقدسي رحمه الله حيث قال ولقد رأيت مجلسا جمع فيه ثلاثة عشر مدرسا فيهم قاضي قضاة ذلك الزمان وغيره من الاعيان تجري بينهم وأنا أسمع حديث ذكر من تحرم عليهم الصدقة فقال بعضهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وعدلوا جميعهم في ذلك عما يجب فعجبت من جهلهم حيث لم يفرقوا بين عبد المطلب والمطلب ولم يهتدوا الى أن المطلب هو عم عبد المطلب وأن عبد المطلب هو ابن هاشم فما أحقهم بلوم كل لائم اذ أن هذا أمر من أمور الشريعة قد أهملوه وباب من أبواب الفقه قد جهلوه ولزم من قولهم خروج بني المطلب من هذه الفضيلة فابتغيت الى الله الوسيلة وأنقذت نفسي من ذلك المقام وتمهدت بتعلم أخبار الانام لما تحققت أن الجهل بالانساب قد يبعد الانسان عن الصواب (وأما نسبته) الى غيره من العلوم فهو من الفنون الادبية المنظومة في قول بعضهم

خذ نظم آداب تضوّع نشرها * يحكي شذا المنثور حين يضوع
لغة وصرف واشتقاق نحوها * علم المعاني والبيان بديع
وعروض قافية وانشا نظمها * بكتابة التاريخ ليس يضيع

وانما عدّ من الفنون الادبية لانه أقوى مساعد على قوّة ملكة الانشاء نثرا ونظما للاستشهاد بشواهده والاستمداد من فوائده قال بعض الفضلاء وحقه ان يعدّ من علوم الدين فانه انما هو نقل أخبار الازمنة السالفة التي منها سير الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين خصوصا على القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بطلانه وأنه يجب علينا أن نعرف أن لله أنبياء ومرسلين مبشرين ومنذرين بعضهم تفصيلا وبعضهم اجمالا

كما هو منظوم في قول بعضهم

حتم على كل ذى التكليف معرفة * بأنبياء على التفصيل قد علموا
فى تلك حجتنا منهم ثمانية * من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو
ادريس هود شعيب صالح وكذا * ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

ولا يليق بطالب العلم أن يقتصر كالعامة على معرفة أسماء هؤلاء المرسلين بل الأجدر به أن يعرف سيرهم وما كان لهم من الافعال النافعة والدعوة الخاصة أو العامة ومتى أرسلوا ولمن أرسلوا ومن أطاعه قومه واتبعوه ومن عصوه وخالفوه وكيف حاق بالمعاند العذاب ليكون ذلك تذكرة لاولى الالباب ولذلك وجب على من يريد الاستكمال الادبى والصبغة الدينيه أن يطلب التاريخ كغيره من الفنون الأدبية والعلوم الدينيه وقد نص المقدسى رحمه الله فى كتابه الروضتين على أن التاريخ من أصول الدين وعلى ذلك ينبغى لنا أن نعرف شرائع الامم الماضيه ونقف على أحوال الملل الخاليه حتى نعلم ما امتازت به شريعتنا من التسهيل والتيسير وما اختصت به من المزايا العديدة وبذلك نفهم معنى قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقوله جل شأنه (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) الى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الامة الاسلامية أفضل الأمم وأنه صلى الله عليه وسلم امام الانبياء والمرسلين وأفضل الخلق أجمعين ولا نعرف ذلك معرفة تامة الا بالاطلاع على سير الامم الماضين والرسل السابقين ومقابلة أحوال تلك الامم بأمة خير العرب والعجم ومقارنة سير الانبياء والرسل الكرام بسيرته عليه الصلاة والسلام حتى يتبين الحق لذى عينين ولا يطلب أثر بعد عين هذا فضلا عن كونه يجب علينا أن نعرف تاريخ نزول آيات القرآن الشريف لنعرف الناسخ منها والمنسوخ ولا يخفى ما فى ذلك من الفوائد الدينية وأنه

يلزمنا أيضا أن نعرف الضروري من علم الانساب الذي يتوقف عليه أصول شرعية كما أوضحه الشيخ المقدسي رحمه الله من أن الجهل بالأنساب قد يبعد الانسان عن الصواب وبذا يعدل عن أداء الواجب ومالا يتم الواجب الابه فهو واجب

(وأما استمداده) فهو اما من الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل والزبور والفرقان واما من الحوادث المشاهدة بالعيان التي هي أقوى دليل وأوضح برهان واما من الأخبار التي نقلها علماء المفسرين وأكابر المحدثين ولذلك عده بعضهم فرعا منها واما من الكتب المدونة في هذا الفن التي نقلها لنا المؤرخون خلفا عن سلف واما من الآثار القديمة الناطقة بعظم بانيها وفخامة مؤسسها بأشكال اصطلاحيه أو خطوط قديمة كتابيه وبذلك ترى تواريخ الاعصر القديمة لاتخلو من الترهات والخرافات فانه وان اجتهد المتقدمون كثيرا في استخراج أسرار تلك النقوش وما دلت عليه من الحوادث فانهم لم يذكروا كثيرا من الامور الابتوهمات ظنيه وأسانيد غير قطعيه وقد جهلوا كثيرا من الكليات فضلا عن الوصول الى تحقيق الجزئيات

وأما تواريخ القرون الوسطى والمتأخرة فانه قد حصل فيها تحقيق الحقائق واستخراج غوامض الدقائق واستنارت البصائر والابصار وانتشر علم التاريخ في سائر الاقطار

(وأما مسائله) فهي قوانينه الاجماليه المستنبطة من أدلته التفصيليه كقولهم كل دولة في ابتداء أمرها لابد لها من العصبية وقولهم الطمع والترف يؤديان الى دمار الممالك وتعطيل المسالك وقولهم العدل أساس الملك والظلم مرتعه وخيم

هذا وقد جرت عادة كثير من المؤرخين اذا أرادوا التكلم على دولة من الدول أو أمة من الامم أن يتكلموا على موقعها الطبيعي من الارض وتقسيمها وحدودها خصوصا المتأخرين منهم حتى بذلك يسهل الناظر في

تلك التواريخ ان يعرف موضع كل حادثة من الحوادث ولا شك أن هذا من أجل المقاصد وفيه كثير من الفوائد

وبذلك يعلم أن طالب التاريخ لابد له من معرفة فن (الجغرافيا) لارتباط كل من العلمين بالآخر وأن ذلك يسهل له معرفة أخلاق كل أمة وما امتازت به من المزايا واختصت به من الخصائص التي اقتضاها تأثير الاقليم في النوع البشرى كما أبان ذلك العلامة ابن خلدون وغيره من العلماء الباحثين والفضلاء المحققين حيث ثبت لديهم أن كل منطقة من المناطق وجهة من الجهات تؤثر على ساكنيها بما أودعه الله فيها من المؤثرات الطبيعية التي تجعل أهلها على أحوال مخصوصه وصفات معروفة منصوصه لا يتعداها لغيرها الا بالتقليد والتعليم اذ أن الاقليم يؤثر في المقيم حتى قال بعض الباحثين ان الله تعالت عظمته وجلت قدرته قد أوجد تركيب خلقة كل انسان مناسبا للجو الذى ولد فيه وهذا أمر ظاهر لا يحتاج الى تنبيه غير أن الله سبحانه وتعالى قد ميز الانسان على غيره من سائر الحيوان بجعله مستعد للمعيشة في أى اقليم كان باتخاذ الاحتياطات الكافيه والوقايات الوافيه ضرورة احتياج الانسان الى السير والمعيشة في أى محل كان ولكن مهما اجتهد في التقليد والتعلم وتغالى في الرفاهية والتنعم فانه لابد أن تغلب عليه عوائد وطنه ويكون حنينه دائما الى عطنه فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وحيث انى سأبدأ بتاريخ قدماء وادى النيل رأيت أن أقدم لذلك مقدمة يهتدى بها الطالب النبيل فقلت وبالله التوفيق والهداية لأقوم طريق

﴿ مقدمة ﴾

﴿ في مصر والنيل ﴾

مصر الآن ايالة عظيمة تركية وكانت في قديم الزمان من أشهر ممالك

افريقية وهى قديمة فى المدنيــة وموقعها فى الشمال الشرقى من افريقية وسميت مصر نسبة الى مصرايم بن حام ويحدّها شمالا البحر الابيض المتوسط وشرقا البحر الاحمر وقنال السويس وجنوبا بلاد النوبة وغربا صحراء برقة وجزء من ولاية طرابلس وهى وادو هذا الوادى ضيق يبلغ عرضه أربعين كيلومترا وطوله ٨٨٠ كيلو مترا ويحصر بين سلسلتين من الجبال جبال العرب شرقا وجبال ليبيا غربا وهــذان الجبلان يتقاربان جنوبا حتى يكادا أن يتماسا بجهة اسوان واســنا وكلما امتــدا الى الشمال يقل ارتفاعهما ويكثر اتساعهما وعند موازاة القاهرة يتجه أحــدهما الى الشمال الشرقى والآخر الى الشمال الغربى فتأخــذ أرض مصر فى شمال القاهرة شكل مثلث يسمى بالدلتا والنيل يجرى بين هــذين الجبلين الى الشمال ويتفرع عند فم البحر بعــد القاهرة بمسافة عشرين كيلومترا الى فرعين عظيمين يتجه أحدهما الى الشمال الشرقى ويصب فى البحر الابيض المتوسط بعد دمياط بمسافة ٩ كيلومتر ويسمى فرع دمياط أو الشرقى ويتجه الثانى نحو الشمال الغربى ويصب كذلك فى البحر الابيض المتوسط بعد رشيد بمسافة ٧ كيلومتر ويسمى فرع رشيد أو الغربى

ومصر فى زمن الفراعنــة كانت تنقسم الى قسمين عظيمين وهــما الوجه القبلى والوجــه البحرى وكان الفاصل بينهما مدينــة دهشور ثم ان الوجه البحرى انقسم الى عشرين قسما والثانى الى اثنين وعشرين قسما

ثم انقسمت بعد ذلك الى ثلاثة أقسام كبيرة مصر العليا وهى من أسوان الى العرابة المدفونة ومصر الوسطى من العرابة المــدفونة الى القاهرة ومصر السفلى أو الواطية من القاهرة الى البحر الابيض المتوسط

وكانت مصر فى غابر الزمان تحكم تارة بملك واحد وتارة بعدّة ملوك وهؤلاء الملوك كانوا يدعون بالفراعنة وقد حصلت فى زمنهم عدّة اغارات أجنبية

وهى اغارة الملوك الرعاة والاتيوبيين والاشوريين والعجم ثم تغلب عليها اسكندر الاكبر فصارت جزأ من الدولة المقدونية وبعد حكم اليونان وقعت فى قبضة البطالسة وبقيت كذلك حتى تغلب عليها الرومانيون فصارت ايالة رومانية تابعة أولا لمدينة رومة ثم لمدينة القسطنطينية لما انقسمت الدولة الرومانية الى قسمين شرقية وغربية وبقيت كذلك الى أن فتحت بالاسلام فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد عمرو بن العاص سنة عشرين من الهجرة ولم تزل ايالة اسلامية الى الآن والى ما لا يزال ما دامت مستظلة بظل الدولة العلية

وهى الآن أيضا تنقسم الى قسمين عظيمين الوجه القبلى والوجه البحرى فالاول من جنوب القاهرة الى بلاد النوبة والثانى من شمال القاهرة الى البحر الابيض المتوسط وكل وجه ينقسم الى عدة مديريات وكل مديرية يقوم بشؤنها حاكم مخصوص يقال له المدير وكل مديرية تنقسم الى عدة مراكز ويقوم بتدبيرها مأمور والمراكز ولم تزل مصر على ممر الزمان محط رحال الاجانب من أهل المشارق والمغارب والوارد عليها منهم الآن أكثر مما كان فى سالف الازمان

وموقعها الطبيعى هو الذى جعلها فى غاية الاهمية فانها فضلا عن كونها قريبة التوسط بين القارات الثلاث يسهل الوصول اليها بواسطة البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر وقنال السويس مع اعتدال المنطقة وجودة الهواء وحسن الغذاء وعذوبة الماء وخلوها من الصواعق والامطار والبراكين والزلازل التى تحصل فى غيرها من البلاد والاقطار ولا يمر شهر من الشهور الا وفيه نوع جديد من المطعوم أو المشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبه وورميس أمشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل

أبيب وعنب مسري ومع صغرها فان خير أرضها ينتفع به كثير من الممالك الواسعة فيحمل من السويس والقصير الى الحجاز واليمن ومن دمياط الى بلاد الروم والشام وآسيا الصغرى ومن اسكندرية الى بلاد المغرب وعواصم أوروبا ويحمل من الصعيد الى الواحات وبلاد النوبة والسودان

وأهلها فى غاية من مكارم الاخلاق يكرهون اثارة الفتن والشقاق ويولون الجميل ويكرمون النزيل ويسرعون الى التعليم والتعلم ويميلون للحضارة والتقدم ومن قواعدهم القديمة أن من ارتقى الى درجة الملوكية تجب طاعته على الرعية ولذلك ينقادون للحكام مهما كانت حالة الاحكام

وبالجملة فان مصر وطن شريف هواؤها لطيف معشوقة السكنى رحبة المثوى ولها المجد فى القديم والحديث وكم ورد فى فضلها آيات وأحاديث وكم نبعت منها عيون علوم وانجلت بها من الجهالة ظلمات وغيوم وكم خرج منها علماء وسلاطين وحكماء وأساطين وقد أكثر الشعراء فى مدحها قديما وحديثا قال بعضهم

مصر لها فخر فكم قد فوّقت * منها وان بعد العدوّ سهام
وقديمة شاب الزمان وحسنها * باقٍ ولم تهرم لها اهرام
واذا سطا حر الهجير فماؤها * ونسيمها برد به وسلام
وغنية بالنيل عن ماء السما * ولها أياد فى الوفود جسام

وأما النيل فهو روح مصر وأصل حياتها اذ لولاه لما كان لها وجود ولا اخضر لها عود فهو الذى وجدت منه المنافع للصانع والمزارع مزاياه لا تحصى ولا تحصر وهو لجنات مصر نهرها الكوثر ومن عجيب أمره أنه يأتيها في أيام معدوده وأوقات محدوده ليتحفها بخيراته ويحفها ببركاته

ثم يعود لما كان مع التؤدة والاطمئنان فهو مدرار ودود وهى منتجعة

ولو دخلا فالباقى الاقطار التى فيها فيضان الانهار مصيبة عامة وداهية طامة
وقد أكثر الشعراء فى وصفه وبيان محاسنه ولطفه منها قول بعضهم

كأن النيل ذو عقل ولب * لما يبدو لخير الناس منه
فيأتى حين حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

وقال غيره

أرى أبدا كثيرا من قليل * وبدرا فى الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ماء * بمصر مسبب لخليج مال
زيادة أصبع فى كل يوم * زيادة أذرع فى حسن حال

وقال غيره

ومن كان فى مصر وليس بساكن * على نيل مصر انه ليس فى مصر

وله مزايا كثيرة لا يسع المقام ذكرها

﴿ تقسيم تاريخ مصر ﴾

ينقسم تاريخ مصر الى قسمين الاول ما قبل الاسلام والثانى ما بعده والاول يسمى بتاريخ مصر القديم والثانى بالحديث

والاول من ابتداء عمارتها وظهور تاريخها بعد ان صارت مملكة نظامية واستولى عليها (منا) سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد الى فتحها بالاسلام على يد عمرو ابن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة عشرين هجرية وهو ينقسم بالنسبة للتدين الى دورين الاول الدور الجاهلى أو الوثنى ومدته ٥٣٨٠ سنة وهو يبتدئ بالاسرة الملوكية الاولى بمصر وينتهى بصدور أوامر الملك (طيودوس) الرومانى باتباع الدين المسيحى سنة ٣٨١ بعد الميلاد وكان المصريون يعبدون فيه الاصنام والكواكب والحيوانات وغير ذلك مما سيأتى الكلام عليه فى عباداتهم وكتابتهم بالخط البربائى أو الهيروجليفى الثانى الدور المسيحى ومدته ٢٦١ سنة ومبدأه من سنة ٣٨١ بعد الميلاد

ونهايته سنة ٢٠ هجرية وفى هذا الدوركانوا متدينين بدين المسيح وكتابتهم بالقلم القبطى

وأما ما بعد الاسلام فهو يعتبر دورثالث لتاريخها بالنسبة لاختلاف الدين لان غالب أهلها فيه متدينون بدين الاسلام ومدة هذا الدورمن فتحها بالاسلام الى وقتنا هذا ولايزال متجددا مع تجدد الايام مادامت مصر مستظلة براية الاسلام

منشأ الامة المصرية والكلام على حالتها الاولى

قبل أن تصير حكومة منتظمة

قد دلت التواريخ على أن أول من توطن وادى النيل بعد الطوفان هم قوم من ذرية مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام أتوا اليه من آسيا على طريق صحارى الشام الى برزخ السويس وذلك لما تكاثر بنو نوح وأحوجتهم ضرورة الاحتياج لطلب المعيشة للانتشار فى الارض وبقى المصريون مدة طويلة محكومين بالكهنة الذين كانوا يعتقدون انهم من قبل آلهتهم وهذه المدة كانت حالة مصر مجهولة فيها فلا يعرف كيف كان انتظام ملكهم وتصرفهم ولذلك لما كانت مصر فى تلك الاعصر مجهول حالها قد فرض المصريون القدماء عند تدوين تاريخها ثلاث عائلات وهمية وزعموا انها تولت شأن مصر بالتوالى وانتهت بظهور الدولة الملوكية الاولى وسموا الاسرة الاولى أسرة المعبودات ويقال لها المقدسة وسموا الثانية الشبيهة بالمقدسة والثالثة بالكهنة (الحورشسو) وزعموا أنهم أجدادهم وهذا لادليل عليه وغاية ماثبت أن مصر بقيت مدة مجهولة تحت تصرف الكهنة ثم لما احوجت ضرورة المدافعة عن الوطن من غارات من قصده لايجاد طائفة عسكرية اتخذوا لهم جندا وبعد مضى زمن طويل قام فريق من الجند وجبر الكهنة على الاعتراف بالملوكية

لواحد من قوادهم وكان المحرض لهم على ذلك هو أحد قوادهم المدعو (منا) أو (مينيس) وتم الامر بجعله ملكا على مصر فهو أول من حكمها من الملوك بعد الطوفان بعد أن صارت حكومة منتظمة وقد اتفق المؤرخون على ان جميع الملوك الذين حكموا مصر من زمن (منا) ينقسمون الى عدة طوائف تسمى بالاسرات أو الدول الملوكية فان كانت الدولة وطنية سميت باسم المدينة التى أ[illegible]هامنها فيقال مثلا الاسرة المنفيسية نسبة الى مدينة منفيس والاسرة الصاوية نسبة الى مدينة صا الحجر وهكذا وان كانت الدولة أجنبية سميت باسم جنسها فيقال الدولة اليونانية أو الرومانية وهكذا

وجميع عدد الاسرات التى حكمت مصر الى الآن خمس وأربعون أسرة منها أربع وثلاثون جاهلية وواحدة مسيحية وعشرة اسلامية

وقبل التكلم على تاريخ الاسرات الملوكية التى حكمت على مصر نتكلم على ما كان لقدماء المصريين من الاحوال على سبيل الاختصار فنقول

(ديانة قدماء المصريين)

كانت ديانة قدماء المصريين في سالف الازمان أحسن من غيرهم من الامم فانهم كانوا لا يشكون فى وحدة الخالق غير أنهم كان لهم أصنام كثيرة يعبدونها ويعتقدون انها تقربهم من الله وكانت ديانتهم مؤسسة على عبادة الشمس وكان لها عندهم أسماء وأشكال مخصوصة على حسب سيرها فى السماء فكان اله مدينة طيبة (أمون) وغيره وكان اله مدينة منف (بتاح) وغيره وكانت هذه الاسماء تتغير فى بعض الاقاليم أما عبادة (أوزوريس) أى الشمس (وأوزيس) أى القمر (وابيس) (وأبى الهول) فكانت منتشرة أكثر من غيرها وكثيرا ما كانوا يعبدون حيوانات وطيورا وغيرها وكانت هذه المعبودات فى اعتقاداتهم أولا عبارة

عن رموز على قدرة الخالق فكانوا يعتقدون أن عبادتها تقربهم من الله ثم انتشرت عبادتها وتنوسي التوحيد ولم يبق أثره الا عند الكهنة منهم وكانت الحيوانات المعبودة لهم تعبد في أفخرهيا كل البلاد وتخدم خدمة الملوك وتحنط عند موتها وتدفن في مدافن عظيمة وكان أفخرها عندهم هو العجل المسمى (ابيس) ومحل عبادته مدينة منفيس وهو رمز على الاله (بتاح) وكان يعرف عندهم بعلامات مخصوصة وكانوا يحزنون لموته حزنا شديدا ويحنط ويدفن في (سرابيوم) مدفن بسقارة ويوم الحصول على غيره وجعله بدلا عنه كان يعد من أعظم المواسم والاعياد عندهم ومن عجيب أمرهم ان هذا المعبود مع احترامهم له وعبادتهم اياه كان له عندهم مدة محدودة وهي خمس وعشرون سنة يعتقدون أن لها فيها ارتباط بالقمر فان لم يمت أخذوه في مهرجان عظيم وألقوه في النيل حتى يموت ثم يحنطونه ويدفنونه ويحزنون عليه وكانوا يعتقدون خلود الروح وانها تعود الى الجسم بعد ثلاثة آلاف سنة فيصاويعيش عيشة راضية الى أن يبعث ان كان خيرا ويعيش معذبا ان كان شريرا وهذا هو السبب في حرصهم على اجسام موتاهم ودفنهم في مقابر متينة واهرام حصينة

﴿ عوائدهم ﴾

عوائد قدماء المصريين كثيرة منها ان ملوك مصر السابقين كان لهم التصرف المطلق في رعاياهم وكانوا محترمين عندهم كالآلهة وربما كانوا يتصورون ان الملك هو ابن الاله أو يدعي الملك ذلك فكانوا يؤدون له واجب العبودية ويعتقدون أن كل ما أمر به مقدس لا ينازع فيه وكانت الصنائع عندهم وراثية فلا يؤذن لاحد منهم أن يحترف بغير حرفة أبيه ومن سيئ عاداتهم انهم كانوا يرمون بنتا بكرا في النيل عند قرب فيضانه

ويعتقدون أنه لا يزيد الا بذلك وهذه العادة بقيت فيهم الى أن أبطلها عمرو ابن العاص لما كان واليا على مصر فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وغير ذلك

﴿ صناعتهم ﴾

كانوا فلاحين وأرباب صنائع وفنون وكان منهم رجال محاربون فكان الفلاحون يزرعون أنواع الغلال فى أراضى وادى النيل بطرق بسيطة لانه لم يكن عندهم آلات وافية للزراعة وكان الصناع ينسجون الاقمشة الجيدة ويصبغونها بالالوان المختلفة المحسنة وكانوا يشتغلون بصناعة المعادن ويسبكونها فى قوالب مختلفة على حسب أغراضهم ويطبغون الاوانى القيشانية والفخارية وكانوا يصنعون الزجاج ولهم دراية عظيمة فى التصبير والمبانى العجيبة كالاهرام والمسلات والمعابد والهياكل الباقى بعضها الى الآن دالة دلالة واضحة على براعتهم وكان لهم دراية أيضا بتحضير مواد الطلاو بالجلة فكانت صناعتهم تجلب الى أقصى الاقطار غير أنهم كانوا لا يعرفون استعمال النقوش المسبوكة فى أول أمرهم بل كانوا يتعاملون بوزن القضبان على حسب قيمتها فى الاثمان وبعد ذلك اتخذوها على شكل حلقات وضفادع وثيران وعجول صغيرة من الذهب والفضة وباقى المعادن مرقوم عليها عيارها وقيمتها مع وزنها وكانوا يقومون بها السلع فيقال هذا يعدل حلقتين من الذهب أو الفضة أو جعران أو ضفدعة وهكذا وأما النقود المضروبة فانها لم توجد فى مصر الا فى مدة استيلاء العجم عليها ويؤيد ذلك مارواه ديودورمن ان داراهو أول من ضرب النقود وبالغ فى تصفيتها وانه حكم على عامله بمصر بالقتل لما علم انه ضرب نقودا بدون اذنه

(قوانيهم)

ان لهم قوانين ادارية وأحكام مدنية وكان لهم موادمدونة للعقوبات والمعاملات فمن العقوبات عندهم أنهم كانوا يحكمون بالقتل فى جملة مواد أحدها على الحالف بالباطل امام القاضي لانه ارتكب اثمين عظيمين أحدهما فى جانب الخالق والثانى فى جانب المخلوق ثانيها على قاتل النفس عمدا ثالثها على من رأى انسانا واقعا فى التهلكة ولم ينقذه مع قدرته على ذلك لانه والحالة هذه يكون كالقاتل عمدا فاذا لم يمكنه ذلك تحتم عليه اخبار الحكومة على الفور والا جلد وكانوا يحكمون بالحرق على من قتل أحد أبويه عمدا أما من يقتل ولده أوابنته فكانوا يحكمون عليه أن يعانق الجثة ثلاثة أيام بلياليها لا فرق فى ذلك بين ذكر وأنثى الا الحامل فانهم كانوا يؤخرون عقابها حتى تلد خوفا من أخذ نفس بريئة بنفس مسيئة وكانوا يحرمون الزنا ويجلدون عليه ألف جلدة ويجبون من يأتى النساء غصبا ويقطعون أنف الزانية ويسلون لسان من يطلع العدو على عورات الوطن ويقطعون يمين مطفف الكيل والميزان ومقلد خاتم السلطان أو الاهالى ومزور الخطوط ومغير صورة موضوع الدعاوى الرسمية وكانوا يحكمون بالفضيحة على الجندى الفار من العدو يوم الزحف وعلى من يرتكب مخالفة قانونية عمدا مالم يأت بأعمال تمحو عنه هذه المعرة وكانت الحدود تقام على الاموات كما تقام على الاحياء فيمنع المجرم من الدين اذا ثبت عليه ما كان يوجب عقابه فى الحياة الدنيا كما انهم كانوا يرهنون جثث الموتى على القرض فلا يدفن المدين حتى يؤدى عنه دينه وغير ذلك مما يطول شرحه

(علومهم)

مما لا يختلف فيه اثنان ان المصريين قد برعوا فى كثير من العلوم فى الاعصر

الاولية التى كانت فيها الامم العظيمة التى قد بلغت الآن درجة عظيمة فى العلوم والمعارف فى حالة من الجهالة الفطرية والسذاجة المبدئية

فن علومهم الطب فكانت لهم فيه اليد البيضاء مع أنهم كانوا محافظين على الاصول الصحية كما ثبت من أنهم كانوا يستعملون ماينقى المعدة فى كل شهر وكانوا لا يأكلون شيأ يضر بالصحة لاعتقادهم أن جميع الامراض تنتج من المواد الغذائية وكانت الاطباء عندهم منقسمين الى طوائف لكل طائفة نوع من الطب وكانوا يعتقدون فى مس الشياطين ولذا كانوا يستعملون للمريض الرقية والتمائم فان لم تفد أتوا بالطبيب

أما علم الهندسة والرياضة وأخذ المسائح فشهرتهم فيه أشهر من أن تذكر بدليل ماشيدوه من المبانى التى ما جعلت لاعدائهم مطعنا وليس بعدها شهادة ولا تزكية

وأما الفلك فهم رجاله اذهم أول من رصد الكواكب السيارة والثابتة وعرفوا حالة الارض وخصائص الشمس والقمر ومزايا كثير من الكواكب وهم الذين قسموا السنة الى اثنى عشر شهرا والشهر الى ثلاثين يوما واليوم الى ساعات والساعات الى دقائق وهكذا وعرفوا أيام النسىء والسنة البسيطة والكبيسة وقالوا بهما

أما باقى العلوم فكانت موجودة عندهم من قديم الزمان راسخة في صدورهم وسطورهم يتوارثونها جيلا بعد جيل ولما علم سبر وأن بسيوس الالمانى وجد فى مقبرة بالجيزة اسم رجل كان من وجوه أعيان الدولة السادسة وعنوانه امين دار كتب الملك قال هذا العنوان يكفينا برهانا على انتشار المدنية عندهم فى تلك الاعصار الغابرة وما كان للعلوم من الكثرة والرفعة والاعتناء بها حتى جعلوا لها دورا وأناطوا بحفظها رجالا من كبار الحاشية الملوكية ولا جرم ان هذا الرجل كان حافظا لاسفار الازمان

السابقة على عصره التي ربما اندرجت الى الملك منا أوالى من كان قبله من ايام الكهنة ولا بد أنها كانت مشتملة على علوم كثيرة وفنون شتى بحيث لو بعثت لدينا لاغنتنا عن ترجمة كتب اليونان فيما تقدم من الازمان ولكانت عوضا لنا عن مكتبة الاسكندرية التي احترقت بنار الجهل والفتن قديما وبالجملة فان علومهم لا تكاد تحصى ولا يمكن حصرها ولا تستقصى

(أخلاقهم)

كانت أخلاقهم جيدة وطباعهم سهلة وكانوا يحترمون الشيوخ فاذا لاقى الفتى منهم شيخا خلى له الطريق وانحرف الى جانبه واذا أقبل الكبير على مجلس الشبان قاموا تعظيما له وكانت تحيتهم بالركوع الى ان تبلغ اليد منهم الفخذ

(مأكلهم)

كان خبز قدماء المصريين من الحنطة وكانوا يأكلون الاسماك وربما اكتفوا بتجفيفها بحرارة الشمس أوتمليحها مع ماء أومائع آخر وكانوا يتناولون من لحوم الطيور والحيوانات التي ليست محترمة عندهم اما مشوية أومسلوقة وأما الحيوانات المحترمة فانها كانت محرمة عندهم وكانوا في غاية من الصحة واعتدال الاجسام لمحافظتهم على جيد المأكل وعلمهم أن أغلب الامراض من المواد الغذائية الرديئة

(ملابسهم)

كانت ملابس قدماء المصريين من الكتان وهي عبارة عن قطعة من القماش تدار حول الخصر كالازار ولها اهداب تسقط على الافخاذ ويتدثرون عليها بعباءة من الصوف وكانوا يخلعونها فى معابدهم ولا يدفنون بها موتاهم على حسب أحكامهم الدينية

(مواسمهم وأعيادهم)

كان لقدماء المصريين مواسم كثيرة وأعياد شهيرة فمنها عيد كان يعمل في سادس يوم من شهر بابه وهو عيد حمل ازوريس بولدها يشيرون بذلك الى وضع بذر الزرع في الارض بعد نزول ماء النيل ومنها موسم كان يعمل في الثامن والعشرين منه ويسمونه موسم غض الشمس وكانوا يعنون بذلك تنازل حرارتها وتقدمها في العمر وضعف قوتها

ومنها موسم كان يعمل في سابع عشر هاتور وهو عيد وقوع ازوريس في قبضة تيفون عدوه والقائه في النهر وكان هذا اليوم معدودا عندهم من أيام النحس والحزن يشيرون بذلك الى انحصار النيل بين ضفتي النهر وكانت مدة هذا الموسم أربعة أيام يدورون فيها بثور رقرونه مذهبة وعلى ظهره قطعة قماش سوداء من القطن أو من الكتان يشيرون بذلك الثور الى ازوريس وبقطعة القماش الى أرض مصر لان لونها بسبب مفارقة الماء صار اسود وكانوا يظهرون في هذا الموسم الحزن والاسف الشديد على نقص النيل وتزايد الريح الجنوبية ونقص النهار وزيادة الليل وكان لهم مواسم أيضا عند زيادة النيل لتجدد جسد ازوريس فكان الكهنة يذهبون ليلا الى مصب النيل في البحر في موكب عظيم فيوقدون الشموع ويقربون القربان ويذبحون الذبائح وكانت هذه من أعظم مواسمهم التي لا يسع المقام حصرها

(الكلام على الدور الجاهلي)

هذا الدور قد حكم فيه على مصر أربع وثلاثون أسرة أو دولة ملوكية وهو ينقسم الى أربع طبقات بالنسبة لقوة مصر واضمحلالها

(الطبقة الاولى) مدتها ١٩٤٠ سنة وتبتدئ بحكم الملك منا أو مصرايم سنة ٥٠٠٤ قبل الميلاد وتنتهي بانقراض الاسرة العاشرة

(الطبقة الثانية) مدتها ١٣٦١ سنة وتبتدئ بالاسرة الحادية عشرة وتنتهى بانقراض السابعة عشرة

(الطبقة الثالثة) مدتها ١٣٧١ تبتدئ بالاسرة الثامنة عشرة وتنتهى بانقراض دولة الفراعنة المصرية المتممة للثلاثين أعنى باستيلاء العجم عليها مرة ثانية

(الطبقة الرابعة) أو الاخيرة مدتها ٧١٣ سنة أولها تغلب اليونان على مصر ووقوعها فى قبضة اسكندر المقدونى وآخرها صدور أوامر الملك طيودوس الرومانى بترك عبادة الاوثان واتباع الدين المسيحى سنة ٣٨١ بعد الميلاد

(الكلام على الطبقة الاولى أو الدولة القديمة)

هذه الطبقة تبتدئ بالاسرة الاولى وتنتهى بالعاشرة ومدة حكمها ١٩٤٠ سنة كما سبق

(الاسرة الاولى)

تبتدئ بالملك منا أو مصرايم الذى هو أول ملك حكم مصر بعد الطوفان بعد ان صارت حكومة منتظمة سنه ٥٦٢١ ق م أو سنة ٥٠٠٤ ق م ومدة حكمها ٣٥٣ سنة من ٥٠٠٤ الى سنة ٤٧٠١ ق م ولما تغلب على الكهنة وتولى ملك مصر لم يمكنه الاقامة بطينة التى هى مسقط رأسه ومحل العبادة العام لان أهلها كانوا مخلصين للكهنة وميالين لهم بل تركها وأبقى رؤساء القبائل فيها وشرع فى تغيير الهيئة القديمة فاسس مدينة منف (المعروفة الآن بالبدرشين وميت رهينة بمديرية الجيزة) وشيدها وأحاطها بسور وكان النيل فى مدته يجرى فى صحارى ليبيا فسد مجراه الاصلى وجعله يجرى فى مجراه الذى هو فيه الآن قاصدا بذلك اصلاح أراض زراعية فى الجهات الشرقية وقسم مصر الى ٤٤ قسما وشيد فى منف هيكلا للمعبود بتاح وجعلها

تخت ملكه ومقر سلطانه وعمرها بالسكان وعسكر بها جنده فاخذت تزداد في العمران حتى فاقت على غيرها من البلدان وغزا سكان ليبيا وانتصر عليهم وسن القوانين ونظم الادارة ورتب العبادة ومات بعد ان حكم ٦٢ سنة

ومن ملوك هذه الاسرة الملك (تتا) بن مينيس وهو الذى شرع فى بناء القصر الملوكى بمدينة منف واعتنى بدرس الطب ووضع رسالة فى علم التشريح وحكم ٤٧ سنة

ومنهم الملك (وينيفيس) وفى مدته حصل قحط عظيم فى أرض مصر وينسب اليه بناء هرم كوكمه على شمال الهرم المدرج بسقارة وحكم ٢٣ سنة

ومن ملوكها الملك (هيزبنى) وكان مشهورا بالشجاعة والهمة وحكم ٢٠ سنة وحكم بعده ابنه سيمبسس وفي عصره فشى الطاعون فى الديار المصرية وأما باقى ملوك هذه العائلة فلم يعلم لهم من الآثار ما يستحق الذكر

(الاسرة الثانية)

بعد انقراض الاسرة الاولى تولت حكم مصر الاسرة الثانيـة ومدة حكمها ٣٠٢ من السنين من سنة ٤٧٥١ الى سنة ٤٤٤٩ قبل الميلاد وأصلها من مدينـة طينة أيضا وقال بعض المؤرخـين انها من أقارب الاولى وأول ملوكها الملك (بوئوس) وفي مدة حكمه انشقت الارض بقرب مدينة تل بسطة بالشرقية وغار فيها خلق كثير ومدة حكمه ٣٨ سنة وخلف من بعده الملك (كيكيوس) وفى مدته رتبت القوانين السـياسية وهرع الناس الى عبادة الحيوانات المقدسة بمصر خصوصا العجل أبيس ويقال انه أول من أبدعها وحكم ٣٩ سنة

وحكم بعده الملك (بينوتريس) وهو الذى سن قانونا جوز فيـه للنساء الجلوس على سرير الملك قاصـدا بذلك عـدم خروج الملك من العائلة الملوكية وحاصـله أن الملك اذا مات وكان له أولاد ذكور فهم أحق بالملك

وان لم يكن له أولاد ذكور كان أحق بالملك بناته وان كل ملك توفى عن زوجة ولم يكن له ولد اوكان له ولد قاصر تولت الملك بعده زوجته بشرط أن لاتتزوج غيره فان تزوجت من ليس له حق فى الملك لايجوز له أن يتولاه ويجوز لاولاده منها وبين فيه أيضا ان سلطة الملوك على الرعية من الحقوق الواجبة وان طاعة الرعية للملوك فرض عليهم يلزمهم أداؤه وبالغ فى ذلك وزعم أن دم المعبود سرى فى جسده وبذلك صارت له السلطة المطلقة ولقب نفسه بابن الشمس واقتدى به فى ذلك كثير من الملوك الى عهد الرومان وحكم ٤٧ سنة وجاء بعده ملوك من هذه العائلة لايستحقون الذكر وقد عثر المتأخرون على عمارات أثرية معاصرة لعصر هذه الاسرة تشاهد عليها علامات الحالة الاولية والبساطة الفطرية مثل مقبرة (توت حتب) الموجودة بمنف وغيرها مما يدل على عدم تقدم الصناعة فى هذه الاعصر الاولية

(الاسرة الثالثة)

بعد انقراض الاسرة الثانية تولت الامر الاسرة الثالثة ومدة حكمها ٢١٤ سنة من سنة ٤٤٤٩ الى سنة ٤٢٣٥ قبل الميلاد وهى منفيسية وأول ملوكها الملك (نخروفيس) وفى مدته حصل اضطراب بالمملكة المصرية أدى الى عصيان سكان ليبيا الذين كانوا تحت طاعة ملوك مصر من عهد الملك (منا) وتظاهروا عليه بالعدوان واصطف الفريقان للقتال فحصل كسوف كلى للشمس فظنوا ان الله قد غضب عليهم لاعتدائهم على الملك فكفوا عن القتال ورجعوا لطاعته وقيل ان القتال كان فى ليلة مقمرة فلما اصطف الفريقان حصل خسوف للقمر اهالهم أمره وظنوا ان ذلك من غضب الاله عليهم فصالحوا الملك وخضعوا له ولما هدأ الوقت وانحسمت الفتن قضى بقية حياته فى نشر العلوم واتساع دائرة الصنائع ومات بعد ان حكم

٢٨ سنة وحكم بعده الملك (توسوزتروس) فاجتهد فى تعليم فن الكتابة وتحسينه وقطع الاحجار ونحتها والكتابة عليها وكان ماهرا فى علم الطب كالملك (تتا) وألف فيه كتبا تداولها الناس الى القرن الاول من التاريخ المسيحي

وبهمته وحسن التفاته عم الغنى فى مصر وتقدمت صنعة المبانى تقدما عظيما حتى نسب اليهم (أبو الهول) الموجود الآن بين الهرمين بالجيزه ويسمونه (حورمخى) أى شمس الافقين يعنون بذلك الشمس وقت شروقها وغروبها وهى الاوقات التى كانوا يعبدونه فيها وصورته على شكل سبع له رأس آدمى اشارة الى القوة والعقل وبهذا المعنى ساغ لهم ان يجعلوه رمزا على كل ملك حكم مصر فلذا يوجد فى المتاحف والهيا كل والبرابى وغيرها كثير من الملوك المصورة أجسامهم على هيئة سبع مع اتقان وجوههم ودقة هيئتهم الاصلية ومن هذه التماثيل ماهو كبير وصغير فأكبرها أبو الهول الموجود بين اهرام الجيزة رأسه يتجه جهة النيل وقياسها من القمة الى الذقن ٢٦ قدما وستة قراريط وطول جسده ١٤٦ قدما وعرض كتفيه ٣٦ قدما وامتداد ذراعيه ٥٠ قدما وهو من أغرب الآثار وأعجبها

ومن مزاعمهم انه تمثال لوحش هائل كان موجودا فى الصحراء وقد أرصدوه لألههم الشمس وهو منحوت من جلمود من الصخر أتوا به من اقصى أطراف هضبة ليبيا وأقاموه بحيث يظهر كأنه يرفع رأسه فوق الوادى كله ليكون أول من يتمتع ناظره بالشمس عند شروقها وقد انهالت عليه الرمال وانتهك جسمه فلم يبق فيه من الاسد الا هيئته العمومية وكان له لحية وجدت اثارها بالقرب منه وكان على رأسه قبع لم يبق منه الا أسفله وأصغرها مايكون كحب المرجان من العقيق كانوا يستعملونه حلية فى العقود

ومنها الهيكل الموجود بالجهة القبلية من اهرام الجيزة ويعرف الآن بالكنيسة وهو من بدائع صنعهم ومحاسن عصرهم لكونه مبنيا بالحجر الصوان المصوت والجبس العظيم ومنها أيضا جملة محاريب ومقابر بتلك الجهة كانت سكان (منف) تدفن فيها موتاهم خشية الغرق وكانت هذه المقابر تبعد عن منف بخمسة آلاف متر من الجانب الغربي وكان أغلب فقرائهم يدفنون موتاهم في لحود على عمق متر واحد بغير اكفان ولا توابيت والمتوسطون يدفنون موتاهم في ضريح مربع مبنى بناء غير متقن وكانوا لا يضعون معهم شيأ سوى أوان من الفخار بجانب الجثة فيها طعام معد لغذاء الميت وقت بعثته حسب اعتقادهم وأما الاغنياء فكانت مقابرهم تتركب من ثلاثة أجزاء أولها حجرة ظاهرة منقوشة بانواع النقوش والتصاوير المتقنة وكانت هذه الحجرة معدة لمكث من يزوره وثانيها حجرة صغيرة رأسية مفتوحة الفوهة في حجرة أخرى من حجرات المقبرة وثالثها حجرة أو عدة حجرات أخر في أسفل الحجرة الصغيرة وهي المعدة لوضع الجثث فيها وكان لبعضهم طرق غير هذه في دفن موتاهم

ومن ملوك هذه الاسرة الملك (سنفرو) لما تولى عامل رعيته بالاحسان وفي مدته قام عليه سكان جبل الطور فغزاهم وقهرهم وأخذ أرضهم وبنى فيها قلاعا وحصونا ودورا وجعل فيها رجالا تستخرج المعادن والاحجار النفيسة ولقب نفسه القابا أولها الحاكم ثانيها صاحب التاجين ثالثها المنصور الظافر باعدائه رابعها ملك الوجه القبلي والبحري وختمها بأدعية وهي دام بصحة وعافية ولما عاد الى مصر بعد هذه الغزوة بنى قلاعا في حدود الدلتا استمرت الى عهد العائلة الثانية عشرة ولعدله في رعيته وحبه لهم واحسانه اليهم عبده المصريون بعد وفاته واستمروا على ذلك الى عصر البطالسة وأما باقي ملوك هذه العائلة فلم يعلم عنهم ما يستحق الذكر

(الاسرة الرابعة)

هذه الاسرة منفيسية أيضا وفي مدتها بنيت الاهرام الثلاثة بالجيزة وتحسنت الصناعة وتقدمت الهندسة تقدما عظيما ومدة حكمها ٣٨٤ سنة من سنة ٤٢٣٥ الى ٣٩٠١ قبل الميلاد

ومن أشهر ملوك هذه العائلة الملك (كيوبس أوخوفو) وكان ملكا حربيا شجاعا بدليل انه وجد مصورا فى التخطيطات الموجودة بوادي مغارة بجبل الطور على شكل محارب يقمع بنى عون من العرب الرحالة لتعديهم على حدود مصر من جهة الشمال وانه تحارب معهم وانتصر عليهم وكان مولعا أيضا بالمبانى الفاخرة فانه أقام أكبر الاهرام الموجودة بالجيزة واتخذه قبرا له ويبلغ ارتفاع هذا الهرم ٥٠٠ قدما وضلع قاعدته ٧٤٦ قدما ويقال ان مائة ألف عامل كانوا يعملون فيه وفى كل ثلاثة شهور يستبدلون بغيرهم وانهم أكملوا تشييد هذا الهرم فى مدة ثلاثين سنة عشرة منها فى توطيد الارض وعشرون فى تشييد مبانيه ويوجد بداخله ثلاث حجرات الاولى تعرف بحجرة الملك والثانية بحجرة الملكة والثالثة لم يسمها أحد وبه طرق كثيرة توصل لهذه الحجرات الثلاث وبه بئر عميق وهذا الملك يلقبه اليونان فى كتبهم بالظالم ادعاء منهم أنه حمل رعيته على نقل أحجار هرمه من صحارى ليبيا وانه قفل المعابد ومنع الذبائح وألهاهم عن عبادتهم وهذا القول غير صحيح بدليل ما ثبت أخيرا عن هذا الملك انه كان يستعمل فى بناء هرمه الاسرى الذين أسرهم من قبيلة بنى عون وان بناء هرمه لا ينافى عدله فى رعيته ومات هذا الملك بعد ان حكم ٦٨ سنة

ومن ملوكها الملك (خفروع)

هذا الملك تولى ملك مصر بعد وفاة كيوبس وهو الذى بنى الهرم الثانى

الذى أول طبقة منه من الحجر الحبشي المختلف الالوان وهو أقل ارتفاعا من الاول بأربعين قدما وملاصق له وهما موضوعان على تل واحد يبلغ ارتفاعه مائة قدم ومات بعد ان حكم ٦٦ سنة وزعموا انه كان مكروها للمصريين كسابقه لانه ألهاهم عن عبادتهم وشغلهم ببناء هرمه كذلك .

ومن ملوكها الملك (منقرع) هذا الملك لما تولى فتح الهيا كل وأباح العبادة والذبائح وأخذ يحكم بالعدل بين الرعية فأحبه المصريون عن جميع ملوكهم وبنى الهرم الثالث وبيناهو يحكم بالعدل بين الرعية اذ فقدت له ابنة صغيرة فحزن عليها حزنا شديدا ووضعها فى جوف بقرة من الذهب حجمها كاكبر ما يكون من البقر وبيناهو كذلك اذ أصابته مصيبة أخرى وهى أن الكهنة أخبروه بأنه لم يبق له من الحياة الا ست سنين فأرسل للمعبودة يعاتبها على قصر عمره مع العدل وجعل يوقد المصابيح العديدة فى الليل ويقضى جميع ليله فى شهواته وفى النهار يتوجه الى المنتزهات ويمضى كل وقته فى المسرات لكى يكون بذلك قد ضاعف عمره وعاش ١٢ سنة بدل ست سنين وأراد بذلك تكذيب الكهنة وهو بانى الهرم الثالث الذى هو أصغر الاهرام وقد اتفق ان أحد الانجليز أتى الى مصر ودخل هرمه فعثر فيه على تابوت من المرمر منقوش عليه بالقلم البربائى ما نصه أيها الملك منقرع يا صنع الله ليخلد ذكرك على ممر الدهور وليكن الله معك ولا يجعل للشيطان عليك سبيلا فحمل التابوت فغرقت به السفينة على شواطئ اسبانيا وحكم ٦٣ سنة وحكم بعده الملك (أسسكاف) وهو الذى سن رهن جثث الموتى على القرض بحيث لو مات المقترض قبل وفاء دينه لا يدفن فى مقبرة آبائه ولا فى مقابر أحد أقاربه أو أصدقائه مالم يؤد عنه دينه وقد صرف جل عنايته فى تقدم

فنون الزراعة وتقدم أيضا فى مدته علما الهندسة والفلك وكان عالما ومشرعا
وفى عصر هذه الاسرة ارتقت مصر الى أوج الحضارة والتقدم فى الصناعة
وتشييد العمارات كما تدل على ذلك مبانيهم الفاخرة التى منها اهرام الجيزة
الثلاثة التى تشهد بعظم بانيها وبراعة مهندسيها

(الاسرة الخامسة)

هذه الاسرة تولت على تخت ملك مصر ٢٤٨ سنة من سنة ٣٩٥١ الى سنة
٣٧٠٣ قبل الميلاد وملوك هذه الاسرة كانوا مشتغلين فى الخارج بمحاربة
عربان آسيا ونبت لهم عليها النصرات العديدة وفى الخارج بانشاء
الاهرام والمبانى الفاخرة وانشاء مدن جديدة ونشر العلوم والمعارف وغير
ذلك مما يعود بالنفع والخير على الرعية وفى مدتها بنيت مساطب سقارة
وماجاورها من القبور وغيرها من الآثار

وأول ملوك هذه الاسرة الملك (أسكاف) وكان محبا لرعيته متمسكا
بعبادته ولذلك أحبه المصريون حبا شديدا وخصصوا من أوقاتهم وقتا
لعبادته ولم يؤثر عنه شئ سوى أنه بنى لنفسه هرما وسماه (عبستو)
ومعناه المكان الطاهر ولم يعرف موضعه وحكم ٢٨ سنة

وخلفه الملك (سحورع) ويسميه مانيتون (سفرس) وله هرم شمال
قرية بوصير سماه بهتة الروح وكان عادلا فى رعيته محبوبا لديهم حتى انهم
عبدوه أيضا بعد موته زمنا طويلا ويؤثر عنه انه بنى بجوار اسنا مدينة
عظيمة سماها باسمه (باسحورع) وقد محيت آثارها وفى مدته اتسعت
دائرة المدنية وانتشرت العلوم واشتغل الناس بعلم الادب وغيره ولذلك
وجد فى المقابر أسماء كثير من علماء عصره وأدبائهم ومات بعد أن حكم
١٣ سنة

ومن أشهر ملوكها أيضا الملك (رعنوسر) ويسميه مانيتون (رتورس)

وكان ملكا شجاعا محاربا وقد غزا سكان شبه جزيرة الطور وانتصر عليهم وهناك يشاهد رسمه على لوحة حجرية وبنى له هرما بأبى صير وسماه المحل المتين دفن فيه بعد موته وكان فى عصره الرجل الشهير المسمى (تى) صاحب المقبرة الشهيرة الموجودة الآن بسقارة على يسار المدفن المشهور بتربة (أبيس) وهذه المقبرة من أبدع المبانى الفاخرة يقصدها السائحون الذين يأتون الى مصر من كل فج فيعجبون من اتقان صنعها لما اشتملت عليه من أنواع الصنائع والحرف والغرائب القديمة والتحف فترى فيها من يصطاد الاسماك من البحار والمستنقعات ومن يقتنص طير البر من البساتين والفلوات وترى فيها حيوانات ترتع وفلاح يزرع وترى فيها الجوارى المنشآت فى البحر كالاعلام الى غير ذلك مما يضيق عن حصره المقام مما يسر الناظر ويشرح الخاطر ويشهد لهم بطول الباع وبراعة الصناع وكان هذا الرجل صهر الملك وصاحب دوانه وأمين أشغاله وصورته موجودة بدار التحف المصرية ومات هذا الملك بعد أن حكم ٤٤ سنة وآخر ملوك هذه العائلة الملك (أوناس) أو (أنوس) ولم يؤثر عنه شيء سوى انه بنى له هرما بسقارة سماه بالمحل الجميل فتح سنة ١٨٧١ ميلادية وهو فى الجنوب الغربى من الهرم المدرج ووجدت فى حجراته نقوش تتضمن دعوات له وهو على ما نابه من حوادث الايام وطوارئ الازمان لم يزل أعجوبة للناظر ومدة حكم هذا الملك ٣٣ سنة

(الاسرة السادسة الاسوانية)

حكمت هذه الاسرة من سنة ٣٧٠٣ الى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد عبارة عن ٢٠٣ من السنين

وفى مبدا حكم هذه الاسرة انقسمت حكومة مصر بين الملك (تتا) والملك (آتى) أو (آتوس) فالاول كان حاكما على الوجه البحرى وهو آخر

ملك ولد فى منف والثانى كان حاكما على الوجه القبلى ومقر حكومته جزيرة اسوان وحصلت فى زمنه فتنة أدت الى قتله بعد أن حكم ٣٠ سنة

ثم تولى الحكم بعده على تخت مصر كلها الملك (مريرع) وكان مقر حكومته بجزيرة اسوان أيضا وكان ذا همة عالية وشجاعة تامة فهدأ به الوقت وانقطعت الفتن وسكنت القلاقل وغزا عدة غزوات انتصر فيها (منها) أنه حارب قبيلة (الواوا) من القبائل السودانية (ومنها) أنه حارب القبائل العربية التى كانت تتعدى على عماله الذين كانوا يستخرجون المعادن من جبل الطور (ومنها) انه حارب بلاد الشام الجنوبية فتغلب عليها وفى عهده سهلت أسباب التجارة أيضا اذ قد فتح طريقا من قنا الى ميناالقصير على ساحل البحر الاحمر وقسمه الى مراحل ومنازل ورتب له الحرس وحفر فيه عدة آبار للسقاية وكان المساعد له على جميع الاعمال النافعة والامور المهمة وزيره المسمى (عونا) ومات بعد أن حكم ٣٥ سنة وخلفه على سرير الملك ابنه (مريرع) الاول ولم يحصل في مدته شئ من الفتن والاضطرابات لشهرة والده فالبسالة التى أرهب بها الاعداء وأخضع بها رقاب الجبارين كانت سببا لانقياد الناس له ومات بعد ان حكم ٧ سنين

ثم جاء بعده الملك (نفركارع) وقد طالت مدة حكمه كثيرا حتى حكم قرنا كاملا وقيل انه حكم ٩٠ سنة وبقيت مصر فى عهده محافظة على حدودها ورونقها وقوتها مع انه حصل فى مدته كثير من الفتن وقد غزا غزوات كثيرة وانتصر مرات عديدة على الزنوج بجنوب مصر وعلى العرب الرحالة الوافدين من آسيا وحكم بعده الملك (فريتوسفيس) وفى موته قامت الفتن على قدم وساق ولم تنته الا بقتله بعد سنة من حكمه

وقد خلفته أخته (نيتوكريس) وقد وصفها المؤرخون بالحسن والجمال والفضل والكمال ولما استوت على عرش المملكة أخذت تدبر فى أخذ ثار أخيها من الذين أثاروا الفتن عليه وكانوا سببا في قتله وزوال ملكه فبنت محلا تحت الارض وجعلت له نفقا يوصل الى النيل ثم صنعت وليمة فاخرة دعت اليها كثيرا من أعيان المملكة منهم قاتلو أخيها ونصبت الموائد بين أيديهم وبينما هم منهمكون فى المآكل والمشارب واللذة والانشراح اذ أنزلت عليهم ماء النيل من ذلك النفق فأغرقتهم وبعد ذلك قتلت نفسها تخلصا من أشياعهم وهى التى أتمت الهرم الثالث وجعلته قبرا لها بدون أن تتعرض لجثة الملك منقرع ومدة حكمها ١٢ سنة وهى آخر ملوك الاسرة السادسة

(الاسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة)

هؤلاء الاسرات قد حكموا من سنة ٣٥٠٠ الى سنة ٣٢٤٩ قبل الميلاد وهذه المدة هى أشكل تاريخ مصر فقد جهل فيها ما يتعلق بالملوك والسنين والوقائع حتى ان جميع صحف المؤرخين قد خلت من بيانها فلا سبيل الى الوقوف على الصواب منها ولعل هذا ناشئ عن فترة فى همم الامة عن بناء عمارات تدل آثارها عليها أو عن عدم الاهتداء الى هذه الآثار بسبب كونها سحب الدهر عليها أردانه حتى صارت فى دفائن الارض غير معروفة

(حالة مصر مدة الطبقة الاولى)

من تأمل فى تاريخ مصر فى هذه المدة علم أنها كانت قد بلغت مبلغا عظيما من المدنية الفنية اذ وجد فيها قوم أولو علم وحكمة وفضل ونعمة لهم حكومة ملوكية وقوانين ضبطية وربطية ومبان عجيبة وآثار غريبة قد وصلوا الاتقان كثير من الصنائع وتأنيس كثير من الحيوانات والطيور

النافعة واختراع أدوات كافية للزراعة والصناعة وإيجاد الملابس النفيسة والاثاثات المنزلية الجميلة الدالة على قوة الاختراع وتمام النعمة عندهم في تلك الاعصر البعيدة التي كان فيها كثير من الدول العظيمة البالغة حد الرفعة ونهاية العظمة الآن لم تظهر في عالم الوجود أو في مهد طفوليتها ومبدأ فطرتها فسبحان مقلب الاحوال من حال الى حال

(الطبقة الثانية)

وهي الدولة الوسطى من الدور الجاهلي

تبتدئ هذه الطبقة بالاسرة الحادية عشرة وتنتهي بانقراض الاسرة السابعة عشرة ومدة حكمها ١٣٦١ سنة من سنة ٣٢٤٩ الى سنة ١٧٠٣ ق م

(الاسرة الحادية عشرة)

كان مقرها مدينة طيبة التي أنشئت في عصرها وصارت منشأ للتقدم ومحلا للعبادة العامة وفي عهد هذه الاسرة قد أخذ تاريخ مصر في الجلاء والظهور واستيقظت من طول رقدتها وتغيرت الاحوال والترتيبات القديمة بأمور جديدة وتحسنت حالة الكتابة وتبدلت الاعلام التي كانت معتادة عندهم بغيرها وتغيرت الالقاب والنعوت التي كانت تعطى لارباب المناصب وصارت قاعدة السلطنة المصرية مدينة طيبة بدلا من منفيس وازدهت على غيرها من المدن المصرية وغير ذلك من الامور التمهيدية التي فتحت لمصر بابا مجد جديد وان كان لا يعلم عن ملوكها ما يستحق الذكر غير أنهم كانوا في انقسام وتفرق

ومن ملوكها (منتوتب) الثالث ووجد أنه مرسوم على أثر بقرب قصر أنس الوجود على شكل محارب منتصر على ثلاث عشرة أمة متوحشة وهذا الملك لم يكن مطلق التصرف على جميع ملك مصر بل كان حاكما

على الوجه القبلى أما الوجه البحرى فكان محكوما بملوك آخرين ومن ملوكها أيضا الملك (منتوحب) الرابع وقد اهتم فى نزع الوجه البحرى من أيدى ملوك اهناس فانتزعهم واستقل بملك مصر وتولى بعده الملك (سفنح كارع) ومن أشهر آثاره أنه فتح طريقا بين مصر و بلاد العرب ومازال هذا الطريق مفتوحا الى زمن اليونان والرومان وأما بقية ملوك هذه الاسرة فانهم لم يؤثر عنهم شئ ومدة حكم هذه الاسرة ١٨٥ سنة على الجدول الذى جرينا عليه تبعا للاكثر والحقيقة ان مدة هذه الاسرة متصلة بالتى بعدها اتصالا كليا ولم يعرف بالتحقيق من الاسرة التى بعدها ولذلك جعل كثير من المؤرخين مدتهما واحدة ولم يفصل بينهما والذين فصلوا اختلفوا اختلافا كثيرا

(الاسرة الثانية عشرة)

فى عهد هذه الاسرة قد تم النظام وتكاملت الثروة وعادت مصر الى بهجتها وقوتها وارتقت الى أعلى درجات الحضارة حيث صارت جميعها من البحر الابيض الى شلالات النيل مملكة واحدة محكومة بملك واحد وزال ما كانت عليه من الانقسام والتفرق ومدة حكمها ٢١٣ سنة من سنة ٣٠٦٤ الى سنة ٢٨٥١ ق م وملوك هذه الاسرة صاروا يدعون اما باسم (أوسورتسن أو أمينمحعت)

وأول ملوك هذه الاسرة هو (أمينمحعت) الاول وكان حربيا شجاعا ولذلك لما تولى شرع فى قتال الاعداء الذين كدروا صفو راحة مصر وكانوا اخلاطا ممتزجين من سكان ليبيا والنوبة وآسيا وتجمعوا لقتاله فقابلهم ببسالته وجيوشه واستمر على قتالهم الى ان انتصر عليهم واسترجع اليه مدينة منف ولما طرد هؤلاء الاحزاب وهدأ الوقت وعم الأمن في جميع مصر شرع فى استخراج الذهب من بلاد النوبة بعد ان كان هذا العمل متروكا

من عهد الملك (ببى) أحد ملوك الاسرة السادسة واستولى على بلاد الاتيوبيا وبعد انفراده بالملك عشرين سنة أشرك فى الحكم معه ابنه (أوسورتسن) الاول مدة عشر سنين ظهر فيها ابنه بين الرعية ظهورا كبيرا وبقى أبوه فى سرايه ينصحه بالنصائح المفيدة والوصايا العديدة التى منها يابنى لقد أصبحت حاكما على الاقاليم الثلاثة (وهى الوجه البحرى والوجه القبلى وبلاد النوبة) فيلزمك أن تقتدى بأحسن ما كانت تفعل أسلافك وأن تحافظ على حسن النظام بين رعيتك ولا تكن فى معزل عنهم حتى ترجف منك قلوبهم ولا تعجب بنفسك ولا تقتصر فى المصاحبة على الغنى والكبير دون الفقير والصغير ولا تبادر بتقريب الوافد اليك لان ضميره غير معروف لك

ولهذا الملك كتاب بين فيه قصة حياته ولنفاسته تناول تعليمه أهل المدارس القديمة وكان فى عصره رجل من الاعيان يدعى (سينه) نقش على حجر تفاصيل تاريخ هذا الملك ومدح ابنه (أوسورتسن) الاول بالشجاعة والعدل ومحبته لرعيته

ولما ولى الملك ابنه (أوسورتسن) الاول منفردا بعد وفاة أبيه سار سيرا جيدا وأحبته الرعية حبا شديدا ومن آثاره المسلة المشهورة الموجودة الآن بالمطرية البالغ طولها عشرين مترا تقريبا وضعها في معبد العيد الرسمى تخليدا الذكره واحياء لهذا العيد ووضع مسلة أخرى بالفيوم في ناحية كفر بهنيت وكان لها قمة من النحاس مخروطية الشكل يبلغ ارتفاعها ذراعين تقريبا فأبادها الدهر وأخذتها يد العدوان وصارت المسلة ملقاة على الارض الى الآن ومن مشاهير عصره الامير (منتوحتب) وله سيرة منقوشة على حجر فى المتحف المصرى تفيد أنه كان من أعاظم الدولة وانه كان ناظر الداخلية والحقانية والاشغال والديانة وكان عالما ومشرعا فهد كل

أمر فى ديار مصر وأقام شعائر الدين وحامى عن العاجز والمسكين وقاتل الاعداء وأعطى الامان لمن شاء وكان له الامر والنهى فى سائر القطر المصرى وكان يعهد اليه وضع الضرائب على الاطيان الصالحة للزراعة كما يليق بها وهذا يفيد أن مصر فى مدة هذا الملك كانت بلغت من درجات التقدم أعلاها ومن النظامات أجلها وأسماها ومدة حكمه ٣٠ سنة وقبل موته بثلاث سنين أشرك فى الحكم معه ابنه (أمينمحعت) الثانى وهذا الملك يؤخذ من آثاره انه قضى مدته فى قتال بينه وبين الاتيوبيين قاصدا بذلك توسيع مملكة مصر وتقويتها وحفظ حدودها من جهة الجنوب وحكم ٣٨ سنة

وقبل موته بتسع سنين أشرك معه فى الحكم ابنه (أوسورتسن) الثانى وبقيت مصر فى مدته محافظة على قوتها وشوكتها بدليل ما وجد على مضور فى جزيرة اسوان من النقوش الدالة على انه فى عهد الملك (امينمحعت) الثانى والملك (أوسورتسن) الثانى عين رجل مصرى من ذوى الرتب العالية للمحافظة على دركات الجهادية فى بلاد الواوات الموجودة فى جنوب مصر وكان فيها جزء من بلاد الاتيوبيا فهذا يؤيد أن حدود مصر فى ذلك العصر كانت ممتدة الى هذه الجهات ومن آثار هذا العصر مقبرة (خونوم حتب) الموجودة فى بنى حسن وعليها نقوش مبينة لبعض أحكام الوراثة الملوكية فى ذلك العصر ويوجد عليها أيضا رسوم دالة على كيفية الفلاحة وأعمال الجهادية والطرق الموسيقية وتربية المواشى ومبينة لصور الملوك والاعيان وملاعب اللهو وبعض قواعد الاحكام وتدبير المنازل وترتيب أثاثها وفيها أيضا أعمال دينية وآثار تاريخية وفن الملاحة وغير ذلك ومات هذا الملك بعد ان حكم ٤٨ سنة

ثم خلفه الملك (أوسورتسن) الثالث وكان ذا حزم وعزم وعدل فى رعيته

ولذلك عبده المصريون بعد موته لحبهم له ومكانته عندهم وهو الذي شيد في وادي حلفا بقرب من الشلال الثاني حصونا وقلاعا شامخة لمنع دخول الاعداء مصر وقد عثر في هذا الموضع على حجرين كتب على أحدهما هذا آخر حدود مصر من جهة الجنوب وضع في السنة الثامنة من حكم الملك (أوسورتسن) الثالث دام مخلدا الذكر فلا يجوز لاي أسود أن يتجاوزه الا بسفن تجارية مشحونة من قبل بني الاسود ثم مات بعد ان حكم ٢٦ سنة وخلفه على سرير الملك (أمينمحمت) الثالث وهو أشهر ملوك هذه الاسرة لاعتنائه بشأن النيل الذي هو روح مصر ومنبع حياتها وذلك انه لما وجد فيضان النيل غير منتظم وانه تارة يزيد زيادة عظيمة فيقطع الجسور ويغرق البلدان وتارة تكون زيادته قليلة لا تكفي لري جميع الاراضي الزراعية أراد أن يجعله كافيا للري دائما بدون مضار فأمر بحفر البركة الموجودة الآن بالفيوم وتعرف ببحيرة (موريس) وكان بجانبها بركة طبيعية تعرف ببركة قارون فكان يصرف اليهما الزائد من مياه النيل عن المنافع الضرورية اذا كان الفيضان كثيرا ويروى به جميع أراضي الجانب الايسر للنيل الى البحر الابيض المتوسط اذا كان الفيضان قليلا ووضع في وسط بركة موريس هرمين وجعل في كل منهما تمثالا جالسا فالهرم الاول جعل فيه تمثال صورته يشاهد بركته التي حفرها والثاني جعل فيه تمثال زوجته (سبك نفرورع) وقد شيد هذا الملك أيضا في الجهة الشرقية من هذه البحيرة على ربوة عالية متسعة يبلغ طولها ٢٠٠ مترا وعرضها ١٦٠ مترا سرايا شهيرة تسمى (لابيرانته) وهذه السراى يوجد في داخلها اثنتا عشرة رحبة متقابلة الابواب ستة على يمين الداخل وستة على يساره ومحاطة من الخارج بسور عظيم وفيها ثلاثة آلاف غرفة ١٥٠٠ في الدور الاول و١٥٠٠ في الدور الثاني وجميعها مسقفة بالحجارة ومقامة على أعمدة من الحجر الابيض

منتظمة الصفوف وفي آخرها هرم مزين بالرسوم يتوصل اليه من سرداب تحت الارض دفن فيه هذا الملك وهذه السراى كان يعقد فيها مجلس الاعيان للمداولة فى منافع البلاد وأحوالها السياسية وحارب السودان وأهل جبل الطور وبنى مقياس النيل بالنوبة وحكم ٤٣ سنة وأعقبه على سرير الملك (امينمحعت) الرابع ولم يذكر عنه شئ وحكم ثمان سنين وأعقبته أخته الملكة (سبكنفرورع) ولم يعلم من آثارها شئ الا انها تولت الملك بحق الوراثة كالملكة (نيوتكريس) من الاسرة السادسة ومدة حكمها أربع سنين ومن تأمل في آثار وتاريخ هذه الاسرة علم أن حدود مصر كانت تمتد فى عصرها من جهة الجنوب الى بلاد النوبة ومن الشمال الى البحر الابيض وكان لملوكها الكلمة النافذة وانتظمت فى مدتهم أحوال مصر ومدارسها وحركة نيلها وانتشرت فيها العلوم وكثرت الصنائع وأتقن فن البناء حتى قال بعض المؤرخين ان أغلب ما يوجد فى الصعيد من الاعمدة الحلزونية الشكل هو من أعمال هذه الاسرة التى من أبدعها الجزء الموجود بمتحف (برلين) من تمثال الملك (أوسورتسن) الاول المصنوع من حجر الصوان

وأما تقدم العلوم ورغبتهم فيها ونظام مدارسهم فى عصرها فالدليل عليه ما وجد بالقلم البربائى لكاتب من رجال هذه الدولة يكره الى ابنه الصنائع ويحببه فى العلوم حيث قال له أنا نظرت الحداد يشتغل بجوار النار ولون أصابعه كلون جلد التمساح وله نتانة أشد من نتانة السمك وهل نظرت صانعا فى راحة ألا ترى الفلاح وتعبه وانه لا يبرح عن الشغل ليلا ولا نهارا ألا ترى النحات وما يعاينه فى شغل الحجارة الصلدة لا يستريح الا اذا كلت يداه فيمكث فى شغله من طلوع الشمس الى غروبها حتى تتفتت ركبتاه وظهره ألا ترى الحلاق وشغله فى الليل وسعيه على رزقه مع تراكم الاشغال

عليه واذا رجع الى بيته لا يستقر فيه بل يعود سريعا الى كسبه ولا تسأل عن حال البناء فانه معرض للاخطار فضلا عن تعب ذراعيه ورثاثة ثيابه ولا يتغذى بشيء غالب يومه وأكله ملوث بطين أصابعه ولا يغتسل الا مرة في اليوم ويتذلل للناس حتى يعجبهم ويمر عليه الشهر والشهران وهو على المرقاة معرض للاخطار ولا يخفى عليك حال النساج فانه يلازم البيت على أسوا حال من المرأة ويضم ركبتيه الى قرب صدره ولا يستنشق الهواء الخالص وان لم ينسج القدر المجعول عليه بقي مصلوبا حتى يتممه ولا يخرج لرؤية النور الا اذا رشا البواب بشيء من الخبز وحسبك صانع الاسلحة فانه يتعب تعبا شديدا في سفره واغترابه فضلا عن كونه يصرف مالا كثيرا وناهيك بالساعي فانه دائما في غربة ويترك ماله لاولاده خشية سباع البر أو اغارة أهل آسيا ولا يخفى عليك أمره ان عاد الى مصر فما يصل الى بيته الا وقد أمر بالرحيل ثانيا وناهيك بالصباغ فان أصابعه تنتن فتكون كريهة الرائحة فضلا عن قبح منظرها وعن ضعف عينيه وتعب يديه اللتين لا يمكنان لحظة بدون عمل فتراه يضيع وقته في الاشتغال بالخرق حتى يكره ملابسه واما الاسكاف فانه يشقى ويشمئذ وصحته دائما عليلة يا بني أنا رأيت الشدائد أنا رأيت الشدائد فرغ قلبك لاكتساب الآداب لاني كابدت الاشغال فلم أجد شيئا أفضل من العلوم والآداب فانظر كيف تنغمس الناس في الماء واغرق نفسك الى صدرك في كتاب (الكيمي) فترى فيه المواعظ الآتية وهي اذا ذهب طالب العلم الى جبل السلسلة (بجوار اسنا) واكتسب العلوم منها فلا تضره بطالته بل ينفق عليه غيره بدون أن يتحرك من مكانه مع راحة قلبه اذا عرفت ذلك فاعلم اني أحببك في الآداب وأزينها لك فهي أملك اذ هي أهم من كافة الصنائع لشرفها وعظم شأنها فمن اكتسبها في صغره نال الشرف في كبره وتقلد الوظائف

العالية ومن لم ينجح فيما بقى فى فاقة يابنى من يعرف العلوم الادبية فقد فضل عليك بها ولا يكون له هذا الفضل لو تعلم الصنائع التى تعلمتها الان الزميل فيها يحتقر زميله فهل سمعت بأن يقال لعالم اشتغل لفلان أو لا تتعد الاوامر وقد أدخلتك فى مدارس جبل السلسلة لحبى لك فان اغتنمت يوما فى المدرسة نفعك الى الابد فالبدار البدار اليها فقد عرفتك بها وحببتك فيها لانها تبعد عنك العدو اه ملخصا

(الاسرة الثالثة عشرة الطيبية)

حكمت هذه الاسرة ٤٥٣ سنة من ٢٨٥١ الى ٢٣٩٨ اغلب ملوك هذه الاسرة يلقب (سبك حتب) أو (نفرحتب) وبقيت أسماؤهم وألقابهم مجهولة مدة طويلة وبالبحث فى الآثار القديمة وجد كل من اللقبين السابقين منقوشا على الاحجار القديمة لكن لم يعلم لاى أسرة من الاسرات الى أن وجدت نقوش على الصخور التى بجهة (سمنه) مضمونها ان الملك (سبك حتب) الاول كان موجودا فى عهد الملك (أوسورتسن) الثالث فدل ذلك على ان ظهور هؤلاء الملوك الملقبين باللقبين السابقين كان عقب الاسرة الملوكية الثانية عشرة وقد وجدت أسماؤهم مرتبة فى جدولين على صحيفة من البردى موجود بمتحف (تورينو) بايطاليا وعدتهم سبعة وثمانون ملكا ولم يعلم من آثارهم شئ سوى ان مصر كانت فى مبدا هذه الاسرة محافظة على ما كان لها من التمدن والتقدم واتسعت دائرة حدودها عما كانت عليه قبل ذلك الحين ويدل على هذا ما عثر عليه من الآثار بجزيرة (اجو) بجوار دنقله وبمدينة (تانيس) (صان) بشمال مصر الشرقى وبقيت هذه الاسرة متمتعة بقوتها محافظة على ابهتها وصولتها الى ان قام عليها من الاقليم البحرى طائفة باغية أصلها من مدينة (سخا) (بمديرية الغربية) فاهلكتها وانتزعت الملك منها وكونت الاسرة الرابعة

عشرة السخاوية

(الاسرة الرابعة عشرة السخاوية)

مدة حكم هذه الاسرة ١٨٤ سنة من سنة ٢٣٩٨ الى ٢٢١٤ هذه الاسرة تاريخها اغمض من تاريخ سابقتها لانه لم يعلم عنها شيء يستحق الذكر وغاية ماعلم من جدول (مانيتون) ان كرسي هذه الاسرة كان في مدينة (سخا) وان ملوكها ستة وسبعون ملكا أقاموا على تخت مصر ٤٨٤ سنة ولم يتعرض لذكر شيء من أسمائهم أو وقائعهم ولم يذكر أحد سواه من المؤرخين شيأ عنهم ولم يعلم من آثارهم شيء وغاية ماعلم انه بالاطلاع على صحيفة (تورينو) وجد من بعد ملوك الاسرة السابعة جملة ملوك ينسبون لهذه الاسرة وجميعهم محصورون في الجدولين الاخيرين منها وأكثر هذه الاسماء ممحو لقدم الصحيفة وذكر (ماريت) ان آثار هذه الاسرة توجد بأسيوط وقال (ماسبرو) ان انقراضها نشأ عن تمرد الرعية على آخر ملوكها ثم خلفه ملوك الاسرة الخامسة عشرة

(الاسرة الخامسة عشرة)

مدة حكم هذه الاسرة واللتين بعدها ٥١١ سنة من سنة ٢٢١٤ الى سنة ١٧٠٣ قبل الميلاد

في مدة هذه الاسرة واللتين بعدها قد رزئت مصر برزايا هائلة أوقفت سيرها عن التقدم وذلك أنه قد هجم عليها ملوك الرعاة لما انتهزوا فرصة قيام الرعية على الملك (بينو) آخر ملوك الاسرة الرابعة عشرة السخاوية وأصل هؤلاء الملوك من العمالقة وقد وفدوا على مصر من جهة آسيا الجنوبية ففاجؤا أهلها بالاغارة عليها واستولوا على الوجه البحري بدون كبير معارضة لان مصر وقتئذ كانت في اضطراب وهيجان وتكاثر عدد هؤلاء الاقوام حتى ملؤا البقاع وصاروا يحرقون البلاد والمعابد وينهبون ماعثروا

عليه من الذخائر ويقتلون الاهالى ويسومونهم الخسف والعذاب فهاجر عند ذلك ملوك مصر مع كثير من رعيتهم الى الصعيد وحكموا هناك بمدينة طيبة وصار باقى المصريين فى رق العبودية تحت حكم هؤلاء الملوك الاجانب لا يستطيعون نفاذ كلمة ولا اظهار قوة وانقسمت حكومة مصر فى ذلك الوقت الى قسمين قسم بالوجه القبلى وكان به ملوك مصر المصريون وقسم بالوجه البحرى وكان به الملوك الطارئون ويعرفون بالرعاة أو الهيكسوس وأول من حكم منهم يسمى (سيتوس) أو (سلاطيس) وكانت قاعدة ملكه تانيس (صان) وتسمى أيضا أواريس وبادر هذا الملك بترتيب النظام وحسن الادارة وتمهيد الاحكام وضرب الجزية على من بقى من المصريين تحت حكمه فى الوجه البحرى ولما كان هذا الملك واضعا نصب عينيه اغارة المصريين والكنعانيين القاطنين فى بلاد الشأم شيد قلاعا وحصونا فى النقط التى يخاف منها حصول الاغارة عليه ووضع أعظم جنده جهة السويس وفى عصره تكاثر وروداهل آسيا على مصر فاتخذ منهم جندا وغمرهم بالنعم حتى صاروا له أعوانا يتقوى بهم عند الملمات والشدائد وبقوتهم أصبح المصريون مطيعين لاوامره وبعد وفاته خلفه خمسة من هؤلاء الملوك على التعاقب قضوا جميع حياتهم فى قتال ملوك طيبة لاخماد شوكتهم ومحو آثارهم ولذلك قد أثرت قسوتهم فى قلوب المصريين وبعد اقامتهم فى مصر مدة طويلة مالوا الى حضارة أهلها وغلبت عليهم طباعهم فتركوا الغلظة واستبدلوها بالرأفة والرحمة وشرعوا فى احياء البلاد وتجديد ثروتها وقوتها ونضارتها وادخلوا المصريين فى أغلب المصالح الاميرية وعلموا أبناءهم فى المدارس المصرية فتهذبت أخلاقهم وارتقت حالتهم ونما العمران وظهر التقدم وعم الخير على الرئيس والمرؤس وتخلقوا بأخلاق المصريين وتدينوا بدياناتهم وعبدوا آلهتهم وجعلوها كمعبوداتهم

واختاروا مدينة (صان) قاعدة لملكهم واعتنوا بمعابدها وأكثروا من العمران فيها حتى صارت مدينة عظيمة ثم تغلبوا أيضا على الوجه القبلي فنزعوه من أيدي ملوك طيبة واستولى على جميع المملكة المصرية

وأما الملوك الوطنيون المعاصرون لهذه الاسرة فلم يذكر المؤرخون شيأ مهما عنهم وغاية ما علم انهم كانوا حاكمين على الوجه القبلي وكانت قاعدة ملكهم مدينة طيبة والذى يظهر ان مدتهم كانت كلها حروب مع الملوك الرعاة الى أن تغلب الرعاة عليهم وانتزعوا الملك من أيديهم وأسسوا الاسرة السادسة عشرة

(الاسرة السادسة عشرة)

قال مانيتون ان ملوك هذه الاسرة اثنان وثلاثون ملكا جميعهم من الرعاة حكموا جميع مصر مدة ٥١٢ سنة ولم يعرف منهم الاملك واحد اسمه (ابوفيس) والعرب يسمونه الريان بن الوليد وفى عصر هذه الاسرة صارت مصر فى أرقى درجة من الحضارة وهاجر اليها كثير من العرب وأهل الشام ولما توطنوا بها غلبت عليهم حضارتها فصاروا كالمصريين فى جميع أحوالهم غير انهم حافظوا على لغتهم الاصلية وفى هذه المدة وفدت السيارة التى اشترت سيدنا يوسف عليه السلام من اخوته بعد اخراجه من الجب فباعه مالك رئيسها الى وزير مصر قطفير الملقب فى القرآن بالعزيز وكان ذلك فى مدة الريان بن الوليد فلما اشتراه قطفير أتى به الى منزله وقال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا فأحبته حبا شديدا وتمكن حبه من قلبها وراودته عن نفسها فامتنع من ذلك قائلا لها ان زوجك سيدى أكرم مثواى ولا يليق بى أن أخونه بالغيب فتسببت فى سجنه وكان السجن حينئذ فى الجانب البحرى من سقارة ومكانه معروف الى الآن عند أهل تلك الجهة ودخل معه السجن فتيان وهما ساقى الملك

ونخبازه وكلاهما رأى رؤيا فطلبا من يوسف أن يعبر لهما الرؤيا فقال للساقي الذي رأى أنه يسقي سيده خمرا انك ستعود الى منزلتك التي كنت عليها وقال للآخر الذي رأى أن فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه انك ستصلب وتأكل الطير من رأسك و بعد مكثه في السجن بضع سنين رأى الريان بن الوليد في منامه سبع بقرات سمان خرجت من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونها ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وافركت وسبعا أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة وطلب منهم تعبير هذه الرؤيا فقالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فعند ذلك أخبر الساقي عن يوسف فأرسله الملك اليه في السجن ففسر له يوسف هذه الرؤيا بالكيفية الواردة في القرآن الشريف فكان ذلك سببا في خلاص يوسف من السجن وجعله الملك أمينا على خزائن الارض فأشار على الملك باعمال الخزائن وأن يوضع القمح فيها بقصبه وسنبله وان يؤخذ الخمس من زرع الناس مدة السبع سنين المخصبة فأجابه الملك لذلك وكفى يوسف أهالي مصر ومن حولها مدة السبع سنين المجدبة بما قد جمعه من الناس وفي خلال ذلك وفد بنو يعقوب الى مصر وكان بينهم و بين أخيهم يوسف ما كان مما قصه الله في القرآن وأقاموا بجوار يعين سنة ومات يعقوب عليه السلام بعد ١٧ سنة من قدومه مصر وكان قد أوصى ابنه يوسف بدفنه مع أبيه اسحاق ففعل وسار به الى الشام ودفنه عند أبيه ثم عاد يوسف الى مصر وبقي الى أن مات ودفن بها

ولما كان من أمر موسى وفرعون ما كان وسار موسى ببني اسرائيل من مصر الى التيه أخذ جثة يوسف و بقيت معه في التيه الى أن مات فلما قدم يوشع الى الشام ببني اسرائيل دفنه بالقرب من نابلس وقيل عند الخليل ابراهيم عليه السلام وسيأتي ذكر موسى وفرعون في الاسرة التاسعة عشرة

وقد وفد الى مصر أيضا فى مدة هؤلاء الملوك خليل الله ابراهيم عليه السلام ومعه زوجته السيدة سارة رضى الله عنها فلما أبصرها الملك أعجبه حسنها وكمالها فأراد الاستحواذ عليها فعصمها الله منه ولما رأى مكانتها عند ربها أهدى اليها هاجر احدى جواريه لتقوم بخدمتها وقال ما ينبغى لهذه السيدة ان تخدم نفسها والمشهور ان الملك الذى وفد فى زمنه ابراهيم عليه السلام هو (طوطيس) بن ماليا أحد ملوك الرعاة

(الاسرة السابعة عشرة)

كانت مصر فى أيام هذه الاسرة تحت حكومتين الاولى أجنبية بيد الرعاة وكانوا حاكمين على الوجه البحرى وعلى جزء من الوجه القبلى ولم يعرف منهم سوى ملك واحد يدعى (أبابى) والثانية وطنية وكانت حاكمة على مابقى من الوجه القبلى وعدد ملوك الاسرتين نحو ٤٣ ملكا قلما يعرف عنهم شيء وغاية ماعلم ان قاعدة مملكة الرعاة كانت مدينة صان وان قاعدة الملوك الوطنيين كانت مدينة طيبة وان الملوك الوطنيين قد تقووا على ملوك الرعاة شيأ فشيأ حتى انتزعوا الوجه القبلى من أيديهم وسبب ذلك مناقشات حصلت في شأن الديانة بين ملوكها وبين أمراء الوجه القبلى أدت الى وقوع مناوشات بين الفريقين كانت نتيجتها استرجاع الوجه القبلى الى الملوك الوطنيين فجلس (تعا) الاول على سرير الملك وأسس الاسرة السابعة عشرة وأراد ان يستقل بملك مصر فدارا الحرب بينه وبين ملوك الوجه البحرى من الرعاة وساعده على ذلك الامراء الذين كانوا من نسل الاشرات الملوكية فى الوجه القبلى فاجتمعوا معه وطردوا الرعاة من الوجه القبلى والاقاليم الوسطى حتى أوصلوهم الى منف ولما شاهد الملك منهم ذلك جعلهم أمراء على أقسام مملكته وأباح لهم التلقب بكلمة ملوكى تعظيما لهم لانهم كانوا من أبناء الملوك وبعد وفاة الملك (تعا) بقى الملك فى

الوجه البحرى تحت أيدى الرعاة حتى تولى الملك (احمس) فأجلاهم عنه وأسس الدولة الثامنة عشرة الوطنية وبانقراض الاسرة السابعة عشرة تنتهى الطبقة الوسطى من الدور الجاهلى وتبتدى الطبقة الثالثة منه

(الطبقة الثالثة)

وتسمى بالدولة الحديثة ومدة حكمها ١٣٧١ سنة كما سبق وهذه الطبقة تشتمل على أربع عشرة أسرة من الثامنة عشرة الى الحادية والثلاثين وفيها حصلت اغارة الاتيوبيين والاشوريين والعجم على مصر

(الاسرة الثامنة عشرة)

مدة حكمها ٢٤١ سنة من سنة ١٧٠٣ الى سنة ١٤٦٢ ق م وعدد ملوكها أربعة عشر ملكا وغالب من جلس منهم على سرير الملك بعد الملك (احيس) كان يسمى (طوطميس) أو (امنحتب) وكانوا ملوكا أقوياء قد ظهروا بأقوى مظهر وفتحوا لمصر باب مجد جديد وغزوا البلاد وفتحوا كثيرا من البلاد واستولوا على الممالك الواسعة وأول من جلس منهم على سرير الملك هو الملك (احيس) الذى طرد الرعاة من مصر بعد ما مكثوا فيها أكثر من خمسة قرون وصاهر ملك اتيوبية ولذلك انقادت له وكيفية طرده للرعاة انه تحارب معهم وانهزم منهم أولا ففر هاربا الى بلاد اتيوبية وتزوج بنت ملكها الملكة (نفرتارى) وعاد مع عساكر سودانية فقوى بهم جيشه وحارب الهيكسوس ثانيا حتى اضطرهم الى الالتجاء الى قلعتهم المسماة (أواريس) فحاصرهم وبقى محاصرا لهم الى ان انتصر عليهم وطردهم من مصر واقتفى أثرهم الى ان أدخلهم أرض كنعان وتخلفت منهم طائفة خاضعة لحكمه مكثت بين صحراء مديرية الغربية وفروع النيل الشرقية وبقى منهم نسل الى الآن حول بحيرة المنزلة وحرفتهم صيد السمك وقنص الطيور وبعد ان مهد له الامر وعم الامن فى بلاد مصر وانقطعت الفتن

والقلاقل أخذ فى تشييد العمارات والمبانى الجسيمة وفى تجديد ما دمر فى عهد الرعاة ويرى اسمه منقوشا فى جبل المعصرة ومعه قصة يستفاد منها انه قطع أحجارا من محاجرها لتشييد جملة هياكل ومبان وقد ضم الى ملك مصر بلاد الاتيوبية بعد موت أبى امرأته وانقادوا له بدون محاربة لتقديسهم لزوجته ومدة حكمه ٢٥ سنة

وتولى بعده ابنه الملك (امنحتب الاول) ولما جلس على سرير الملك وسع حدود ملكه من جهة الجنوب فاستولى على جميع بلاد الاتيوبية التى كانت تسمى باسم بلاد (الكوش) ومن وقتئذ صارت كلمة ملك الكوش عنوانا لولى عهد ملك مصر وحكم ١٣ سنة

وخلفه على سرير الملك الملك (طوطميس) الاول وقد امتدت اطماعه لتوسيع دائرة ملكه جنوبا وشمالا فحارب مع أهل الاتيوبية وامتدت حكومته الى محاجر مدينة (ابو) وسط النوبة وقد وجد اسمه هناك منقوشا على بعض صخور ويستفاد من الآثار ان حكومته امتدت من جهة الجنوب الى جبل (اتيا) بالحبشة وقد حارب أهل الشام أيضا وفتحها وصارت تدفع له جزية سنوية ولهذا الملك جملة عمارات منها انه شيد جزأ عظيما من معبد آمون بالكرنك وله مسلتان احداهما بباب المعبد والثانية لم يبق لها أثر وفى أيامه جلب المصريون الخيل من آسيا واستعملوها فى الحروب ولم تكن معروفة لهم قبل ذلك وتعلموا أيضا صنع (العربات) الحربية وادخلوها فى مهماتهم المصرية وحكم ٢١ سنة

وتولى بعده ابنه الملك (طوطميس الثانى) وكان مشهورا بالشجاعة وعلو الهمة ولذلك قد دخل تحت حكمه بلاد النوبة والسودان بدون حرب بمجرد وصول عساكره اليهم وتوفى ولم يعقب ولدا ولذلك ورثه أخوه (طوطميس الثالث) ومات بعد أن حكم ٢٢ سنة

ولما تولى الملك (طوطميس الثالث) كان صغيرا ولذلك قامت بتدبيره أخته الملكة (حاتازوا) بالنيابة عنه فى صغره ولما تولت المملكة شرعت فى تشييد هيا كل ومبان سمتها باسمها وحافظت على حدود ملكها من الشمال والجنوب وأخذت الجزية من سكان سوريا الشمالية وحاربت جنوب بلاد العرب وكانت تلك البلاد مشهورة بالاخشاب والذهب والفضة والعطريات وعملت عدة مراكب حربية فى البحر الاحمر ولما بلغ أخوها رشده اشركته فى الحكم معها الى ان ماتت بعد ان حكمت ١٧ سنة ولما انفرد اخوها (طوطميس الثالث) بالحكم محا آثار أخته وعمل أعمالا عظيمة خلدت له أحسن سيرة فشرع فى اخماد نيران الفتن وخضعت له الجبابرة واتسع نطاق حكمه اتساعا عظيما فقد كانت سلطته تمتد على بلاد الحبشة والنوبة والسودان والشام وبلاد الجزيرة وبلاد العراق العربى واليمن وارمينية وكردستان وأساطيله البحرية استولت على جزيرة قبرص وغيرها من الجزائر وبالجملة فكانت مصر فى عهده بالغة نهاية القوة تضع حدودها حيث أرادت وتنقل ثغورها حيث شاءت وله كثير من الآثار الباقية الى الآن بالمطرية ومنفيس والقصر وجزيرة لوفتين باسوان التى بها القصر المعروف الآن بقصر أنس الوجود وجميع آثاره تشهد له بعلو الهمة ومات بعد ان حكم ٥٤ سنة وترك مملكة مصر فى أعلى درجات القوة والحضارة واعقبه على سرير الملك ابنه (أمينوفيس الثانى) هذا الملك لما تولى حافظ كل المحافظة على حالة مصر وقد حكم عشر سنين وخلفه طوطميس الرابع ولم يعتر قوة مصر فى عهده ادنى انحطاط وقد حكم ٣١ سنة

ويرى فى صدر أبى الهول الموضوع بين هرمى الجيزة حجر ارتفاعه ١٤ قدما مرسوم عليه صورة الملك طوطميس الرابع على هيئة العابد وعلى الحجر

كتابة تفيد خطاب أبي الهول للملك وأنه بعده يملك مشارق الارض ومغاربها وبطول حياته وخلفه في الحكم ابنه (أمينوفيس) الثالث وقد حصلت في زمنه حروب عديدة لكن مصر لم تنحط عن منزلتها ولم تضق دائرة ملكها بل كانت تمتد من نهر الفرات شمالا والى النيل الازرق جنوبا

وخلفه أكبر أولاده أمينوفيس الرابع فاقتفى أثر اسلافه في المحافظة والمدافعة عن البلاد والنقوش التي بمقبرة تل العمارنة (بمديرية المنية) تظهر لنا صورته واقفا على عربته ووراءه بناته السبع يقاتلن معه ويدسن بسنابك خيلهن جثث القتلى الاتيو بين المقهورين لكن مما يؤسف عليه أن ما أعطى له من العقل لا يبلغ معشار ما ناله من الشجاعة فان التعصب الاعمى قاده الى ان شرع في نسخ ديانة المصريين القديمة فاغلق معابد الاصنام ومحا صورها وأسماءها من المباني لاسيما صورة واسم (آمون) المعبود الكبير بمدينة طيبة وجبر المصريين على عبادة الشمس وغير اسمه لما فيه من ذكر آمون باسم (خون آتن) ومعناه اشراق الشمس وترك مدينة طيبة واختط له مدينة جديدة بمكان يعرف الآن بتل العمارنة ويحتمل ان هذا الانقلاب جاء اليه من جهة أمه (طيه) فانها كانت غير مصرية الاصل وبعد وفاته تعاقب على كرسي المملكة أزواج بناته ولم يحصل في زمنهم ما يستحق الذكر

﴿الاسرة التاسعة عشرة﴾

حكمت هذه الاسرة من سنة ١٤٦٢ الى سنة ١٢٨٨ ق م عبارة عن ١٧٤ سنة وعدد ملوكها ثمانية أولهم رمسيس الاول جلس على كرسي المملكة وهو شيخ كبير حارب الاتيو بيين جنوبا والحيثيين شمالا (وهم

قوم يسكنون أرضا واسعة على الشاطئ الايسر من نهر الفرات و يعرفون بالخيتاس) وكانوا ذوى سطوة على عدة طوائف من آسيا وكانوا قد تحالفوا جميعا على غزو المصريين وهو أول من غزاهم وأدخلهم تحت طاعته وفى آخر عمره أشرك ابنه معه فى الحكم المسمى (سيتى الاول) فغزا عدة غزوات انتصر فيها كالشام والعراق وغيرهما وفتح بلادا تمتد من جنوب الشام الى أرمينيا ووضع عليها حكاما من مصر وكانت قبل ذلك تدفع جزية وحكامها من أبنائها ومع ذلك فقد خرج عن حكمه سكان البلاد المجاورة لنهر الفرات وخرج عليه سكان الجزيرة والعراق ولذلك كانت فتوحاته عظيمة فى الظاهر حقيرة فى الحقيقة ويستفاد من الآثار انه حكم بلاد الاتيوبية ووصل نهر النيل بالبحر الاحمر بواسطة ترعة حفرها كان فمها من تل بسطة وتمتد الى ان تصب فى البحيرات المرة وأسس حصونا وقلاعا فى شرق مصر وفتح طريقا فى الجبل للقوافل من جهة اسنا الى معمل الذهب بجبل (أنوكى) وحفر عينا صناعية فى هذه الطريق لتشرب منها القوافل ومات بعد ان حكم ١٤ سنة

وخلفه ابنه رمسيس الثانى المعروف عند اليونان بسيزوستريس ويقال له رمسيس الاكبر وهو من أعظم ملوك مصر قوة وشهامة وكان مشغولا فى أيام والده بالحروب والغزوات وكان له همة فى حماية الوطن ويقال ان كاهن هيكل الشمس الموجود الآن بدندرة بشر اباه بان ولده هذا يملك اغلب الدنيا ولذلك لما آلت اليه المملكة المصرية اهتم ببناء مدينة منف ووسعها وسعا جيدا وقد اعتنى والده سيتوس ثانى فراعنة هذه الاسرة بتربية انداده من الشبان معه وأدخلهم بالساحة الملوكية ليكونوا أعوانا له فى كبره ولما ترعرع فى حياة أبيه عوده على اقتحام الاخطار والنزول فى الوقائع المهمة

فارسله مرة لغزو بلاد العرب فغزاها وانقادت له ولم تكن تنقاد لاحد قبله من ملوك المصريين وكان فى هذه الغزوة من تربى معه من الشبان فعادوا ظافرين بالنصر فلما تحقق أبوه منه الشجاعة سيره الى جهة المغرب فاستولى على برقة وغيرها من بلاد أفريقية ثم مات أبوه وتركه أهلا لتدبير المملكة فقام بالملك بعده واجتهد فى توسيعه بجند الجنود وشرع فى التغلب على الاقطار السودانية فاستولى عليها وضرب على أهلها خراجا يدفعونه فى كل سنة من الذهب والابنوس وسن الفيل ثم بعث الى البحر الاحمر عمارة سفن حربيه تزيد عن ثلاثمائة سفينة تحت رياسة بعض أمرائه فاستولى على ساحل البحر وجزائره وعلى جزائر بحر الهند ثم تجهز لغزوة أخرى جمع فيها ابطال رجاله وقادها بنفسه وسار بها الى بلاد آسيا واستولى عليها وجال فيها حتى دخل بلاد الهند وعبر نهر الكنغ وتوصل من داخل أرض الهند الى بحر الهند واستمر فى طوافه حتى دخل التتار وعبر نهر الطونة واستولى على جزائر بحر الروم عند عودته ودخل بعض ممالك أوروبا و بعض الروملى وهى آخر غزواته

ومن أشهر غزواته غزوة الخيتاس الذى كان فيها بين أعدائه منفردا وأحاط به (٢٥٠ عجلة) فى كل واحدة منها ثلاثة من المحاربين فهجم عليهم ست مرات وهزمهم

وقد سلك فى فتوحاته مسلك الحلم مع المنهزمين ولم يضرب عليهم الخراج الا بحسب ميسرتهم وقد تمت هذه الفتوحات فى تسع سنين وكان كلما فتح مملكة واستولى على دولة ابقى فرقة من المصريين لينشروا فيها عوائدهم وأخلاقهم

ولما عاد رمسيس الى مصر زينها كلها واتحفها بانواع التحف ثم صرف همته فى اصلاح وطنه وجعل معظم همته فى تحسين مدينتين وهما منف

دار المملكة وطيبة دار الديانة وقد شيد مايلزم من الجسور والقناطر والخلجان والترع وهيأ الاراضي ليعمها فيضان النيل
ثم ان رمسيس كان اذا ركب في موسم أو موكب يلتق الملوك والاكابر ممن حضر والاداء الجزية في عربة ليجروه و بعد ذلك كان يكرمهم ويعظمهم وقد عوقب في آخر عمره بالاهانة حيث كف بصره فقتل نفسه ليريحها من العناء والتعب وحكم ٦٧ سنة
ثم تولى بعده ابنه (منفطا) الاول أو منفتاح وكان قد باشر الاحكام قبل موت أبيه بسنتين واستقل بالحكم بعد موت أبيه وكان كثير الكبرياء والعظمة فشرع في تشييد المباني العظيمة بالوجه القبلي والبحري في مبدأ حكمه وفي عصره توالت غارات الاجانب على مصر فالليبيون اتحدوا مع البيلاجيين (اليونان) الساكنين سواحل وجزائر البحر الابيض المتوسط ومع غيرهم من سكان جزيرة صقلية وجاؤا باساطيلهم وأغاروا على الثغور المصرية من الشمال الغربي ثم توغلوا في الدخول الى أرض مصر ولم تدفع غائلتهم الا بالعناء الشديد والجهد الجهيد وقد دلت النقوش البربائية على ان مصر لم يدخلها عدو منذ خروج عرب الرعاة منها تخشى سطوته وترهب نكبته فالقوا سلاحهم مدة نصف قرن من الزمان حتى سقطت همتهم وضعفت عزيمتهم ولذلك قد طمع فيها الطامعون وكر عليها الفاتحون لولا ان هذا الملك قام بجيش عرمرم وهزمهم وسلب أموالهم وذخائرهم وهذه الواقعة هي أول واقعة كانت بين المصريين والاوروبيين ويقال ان هجرة بني اسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام كانت في عهد هذا الملك وحينئذ يكون هو فرعون موسى الذي أغرقه الله في البحر الاحمر وقيل ان خروجهم من مصر كان في زمن سيزوستريس وقيل غير ذلك
وجاء بعده ملوك من هذه الاسرة لا يستحقون الذكر

وحاصل قصة موسى عليه السلام أنه تربى فى حجر فرعون ثم قصد مدين وكان من أمره أنه لما ولدته أمه كان فرعون قد أمر بقتل الاطفال الذين ولدوا فى هذه السنة مخافة أن يكون فيهم من يزيل ملكه كما أخبر بذلك فخافت أم موسى عليه وألقى الله في قلبها أن تقذفه فى النيل فجعلته فى تابوت وألقته فيه فالتقطته آسية امرأة فرعون وربته حتى صار كبيرا فبينما هو يمشى فى بعض الايام اذ وجد اسرائيليا وقبطيا يختصمان فوكز القبطى فقتله فاشتهر ذلك فخاف موسى من فرعون وقصد مدين واتصل بشعيب عليه السلام فزوجه ابنته وأقام يرعى غنمه عشر سنين ثم سار موسى بأهله فى زمن الشتاء واخطأ الطريق وكانت امرأته حاملا فأخذها المخاض فى ليلة شاتية فاخرج زنده ليقدح فظهرت له نار على بعد فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما دنا منها رأى نورا ممتدا من السماء الى شجرة عظيمة فتحير وخاف ورجع فزعا فنودى ان ياموسى انى أنا الله رب العالمين فسكن روعه وعاد ولما عاد نودى ثانيا ان اخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وجعل الله عصاه فى يده آية ثم أقبل موسى الى أهله فسار بهم الى مصر حتى أتاها ليلا واجتمع به أخوه هرون وسأله من أنت فقال أنا موسى فتعانقا وتعارفا ثم قال موسى ياهرون ان الله أرسلنا الى فرعون فانطلق معى اليه فقال هرون سمعا وطاعة فانطلقا الى فرعون وأراه موسى عصاه فاذا هى حية تسعى فاتحة فاها فخاف موسى منها وفزع فزعا شديدا ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها فاذا هى بيضاء للناظرين تضئ كضوء الشمس فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها الى جيبه فاذا هى على لونها الاول ثم أحضر لهما فرعون السحرة وعملوا الحيات وألقى موسى عصاه فابتلعت ما صنعوا فآمن به السحرة فقتلهم فرعون جميعا ثم أراهم الله الآيات التى تدل على نبوة موسى غير

العصا والقمل والضفادع والدم فلم يؤمن فرعون ولا أصحابه ثم أمر فرعون بني اسرائيل أن يسير وامع موسى فسار موسى و بني اسرائيل وتبعهم فرعون وجنوده ففرق الله البحر لموسى ومن معه آية وتبعهم فرعون وجنوده فانطبق البحر على فرعون وجنوده فغرقوا ونجى الله موسى وأصحابه الى غير ذلك من الآيات والمعجزات كقصته مع قارون ودعائه على من تخلفوا عنه ان يتيهوا فى الارض أربعين سنة فكان كذلك وانفجار الحجر له حين ضربه بعصاه وخروج اثنتى عشرة عينا منه الى غير ذلك مما قصه الله فى كتابه (وهرون) لم يكن منفردا برسالة بل كان مأمورا باتباع موسى عليه السلام مشاركا له فى رسالته وتوفى هرون قبل موسى بثلاث سنين وتوفي بعد ذلك موسى وعمره مائة وعشرون سنة

﴿الاسرة العشرون الطيبية وتسمى الرمسيسية أيضا﴾

مدة حكم هذه الاسرة ١٧٨ سنة من سنة ١٢٨٨ الى سنة ١١١٠ ق م وعدد ملوكها اثنا عشر ملكا ومن أشهرهم رمسيس الثالث وهو آخر ملوك طيبة الحربيين ولما تولى قد دفع عن مصر هجمات الاعداء واهتم فى حفظها هى وجميع ملحقاتها وسعى فى تقدم داخليتها وتحسين نظامها وفى مدته قامت عليه الناس المجاورين الى مصر من كل جهة فالبدو هددوا شرقى الدلتا وولايات الشام خرجت عن طاعته والليبيون أغاروا على غربى المملكة فلما رأى تعصب هؤلاء الاقوام عليه قام بعزمه وهمته ونصب نفسه لقتالهم فهزم أولا البدو ثم الليبيين ومن معهم ثم أخضع أهل الشام ولما علم أهل آسيا الصغرى انه مشغول بهذه الحروب الهائلة هم وأهل الجزائر اليونانية أرادوا الخروج عن طاعته فشنوا عليه الغارة فالتفت اليهم وجهز جيشا عظيما وسفنا حربية وتقابلت جيوشه بجيوشهم وسفنه بسفنهم وحصلت بين الفريقين وقائع كثيرة كانت غايتها

انتصاره عليهم فعم الامن وتمت الراحة وأرسل سفنا تجارية الى بلاد العرب لجلب الخيرات منها ومن آثاره انه قد شيد قصرا عظيما بمدينة طيبة ورسم عليه جميع وقائعه الحربية وفى آخر عمره أشرك معه ابنه رمسيس الرابع لحفظ نظام المملكة وبقيت فى مدته آمنة مطمئنة من اغارة الاعداء عليها لما كان له من علو الهمة وحسن التدبير ثم مات وبعد وفاته لم يشتغل من خلفه من الملوك بالحروب مدة طويلة ففترت عزائمهم وضرب الجبن أطنابه عليهم وتوجهت أفكارهم الى الاشتغال بالصناعة والتجارة وكرهوا الحروب التى يرون انها أهلكت أموالهم وأبناءهم فحصل الاضطراب فى المملكة المصرية وعم الفشل فيها واستفحل أمر كهنة المعبود (آمون) واستولوا بالتدريج على أعظم المناصب الملكية والعسكرية فلما مات آخر رمسيس منهم قام رئيس الكهنة (حرحور) واغتصب التاج الملوكى وجعل نفسه ملكا على مصر وأمر بنفى عائلة الملك وأتباعه الى الواحات فى وسط الصحراء الكبرى وأسس الاسرة الحادية والعشرين

الاسرة الحادية والعشرون

حكمت هذه الاسرة (١٣٠) سنه من سنة (١١١٠) الى سنة (٩٨٠) ق م وقد انقسمت مصر فى مدتها الى حكومتين احداهما بالوجه القبلى والثانية بالوجه البحرى والاولى كانت محكومة بالكاهن حرحور وذريته والثانية كانت محكومة بالملوك الاصليين

وعدد ملوك الاولى أربعة ومقر حكومتهم مدينة طيبة وأول ملك منهم هو الكاهن حرحور ولما جلس على عرش المملكة أمر بنفى من بقى من العائلة الملوكية واتباعها كما سبق ولذلك حصل فى مدته اضطراب عظيم بسبب ذلك النفى واغتصاب التاج الملوكى لم ينته الا بموته وتولى

بعده ابنه (بعنخى) وكان ضعيف الرأى خامد الذكر فاستمرت الفتن وزادت الاضطرابات ومات ولم يؤثر عنه شيء سوى أنه تزوج بابنة ملك الشام ثم تولى بعده ابنه (بذوزم) الاول وفى السنة الخامسة والعشرين من حكمه حصلت فتنة عظيمة بين أهالى الوجه القبلى والوجه البحرى بسبب نفى العائلة الرمسيسية وانتهت برجوعهم الى مدينة طيبة

أما الحكومة الثانية فكان مقر ملكها مدينة (صان) وملوكها سبعة وأولهم الملك (سمنديس) الذى أفنى عمره فى حرب ذرية الكاهن حرحور وآخرهم (بوستيسنف) الثانى وهؤلاء الملوك لم يشتهر وابشيء سوى انه قد خرج فى مدتهم أكثر البلاد التى كانت تابعة للملكة المصرية ولكونهم كانوا فى غاية من الضعف وقلة التدبير قد التجؤا الى الاجانب وركنوا اليهم وصاهروهم واعتزوا بهم واتخذوا غالب جندهم من جنود الليبيين والاقوام المختلفى العناصر الذين كانوا قاطنين على مصاب النيل وأجروا عليهم الارزاق وغمروهم بالنعم وصار لهم السلطة المطلقة وصاروا أصحاب حل وعقد ولما رأوا ضعف هؤلاء الملوك وأنه أصبح بأيديهم مقاليد كل شيء قام أحد رؤسائهم المدعو (شيشاق أوشيشنق) ومحا آثار الاسرة الحادية والعشرين وأسس الاسرة الثانية والعشرين

الاسرة الثانية والعشرون البوبسطية

مدة حكم هذه الاسرة (١٧٠) سنه من سنة (٩٨٠) الى سنة (٩١٠) ق م

وعدد ملوكها تسعة أولهم (شيشاق) الذى أسس هذه الاسرة وكان مدبرا حازماً لايهاب الحروب ولايخاف الموت ولذلك قد حكم جميع المملكة المصرية وعادت مصر فى مدته الى بهجتها وقوتها وزال ما كانت عليه من الانقسام والتفرق ولم يبق لذرية الكاهن حرحور أثر بمصر

والجأهم الى الهروب الى بلاد الاتيوبيا وهناك قد أسسوا لهم دولة مستقلة ولم يقتصر هذا الملك على ملك مصر بل انه غزا بلاد فلسطين حيث انه سار من مصر الى القدس فى جند مؤلف من نحو (١٢٠٠) عجلة حربية و (٦٠٠٠٠) فارسا وكثيرا من المشاة فاستولوا على جميع قلاع فلسطين ودخل مدينة القدس وسلب أموال القصور الملوكية حتى الدروع السليمانية المصنوعة من الذهب وقد أيد هذه الحادثة التى ذكرت فى التوراة ما شوهد فى رواق من الكرنك مرسوم عليه تمثال الملك (شيشاق) يجر تحت أقدام الاصنام كثيرا من الاسرى وعلى صدورهم اسم جنسهم وبلدهم فقد وجد من النقوش على صدر صورة أحدهم انه يهوذا ملك فلسطين وهو مصور بين الاسرى موثوق اليدين خلفه وقد دلت التواريخ أيضا على ان هذا الملك قد قطع أحجارا كثيرة من مقاطع جبال السلسلة وأعدها لعمارة هيكل الشمس بقرب الكرنك ولم ينجز ذلك بنفسه بل تمم مقصوده بعده خلفاؤه وحكم (٢٢) سنة وخلفه ابنه (أوسوركون) الاول وحارب مملكته يهوذا مثل والده وكان ذلك بعد أخذ مدينة القدس بتسع وعشرين سنة ويقال انه هجم عليها بنحو ألف ألف من العساكر وثلاثمائة عجلة حربية فسار اليه ملك يهوذا واصطفت جنود الفريقين للقتال ولكن ألقى الله الرعب فى قلوب الجيوش المصرية فهربوا وانهزموا ولم يتمكن من مقصده ومدة حكمه ٣٥ سنة وخلفه على سرير الملك ابنه (تاكلوت) الاول ولم يعلم عنه شئ سوى انه كان قد تزوج بامرأة تدعى (قابوس) رزق منها بولد سماه (أوسوركون) الثانى ولما مات أبوه خلفه فى الملك وكان متزوجا بامرأتين احداهما تسمى (كرامه) ولدله منها (شيشنق) وولاه كهانة المعبود (بتاح) والثانية تدعى (موت آووت عنخس) وولد منها ولدا اسماه

(النمرود شيشنق) وولاه رياسة الجيش وكهانة المعبود (خنوم) باهناس وبعد موت هـذا الملك تولى بعده ابنه (شيشنق) الثانى ولم يؤثر عنه شيء ثم تولى بعـده (تاكلوت) الثـانى وفى مدته ضـعفت قوة مصر وخرجت عن دائرة حكمها جميع ملحقاتها ومدة حكمه ١٣ سـنة ثم تولى بعده شيشنق الثالث ثم شيشنق الرابع وفى مدته زاد انحطاط مصر حتى انه لم يبق له سلطان الا عـلى مدينـة تل بسطة وما جاورها من البلاد وبموته زال سلطان هـذه الاسرة وحكمت الاسرة الثالثة والعشرون

الاسرة الثالثة والعشرون التانيسية

مدة حكم هذه الاسرة ٨٩ سـنة من سنة (٨١٠) الى (٧٢١) ق م ومقر حكومتها كان أولا مدينة (تانيس) المعروفة (بصان) بالشرقية ثم تجزأت مصر فى مدتها الى عشرين جزأ لكل جزء أمـير مخصوص وتلقب أربعـة منهم بالالقاب الفرعونيه ولم يزالوا كذلك حتى علا شان واحد منهم وهو تفنخت فتغلب عليهم وأسس الاسرة الرابعـة والعشرين

الاسرة الرابعة والعشرون الصاوية

حكمت هذه الاسرة ٦ سنين من (٧٢١ الى ٧١٥) ق م

وعدد ملوكها خمسـة وأولهم هو (تفنخت) أحـد الامراء العشرين الذين سـبق الكلام عليهـم وفى مبدأ أمره قد شرع فى نزع هؤلاء الامراء ولما أعجزه ذلك قدخان وطنه حبا فى الحصول على مصلحتـه الذاتية واستعان عليهم بعسا كر اتيوبيـة واحتمى بالاتيوبيا التى كان لها فى ذلك الوقت قوة عظيمة فجعله الاتيوبيون سلكا على مصر فأخـذ فى اخضاع الملوك المجاورين له ثم حارب الامراء المذكورين فظفر بهم وأخـذ ما كان بأيديهم ثم ذهب الى الصعيد فأزعنت له الامراء بالطاعة

ثم وضع الضرائب على قسم اهناس المدينـة التى كانت تدفع جزية للاتيوبين فلما بلغ ذلك ملك الاتيوبيا (بعنخى) أتى الى مصر وحاربه وانتصر عليـه ثم أمره فى مصر وجعل لرؤسائها امتيازا خاصا ثم رجع الى بلاده وجعل نفنخت صا الحجر مقر سلطانه وبعد ذلك بمدة يسيرة توفى وبعـد موته خلفه على تخت المملكة ابنه باخوريس ولما تولى شرع فى نزع سلطة الإمراء وصارت مصر جميعها خاضـعة له ولكن لكونه كان نير الفكر عاقلا قد أهان العجل أبيس معبود المصريين فعـدوا ذلك سيئة لا تغفر واهانة لا تقدر واستمانوا عليه (بسباقون) ملك الاتيوبيا فأتى بجنوده وحاربه وانضم اليـه من يبغضه من الامراء والكهان فانهزمت العساكر المصرية ووقع باخوريس فى قبضـته الاسر فألقاه سـباقون فى النار حيا وحكم بعـده من هـذه الاسرة ثلاثة ملوك (اسطفينانس) و (نخيسو) و (نكاو) ولم يعرف عنهم شيء يستحق الذكر وغاية ما علم انه كان بينهم وبين الاتيوبين مناوشات فى أمر الملك ومنازعات داخلية لم تنته الا باستيلاء الاتيوبين عليهـم ومما سبق يعلم ان ملوك مصر فى ذلك العصر قد بحثوا على حتفهـم بظلفهم وجروا الويلات على بلادهم حتى سلموها لغيرهم بأيديهم فانهـم لما كثر الخلاف بينهم وتفرقت جامعتهم واسـتمانوا بالاتيوبين كانت النتيجة نزع الملك من أيديهم وجعل مصر ايالة اتيوبية وهكذا سنة الله فى خلقه

ومن يجعل الضرغام بازا لصيده ✿ تصيده الضرغام فيما تصيدا

الاسرة الخامسة والعشرون الاتيوبية

حكمت هذه الاسرة ٥٠ سنه من سنة ٧١٥ الى سنة ٦٦٥ ق م .

وعدد ملوكها خمسة وأولهم الملك سباقون ولما تولى شرع فى تنظيم حالة البلاد وبذل غاية جهده فى راحة العباد وأكثر من عمل الترع والخلجان

وبنى ماتخرب من المدن وأحاط البلاد بجسور خوفا عليها من الغرق وبدل العقوبة بالقتل بالاشغال الشاقة ولكنه عمل معاهدة مع الفينيقيين والاسرائيليين ضد ملك أشور فعادت عليه بالوبال حيث كانت غايتها أن ملك أشور حاربه فقهره وكانت هذه الهزيمة سببا فى الاستخفاف به وضياع ملكه وتولى بعده الملك إسطفانيتس وأرسل هدايا الى سرجون ملك أشور وبشره بهزيمة سباقون ورجوع الوجه البحرى الى المصريين أما سباقون فانه فرّ الى الصعيد ومات بعد قليل وترك حكم الاتيوبيا والوجه القبلى لابنه سيبخون بعد أن حكم ١٢ سنه ولما تولى الملك سيبخون أخذ فى تجييش الجيوش وصرف جميع همته فى جعل مصر جميعها تحت حكمه وتم له ذلك ولكنه بعد قليل أغار عليه طهراقة وقتله بعد أن حكم ١٢ سنة .

ولما تولى طهراقة أغار عليه ملك أشور فطرده وأرجع الحكومة لامرائها العشرين وجعلهم يحكمون تحت رياسة نيخاوس الاول وبعد زمن تقوى طهراقة ورجع لحاربهم ثانيا ولكنه لم تنجح مساعيه فهزمه ملك أشور وطرد السودانيين وأرجع الحكم للامراء العشرين ولم تزل الحروب قائمة بين الاشوريين والسودانيين فكانت مصر تارة بأيدى الاشوريين وتارة فى أيدى الاتيوبيين مدة من الدهر الى أن ضعفت شوكة الاشوريين وعلموا أن ملك مصر يحتاج الى قوة وتدبير وتيقظ دائم وتعب كثير فتركوها للاتيوبيين فحكمها (نوات ميامون) ملك الاتيوبيين وبقيت تحت حكمه ثلاث سنين .

ثم لما انتهت حروب الاتيوبيين وانجلت بعض عساكرهم عن مصر شق على أهلها حكم السودانيين لهم مع كثرة عدلهم اذ كان أصعب شئ على المصريين الانقياد الى الاجانب فتعصب وجهاؤهم وأمراؤهم على نزع

الملك من السودانيين فقاموا عليهم وطردوهم من الوجه البحرى وتقاسموا الملك فيما بينهم وكانوا اثنى عشر أميرا فسميت حكومتهم الحكومة الاثنى عشرية وكانت جمهورية وكان منهم الملك أبسماطيق الاول فحاربهم قاصدا الاستقلال بالحكم واستعان عليهم بصبا كريونانية حتى أخذ مصر من أيديهم واستقل بحكمها فصارت مملكة واحدة فأسس الاسرة السادسة والعشرين الصاوية وانفتح به لمصر باب مجد جديد وقويت شوكتها وعاد لها رونقها وكانت مدة الحكومة الاثنى عشرية ١٥ سنة

الاسرة السادسة والعشرون الصاوية

مدة حكم هذه الاسرة ١٣٨ سنة من سنة (٦٦٥ الى ٥٢٧) قبل الميلاد وعدد ملوكها ستة أولهم (ابسماطيك) الاول ولما جلس على كرسى المملكة المصرية أجرى أحكامه بالعدل بين الرعية وشرع فى تشييد ما دمرته يد العدوان من المبانى والهيا كل وأصلح الترع والخلجان والجسور ولكونه كان أجنبيا عن الملك تزوج من بيت المملكة واجتهد فى احياء العلوم والمعارف وسعى فى توطيد العلائق بينه وبين الملوك المجاورين له كالسودان وأشور والمغرب والشام وبعد ان تمكن وقويت شوكته تملك بلاد الشام وفلسطين وبلاد الكنعانيين ولكن فى مدته قد دهم مصر حادث عظيم لانه لما مال الى اليونان وأكرم نزلهم واقطعهم أرضا واسعة جهة العريش قد كثر توافدهم عليها وما زالوا يأتون فريقا بعد فريق حتى كثروا وأقاموا بها وادخلوا أولادهم بالمدارس المصرية فربى فيها منهم فيثاغورث وافلاطون وسولون وغيرهم من الحكماء المشهورين ولم تزل محبته فى اليونان آخذة فى الازدياد حتى أدخلهم فى أغلب الوظائف وأنعم عليهم بالرتب العالية ولما رأى المصريون منه ذلك كثر غيظهم وأظهروا

له العداوة ولما اشتدت ازمتهم وضويقوا فى أسباب معايشهم وسدت أبواب الكسب فى وجوههم اجتمع منهم ٢٤٠٠٠٠ نفسا كلهم شاكى السلاح وهاجروا الى بلاد الاتيوبيا وهناك قابلهم ملكها بالترحاب ثم وطنهم بين البحر الابيض والازرق فنشأ منهم أمة تعرف بطائفة الاسماخ اى جماعة ميسرة الملك وأما ابسماطيك فانه قد عرف بعد ذلك خطأه وحاول استرجاع مافات ولكن هيهات هيهات فان مصر كانت قد نزلت الى أسفل درجات التقهقر وكان هو الجانى على نفسه حتى سار بنعشه الى رمسه بعد ان حكم ٥٤ سنة وخلفه ابنه (نيفاوو) الثانى وكان قد صار شيخا كبيرا ولكن قد قام بهمته ونشاطه وتمم شروع والده الذى كان قد عزم عليه فى آخر حياته من تجنيد جنود مصرية وعمل سفن حربية لانه كان يريد الاستيلاء على سواحل البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط وعزم أيضا على فتح برزخ السويس لحفر ترعة امتدادها أربع مراحل بحرية وعرضها يسع سفينتين عظيمتين متجاورتين بدون أدنى مضايقة كان مبدؤها مدينة تل بسطة ونهايتها بركة التمساح الا انه هلك فى حفرها ١٢٠٠٠٠ نفسا فتشاءم منها وأمر بابطالها سيما وان الكهان كانوا قد أخبروه بان الانتفاع بها سيكون لامة أجنبية وبعد ذلك بلغه من ملاحى صور وقرطاجة أنهم استكشفوا على سواحل افريقية جهات بها كثير من الذهب والعاج والاخشاب العمارية فأمر ملاحى الفينيقيين بالذهاب اليها فطافوا بسفنهم وبحثوا فلم يجدوا شيأ وفى هذا الوقت كانت مملكة الاشوريين قد انحطت فجهز جيشا جرارا وسار الى آسيا وهجم على بلاد فلسطين فقهر ملك يهود المدعو يوشيا وقتله وألبس التاج الى يهويوقيم وضرب عليه الجزية وبعد ذلك سار بدون معارض حتى وصل الى الفرات مرتبا الحراس فى كل أقليم استولى عليه ولما دخلت الجهات العربية تحت طاعته رجع الى الجنوب

ونزل بجوار حمص منتظرا قدوم أهل الشام لنصيته فبلغه تظاهر اليهود عليه فأحضر ملكهم وعزله وعين سواه واستولى على بلاد الشام أيضا وعاد لمصر فقام بختنصر ملك بابل وحاربه وأخذ منه البلاد التي فتحها و بعد ذلك حاول استرجاعها فخانته المنية فمات قبل أن يبلغ مقصده وحكم ١٧ سنة وخلفه على سرير الملك ابنه (ابسماطيك) الثاني وكان مدبرا عاقلا ولذلك بقيت مصر في مدته في هدو وطمأنينة وراحة بال وكان محبا لليونان فتزوج منهم و بقي على سرير الملك ٤٤ سنة ثم مات وخلفه ابنه ابريس فأخذ سواحل سور يا بسفنه الحربية ثم ان الليبيين استنجدوا به على اليونان المقيمين في القيراوان من بلاد برقية فرأى من الحكمة ان لا يرسل اليهم جنودا يونانية من أبناء جلدتهم وأرسل لهم جيشا مصريا فدارت عليه الدائرة فقتل بعضه وانهزم باقيه فساروا ينادون بالويل والثبور فنشأ عن ذلك هيجان شديد وعصيان جسيم فأرسل الملك احد قواد جنده ليتدارك الامر وكان اسمه أمازيس (أحمس الثاني) فأخذ في تسكين الثورة أولا ثم انقلب مع الثائرين أخيرا اذ جاءه بعض الجنود وألبسه تاجا وصاح قائلا قد رضيناك ملكا علينا فانخدع ورجع معهم وقاتلوا الملك حتى قتلوه فجلس على كرسي المملكة وتزوج حفيدة الملك بسماتيك الاول وحكم ٢٥ سنة كانت فيها مصر في أعلى درجات السعادة والهناء ثم مات وخلفه ابنه (بسامتيك) الثالث ولم يمكث على سرير الملك الا ستة أشهر ثم فاجأه قنبيز ملك العجم فدارت الدائرة عليه ووقعت البلاد المصرية في يد العجم فأسسوا الاسرة السابعة والعشرين الفارسية

(الدولة الفارسية الاولى وسبب استيلائها على مصر
وهي السابعة والعشرون)

مدة حكم هذه الاسرة على مصر ١٣١ سنة من (٥٢٧ الى ٤٠٦) ق م

وعدد ملوكها سبعة أولهم الملك (قمبيز) ولما جلس هذا الملك على سرير مملكة فارس وجه أنظاره لفتح مصر وقد أطلعه على أحوالها رجل يوناني التجأ اليه وكان أولا قائد الجنود اليونانية الذين في خدمة ملك مصر أمازيس وفر منه لجفاء حصل بينهما فتعاهد قمبيز أولا مع القبائل العربية التي في طريقه ليأمن غائلة أهلها ثم سار بجيوشه حتى تقابل مع جيش ملك مصر (ابساميتيك) الثالث ابن أمازيس عند مدينة الفرما فأراد اليونان ان ينتقموا من قائدهم الخائن الهارب فأحضروا أولاده في المعسكر وقتلوهم أمام عينيه وهو يتحسر عليهم ثم التقى الفريقان فتقهقر المصريون بسبب ان الفرس وضعوا في مقدمة جيشهم قططا وحيوانات يحترمونها فلم يجسروا أن يرموا العدو بنبالهم خوفا من اصابتها لكن الجيوش اليونانية ثبتوا أمام الفرس وقاتلوا قتالا شديدا قتل فيه من الطرفين كثير وأدى الامر الى غلبة الفرس لهم بسبب كثرتهم وبهزيمتهم وقعت مصر في قبضة الفرس وصارت ولاية فارسية

ولما استولى قمبيز على مصر أبقى أولا على ابسماتيك ثم قتله أخيرا وأخرج جثة أبيه أمازيس ومثل بها ومزقها كل ممزق ثم أحرقها بحجة انه كان قد اغتصب ملك مصر وقتل سلفه ظلما

واستيلاء قمبيز على مصر أفزع الامم الاخرى المجاورة لها حتى جاء الليبيون وأذعنوا له بالطاعة من غير قتال وألزموا انفسهم بدفع الخراج اليه واقتفى أثرهم في ذلك (سكان مدينة القيروان وبلاد المغرب) ولما استقام له الحال في مصر شرع في غزو القرطاجيين والاتيوبيين فلم ينجح بل رجع بخفي حنين ويوم رجوعه الى منفيس كان يوم عيد احتفال المصريين باشهار معبودهم الجديد (العجل ابيس) فظن انهم فرحون بعودته خائبا فدعا كبارهم وأعيانهم وأمر بقتلهم مع انهم بينوا له سبب الاحتفال

ثم أحضر رؤساء الدين وضربهم وأهانهم ولما رأى معبودهم طعنه بسيفه في فخذه وقال هذا هو الذي يليق بعقول المصريين وأمر بابطال الشعائر الدينية ودفعه جنونه الى استعمال الفظائع والقسوة الشديدة مع المصريين والفارسيين وبينما هو جائل في ميدان التوحش اذ أتاه نبأ اغتصاب المملكة الفارسية فتجهز للسفر اليها وأناب عنه مدة غيابه في ادارة شؤون مصر (اريانديش) ومات قمبيز في الطريق

ولما آلت حكومة الفرس الى دارا الاول اجتهد في ان يحسن معاملته مع المصريين لينسيهم ما فعله بهم قمبيز فشيد معابدهم التي اندثرت وأقام لهم عجلا جديدا يعبدونه وأعاد فتح برزخ السويس ومنه وردت تجارة الهند الى ثغور مصر وفتح طريقا آخر بين النيل والبحر الاحمر ومع حسن سياسة دارا ولطف معاملته للمصريين عصوه أخيرا وولوا عليهم ملكا من ذرية ابساميتيك يسمى (خبش) بعد ان حكم دارا ٣٣ سنة فاقام ثلاث سنين حصن فيها القلاع واستعد لمدافعة الفرس وقبل موت دارا الاول أوصى بالملك لولده شيارش ففاجأ مصر بالهجوم عليها واستولى على جميع بلادها وعامل أهلها بالقسوة والجبروت وفي أثناء قتال في مملكة فارس قتل فيه شيارش خرج المصريون عن الطاعة وأقاموا (ايناروس) ملكا عليهم فجاء ملك الفرس (أرتخشيارش) الاول وأزال حكمه وقتله بعد قتال شديد استعان فيه ملك مصر باليونان وبقي حاكما عليها مدة ٣٨ سنة ثم مات وخلفه (شيارش) الثاني ولم يبق في الحكم الا خمسة وأربعين يوما ثم قتله أحد أولاده (سوغدياتوس) ولم يمكث الا ستة أشهر وتسعة عشر يوما ثم قتله دارا الثاني واستقل بالحكم ٢٢ سنة اضمحلت فيها دولة الفرس ثم في عهده قد قويت مصر واستقلت وولت عليها ملكا يدعى (اميريس) فاستقل بالحكم وأسس الاسرة الثامنة والعشرين وبذلك انقرضت دولة الفرس الاولى

من مصر وعادت للمصريين

﴿الاسرة الثامنة والعشرون الصاوية﴾

مدة حكم هذه الاسرة سبع سنين من سنة ٤٠٦ الى سنة ٣٩٩ قبل الميلاد ولم يحكم منها الا ملك واحد وهو الملك (أميرتيس) الذى أسسها ولما ارتقى على عرش المملكة المصرية كثرت الفتن وعمت القلاقل ولكنه بغزارة عقله وحسن تدبيره أخذ فى تسكينها حتى سكنت وعم الامن والهدو فأخذ فى تشييد ما دمرته الفرس من الهياكل والمعابد وغيرها من المبانى ثم مات بعد ان حكم سبع سنين وبموته انقرضت هذه الاسرة وانتقل الحكم الى الاسرة التاسعة والعشرين

﴿الاسرة التاسعة والعشرون المنديسية﴾

هذه الاسرة حكمت ٢١ سنة تقريبا من سنة (٣٩٩ الى ٣٧٨) قم وتنسب لقاعدة ملكها منديس (محلها الآن اشمون الرمان) وعدد ملوكها أربعة أولهم الملك (نفريتس) ولما تولى تعاهد مع ملوك اسبارطة على حرب الفرس فأرسل اليهم السفن مشحونة بالقمح والسلاح والذخائر الحربية فسارت اليهم العجم وهزمتهم شرهزيمة وبددت شمل اسبارطة فأخذ نفريتس في تجديد الجنود والاستعداد للمدافعة عن وطنه وبينما هو كذلك اذ فاجأته المنية فمات بعد ان حكم ست سنين وخلفه الملك (اخوريس) ولما تولى عقد معاهدات بينه وبين الملوك المجاورين له ضد ملوك الفرس فعادت بالمنفعة حيث ان الفرس قد جاؤا وردوا خائبين مع كثرة عددهم وعددهم ثم مات بعد ان حكم ١٣ سنة وخلفه الملك (بساموتيس) فلم يبق على كرسى المملكة الا سنة واحدة كان استعد فيها لقتال الفرس ولم يتم له ذلك ثم مات وخلفه نفريتس الثانى ثم مات بعد أربعة شهور من حكمه وبموته ماتت الاسرة التاسعة والعشرون وآل

الحكم للاسرة الثلاثين

(الاسرة الثلاثون السمنودية)

حكمت هذه الاسرة ٣٨ سنة من (٣٧٨ الى ٣٤٠) قبل الميلاد وعدد ملوكها ثلاثة الاول الملك (نكتانيبوس) الاول وكان قوى العزيمة ثابت الجاش ولذلك فى مدته قد أتت جيوش العجم الى مصر يريدون الاستيلاء عليها فقابلهم بقلب لا يهاب الحروب ولا يخاف الموت فدارت الهزيمة عليهم فرجعوا خائبين ثم التفت الى داخلية مصر فحسنها تحسينا يفوق أعظم الممالك فى عصره و بنى آثارا جليلة تدل على عظم ملكه وقوة سلطانه ثم مات بعد ان حكم ١٨ سنة وخلفه ثانى ملوك هذه الاسرة الملك (تاخو) ولما تولى جهز جيشا جرارا مكونا من ١٨٠٠٠ من المصريين ١٠٠٠٠ من اليونانيين و ٢٠٠ سفينة حربية وسار لمحاربة العجم ولكنه لم يحسن الى عساكره فقاموا عليه وقتلوه بعد ان حكم سنتين وتولى بعده الملك الثالث من هذه الاسرة وهو (نكتانيبوس) الثانى وفى مدته مات ملك الفرس ارتخشيارش الثانى وتولى ابنه ارخوس فأخذ فى حشد الجنود وسار الى مصر واستولى على كثير من بلادها فجأة فلما رأى (نكتانيبوس) ذلك لم يستطع الدفاع وجمع خزائنه وفر الى بلاد النوبة بعد ان حكم ١٨ سنة ومن هذا الوقت وقعت مصر فى قبضة العجم ثانيا وأسسوا فيها الدولة الفارسية الثانية وهى الاسرة الحادية والثلاثون وانتهت الاسرات الفرعونية

﴿الاسرة الحادية والثلاثون الفارسية﴾

مدة حكم هذه الاسرة ثمان سنين من سنة ٣٤٠ الى ٣٣٢ ق م وعدد ملوكها ثلاثة أولهم الملك (أوخوس) هذا الملك لما تولى على فارس استعمل القسوة والغلظة على أهل مملكته فلم يمكث الا سنتين ثم مات مسموما وفى مدته كانت مملكة اليونان قويت شوكتها واشرأبت تنظر الى

فتح مصر وخلف هـذا الملك ابنه (أرسيس) وكانت مدة حكمه سنتين ولم يعلم عنه شيء سوى أنه كان موصوفا بالكبرياء والعظمة التي جعلت المصريين ينتظرون خروجهم من تحت حكم الفرس ثم خلفه دارا الثالث وكان معاصر الاسكندر المقدوني فلم يمكث الا أربع سنين ثم زالت دولة الفرس واستولى عليها اسكندر المقدوني ومن جملتها مصر فأسس فيها الدولة اليونانية المقدونية وباستيلاء دولة الفرس الثانية تنتهي الطبقة الثالثة من الدور الجاهلي كما قدمناه

﴿الطبقة الرابعة من الدور الجاهلي﴾

قد سبق أن مدة هذه الطبقة ٧١٣ سنة وأنها تبتدىء بحكم اسكندر المقدوني على مصر وتنتهي بصدور أمر طيودوس باتباع الدين المسيحي سنة ٣٨١ بعد الميلاد الموافقة لسنة ١٤١ قبل الهجرة

(فتح اليونان لمصر)

لما تغلب اسكندر المقدوني على دارا الثالث ملك العجم ودخلت جميع ممالكه تحت حكمه كانت من جملتها مصر فوقعت في قبضة اليونان وأسسوا فيها دولتين الاولى الدولة المقدونية والثانية البطليموسية وبقيت مصر تحت حكم اليونان نحو ثلاثة قرون

(الدولة الثانية والثلاثون المقدونية وذكر اسكندر الاكبر وتأسيس مدينة الاسكندرية)

قد تغلب الاسكندر المقدوني على مصر وانتزعها من ايدي العجم وأسس الدولة المقدونية ومدة حكمها ٢٧ سنة من سنة ٣٣٢ الى ٣٠٥ ق م وهو ملكها الوحيد وكان من صغر سنه تلوح عليه علامات النجابة والشجاعة وقد اعتنى أبوه بتربيته ووكل بها (أرسطاطاليس) الحكيم وكان من اعظم الفلاسفة فتعلم منه ضروب السياسة والآداب

ونشأ على احسن ما يكون من طيب الخصال وحميد الفعال ولما توفي أبوه فيلبس تركه أهلا لتدبير المملكة وكان سنه اذذاك عشرين سنة فلما تولى استصغرته الرعية وخرج عليه بعض الامم التى أخضعها ابوه من بلاد اليونان وشواطئ الدانوب فأرجعهم الى الطاعة بعد ان هزمهم شر هزيمة وباع بعضهم كالعبيد ولما رأى اليونان ذلك هابوه وأذعنوا له بالطاعة ثم حصل بينه وبين ملك العجم نزاع فى دفع الجزية فعزم على قتاله وكون جيشا عظيما لذلك وبلغ الخبر دارا ملك العجم فجهز له جيوشا كثيرة واجتمع الجيشان عند نهر غرانيكوس ببلاد الاناضول فهزم الاسكندر جيش الفرس واستولى على الولايات الواقعة في الجهة الغربية من النهر المذكور ثم حصل للاسكندر مرض شديد ألجأه للاقامة بمدينة طورسوس ولما شفى من مرضه تحارب مع دارا ثانيا بالقادنه فهزمه شر هزيمة وهرب دارا وترك أمه وزوجته وأولاده فوقعن فى قبضة أثره فأكرمهن وأمنهن على انفسهن ثم أرسل دارا الى اسكندر يطلب منه فداءهن بالمال وان يعقد معه صلحا ويزوجه ابنته ويهب له كل الاراضي الواقعة مابين البحر الابيض المتوسط ونهر الفرات فأجابه اسكندر لتسليمه اياهن بلا شرط اذا حضر بنفسه اليه فاستعظم ذلك دارا وسلمت لاسكندر عقب هذه النصرة مدائن صور وصيدا وفلسطين وجميع البلاد الشامية ودخل مصر واستولى عليها بدون أدنى معارضة لان المصريين كانوا يودون التخلص من ظلم الفرس سيما فى عهد قمبيز ولما وصل اسكندر الى مدينة منف أخذ يتجول فى داخل البلاد المصرية وعامل أهلها بالرأفة والحلم ولم يعارضهم فى شئ من عاداتهم ولا عباداتهم فأحبه المصريون ومالوا اليه كل الميل ثم نزل النيل حتى وصل قرية راقوده أو راقوطيس وكانت قرية مشيدة على شواطئ البحر الابيض على برزخ ضيق من الارض تحده مياه البحر من

الشمال وبحيرة مريوط من الجنوب فبعد ان أمعن النظر في مواقعها وحسن موضعها وراق في عينه ذلك بذل جهده في تأسيس مدينة عظيمة في هذا المكان تكون عاصمة فتوحاته فاختط مدينة الاسكندرية بنفسه سنة ٣٣١ قبل الميلاد التي حفظت له اسمه الى هذه الايام ومادامت قائمة في الوجود بين الانام وقد فوض الى دينوقراطس مهندسه الخاص تنفيذ ما دبره والسير على خطته فاجتهد في اقامة تلك المدينة بكل همة ونشاط وبعد تميمها فتح أبوابها للسكان من سائر البلدان فعمرت وتم رونقها حتى صارت أبهج مدن البلاد المصرية لما اشتملت عليه من عجيب الآثار التي تدهش بحسن منظرها الابصار وصارت مركزا مهما للتجارة بين سكان المغرب والمشرق ثم توجه الى واحة سيوه وزار معبد (آمون) منكرا نفسه من الكهان فعرفوه وقالوا انه ابن المشتري وهناك خضعت له سكان ليبيا وطرابلس

واما دارا فقد جمع له من العساكر ضعف ما تقدم وهم لقتاله ولما علم اسكندر ذلك ترك مصر وأناب عنه فيها اقليونيوس وسار الى الشام ومنها الى نهر الفرات وهناك تقابل جيشه بجيوش دارا بالقرب من مدينة اربل التي هي بالقرب من الموصل وقامت الحرب بين الفريقين على قدم وساق الى ان دارت الدائرة على الفرس فغلبوا وهرب دارا ثانيا فلم يقتف الاسكندر أثره وقد التجأ الى قسم بخاري فقتله واليها (بسوس) واما اسكندر فانه أخذ يفتح في بلاد العجم ولم يلبث مدة الا وقد وصل الى هذه الولاية وأخبره واليها بما فعله بدارا فقبض عليه وسلمه الى أخي دارا حيا فقتله بعد ان أذاقه العذاب الاليم

وبموت دارا دخل جميع ممالك العجم تحت حكم اسكندر وصارت ولاية يونانية واتسعت ممالك اسكندر فكانت تشتمل على تركية آسيا وبلاد العجم والافغانستان والبلوجستان وجزء عظيم من بلاد الهند ومصر وجزء من

السودان وصحارى ليبيا وتركية أوروبا وبلاد اليونان وبعد ان فتح اسكندر هذه الفتوحات قصد مدينة بابل ليتخذها عاصمة ملكه وأقام بها نحو سنة ثم أصابته حمى فمات وله من العمر ٣٣ سنة

وقد ترك للتاريخ سيرة دالة على شهامته وقوته وحسن تدبيره مع حداثة سنه وبعد موت اسكندر قسمت ممالكه بين نوابه حيث لم يترك الا أخا يدعى فيلبش لايقوى على تدبير المملكة وولدا صغيرا أو حملا فقتله نائبه (كسندره) بعد ان حكم مدة تحت نيابته وعلى كل فكان الحاكم على مصر بطليموس بن لاغوس

﴿ الدولة الثالثة والثلاثون البطليموسية ﴾

مدة حكم هذه الدولة ٢٧٥ سنة من سنة ٣٠٥ الى سنة ٣٠ قبل الميلاد وعدد ملوكها ١٤ ملكا أولهم بطليموس الاول ولما تولى اقتفى أثر الاسكندر فى معاملة المصريين بالحسنى حتى استمالهم اليه وساعده ذلك على توسيع نطاق ملكه فاضاف الى مصر جمهورية القيراوان وجزيرة قبرص و بلاد العرب وسواحل الشام ورد المعتدين عليها و بعد تشييد ملكه واستتباب الراحة فيه نظم الادارة و بنى القصور والمعابد والمبانى الرفيعة كمنارة الاسكندرية ليهتدى بها الملاحون ومدرستها الشهيرة بالحكمة والآداب وجلب اليها العلماء من اليونان وغيرهم وأنشأ بها أيضا دار كتب نفيسه جمع فيها نحو ٤٠٠٠٠ كتاب فصارت اسكندرية فى عصره منبعا للعلوم والتقدم واتسعت بها دائرة التجارة أيضا ومات بعد ان حكم ٤٠ سنة

وقبل موته بسنتين كان قد تنازل عن الحكم لابنه فيلادولف ولقبه بيطليموس الثانى فسار كسيرة أبيه فى نشر العلوم وتوسيع نطاق التجارة حتى صارت مصر فى عصره تزهو عن مدة أبيه وهو الذى أمر مانيتون

الكاهن المصرى بتأليف تاريخ مصر وجمع سبعين من احبار اليهود ليترجموا له التوراة الى اللغة اليونانية (ولذا سميت بالترجمة السبعينية) وكان ديوانه مجلسا للعلماء والادباء وجدد فتح برزخ السويس لتوسيع التجارة ومات لاربعين سنة من حكمه وحكم بعده بطليموس الثالث فأعلى شأن مصر وأعاد لها مجدها الاول حيث امتدت فتوحاته الى أواسط آسيا وبلاد النوبة فانه أغار على بلاد الشام وعبر نهر الفرات ووصل الى بلاد العجم وأعاد الى مصر تماثيل الاصنام المصرية التى كان قد سلبها قمبيز منها ونقلها الى فارس ثم مات بعد ان حكم ٢٥ سنة وتولى بعده بطليموس الرابع وكان كثير الانهماك فى اللذات والشهوات غير ملتفت لتدبير ملكه فابتدا انحطاط هذه الدولة وازداد من بعده حيث لم يلتفت من خلفه فى الملك الى حسن سياسته وحفظ نظامه بل انقادوا الى الشهوات وجرهم الطمع الى الخصومات المؤدية الى سفك الدماء فضلا عن قصورهم الذاتى أوصغر سنهم أوغير ذلك مما كان يؤدى الى اقامة أوصياء عليهم من اعيان المملكة ولكونهم كانوا فى الغالب غير مخلصين فى نصيحتهم فانهم كانوا يخفون عنهم الحقائق ويحجبونهم عن النظر في شؤون الرعية لاغراضهم الذاتية ولذلك طمع فيها من جاورها من الملوك ووقعت الحروب بينهم وبين ملوك الشام فالتزموا بأن يوسطوا الدولة الرومانية في نزع الخلف الواقع بينهم وبين هؤلاء الملوك حيث كانت هى الدولة ذات الشوكة والقوة في ذلك الوقت فابتداء تداخل الرومانيين فى أمور المملكة المصرية وارتبطت أمور مصر بالدولة الرومانية حتى آل الامر الى تملكها عليها بعد آخر من ملكها منهم وهى الملك كيلوباترا

وهذه الملكة قد اشتركت أولا هى وأخوها بطليموس الثانى عشر فى الحكم وكان عمرها ١٧ سنة وعمر أخيها ١٣ سنة وقد أقيم عليه ثلاثة

أوصياء كلهم يكره كيلو باترا وفى هذا الوقت كانت رياسة الدولة الرومانية لاميرين احدهما يسمي يولوس قيصر والثانى بومبيوس وقامت الحرب بينهما فطلب بومبيوس جندا من مصر لمساعدته فامدته كيلو باترا بسفنها وجنودها فلما رأى أوصياء اخيها ذلك لم يستحسنوه وحرضوا اهل الاسكندرية على الخروج عليها فهاجت بها فتنة حتى خافت منها على نفسها فهربت هى وأختها ارسنوى الى الشام وبينما اخوها بطليموس يريد السفر ليقتفى اثرها اذ وجد سفن بومبيوس قادمة مهزومة مستغيثة به ليحميها من يولوس قيصر فلم يفعل بل قتل بومبيوس تقربا من يولوس قيصر

ولما حضر يولوس قيصر الى الاسكندرية مقتفيا اثر خصمه قدم له طيودوس وزير بطليموس راس بومبيوس فاسف على ذلك واحتفل بجنازته مع انه عدوله ثم انه اصلح بين بطليموس وأخته كيلو باترا التى حضرت سرا لكن هذا الصلح قد أغضب الوزراء والنواب وعدوه تداخلا فى الشؤون المصرية وكانوا يكرهون توسط الرومان مخافة التغلب عليهم واقضى ذلك الى ثورة فى الجند لم يسكنها الا تلاوة صورة الوصية التى كان قد أوصى بها بطليموس العاشر بأن مصر بعده تكون تابعة للرومان وانه لم يتداخل الا بصفة رئيس الرومان وانه وصى على المملكة المصرية فسكنت الفتنة مدة ثم هاجت ثانيا بتحريض الاوصياء لانهم رأوا ان وصيتهم قد زالت وأرادوا أن يفتكوا به ويأخذوا كيلو باترا للانتقام منها وشرعوا فى الاستيلاء على سفنه الحربية فلم يمكنه ان يخلص تلك السفن الا بحرقها وقد شبت النار منها الى القصر الملوكى فاحرقته وأحرقت دار الكتب الشهيرة وفى هذا الوقت كان قد استمد بعساكر رومانية فلما وصلت النجدة اليه هزم المصريين وأسر بطليموس فاضطروا الى طلب الصلح وان يطلق لهم

بطليموس من قبضة الاسر فقبل ولما أطلقه جاهره بالعداوة وأثار عليه الحرب ثانيا فدارت الدائرة عليه فقتل و بعد قتله أشرك يولوس قيصر مع كيلو باترا أخاها الصغير بطليموس الثالث عشر فى ملك مصر وجعل لها حراسا من قبله لوقايتها من أعدائها ثم رجع الى رومة و بعد سنة سارت كيلو باترا هى وزوجها وهو أخوها الى رومة وهناك وضعت له السم فى الدسم لتنفرد بالملك فمات وبعد حوادث قتل فيها يولوس قيصر محبوبها وحاميها خافت على نفسها الهلاك فالتجأت الى المجلس الرومانى فاحبها انطانيوس أحد رؤسائه وخدعته كما خدعت يولوس قيصر وتوصلت به لجعل ابنها قيصرون ملكا على مصر ولما أخذ حبها بمجامع قلبه قد حضر الى مصر وتزوج بها وبذلك قد حفظت سلطتها فى مصر ولكن انطانيوس قد ارتكب بسببها غلطات سياسية ضد المملكة الرومانية كانت سببا فى قيام شريكه فى الرآسة المسمى اكتافيوس عليه فحاربه هو وكيلو باترا وهزمهما وردهما الى مصر واقتفى اثرهما فوصل الى الاسكندرية وحارب انطانيوس واهلكه ولما رأت كيلو باترا ذلك أرادت ان تخدعه كما خدعت سابقيه فلم يمكنها ذلك وآل الامر الى قتل نفسها تخلصا من الذل والهوان و بموتها زالت دولة البطالسة عن مصر سنة ٣٠ بعد الميلاد

ومما سبق يعلم ان السبب الوحيد فى زوال دولة البطالسة هو عدم التفات أواخر ملوكها الى شؤون المملكة والاختلاف الكثير الحاصل فى داخليتها والنزاع القائم بينهم و بين الاوصياء والتجاؤهم فى أواخر الامر الى المجلس الرومانى وانتصارهم به حتى جر ذلك الى ان نزعها الرومان من أيديهم فكانوا كما قيل

رب من ترجو به دفع الاذى ✲ انما يأتى الاذى من قبله

سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فمن تأمل رأى أن مثـل هذه الامور كان سببا فى ابادة كثير من الدول فى القرون الخاليـة والاعصر الاول فـاسها ملك عند تدبير شؤون أمته والقيام بواجب دولته الا تركها عرضه للضياع وفريسة للسباع كما قيل

ومن رعى غنما فى ارض مأسدة ✲ ونام عنها تولى رعيها الاسد

وما وقع الخلاف وتفرق الكلمة بين أمة من الامم او دولة من الدول الا كان سببا فى تهديم بنيانها وتقويض اركانها وخفض شأنها وضـعف سلطانها فاذا اضطرها فساد الاحوال وخوف غائلة المقتال الى الانتصار بدولة أخرى أقوى منها سلطانا وأثبت بنيانا واوسـع مجالا وا كثر رجالا فهناك تـكون الطامة الـكبرى والدمار العاجل فـكم رأينا أممـا ذهبت ضحيـة ذلك الانتصار ان فى ذلك لعبرة وذكرى لاولى الابصار

(مصر فى عهد الرومان)

(الدولة الرابعة والثلاثون الرومانية)

حكمت هذه الدولة على مصر ٦٧٠ سنة من سنة ٣٠ ق م الى سنة ٦٤٠ ب م وذلك انه بعد ان قتلت (كيلوباترا) نفسها وقتل اكتافيوس ولدها قيصرون آل اليه أمر ملك مصر فجعلها ايالة رومانية يتولاها ولاة من قبل رومة وقد اقتفى أثر الاسكندر المقدونى فى انه لم يغير شيأ من عاداتهم ولا عباداتهم غير انه استبدل العمال اليونان بآخرين من الرومان وعاد الى مقر ملكه وأول عامل من قبله على مصر هو (قورنيلوس غالوس) ولما تولى اجتهد فى اصلاح ما دمر من الاثار فى عصر الفتن الاخيرة كما اشتغل باصـلاح حالة الاراضى الزراعية وعمل ما يلزم لها من الترع والجسور والخلجان وغير ذلك وسار فى الاهالى سيرا حميدا واستعمل العدل فى أحكامه والرأفة على الاهالى ومع ذلك فانهم شقوا عليـه عصا الطاعة واضرموا نار الفتن فارجعهم عن

غيهم واطفاء نار الفتن بشدته وحزمه ولكنه عاملهم بعد ذلك معاملة سيئة ودخله الغرور فبغى وطغى وتجبر وتكبر وقلد بعض الفراعنة فى احوالهم الوحشية وأمر بوضع صورته فى المحال العمومية وان ترسم وقائعه على المبانى والهياكل وبينما هو كذلك اذ بلغ (اكتافيوس) انه آوى رجلا من العلماء كان قد غضب عليه وطرده من رومة فعزله عن مصر ونفاه ولم يزل كذلك حتى قتل نفسه تخلصا من العناء

وولى بعده من عماله على مصر (بطرنيوس) وأمره بغزو بلاد العرب فغزاها بجنود رومانية فانتصرت أولا ثم انهزمت بعد ذلك الصعوبة العبور فى تلك البلاد وعدم موافقة أهويتها للجيوش الرومانية ورجعوا بدون جدوى ولم يتمكنوا من فتح بلاد اليمن التى كانت نصب أعينهم لما اشتملت عليه من الخيرات وفى مدة غزو بلاد العرب اغارت (قنداقة) ملكة جبال بركل على أعلى صعيد مصر فردها (بطرنيوس) الى ملكها وضرب عليها جزية سنوية وعافاها اغسطس من دفع هذه الجزية وبقى (بطرنيوس) مجتهدا فى كل مايعود على مصر من حسن الحال والرفعة والكمال الى ان مات بعد ثمان سنين من حكمه وهكذا ما زالت العمال تتوالى من الرومان على مصر الى ان خرجت من حوزتهم وصبحها الاسلام كما سيأتى وبمضى ثلاثين سنة من حكم (أغسطس) ولد عيسى بن مريم عليه السلام بقرية بيت لحم بالشام سنة ٦٢٢ ق ه وحاصل تاريخه عليه السلام انه ابن مريم بنت ماثان من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وكانت أم مريم (حنة) لاتلد فنذرت لله ان ولدت ولدا جعلته خادما لبيت المقدس ومات زوجها عمران وهى حامل فولدت بنتا وسمتها مريم ثم حملتها وأتت بها المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت هذه هى النذورة فتنافسوا فيها لانها ابنة عمران وكان من أئمتهم فقال زكريا انا أحق بها لان خالتها

(ايساع) زوجتي فأخذها وكفلها ولما كبرت بنى لها غرفة فى المسجد وانقطعت فيها للعبادة وكان لا يدخل عليها غير زكريا وأرسل الله جبريل فبشر زكريا بيحيى مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى ثم أمر الله جبريل فنفخ في جيب مريم فحملت بعيسى عليه السلام وكانت قد حملت خالتها ايساع بيحيى وولد يحيى قبل عيسى بستة أشهر ثم ولدت مريم عيسى فلما علمت اليهود ان مريم قد ولدت بغير بعل اتهموا بها زكريا وطلبوه فهرب واختفى فى شجرة عظيمة فقطعوها وقطعوه معها ثم انكروا على مريم وقالوا لها لقد جئت شيأ فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا فلما سمعوا منه ذلك تركوها بعد ان كادوا يرجمونها بالحجارة ثم سارت به الى مصر مع ابن عمها يوسف النجار وكان أولا ممن أنكر عليها ثم تحقق براءتها فسافر معها الى مصر وأقاما بها اثنتى عشرة سنة ثم عاد عيسى وأمه الى الشام ونزلا الناصرة ولما بلغ ثلاثين سنة جاءته الرسالة فابتدأ بالدعوة وأيده الله بمعجزات باهرة فكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيصير طيرا وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله وكان يسيح فى الارض ويلبس الصوف والشعر ويأكل من نبات الارض وربما تقوت من غزل أمه واتبعه أولا الحواريون وهم اثنا عشر رجلا وهم (شمعون) المسمى بطرس وأخوه (اندراوس) و (يعقوب) ابن زبدى وأخوه (يحيى) و (فيلبس) و (برتوكوماوس) و (توما) و (متى) و (يعقوب) بن حلفا و (ليا) الذى يدعى نداوس و (شمعون) و (يهوذا) وهؤلاء هم الذين سألوه نزول المائدة فدعا الله فنزلت عليه

مائدة مغطاة بمنديل فيها سمكة مشوية وحولها البقول وعند رأسها ملح وعند ذيلها خل ومعها خمسة أرغفة على بعضها زيتون وعلى باقيها رمان وتمر فأكل منها كثير من الناس ولم تنقص ولم يأكل منها ذو عاهة الا برئ وبقيت كذلك اربعين يوما تنزل يوما وتغيب يوما وأنزل الله عليه الانجيل كتابا مقدسا فصار يأمر الناس وينهاهم واتبعه كثير من الناس وأمته النصارى ثم توفاه الله وأحياه ورفعه الى السماء قال تعالى (انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وقال بعضهم انه رفع ولم يمت ويؤولون الوفاة فى الآية وكانت اليهود قد جدت فى طلبه فأخبرهم شخص انه يدلهم عليه بدراهم فأخذها منهم فالقى الله شبه عيسى عليه فقبض اليهود عليه وربطوه وجعلوا يقودونه بحبل ويقولون له أنت كنت تحيي الموتى أفلا تقدر أن تخلص نفسك من هذا الحبل ويبصقون فى وجهه ويلقون عليه الشوك ثم صلبوه على الخشب بعد ان أذاقوه العذاب الاليم وبقى مصلوبا ست ساعات ثم استوهبه يوسف النجار ظانا انه عيسى من حاكم اليهود وقتئذ وهو (فيلاطوس) ولقبه (هيرودوس) ودفن فى قبر كان يوسف النجار أعده لنفسه ثم بقيت مريم فى حزن شديد وجزع ما عليه من مزيد ملازمة البكاء والنحيب ظانة ان ولدها هو الذى صلب فأنزل الله المسيح من السماء الى أمه ليطمئن قلبها ويهدأ روعها وأخبرها ان الله قد رفعه اليه وانه لم يصبه شئ من الاذى وأمرها أن تجمع له الحواريين ففعلت فأمرهم أن ينتشروا فى الارض وينشروا دينه فتفرق الحواريون وفعلوا ما أمرهم به ثم رفعه الله اليه وأما أمه فانها ماتت بعد رفعه بنحو ست سنين وأما أوكتافيوس فانه قد مات بعد ميلاد عيسى عليه السلام بأربع عشرة سنة ومدة حكمه ٤٣ سنة وتولى بعده طيباريوس وهو الذى بقى

مدينة طبرية بالشام وفى مدته رفع المسيح عليه السلام الى السماء ومات بعد ان حكم ٢٣ سنة ثم ملك بعده (غليوس غانيوس) ولم يحكم الا اربع سنين ثم مات وخلفه (قليديوس) وفى مدته حبس شمعون الصفا ثم أطلق وسار الى انطاكيا وصار يدعو الناس الى اتباع دين المسيح عليه السلام ثم سار الى رومة ودعا أهلها فاتبعه كثير من الناس وتبعته زوجة الملك ثم مات قليديوس بعد ان حكم ١٤ سنة وتولى بعده (نيرون) ويقال له قارون وهو الذى قتل بواص وبطرس ومات بعد ان حكم ١٤ سنة ثم تولى بعده عدة قياصرة منهم (طيوطوس) وكان حكمه بعد رفع المسيح بأربعين سنة فغزا بيت المقدس وأوقع باليهود وقتل من قتل واسر من أسر ولم يتخلص منه الامن فرهاربا منهم ولم يقف له على أثر ونهب القدس وخربه وأحرق الهيكل وأحرق كتبا كثيرة وخلا القدس من بنى اسرائيل ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك وتشتتوا فى أقطار العالم الى وقتنا هذا ومات بعد ان حكم سبع سنين وتولى بعده غيره من القياصرة ومنهم (دقلديانوس) تولى هذا القيصر سنة ٢٨٤ ب م وجعل مقر ملكه انطاكيا وفى عهده خرجت مصر عن طاعته فردها عن عصيانها وأدخلها تحت الطاعة ولكنه قتل كثيرا من أهلها خصوصا المسيحيين فانه فتك بهم فتكا ذريعا واستباح دماءهم وأغلق كنائسهم وصدهم عن عبادتهم ولذا صار حكم هذا القيصر تاريخا للمسيحيين يؤرخون به الوقائع ويسمونه تاريخ الشهداء ويوافق سنة ٣٣٩ وتسعة وثلاثين يوما قبل الهجرة ومنهم (طيودوسيس) الاكبر وكان ملكا عاقلا نبيلا منصفا تدين بدين المسيح عليه السلام وأمر باتباعه فى جميع انحاء ممالكه وفى سنة ٢٤١ ق هـ الموافق لسنة ٣٨١ ب م أمر بمحو الديانة المصرية القديمة وهدم الهياكل والمعابد المصرية ومن هذا الوقت انتهى الدور الجاهلى وهو الدور الاول من تاريخ مصر وجاء بعده

الدور المسيحي وهو الدور الثاني من تاريخ مصر وبه ينتهي تاريخ مصر القديم ومن تأمل في حالة مصر في عهد اليونان وحالتها في عهد الرومان وجد بونا لا يدركه قياس ولا يعتوره التباس فانها في عهد اليونان كانت مقتنعة براحة البال وحسن الحال فان اسكندر لما فتحها لم يتعرض لتغيير شيء من عاداتها ولا عباداتها وعامل أهلها بالعدل والحلم ورتب ادارتها ونظم سياستها وبنى فيها كثيرا من المباني الرفيعة والحصون المنيعة ووصلت الى درجة عظيمة في العلوم والتقدم والراحة والتنعم وقد اقتفى أثر الاسكندر في معاملة المصريين باللين والرفق عظماء البطالسة الاول فأصلحوا البلاد واحترموا نظاماتها ولم يتعرضوا لتغيير شيء من عاداتها ولا عباداتها فضلا عن ادخال كثير من التحسينات اليونانية فيها حتى وصلت في مدتهم الى حالة جديدة لم ترها من مدة مديدة وصارت محط رحال العلماء ومركزا لاكابر الفضلاء وان كانت نزلت بعد ذلك عن رتبتها وأخذت تقل بهجتها وقوتها في أواخر عهد هذه الاسرة بما حصل من النزاع لاغراض شهوانية أو العاب قسوانية فان ما تركته هذه الاسرة فيها من العمارات والمباني والتقدم المادي والادبي لدليل ناطق بفضلها شاهد بمدلها وأما في عهد الرومان فقد ذاقت الذل والهوان وكانت في أغلب أوقاتها غير مقتنعة براحة البال وانها دائما ذائقة للنكال صائرة الى الدمار والوبال فكم قتلت بها نفس بريئة بنفس مسيئة وكم اضطهدت فيها النصارى وبأتوا في ديارهم حيارى غير آمنين على الابناء ولا يمكنهم المحافظة على أعراض النساء وكم خضب الروم أرض القطر بالدماء وما ذلك الا لمنازعات دينية ومخالفات اعتقادية ومن ذا الذي يجهل سفك الدماء وينسى تاريخ الشهداء ومازال النواب الرومانيون يسومونهم سوء العذاب مطلقي التصرف كأنهم هم القياصرة الى أيام قسطنطين الذي نقل قاعدة المملكة الرومانية الى القسطنطينية

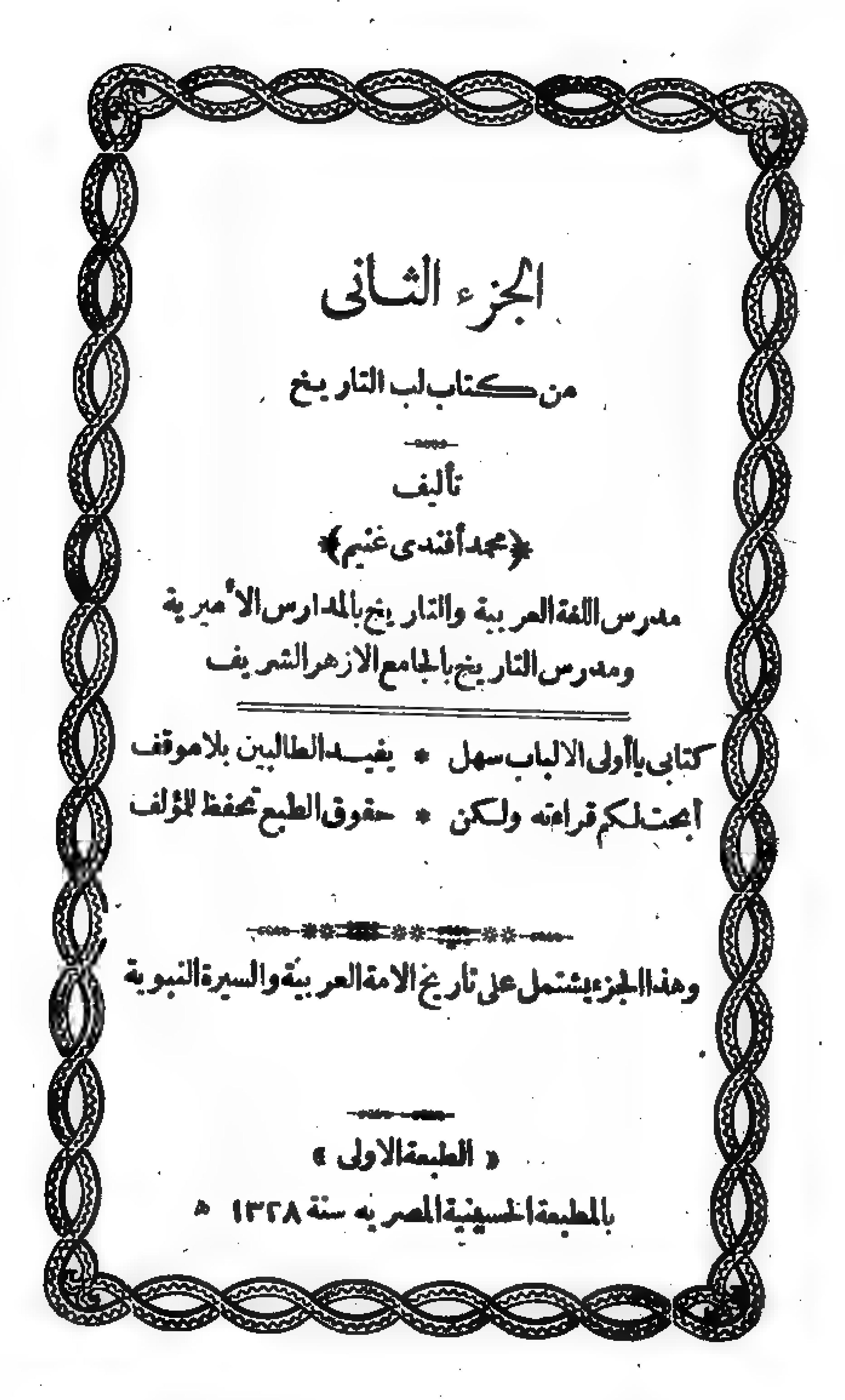
فانه غير حالة مصر الادارية وفصل الادارة الملكية عن العسكرية وعهد برياسة الجيوش الى قائد عسكرى يعينه القيصر من قبله وقصر المتصرف السياسى على ادارة الاقاليم والاشتغال بأعمال الرى وماشا كل ذلك من لوازم البلاد ومع ذلك فان البلاد لاتزال فى اضطراب ذائقة أنواع العذاب ولم تستفد منهم أدنى فائدة سوى ارشاد أهلها الى اتباع الدين المسيحى ولكنهم لم يرشدوهم اليه بالحسنى بل ان طيودوس لما أمرهم باتباعه أمر بهدم المعابد المصرية والهياكل الأهلية وأمر بطريق الاسكندرية بتنفيذ ذلك الامر فحمله التعصب على أن يفعل من العنف والجبروت مالم يسمع بمثله فى وقت آخر لمحو آثار ديانة قديمة واتباع شريعة أخرى فانه قد أعدم ماوجد من الفنون المصرية وكسر الاصنام وأبواب المعابد وشتت الكتب التى كانت من أنفس النخائر المصرية والكنوز الاثرية العلمية حتى سبب ذلك دمار كثير مما كان يمكن أن يبقى الى الآن فنعرف به ماوصلت اليه مصر من العلوم فى غابر الازمان وربما انتفعنا بشئ من آثاره واخترنا كثيرا من مختاره قطع الله دابر المفسدين وأوقع بالمعتدين

الدور الثانى المسيحى

هذا الدور عبارة عن بقية حكم الدولة الرابعة والثلاثين الرومانية الى الفتح الاسلامى ومدته من سنة ٣٨١ الى سنة ٦٤٠ ب م

بعد اصدار الملك طيودوس أمره باتباع دين المسيح عليه السلام عاش أربع عشرة سنة مجتهدا فى تقوية هذا الدين وتوطيد دعائمه ونشره فى جميع البقاع مات سنة ٣٩٠ بعد الميلاد وبموته انقسمت المملكة الرومانية بين ولديه الى مملكتين الاولى المملكة الغربية وعاصمتها رومة وملكها (اونوريوس) بن طيودوس وكان منها ايطاليا وبريطانيا واسبانيا

وافريقية الشمالية الامصر وكانت اللغة الغالبة فيها هي اللاتينية (والثانية) المملكة الشرقية وعاصمتها القسطنطينية وملكها (أركاديوس) بن طيودوس أيضا وكان منها ولايات أسيا الممتدة الى الفرات ومصر في افريقية وقسم آخر في أوروبا واللغة الغالبة فيها هي اليونانية وكان هذا الانقسام كأنه اشارة الى قرب اضمحلال هذه الدولة وانحلالها لانه بعد هذا التقسيم حصل الخلاف بين الدولتين وقام الشقاق بسبب الانقسامات الدينية على قدم وساق واشتد الجدال فافضى الى النزال في ساحة القتال وهلك كثير من رجال الدولتين ولم يرجعوا الا بخفي حنين ولم تكن هذه الطامة فقط بل كان الخلاف مستقرا أيضا بين الروم والقبط بسبب اختلافهم في مذاهبهم الدينية وطالما سفكت الدماء بسبب ذلك واستحكمت العداوة والبغضاء بين الفريقين ولم يزل الجدال يكثر والبغضاء تتزايد الى ان تولى بعد عدة قياصرة الملك (هرقل) الذي تولى سنة ٦١٠ بعد الميلاد وكانت دولة الروم آخذة في الهبوط نازلة الى أسفل درجات التقهقر مهددة من جميع أطرافها وكان عامله على مصر المقوقس الذي في عهده فتحت مصر على يد عمرو بن العاص في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبهذا الفتح قد انفتح لمصر باب مجد جديد وزال عن أهلها ما كان من جور الروم الذين كم خضبوا أرضها بدماء أهلها وانقضى الدور المسيحي وجاء الدور الاسلامي وأصبحت دار اسلام وعدل تتوالى عليها الولاة من قبل الخلفاء الراشدين ومن وليهم من الملوك والسلاطين الى ان صارت مشمولة برعاية الاسرة المحمدية العلوية مستظلة بظل الدولة العثمانية العلية أيد الله سلطانها وقوى بنيانها حتى تبقى في أحسن حال وتصل الى غاية الرفعة والكمال



الجزء الثانى

من كتاب لب التاريخ

تأليف

﴿محمد افندى غنيم﴾

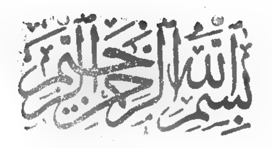
مدرس اللغة العربية والتاريخ بالمدارس الأميرية
ومدرس التاريخ بالجامع الازهر الشريف

كتابى يا أولى الالباب سهل * يفيد الطالبين بلا موقف
أبحت لكم قراءته ولكن * حقوق الطبع تحفظ للمؤلف

وهذا الجزء يشتمل على تاريخ الامة العربية والسيرة النبوية

« الطبعة الاولى »

بالمطبعة الحسينية المصريه سنة ١٣٢٨ هـ



(بلاد العرب وموقعها وحدودها)

بلاد العرب هي شبه جزيرة وتسمى عند مؤرخي العرب جزيرة العرب وهي في الجنوب الغربي لآسيا ويحدها شمالا الشام وفلسطين والجزيرة والعراق وشرقا الخليج الفارسي وبحر عمان والعراق وجنوبا خليج عدن وبحر عمان وغربا قناة السويس والبحر الاحمر

(أقسام بلاد العرب)

تنقسم بلاد العرب الى ثمانية أقسام

(الاول) الحجاز وهو في الجنوب الشرقي لشبه جزيرة طور سيناو في الغرب من بلاد العرب ويمتد على ساحل البحر الاحمر وفي الغرب من نجد وبه مكة المشرفة والمدينة المكرمة والطائف ويلحق به أقليم تهامة الممتد من سفح الجبل الى البحر وبه مدينة قنفذة

(الثاني) اليمن في جنوب الحجاز على البحر الاحمر أيضا وهو عبارة عن الجزء الجنوبي الغربي من بلاد العرب وفي شماله بلاد عسير وبه عدة مدن شهيرة كصنعاء ومأرب وسبأ وبلاد اشتهرت بتجارة البن مثل عدن ومخا والحديدة

(الثالث) حضرموت وهو مشابه لليمن فى مزاياه الطبيعية وفى شرقيه ويمتد على ساحل بحر عمان ومن أشهر مدنه ظفار وشيبان وهو مشهور بالعود الة قلى الطيب الرائحة

(الرابع) اقليم مهرة شرقى حضرموت الا انه أقل خصبا منه

(الخامس) أقليم عمان ويقال له أيضا شحر عمان وهو على الخليج الفارسى وبحر عمان ومن أشهر مدنه مسقط ورستة وصحار

(السادس) الاحساء ويسمى البحرين أيضا لوقوعه على بحر عمان وبحر فارس ويمتد من عمان الى البصرة وبه مغاص اللؤلؤ ومن أشهر مدنه المفوف والقطيف على بحر عمان

(السابع) نجد فى وسط الجزيرة بين الحجاز والاحساء وصحارى الشام وأقليم اليمامة ومن أشهر مدنه الرياض قصبة الوهابيين وبه أرض العالية

(الثامن) أقليم الاحقاف وهو بين عمان والاحساء ونجد وحضرموت ومهرة وحاله مجهول الآن لعدم امكان السير فيه لان بقاعه رملية تغوص فيها الاقدام ويغرق الانسان فيها كما يغرق الجسم الثقيل فى الماء وكان أولا مسكنا لقوم عاد الذين كانوا فى غاية من القوة والتجبر ونصوا على انه كان من أخصب بلاد العرب وبه جنات وعيون ومبان رفيعة وحصون منيعة وبه قبر هود عليه السلام على أشهر الاقوال ويلحق به بعضهم أرض اليمامة

(أمة العرب وأنسابها وتقسيمها الى بدو وحضر)

العرب أمة متميزة من قديم الزمان بمساكنها وأنسابها وعوائدها وصفاتها ولغتها ومعتقداتها وهم من نسل سام بن نوح عليه السلام وأخبار عصورهم الخالية ضعيفة جدا وما ورد منها قبل الاسلام غالبه من قبيل الخرافات التى لا يعتمد عليها ولا يسلم العقل بها وان كان بعضها صحيحا فانه لا يمكن تمييزه من الباطل وهم ينقسمون الى بدو وحضر فالحضر هم سكان المدن

والبدو هم سكان الوبر ولما خصهم الله به من الفصاحة والابانة فى القول سموا عربا من قولهم أعرب الرجل عما فى ضميره اذا ابانه وقيل فى وجه التسمية غير ذلك

(تقسيم العرب الى طبقات)

قد قسمت هذه الامة الى ثلاث طبقات البائدة والعاربة والمستعربة

أما العرب البائدة فهم الاعراب الاولون الذين بادوا ودرست آثارهم ولم يبق لاكثرهم ذكر لتطاول الاحقاب وانقطاع السند

(وأما العاربة) فهم العرب الحقيقيون الذين أبادوا من بقى من البائدة وتوطنوا مكانهم وكلهم من نسل قحطان بن عابر ولذلك يقال لهم القحطانية أيضا

(وأما المستعربة) فهم الذين انضموا الى العرب العاربة وليسوا عربا فى الاصل وأخصهم ولد اسماعيل عليه السلام

(العرب البائدة)

أول من ورد ذكرهم من هذه الطبقة قوم عاد وهم بنو عاد بن عوص بن ارم بن سام وكانوا يسكنون الاحقاف قال تعالى واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وهم من أقدم الامم بعد قوم نوح وفى غاية من القوة وبسطة الجسم قال تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة وكان عاد فيما يقال أول من ملك من العرب وطال عمره وكثر ولده وعظم أمره وامتدت سلطته على الاطراف البعيدة ثم ان قوم عاد بعد ان ضخم ملكهم وعظم شأنهم زمنا طويلا كثر طغيانهم وعتوهم فانصلوا لعبادة الاوثان فبعث الله اليهم أخاهم هودا فوعظهم ونهاهم عن عبادتها وأمرهم بعبادة الله تعالى فآمن به بعضهم وبعضهم لم يؤمنوا فأهلك الله الذين لم يؤمنوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال

وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية وأما هود ومن آمن معه فانهم اعتزلوا فى حضيرة وبقى هود كذلك حتى مات ويقال انه كان لهم فى عهده ملكان الخلجان ولقمان فآمن لقمان وقومه وكفر الخلجان وقومه فحبس الله عنهم المطر ثلاث سنين وبعثوا الى مكة يستقون فلم يجابوا وأهلكهم الله تعالى وأما القلمان وقومه فبقى ملكهم متصلا نحو ألف سنة حتى غلبهم يعرب بن قحطان واعتصموا بجبال حضرموت الى ان انقرضوا

(ومنهم ثمود)

وهم ثمود بن كاسر بن ارم كانت ديارهم بالحجر ووادى القرى بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا كأنهم سكنوا المغارات فى الجبال كما تحقق من آثارهم وكانوا كفارا فبعث الله اليهم صالحا ينذرهم فما آمن به الا قليل وكان رئيس كفارهم رجلا يسمى قدار وعاهدوا صالحا حين دعاهم على انه ان يخرج لهم من صخرة معينة ناقة آمنوا به فدعا الله فأخرجها لهم وولدت فصيلا فلم يؤمنوا وعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم فأهلكوا بعد ثلاثة أيام بصيحة من السماء تقطعت بها قلوبهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين وسار صالح الى فلسطين ثم الى الحجاز وبقى يعبد الله حتى مات

(ومنهم طسم وجديس)

من ولد كاسر او جاثر وهاتان القبيلتان سكنتا اليمامة وكان عليها ملك واحد من طسم فقام منها ملك ظلوم سن ان لا تزف عروس الى زوجها حتى يفترعها فأنفت منه جديس فدبروا له مكيدة ودعوه الى وليمة فلما حضر أهلكوه هو وقبيلته وهرب منهم رجل وشكا أمره الى ملك اليمن وانتصر به على جديس فأجابه وسار اليهم وأفناهم ولم يبق لطسم وجديس ذكر بعد ذلك

(ومنهم العمالقة)

وهم من نسل عمليق بن لاوذ بن سام كانوا بصنعاء من اليمن ثم تحولوا الى الحرم وأهلكوا من قابلهم من الامم وانتشروا فى الحجاز وفى شبه جزيرة طور سيناء ورحل منهم طائفة الى الشام وكان لهم فيها ديار واسعة ومنهم من رحل الى مصر وامتلكها والظاهر انهم كانوا طوائف شتى وكان يضرب بهم المثل فى القوة والجسمان

(ومنهم أميم)

وهم من ولد أميم بن لاوذ وكانوا شعوبا ومنهم وبار بن أميم نزلوا برمل عالج بين اليمامة والشحر وانهالت عليهم الرمال فأهلكتهم

(ومنهم عبيل)

وهم اخوان عاد بن عوص فيما قاله الكلبى واخوان عوص بن ارم فيما قاله الطبرى وكانت ديارهم بالجحفة بين مكة والمدينة وأهلكهم السيل

(ومنهم عبد ضخم)

وهو ابن ارم قال الطبرى كان مسكنهم الطائف وهلكوا فيمن هلك من ذلك الجيل وقال غيره انهم أول من كتب بالخط العربى

(ومنهم حضورا)

وكانت ديارهم بالرس وكانوا يعبدون الاوثان فبعث الله اليهم نبيا منهم اسمه شعيب بن ذى مهرع فكذبوه فهلكوا كما هلك غيرهم من الامم المعاندين وهؤلاء الذين ذكروا من هذه الطبقة هم أشهرها وكان لكل منهم ملوك وآطام وقصور ومصانع كما أورده ابن خلدون فبادوا جميعا ولم يبق منهم أحد وليس فى التواريخ أسقم من تواريخ هذا الجيل لبعده وكثرة الخلاف فيه وانقطاع سنده وجهل الكثير منه الا ما ورد به الكتاب العزيز تبصرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

كيف لا وقد قال الله تعالى وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ومن تأمل فيما قصه الله فى كتابه من أحوالهم وبسطه المفسرون وحكاه المؤرخون علم ان سبب ابادتهم انما هو طغيانهم وتجبرهم وكفرهم وتكبرهم وانخداعهم بقوة السلطان وعظيم البنيان وضخامة الجسمان واتباع هوى النفس والشيطان وتكذيب الانبياء والاعتداء على الضعفاء فانهم أضروا بالعباد وطغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد ولله در القائل

لاتظلمن اذا ما كنت مقتدرا ✵ فالظلم آخره يأتيك بالندم

وما أحسن قول الآخر

ولا تظلم اذا أوتيت ملكا ✵ فان الظلم مرتعه وخيم

(العرب العاربة)

هذه الطبقة من نسل قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ومنهم بنو جرهم وكانت ديارهم باليمن وهاجم بنو قحطان قوم عاد وسكنوا امكانهم وكان ملكهم اذذاك يعرب بن قحطان قال ابن خلدون ان يعرب بن قحطان لما غلب عادا على اليمن ونزعه من أيديهم ولى اخوته على الاقاليم وولى أخاه جرهما على الحجاز واتصل نسبه باسماعيل عليه السلام (ومنهم) حضرموت الذى سميت باسمه هذه البلاد وكان لهم فيها ملوك أقوياء وكان يعرب المذكور من أشهر ملوكهم ويقال انه أول من تكلم بالعربية من القحطانية ولما مات ملك بعده ابنه يشجب ولم يكن فى القوة كأبيه فخرج عليه بعض من ولاهم أبوه على البلاد فقهروه وتملك بعده ابنه عبد شمس الملقب بسبأ وكان له عدة اولاد أشهرهم حمير وكهلان وعمرو واشمر وعاملة ومن نسل الاول أغلب سكان الامصار ومن نسل الثانى أغلب سكان الوبر

وكان لبنى حمير شهرة عظيمة حتى ذكرهم مؤرخو اليونان والرومان وجميع قبائل اليمن وملوكه التبابعة من نسل حمير بن سبأ الا عمران واخاه مزيقيا فانهما من نسل ولده كهلان على المشهور ومن أولاد سبأ تفرعت جميع العرب العاربة

(العرب المستعربة)

هم الذين دخلوا فى العرب واستعربوا من غير القحطانية واخصهم ولد اسماعيل عليه السلام وسبب توجه اسماعيل الى بلاد العرب انه لما غارت سارة من هاجر أمر الله تعالى خليله ان يخرج اسماعيل وأمه الى الحجاز وكانت أرضا خالية من الماء والزرع فخرج ابرهيم عليه السلام باسماعيل وأمه وقدم بهما الى مكة وأنزلهما بموضع الحجر كاأمر وجعلهما فى كفالة الله تعالى ودعا لهما بقوله ربِ انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى ذرع الآية فأنبع الله لهما ماء زمزم اكراما وأتاهما قوم من جرهم وانضموا اليهما وتعلم اسماعيل العربية منهم وبعد مدة زاره أبوه ورفعا قواعد البيت ثم تزوج اسماعيل بنت مضاض سيد جرهم فولدت منه اثنى عشر ولدا اذكرا صاروا فيما بعد اثنتى عشرة قبيلة ومنهم (قيدار)

واختلف فى أمر الملك على الحجاز بين جرهم و بين ولد اسماعيل فمن قائل كان الملك فى جرهم ومفتاح الكعبة وسدانتها فى يد ولد اسماعيل ومن قائل ان قيدار توجه اخواله وجعلوه ملكا عليهم وأما سدانة البيت ومفاتيحه فكانت مع ولد اسماعيل بلا خلاف حتى انتهى ذلك الى نابت من ولد سماعيل ثم انتقلت لجرهم ثم ولد لقيدار ابنه حمل ثم ولد لحمل نبت وقيل ان نبت من ولد اسماعيل ثم ولد لنبت سلامان ثم ولد لسلامان (الهميسع) ثم ولد للهميسع (اليسع) ثم ولد لليسع (أدد) ثم ولد لادد (أد) ثم ولد لاد (عدنان) الذى ينتهى اليه النسب النبوى الشريف بلا خلاف ثم

ولد لعدنان (معد) ثم لمعد (نزار) ثم ولد لنزار أربعة منهم (النضر) على عامود النسب النبوى وثلاثة خارجون عنه وأولهم (اياد) وهو أكبر من مضر واليه ينتهى نسب كل ايادى من بنى معد وفارق اياد الحجاز وسار باهله الى أطراف العراق (والثانى ربيعة بن نزار) ويعرف بربيعة الفرس لانه ورث الخيل من مال أبيه وولد لربيعة المذكور أسد وضبيعة ثم ولد لاسد جديلة وعنزة ومن جديلة وائل ومن وائل بكر وتغلب ابنا وائل فمن تغلب كليب ملك بنى وائل ومن بكر بن وائل بنو شيبان ومن رجالهم مرة وابنه جساس قاتل كليب ومن بكر بن وائل أيضا بنو حنيفة ومنهم مسيلمة الكذاب وأما عنزة فمنه بنو عنزة وهم أهل خيبر وأما ضبيعة بن ربيعة فمن ولده المتلمس الشاعر ومن قبائل ربيعة النمر ولجيم وعجل وبنو عبد القيس وسدوس واللهازم (والثالث) من ولد نزار الذين على غير عمود النسب (أنمار) ومضى الى اليمن وتناسل بها ولذلك حسب من العرب اليمانية ثم ولد لمضر (الياس) على عمود النسب النبوى وولد له خارجا عن عمود النسب عيلان وولد لعيلان قيس وقد جعل الله البركة فى بنيه فبلغوا مبلغا عظيما فمن ولده قبائل هوازن ومن هوازن بنو سعد بن بكر ابن هوازن الذين ارتضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبائل قيس بنو كلاب وصار منهم أصحاب حلب وكان أولهم صالح بن مرداس ومن قيس قبائل عقيل بضم العين وفتح القاف الذين كان منهم ملوك الموصل المقلد وقراوش وغيرهما ومن قيس أيضا بكر وبنو هلال وثقيف وهم أهل الطائف ومن قيس أيضا بنو عبس الذين منهم عنترة العبسى ومن قيس أيضا بنو ذبيان ومن بنى ذبيان بنو فزارة منهم حصن ابن حذيفة بن بدر وكثير غيرهم

ولنرجع الى ذكر الياس بن مضر ولد له (مدركة) على عمود النسب وولد له

خارجا عنه طابخة بن الياس وبعضهم ينسب مدركة وطابخة الى أمهما خندف وجميع ولد الياس منها واليها ينسبون دون أبيهم وصار من طابخة الخارج عن عمود النسب عدة قبائل ثم ولد لمدركة بن الياس (خزيمة) ابن مدركة على عمود النسب وولد له خارجا عنه هذيل ومنه جميع قبائل الهذليين ثم ولد لخزيمة بن مدركة المذكور (كنانة) على عمود النسب وولد له خارجا عنه الهون وأسد فمن الهون عضل بفتح العين المهملة والضاد المعجمة ومنه أيضا الديش بن الهون وهو أخو عضل وأما أسد بن خزيمة فمنه الكاهلية ودودان وغيرهما واليه يرجع كل أسدى ثم ولد لكنانة بن خزيمة المذكور (النضر) على عمود النسب وولد له خارجا عنه عدة أولاد وهم ملكان وعبد مناة وعمرو وعامر ومالك فصار من ملكان بنو ملكان وصار من عبد مناة عدة بطون منهم بنو غفار وبنو بكر ومن بكر الدؤل ومن بطون عبد مناة أيضا بنو ليث وبنو الحرث وبنو مدلج وبنو ضمرة وصار من عمرو بن كنانة العمريون ومن أخيه عامر العامريون ومن مالك بن كنانة بنو فراس وأما النضر المذكور فقد قيل انه قريش والصحيح أن قريشا هم بنو فهر الذي سنذكره وولد للنضر المذكور (مالك) على عمود النسب ولم يشتهر له ولد غيره ثم ولد لمالك (فهر) على عمود النسب وهو قريش فكل من كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس قرشيا ولم يولد لمالك غير فهر المذكور على عمود النسب وولد لفهر (غالب) على عمود النسب وولد له خارجا عنه ولدان محارب والحرث فمن محارب بنو محارب ومن الحرث بنو الخلج ثم ولد لغالب (لؤى) على عامود النسب وولد له خارجا عنه تيم الادرم ومنه بنو الادرم ثم ولد للؤى ستة أولاد وهم (كعب) على عامود النسب وخمسة خارجون عنه وهم سعد وخزيمة والحرث وأسامة ولكل منهما ولد ينسبون اليه

الا الحرث ومن ولد عامر بن لؤى عمرو بن عبدود ثم ولد لكعب (مرة) على عمود النسب وولد له خارجا عنه هصيص وعدى فمن هصيص بنو جمح ومن مشاهيرهم أمية بن خلف وأخوه أبى وكانا كثيرا العداوة للرسول ومن هصيص أيضا بنو سهم ومن بنى سهم عمرو بن العاص ومن عدى بن كعب بنو عدى ومنهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد من العشرة ثم ولد لمرة على عمود النسب (كلاب) وولد له خارجا عنه تيم ويقظة ابنا مرة فمن تيم بنو تيم ومنهم أبو بكر الصديق وطلحة من العشرة رضى الله عنهم ومن يقظة بنو مخزوم نسب خالد بن الوليد وأبى جهل بن هشام واسمه عمرو بن هشام المخزومى ثم ولد لكلاب (قصى) بن كلاب على عمود النسب وولد له خارجا عنه زهرة بن كلاب ومنه بنو زهرة نسب سعد بن أبى وقاص أحد العشرة ونسب آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسب عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وقصى المذكور كان عظيما فى قريش وهو الذى ارتجع مفاتيح الكعبة من خزاعة بحيلته المشهورة وهو الذى جمع قريشا واثل مجدهم ثم ولد لقصى المذكور (عبد مناف) ابن قصى على عمود النسب وولد له خارجا عنه عبد الدار وعبد العزى ابنا قصى فمن عبد الدار بنو شيبة الحجبة ومن ولد عبد الدار النضر بن الحرث وكان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرا يوم بدر ومن عبد العزى بن قصى الزبير بن العوام أحد العشرة ومن ولد عبد العزى أيضا خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم ومن بنى عبد العزى أيضا ورقة بن أسد بن عبد العزى ابن قصى وولد لعبد مناف (هاشم) على عمود النسب وولد له خارجا عنه عبد شمس والمطلب ونوفل أولاد عبد مناف فمن عبد شمس أمية ومنه بنو أمية ومنهم عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس

ومعاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية وسعيد بن العاص بن أمية وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس وبنت عتبة المذكور هند أم معاوية وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة صبرا يوم بدر ومن المطلب بن عبد مناف المطلبيون ومنهم الامام الشافعي ومن نوفل النوفليون ثم ولد لهاشم (عبد المطلب) على عمود النسب ولم يعلم لهاشم ولد غيره وولد لعبد المطلب (عبد الله) على عمود النسب وولد له خارجا عنه جميع اعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم حمزة والعباس وأبو طالب وأبو لهب والغيداق ومنهم من يقول هو حجل الآتي ستذكره والحرث وحجل والمقوم وضرار والزبير وقثم درج صغيرا وعبد الكعبة ومنهم من يقول هو المقوم ثم ولد لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام الفيل ولم يولد له سواه

وحاصل قصة الفيل ان الحبشة لما ملكوا اليمن بعد حمير بنوا بها كنيسة عظيمة وارادوا تحويل الحج اليها فجاء بعض العرب واحدث فيها فغضب أبرهة لذلك فسار بجيشه ومعه الفيل المشهور

وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلا ليهدم الكعبة فلما وصل الى الطائف بعث الى مكة فساق نعمها اليه وأرسل الى قريش قائلا لست أقصد الحرب وانما جئت لهدم البيت فقال عبد المطلب خلوا بينه وبينه فان منعه الله عنه فهو بيته وحرمه وان مكنه منه فوالله ما عندنا من دفع ثم انطلق عبد المطلب مع رسول أبرهة فأكرمه ونزل عن سريره وجلس معه وسأله في حاجته فطلب منه رد ابله التي أخذت فقال ابرهة اني كنت أظن انك تطلب مني عدم هدم الكعبة التي هي دينك فقال عبد المطلب أنا رب الابل أسأل عنها والبيت رب يمنعه فأطلقها له وتوجه قاصدا هدم الكعبة ولما قارب مكة وتهيأ لدخولها بقي كلما وجه فيله اليها نام و يرمي بنفسه الى

الارض فاذا صرفوه عنها قام يهرول و يفما هم كذلك اذ أرسل الله عليهم طيرا ابابيل أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار فى منقاره ورجليه فقذفتهم بها وهى مثل الحمص والعدس فلم يصب أحدا منهم الا هلك وليس كلهم أصابت ثم أرسل الله سيلا فالقاهم في البحر والذى سلم منهم ولى هاربا الى بلاد اليمن مع أبرهة وأصيب أبرهة و وصل كذلك الى صنعاء ومات بها

(ملوك العرب قبل الاسلام)

كان للعرب ملوك قبل الاسلام ملكوا أحقابا متطاولة ومن أشهر ملوكهم ملوك اليمن فانهم كانوا من العظمة والقوة بمكان حتى ذكرهم مؤرخو اليونان والرومان كما سبق التنبيه عليه وان غاب عنا كثير من اخبارهم ولم نعرف جميع أطوارهم وأحوالهم فان ما وصل الينا يكفى فى معرفة ما كان لهم من قوة السلطان ورفيع البنيان وانهم كانوا فى درجة عالية من الحضارة والتقدم

(ملوك اليمن)

قد قسمت ملوك اليمن الى دولتين الاولى ملوك اليمن غير التبابعة والثانية التبابعة

وحكم الاولى من نحو سنة ١٨٤٠ ق م الى سنة ١٧٠ ب م وعدد ملوكها تسعة وعشرون ملكا

(الاول) قحطان بن عابر وكان ملكه نحو سنة ١٨٤٠ ق م وهو أول من ملك اليمن ولبس التاج وكان عادلا محمود السيرة كثير السماحة والجود (الثانى) ابنه يعرب وهو أول من نطق بالعربية من القحطانية وكان فصيحا كريما ويقال انه أول من حياه قومه بتحية الملك وكان عظيم السلطان (الثالث) يشجب بن يعرب ولم يكن فى القوة كأبيه فخرج عليه بعض من ولاهم أبوه على البلاد فقهروه (الرابع) عبد شمس الملقب بسبأ وهو ابن

يشجب وكان عظيم البأس كثير الفتوحات وهو أول من سبى السبايا وساقها الى بلاد اليمن ولذلك لقب بسبا (الخامس) حمير بن سبأ وعاش عمرا طويلا وبنى مدنا كثيرة وفتح بلادا عديدة (السادس) وائل أو وائل بن حمير ولم يفعل شيأ يذكر (السابع) السكسك بن وائل ولم يؤثر عنه شيء (الثامن) يعفر بن السكسك ولم يشتهر عنه شيء (التاسع) عامر ابن عوف بن بازان بن حمير وكان يلقب بذي الرياش لان يعفر لما مات كان ابنه النعمان صغيرا وقيل كان جنينا وعزم على قتل النعمان فلم تساعده حمير وخلفوا طاعته وولوا النعمان (العاشر) النعمان بن يعفر وكان مدبرا شجاعا صاحب سطوة وقوة وصبر على الشدائد وله غزوات كثيرة (الحادى عشر) السمح بن النعمان لقب غلب عليه لكثرة سماحته وجوده (الثانى عشر) شداد بن عاد بن الملطاط غزا المغرب وبنى مدنا كثيرة (الثالث عشر) لقمان بن عاد وكان عادلا شجاعا أصيل الرأي عاش عمرا طويلا (الرابع عشر) ذو سدد أخو لقمان ولم يؤثر عنه شيء

(الخامس عشر) الحارث بن سعد وكان يلقب بالرائش لانه راش الناس فى أيامه لكثرة ما كان يصلهم من الخير فى زمنه (السادس عشر) الصعب ابن الرائش الملقب بذى القرنين وكان كثير المغازى والفتوحات وروى عن ابن عباس وغيره أنه هو الذى ذكره الله فى كتابه العزيز (السابع عشر) أبرهة بن الصعب وكان يلقب بذى المنار لانه أول من ضرب المنار على طريقه فى مغازيه ليهتدى بها فى رجوعه وغزا غزوات كثيرة

(الثامن عشر) أفريقش بن ذى المنار كان كثير المغازى أيضا فغزا أرض المغرب وبنى بها مدينة عظيمة ووصل الى أقصى العمران من جهات المغرب (التاسع عشر) عمرو أخو افريقش وكان يلقب بذى الاذعار وكان ظالما كثير الكبرياء والعظمة وقد أوصاه أبوه أبرهة ذو المنار بحسن

السير والسلوك بين الرعية فلم يكترث بوصيته بل بالغ في الجور والظلم حتى كرهته الرعية وخلعوه بعد ان حكم عشر سنين (العشرون) شرحبيل بن عمرو بن غالب بن المنتاب كان عادلا شجاعا شديد البأس وهو الذى بنى قصر غمدان بظاهر صنعاء وكان مقر ملكه مدينة مأرب فلما بنى هذا القصر أقام فيه ما بقى من حكمه ثم صار بعده محل اقامة ملوك اليمن الى ان انقرضوا ومدة حكمه عشرون سنة (الحادى والعشرون) الهدهاد بن شرحبيل ولم يؤثر عنه الا أنه كان منهمكا في اللذات طول حياته (الثانى والعشرون) بلقيس بنت شرحبيل وقد وفدت على سليمان عليه السلام وكان بينها وبينه ما كان مما قصه الله فى القرآن وكانت مدة حكمها ١٣ سنة (الثالث والعشرون) عامر عم بلقيس وكان يلقب بناشر النعم لكثرة انعامه على الناس غزا بلاد المغرب وتوغل فيها ثم رجع بعد ان هلك أكثر عساكره وكانت مدة حكمه ٣٠ سنة (الرابع والعشرون) شمر يرعش بن مالك وكان كثير المغازى والفتوحات غزا بلاد المشرق فدخل أرض العراق ثم ارتحل عنها قاصدا بلاد الصين وجعل طريقه على فارس فافتتحها ثم سار منها الى بلاد الصين فقاده الدليل الى أرض مجدبة فهلك هو وجميع عساكره ومدة حكمه ٣٧ سنة

(الخامس والعشرون) أبو مالك بن شمر يرعش ولما تولى عزم على السير الى بلاد الصين ليأخذ بثار أبيه فبلغه وجود معدن من الزمرد فى بلاد المغرب فطمع فى ذلك وسار اليها فهلك فى الطريق (السادس والعشرون) وبموت أبى مالك انتقل الملك من ولد حمير بن سبا الى ولد أخيه كهلان فولى الملك منهم (عمران) بن عامر الازدى وكان معروفا بالكهانة (السابع والعشرون) عمرو بن عامر أخو عمران المتقدم ويلقب بمزيقيا لانه كان يلبس كل يوم حلة مذركشة بالذهب فاذا أمسى مزقها لانه يأنف

ان يعود اليها أو يليهما سواه (الثامن والعشرون) وبموت مزيقيا عاد الملك ثانيا الى بني حمير فملك منهم الاقرن وهو ابن أبي مالك ولم يؤثر عنه شيء وحكم ٥٣ سنة (التاسع والعشرون) ذو جيشان وهو ابن الاقرن وهو آخر ملوك الدولة الاولى وكانت وفاته سنة ١٧٠ ب م ومدة حكم هذه الدولة ٢٠٢٠ سنة

(الدولة الثانية)

حكمت من سنة ١٧٠ الى سنة ٥٢٩ م والذين اشتهروا من ملوكها تسعة عشر ملكا (الاول) تبع الاقرن كان قوي العزيمة وغزا غزوات عديدة ولذلك استحق أن يكون أول التبابعة (الثاني) ملكي كرب ولم يؤثر عنه شيء وهو ابن تبع الاول (الثالث) أسعد بن عمرو من ولد ذي جيشان وهو تبع الاوسط وكان كثير المغازي والفتوحات شديد الوطأة فكرهته حمير وقتلته (الرابع) حسان بن تبع الاوسط جعل يتتبع قاتلي أبيه ويقتلهم فكرهوه وبايعوا أخاه عمرا بشرط قتل أخيه فقتله (الخامس) عمرو بن تبع وتواترت عليه الامراض فلزم الفراش وقيل له الموثبان واختلفت بعده أحوال حمير وبقيت مدة مضطربة لا يعلم من أمرها شيء من نهاية ملك ذي الاعواد الى أن تولى أمر الملك السها (السادس) (السها) ويقال ان هذه المدة حكم فيها ملك لم يعلم خبره وبعضهم يقول أربعة ملوك (٦) ثم تملك السها ولم يؤثر عنه شيء وأسقطه بعضهم (السابع) عبد كلال بن الموثبان وكان يدين بالنصرانية (الثامن) حسان تبع وهو تبع الاصغر (التاسع) الحرث بن عمرو بن الموثبان (العاشر) مرثد بن كلال ولم يؤثر عنه شيء (الحادي عشر) وكيعة بن مرثد وكان مذموم السيرة واهن العزيمة يتدين باليهودية تارة وبالنصرانية أخرى ولذلك حصل اضطراب عظيم في مدته أدى الى خلعه (الثاني عشر) ثم ملك بعده أبرهة بن الصباح وكان كريما جوادا مقصودا من كل جانب لين

الجانب حسن الحديث والمحاضرة (الثالث عشر) صهبان بن محرث وكان شجاعا كثير الغزوات قتله السفاح التغلبي يوم حزاز (الرابع عشر) الصباح بن أبرهة كان شديد القوة لما تولى قام يطلب دم صهبان فدارت الدائرة عليه فقتل (الخامس عشر) حسان الثاني وقيل أبرهة بن الصباح ولم يتعرض لبني معد وفي أيامه كانت حرب البسوس بين بني بكر وتغلب (السادس عشر) ذو الشناتر وكان قبيح السيرة ولذلك قتله ذو نواس الذي تولى الملك بعده (السابع عشر) ذو نواس وهو ذرعة بن كعب الحميري من سلالة الحرث الرائش وهو صاحب الاخدود وأعجبته اليهودية فاعتنقها ودعا اليها وكان من لا يجيبه القاه في الاخدود وهو حفرة قد حفرها وأضرم فيها النار وتعدى على نصارى نجران وفعل بهم كذلك فهرب بعضهم وشكاه لملك الحبشة لما بينهما من الوحدة الدينية فحضر وقاتله وهزمه فلما خاف على نفسه الاسر اقتحم بجواده البحر ومات (الثامن عشر) ذو جدن الحميري ولم تدعه الحبشة أن يتمكن من الملك بل حاربوه وهزموه فاقتحم البحر ولحق بسابقه (التاسع عشر) ذو يزن الحميري وهو آخر ملوك اليمن من الدولة الثانية وبعده آل ملك اليمن الى الحبشة

(ذكر استيلاء الحبشة على اليمن من سنة ٥٢٩ الى سنة ٦٠١ م)

بعد ان تولى على اليمن ذو يزن لم تتركه الحبشة بل نازعوه في ملكه ولما اشتدت عليه وطأتهم ذهب الى كسرى يستغيث به فوعده النصر ولكنه مات على أبوابه قبل ان ينجز له وعده وبموته خلص ملك اليمن للحبشة وأخذوا يرسلون عليها الولاة من قبلهم وأول من ارسلوه من عمالهم (ارباط) ومدة ولايته من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٤٩ وكان سيء السير فالتجأ الناس الى أبرهة فغار به وهزمه وتولى أبرهة من سنة ٥٤٩ الى سنة

بني كهلان ولما مات جذيمة الابرش انتقل الملك الى ابن أخته عمرو بن عدي ثم الى عقبه من بعده (وهم اللخميون) (الرابع) عمرو بن عدي وكان ملكه سنة ٢٦٨ م واحتال على الزباء حتى قتلت وأخذ بثار جذيمة وطالت مدته وكان يغزو المغازي و يغنم الغنائم وحكم ٣٨ سنة (الخامس) امرئ القيس الاول بن عمرو بن عدي ولم يؤثر عنه شيء وحكم ٣٣ سنة (السادس) عمرو الثاني ابن امرئ القيس الاول وكان شاعرا فصيحا ذا همة عالية وحكم ٣٠ سنة و بموته خرج الملك من ولد عمرو بن عدي (السابع) أوس بن قلام العمليقي ووليه آخر من العماليق ثم عاد الملك الى بني عمرو بن عدي (الثامن) امرئ القيس الثاني وهو ابن عمرو الثاني ولقب بالمحرق لتعذيبه الجانين بالنار (التاسع) النعمان الاعور بن امرئ القيس الثاني وكان من أعظم هؤلاء الملوك ثروة وشهامة وغزا غزوات كثيرة وتزهد في آخر عمره وترك ملكه وخرج سائحا فلم يوقف له على أثر والى المحرق ينسب النعمان ومن يليه من عقبه فيقال لهم آل المحرق (العاشر) المنذر بن النعمان و بقي على سرير الملك ٤٣ سنة (الحادي عشر) ابنه الاسود وكان شجاعا فاتكا ولذلك غزا بني غسان وانتصر عليهم وكانت مدة حكمه ٢٠ سنة (الثاني عشر) المنذر ابن المنذر بن النعمان الاعور وكان ملكه سنة ٤٦٣ ميلادية (الثالث عشر) علقمة الذميلي وهو من بطون بني لخم ولم يؤثر عنه شيء (الرابع عشر) النعمان الثاني تولى سنة ٥٠٠ م (الخامس عشر) أبو جعفر وجلس على سرير الملك سنة ٥٠٤ ميلادية (السادس عشر) امرئ القيس الثالث ابن النعمان بن امرئ القيس الملقب بالمحرق سنة ٥٠٧ م وفي أيامه كثرت النصرانية في مملكة فارس وظهرت بالعراق (السابع عشر) ابنه المنذر و يعرف بابن ماء السماء وكان جلوسه على

سرير الملك سنة ٥٢٠ م (الثامن عشر) الحرث بن عمرو بن حجر الكندى وكان جلوسه على سرير الملك سنة ٥٢٣ م وكان عادلا فى قومه ملتفتا لرعيته (التاسع عشر) عمرو بن المنذر وكان جلوسه على سرير الملك سنة ٥٦٤ م (العشرون) أخوه قابوس تولى سنة ٥٧٦ م وكان مولعا باللهو والصيد ضعيف الرأى واهن العزيمة ولذلك قتله رجل من بنى يشكر بعد ان حكم ثمانى سنين (الحادى والعشرون) المنذر الرابع وكان كريما شجاعا وحكم ٤ سنين (الثانى والعشرون) النعمان بن المنذر وهو الذى جعل له يوم نعيم ويوم بؤس وبقى الى ان قتله كسرى أبرويز وترتب على قتله حرب ذى قار بين الفرس والعرب وكانت مدة حكمه ٢٢ سنة (الرابع والعشرون) ذارويه تولى سنة ٦١٧ م وفى أيامه كانت وقعة ذى قار بين العرب والفرس وظفرت العرب بالفرس فانهزم ذارويه وعاد الملك الى أهله (الخامس والعشرون) الاسود بن المنذر أخو النعمان وفى زمنه اشتهر الحارث بن كلدة بالطب (السادس والعشرون) المنذر الخامس وهو ابن النعمان ويلقب بالمغرور وتولى على سرير الملك سنة ٦٣٤ م واستمر ملكا على الحيرة الى ان قتل بالبحرين وبه انتهى ملك النعميين الذين كانوا عمالا للاكاسرة على عرب العراق وفتحت العراق بالاسلام

(ذكر ملوك غسان)

وكانوا عمالا للقياصرة على عرب الشام وحكموا من سنة ٣٧ الى سنة ٦٣٦ م وعدد ملوكهم اثنان وثلاثون وأصلهم من اليمن ينتهى نسبهم الى كهلان ابن سبأ تفرقوا بسيل العرم الى الشمال الغربى من بلادهم وتملكوا أرض حوران والبلقاء ونزلوا على ماء بقرب دمشق يقال له غسان فنسبوا اليه وتغلبوا على الشام وكان بها قبلهم قوم من سليح يقال لهم الضجاعمة فقهروهم وملكوا اماكنهم

(وأول ملوكهم) جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقيا ولمـا ملك قتل ملوك سليح ودانت له قضاعة ومن بالشام من الروم وعظمت دولتـه ومدة حكمه خمسين سنة وكان مبدأ حكمه سنة ٣٧ ميلادية (الثانى) عمرو ابن جفنة تولى سنة ٨٧ ميلادية وبنى بالشام عدة ديور ومدة حكمه ١٧ سنة (الثالث) ثعلبة بن عمرو بنى صرح الغدير فى أطراف حوران مما يلى البلقاء وحكم ٢٠ سنة (الرابع) الحرث بن ثعلبة وملك عشر سنين ولم يؤثر عنه شئ (الخامس) جبلة بن الحرث وهو الذى بنى القناطر وأذرح والقسطل وملك عشر سنين أيضا (السادس) الحرث بن جبلة وكان مسكنه بالبلقاء وبنى بها المبانى الرفيعة والقصور المنيعة وولد له أولاد خمسة وهم المنذر الاكبر والنعمان وجبـلة والايهم وعمرو ومدة حكمه ثلاث سنين (السابع) ابنه المنـذر الاكبر ومدة حكمه ١٠ سنة (الثامن) النعمان بن الحرث ومدة حكمه ١٣ سـنة (التاسع) المنذر الثانى وهو أخو النعمان وحكم ٣٤ سـنة (العاشر) جبلة الثانى ابن الحرث ومدة حكمه ثلاث سنين (الحادى عشر) الايهم وكان ملكه ٢٦ سنة (الثانى عشر) عمرو الثانى وكان كثير الكبرياء والعظمة قبيح السيرة وكان مغرما بالمبانى ولذلك أنشأ فى دمشق عدة قصور فاخرة وملك ٣٠ سنة (الثالث عشر) جفنة الاصغر ابن المنذر الاكبر وهو الذى أحرق الحيرة فلقب بالمحرق وكان جلوسه على سرير الملك سنة ٢٦٨ ميلادية (الرابع عشر) النعمان الاصـغر ابن المنذر الاكبر تولى على سرير الملك سنة ٢٩٦ ميلاديه ومدة حكمه ٢٧ سنة (الخامس عشر) النعمان بن عمرو بن المنذر وبنى قصر السويداء وقصر حارب وكان ملكه ١٦ سـنة (السادس عشر) جبلة بن النعمان بن عمرو وكان منزله بصفين وحكم ٢٢ سـنة (السابع عشر) النعمان الرابع وهو ابن عم الايهم ابن الحرث وحكم ٣٧ سنة

(الثامن عشر) الحرث الثالث ابن الايهم ومدة حكمه ثمان سنين
(التاسع عشر) النعمان بن الحرث وهو الذى أصلح صهاريج الرصافة التى كان قد خربها بعض ملوك الحيرة اللخميين ومدة حكمه ١٩ سنة
(العشرون) المنذر بن النعمان ومدة حكمه ٣٣ سنة
(الحادى والعشرون) عمرو الثالث ابن النعمان وحكم ٣ سنين
(الثانى والعشرون) حجر بن النعمان ومدة حكمه ٣٦ سنة
(الثالث والعشرون) الحارث بن حجر بن النعمان ومدة حكمه ١٧ سنة
(الرابع والعشرون) جبلة بن الحارث وتولى الملك من سنة ٤٩٦ الى سنة ٥١٧ م (الخامس والعشرون) الحارث بن جبلة وكان كثير المغازى والفتوحات مع كثرة الكرم والجود ولكثرة مواهبه كانوا يلقبونه بالوهاب وحكم ٣٧ سنة (السادس والعشرون) النعمان بن الحارث وكان جلوسه على سرير الملك سنة ٥٥٤ م وكان ملكا عادلا شجاعا فاضلا يحب الادباء والفضلاء ويقدمهم على اشراف الناس وتوفى قتيلا فى بعض مغازيه سنة ٥٨١ م (السابع والعشرون) الايهم بن جبلة بن الحارث تولى الملك سنة ٥٨١ م وبنى عدة قصور وحكم ١٣ سنة (الثامن والعشرون) المنذر الرابع وتولى الملك سنة ٥٩٤ ميلادية وأقام فيه ٢٥ سنة
(التاسع والعشرون) شرحبيل اخو المنذر الرابع تولى سنة ٦١٩ م وحكم عشر سنين (الثلاثون) عمرو الرابع أخو شرحبيل وكانت مدة حكمه أربع سنين (الحادى والثلاثون) جبلة الخامس وحكم ثلاث سنين
(الثانى والثلاثون) جبلة بن الايهم بن جبلة وهو آخر ملوك غسان تولى سنة ٦٣٦ م وأسلم فى مدة أيام عمر ثم رجع الى النصرانية هو وقومه وبقى فى حماية ملك الروم الى ان مات وسبب تنصره انه ذهب ليؤدى فريضة الحج هو وجم غفير من قومه وذلك فى مدة خلافة عمر رضى الله عنه

وبينما هو بالطواف اذ وطئ رجل فزارى طرف ازاره فانحل فغضب جبلة ولطم الفزارى لطمة شديدة هشم بها أنفه فتعلق به الرجل وقاده الى عمر وشكاه اليه فقال له عمر اما أن يلطمك كالطمته واما أن تفتدى منه بالمال فقال جبلة كيف هذا وأنا ملك وهو سوقة فقال له عمر الاسلام سوى بينكما فقال له أتنصر فقال ان تنصرت ضربت عنقك فقال لعمر انظرنى ليلتى فأجاب طلبه فلما كان الليل هرب هو ومن معه وتنصر ولكنه ندم على ما فرط منه وأنشد ابياتا منها

فياليت أمى لم تلدنى وليتنى ✻ رجعت الى القول الذى قاله عمر

وهذه هى الدول الثلاث العظمى التى كانت مالكة لبلاد العرب والعراق والشام وكان ببلاد العرب غير هذه الدول الكبرى ممالك صغيرة مستقلة عن غيرها كالكندة بين وغيرهم

(ذكر ملوك كندة)

مدة حكمهم على الحجاز من سنة ٤٠٠ الى سنة ٥٣٠ ميلادية وأول من حكم منهم هو حجر بن عمرو وهو من ولد كندة بن ثور بن عفير ينتهى نسبه الى كهلان بن سبأ وكان بنو كندة قبل ان يملك عليهم حجر بلا ملك فاهلك القوى الضعيف فلما تولى عليهم سدد أمورهم وأخذ للضعيف من القوى وكان ابتداء ملكه سنة ٤٠٠ م وحكم ٣٠ سنة

(الثانى) عمرو بن حجر الملقب بالمقصور لانه اقتصر على ملك أبيه وأقام فيه الى أن قتله الحرث الغسانى

(الثالث) الحرث بن عمرو بن حجر وكان شجاعا كثير المغازى والغارات فسار الى ديار بنى كلب فقتلوه وكان الحرث قد ملك أولاده فى قبائل العرب فملك ابنه حجرا على بنى أسد وغطفان وابنه شرحبيل على بنى بكر ابن وائل وابنه معدى كرب على بنى تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد

مناة وطوائف بنى دارم بن حنظلة وملك ابنه عبد الله على بنى عبد القيس وابنه سلمة على بنى قيس وكان حجر بن الحرث بعد أبيه فى بنى أسد فاشتد عليهم وعمل على نكايتهم واهانتهم فقتلوه وبموته انتهى حكم الكنديين

(ذكر ملوك جرهم)

وهم من ولد جرهم بن قحطان وكان جرهم أخا يعرب بن قحطان فملك يعرب اليمن وملك جرهم الحجاز ثم ملك بعد جرهم ابنه عبد ياليل ثم ملك بعد عبد ياليل ابنه جرثم ثم عبد المدان بن جرثم ثم ابنه نقيلة بن عبد المدان ثم عبد المسيح بن نقيلة ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح ثم عمرو بن مضاض ثم أخوه الحارث بن مضاض ثم عمرو بن الحارث ثم مضاض بن عمرو بن مضاض وجرهم هؤلاء هم الذين تزوج منهم اسماعيل عليه السلام واتصل بهم

ولما انقضى عهد مضاض بن عمرو آخر ملوك جرهم تولى مملكة الحجاز عدة ملوك من قضاعة من نسل قحطان أيضا واستقروا حكاما عليها وفى أيديهم سدانة الكعبة الى سنة ٤٠٦ ميلادية ثم انتقلت السدانة بعد ذلك الى أمراء الحجاز الذين تولوا أمر البلاد بعد هؤلاء الملوك وكلهم من نسل اسماعيل عليه السلام وهم أجداد النبى صلى الله عليه وسلم ولم تزل الامارة تنتقل على عمود النسب فيهم من عدنان الى عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم

(ذكر عدة ملوك متفرقين من ملوك العرب)

من ملوك العرب عمرو بن لحى من ولد كهلان كان حاكما على الحجاز مشهورا فى الجاهلية واليه تنتسب خزاعة وهو أول من أتى بالاصنام الى مكة وكان ينكر البعث وحكم ٣٣ سنة

(ومنهم) زهير بن جناب الكلبى وكان حاذقا ولذلك كان يلقب بالكاهن

لاصابة رأيه ومعرفتــه بالامور وكان ميمون النقيبة ظافرافي غزواته وفد على أبرهه فاكرمه وفضله على غيره من وفود العرب وقلده امارة بني بكر وتغلب وقد طال عمره مع كثرة مغازيه حتى قيل انه كانت لا تمضي عليه سنة من غير غزو

ومنهم كليب بن ربيعة كان سيد بني ربيعة وكان قويا مهيبا لا توقد نار مع ناره ولا ترد ابل مع ابله و بغى على قومه فصار يحمي مواقع السحاب و يجير وحشها فلا يصاد وكان يضع كلبا صغيرا في اطراف مراعيه فاذا أقبل الرعاة سمعوا صوته فتأخروا وقالوا كليب وائل فلقب بذلك ومازال كذلك حتى قتله جساس بن مرة البكرى

ومنهــم المهلهل بن ربيعــة وهو أخو كليب وأخباره مشهورة وحروبه معروفة فلا نطيل بها

ومنهم زهير بن جزيمة بن رواحة بن ربيعة العبسي وكان ملكه ثلاثين سنة

ومنهــم قيس بن زهير بن جزيمة العبسي من دهاة العرب وكان معروفا باصابة الرأى وكمال العقل وحسن التدبير وغزا العامريين فلم يصب حاجته فانثنى عنهم ثم نزل بالحجاز وفاخر قريشا ثم رحل عن قريش ونزل على بني بدر الفزاري الذبياني ونزل على حذيفــة بن بدر وكان بينهما ما كان من الحروب التي تسببت عن سباق الخيل ولما اشتد الامر قتل قيس ندبة بن حذيفة وكان لقيس أخ يقال له مالك بن زهير وكان نازلا في بني ذبيان فلما بلغهم قتل ندبة قتلوا مالكا غيلة فنشبت الحرب مدة ثم اصطلحوا بعدان قتل كثير من رجال الفريقين وظهرت في هــذه الحروب شجاعة عنترة العبسي

(صفات العرب وعاداتهم)

صفات العرب كثيرة وعوائدهم شهــيرة ومن أشهر صفاتهم المحمدة وهي الحرص على ما يوجب الذكر الجميل وهــذه الصفة جامعة لكثير من

الصفات كعلو الهمة والحمية والنجدة والحرص على كل ما يوجب المحامد والفخر وعلو الصيت مما يعدونه عندهم من الفعل الجميل (ومن صفاتهم) الغيرة على العرض والحمية الشديدة التي أخرجتهم عن حد الاعتدال وأدتهم الى ارتكاب خصلة ذميمة وهي وأد البنات (ومن صفاتهم) كرم النفس ومكارم الاخلاق وكان يحملهم ذلك على الانتصار لمن انتصر بهم واجارة من استجار فيهم كما يحملهم على صدق الوعد والوفاء بالعهد سواء في ذلك فقيرهم وغنيهم وكتابيهم ووثنيهم وبقي ذلك فيهم الى أن جاء الاسلام فازداد به ومن أحسن ما مدحوا به ما وصفهم به النعمان بن المنذر في مجلس كسرى أنوشروان حين قدمت عليه الوفود وأخذ كل رئيس يذكر فخر أمته

(لغة العرب وفصاحتهم)

لا ينكر أحد أن العرب أفصح الامم لسانا وأقواها بيانا وأجلاها برهانا فقد مدح الله لغتهم وجاء القرآن بها قال تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج الى غير ذلك من الآيات والاحاديث الدالة على مدحهم الشاهدة بفضلهم وفصاحتهم ومن اطلع على أشعار العرب وخطاباتهم ومحاوراتهم عرف ما كان لهم من فصاحة اللسان وقوة الجنان فلم تكن العرب تنسى سياستها المنزلية ولا فرطت في ذكر روابطها وعلائقها الخارجية والداخلية سلما وحربا بعضهم مع بعض أو مع الاكاسرة والقياصرة والحبشة وغير ذلك فقد تضمنت رواياتهم الخبر عن ذلك في أشعارهم وخطبهم بفصيح العبارة وواضح البيان ومما يستدل به على فصاحتهم قول الوفد العشرة الذين أوفدهم النعمان بن المنذر الى كسرى وغيرهم من الوافدين على الملوك والعظماء

واما أشعار العرب فقد أودعوا فيها ثمرات عقولهم فهي تدل دلالة واضحة

على ما كان لهم من علو الصيت ورفعة المنزلة وقد ترقوا فيه حتى أثمر فوائد جمة فكان يدعو الى مكارم الاخلاق والمروءة والنجدة وعلو الهمة ويحمل على الشجاعة والاقدام على عظائم الامور ومحاسن الصفات قولا وفعلا ولذلك كان للشعراء عندهم نفوذ تام واعتماد عليهم ووثوق بهم وكان كلامهم حجة به يستشهد وعليه يعتمد ولذلك قيل

وللشعراء ألسنة حداد ✲ على العورات مابرحت دليله
ولكن السعيد من اتقاها ✲ وداراها مداراة جميله

وقال بعضهم

للسادة الشعراء فضل ظاهر ✲ ولهم مقام شامخ ومكان
وهم سلاطين الكلام أما ترى ✲ كل امرئ منهم له ديوان

(علوم العرب)

علوم العرب التى كانت فى الجاهلية كثيرة منها الانساب والانواء والتواريخ والتعبير ومن علومهم أيضا احكام لغتهم واتقان أشعارهم وتأليف الخطب والامثال والحكم الى غير ذلك مما كان عندهم من العلوم العديدة التى اكتسبوها بالتجربة المفيدة وقال بعضهم ان جاهلية العرب كانوا على جانب عظيم من العلم والفلسفة وان فيثاغورث الذى هو من أعظم حكماء اليونان قد استفاد أكثر معارفه منهم وكذلك كان بين العرب كثير من الاطباء كالحرث بن كلدة الثقفى الذي رحل الى أرض فارس وتلقى الطب هناك وبقى عندهم زمنا طويلا يعد من أشهر الاطباء حتى جمع مالا كثيرا ثم رجع الى أوطانه وأقام بالطائف واشتغل بالطب ومن أقواله الحكمية من سره البقاء ولا بقاء فليبا كر الغداء وليخفف الرداء وليقلل من غشيان النساء وبالجملة فان العرب وان كانوا أغنى الناس عن الطب والتقدم فى علومه لاقتصارهم فى التغذية على أشياء بسيطة وانهم

لابأ كلون الا اذا جاعوا واذا أ كلوا لايملؤن بطونهم فضلا عن سكناهم فى الخلوات الواسعة ورياضة أجسامهم بالاسفار فانهم قد وصلوا من الطب الى ما يحتاجون اليه فى مداواة ما عساه أن يلم بهم من مرض على مقتضى ما عرفوه وورثوه من التجربات عندهم

(تجارة العرب)

كان للعرب تجارة عظيمة فانهم كانوا يتجرون مع الشام والهند وبقيت تجارة اليمن ناجحة مع مصر الى مدة الدولة التاسعة عشرة ثم كسدت بتأخر مملكة مصر وكان لليمن تجارة أيضا مع الفينيقيين على طريق الحجاز بواسطة القوافل ووصلت هذه التجارة الى درجة عظيمة فى عهد نبى الله سليمان عليه السلام سيما لما وصلت اليه ملكة سبأ بلقيس وكان من شانهما ما كان مما قصه الله فى القرآن وكان للعرب أسواق كثيرة أشهرها سوق عكاظ وسوق المجنة

(حالة العرب ومدنيتهم قبل الاسلام)

أمة العرب عريقة فى المجد من قديم الزمان ففى الاعصر الاولية التى كانت فيها الامم المجاورة لها فى غاية من التوحش والجهالة كانت العرب على جانب عظيم من التقدم كما تشهد بذلك آثارهم وتنطق به أخبارهم وان كانت متفرقة ليس لها دولة تجمعها ولا رابطة تربطها لاستقلال كل قبيلة بنفسها وقدرتها على الذود عن حوضها وحماية افرادها والقيام بشؤونهم حتى أنهم لرفعتهم وشرف نفوسهم وعدم احتمالهم الضيم حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين ولذلك لم يدخلوا فى الاحقاب القديمة تحت دولة من الدول واذا زاحمهم غيرهم من الامم القوية لا يكاد يتمكن من ادخالهم تحت الطاعة أو أن يغير شيئا من عوائدهم وأخلاقهم ولو دخلوا فى طاعته لمقتضيات بعض ظروف الازمان فهم من الرفعة والعزة بأعلى مكان ولهذا بقيت عوائدهم محفوظة على مر الدهور والاعوام من نحو أربعة آلاف سنة وهم يغيرون

على من جاورهم من الامم وقد حكموا مصر فى قديم الزمان ما يزيد عن خمسمائة سنة و يعرفون فى تاريخها بالعمالقة أو الرعاة واستولوا أيضا على الشام والعراق والموصل وغيرها من الممالك وكان ذلك قبل الهجرة باثنتين وعشرين سنة ومائتين وألف فاتسعت بذلك دولتهم وامتدت خارج حدود جزيرتهم سلطتهم فاسسوا ممالك صغيرة فى العراق والشام وسكن بعضهم وادى مصر وملكوا جميع صحارى افريقية وانفصلوا عن أعلى شمال آسيا برمال كالبحار أمنوا بها من دهمات الملوك الفاتحين وانفردوا بحريتهم وافتخروا على كثير من الممالك بشهامتهم وفصاحتهم وحافظوا على أخلاق أجدادهم ومعتقداتهم الدينية ولكنهم بما أوتوه من الجسارة الغريزية والشهامة العربيـة والحمية الجاهلية كانوا سريعى الغضب كثيرى الجراءة سفاكين للدماء معتقدين كثيرا من الاوهام الكاذبة والاعتقادات الفاسدة محافظين على حب الاستقلال لما أوتوه من عزة النفس وكرم السجايا وكان تحت حكم كل رئيس يسمونه بالشيخ أو السيد قبيلة أو عدة قبائل يضمحل بعضها بالحروب فتنضم الى قبيلة أخرى قادرة على حمايتها فيكونان قبيلة واحدة تحت رياسة كبير القبيلة ذات الشوكة و بهذا يعلم سبب تلاشى كثير من القبائل التى لم يبق لها ذكر الى الآن وكان سائر مشايخ القبائل تحت حكم رئيس قائد للجيش يلقب بالامير أو الملك موكل بجميع مصالح تلك القبائل لا يقدر على تمييز أحد على الآخر ولا على تقديم مصلحته على مصالحهم يأخذ من القوى للضعيف ومن الضعيف للقوى و ينفذ الاحكام كما تقتضيه أحوال تلك الايام و بالجملة فكانت أمة العرب رفيعة الصيت بازغة البنيان وكان ملوك حمير فى قديم الزمان أقوياء أشداء فى غاية من الجبروت والعظمة حتى أنه ربما أثبت التاريخ أن بعضهم قد ملك أغلب المعمورة وان ذا القرنين منهم وأنهم قد

أغاروا على كثير من الممالك وسلكوا الاعلاء كلمتهم أقوم المسالك ولما تغلب ملوك العجم على الديار المصرية امتدت أطماعهم الى حكم العرب فلم يتمكنوا من ذلك لمنعتهم وقوة شوكتهم وكذلك لما تغلب اسكندر المقدونى على مصر وبلاد المشرق لم تدخل العرب تحت لوائه وامتنعوا عن حكمه وولائه ولما قويت دولة الروم أيضا وامتدت سلطتها على كثير من الممالك المجاورة لجزيرة العرب بقيت هى قائمة بأمرها مستقلة بنفسها يحكمها شيوخها وأمراؤها وملوكها وان ثبت لهم بعض ولاء صورى على طرف من بلاد العرب فان ذلك لم يخرجهم عما كانوا عليه من القوة والعظمة المحافظة على كل ما يمكن المحافظة عليه من عوائد واخلاق وشرف وآداب وعبادة حتى أن عثمان بن حويرث لما تنصر وأراد أن يجعل الكعبة ضمن هياكل الروم منعته قريش عن هذا الامر المذموم ولم يزالوا كذلك حتى صبحهم الاسلام فزادوا به عزا على عزهم ومجدا على مجدهم وجمع كلمتهم وقوى رابطتهم وأزال ما كانوا عليه من الانقسام والتفرق وهداهم بهديه القويم الى الصراط المستقيم ونهاهم عن كل أمر ذميم

(ديانة العرب)

العرب الجاهلية كانوا أصنافا فمنهم من أنكر الخالق والبعث وقال بالطبع المحيي والدهر المفنى ومنهم من عبد الاصنام وكانت أصنامهم مختصة بالقبائل ومنهم من تهود ومنهم من تنصر ومنهم من مال الى الصابئة والذى تحقق من أدلة شتى ان اعتقادهم الاصلى كان هو التوحيد كما كان عند أكثر الامم فى أوائلها ثم بدلوا وأخذوا يعبدون الاصنام ولا شك ان بنى اسماعيل كانوا يعتقدون وحدة الله تعالى أخذا عن جدهم اسماعيل عليه السلام ولم تزل العرب متفرقة حتى ظهر النبى صلى الله عليه وسلم فجمع كلمتهم وساسهم خير سياسة بشريعته الغراء وهذا اجمال الكلام فى

تاريخ العرب قبل الاسلام وقد فصلته فى خلاصة الكلام فى تاريخ الجاهلية والاسلام فارجع اليه ان شئت

(سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ونسبه الشريف وبيته الكريم)

اعلم ان أول قائم بأمر هذه الامة هو النبى صلى الله عليه وسلم وهو امام المتقين وخاتم الانبياء والمرسلين وأفضل الخلق أجمعين سيدنا ومولانا محمد (ابن عبد الله) وهو أحد الذبيحين على مارواه أهل السير فى قصة مشهورة (ابن عبد المطلب) واسمه شيبة الحمد لانه ولد فى رأسه شيبة مع رجاء حمد الناس له وانما قيل له عبد المطلب لان عمه المطلب اردفه خلفه فقيل له من هذا فقال عبدى حياء من أن يقول هو ابن أخى وقيل غير ذلك وكان عبد المطلب معظما فى الجاهلية مجاب الدعوة يتعبد فى حراء ويطعم المساكين والطير والوحوش وهو ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية (ابن هاشم) واسمه عمرو ولقب بها شم لهشمه الثريد للناس فى مجاعة أصابتهم ولذلك قال فيه الشاعر

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ✿ ورجال مكة مسنتون عجاف

(ابن عبد مناف) واسمه المغيرة وانما قيل له ذلك لان أمه جعلته خادما لمناة وهو صنم من أعظم أصنامهم ولكنهم أبدلوا التاء فاء وكان يوصى قومه بتقوى الله وصلة الرحم وقد وجدت كتابة فى حجر منها أنا المغيرة بن قصى أوصى قومى بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم وهو (ابن قصى) واسمه زيد وقيل يزيد ولقب بقصى لتقاصيه عن عشيرته الى بلاد قضاعة وكان كريما وافر العقل نافذ الكلمة وهو أول من أوقد النار بمزدلفة ليراها الناس من عرفة ليلة النفر وله حكم كثيرة منها من أكرم لئيما أشركه فى لؤمه ومن استحسن قبيحا نزل الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود هو العدو الخفى ولما احتضر أوصى بنيه بترك الخمر بقوله اجتنبوا الخمرة فانها تصلح الابدان

وتفسد الاذهان جريا على اعتقاد العرب فى الجاهلية والا فهى مفسدة
الابدان والاذهان وقصى هو (ابن كلاب) واسمه حكيم ولقب بكلاب
لملازمته كلاب الصيد وقيل من المكالبة أى المضايقة للاعداء لانه كان
شديدا عليهم وهو (ابن مرة) من امرأته هند بنت سرير بن ثعلبة ومرة
هو (ابن كعب) ويروى عنه انه كان يجمع قومه يوم العروبة أى الجمعة
ويذكرهم ببعث النبى صلى الله عليه وسلم ويخبرهم انه من ولده ويحثهم
على اتباعه وهو (ابن لؤى) من امرأته مارية بنت كعب ولؤى بالهمزة
أكثر من تركها وهو (ابن فهر) وهو مجمع قريش عند الاكثر فمن كان
من ولده فهو قرشى ومن لا فلا وفهر اسمه ولقب بقريش لانه كان يقرش
على حاجة المحتاج ليسدها وقيل غير ذلك وهو (ابن مالك) من امرأته
جندلة بنت عامر بن الحرث بن مضاض الجرهمية وقيل غير ذلك (ابن
النضر) واسمه قيس ولقب بالنضر لنضارته وحسنه (ابن كنانة) وكان
شيخا معظما فى الجاهلية يخبر بالامور تقصده العرب لعلمه وفضله ومما
يؤثر عنه انه كان يقول قد آن خروج نبى من مكة يدعى أحمد يدعو الى
عبادة الله تعالى والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا
شرفا وعزا الى عزكم ولا تعتدوا ما جاء به فهو الحق (ابن خزيمة) من
امرأته عونة بنت سعد بن قيس عيلان (ابن مدركة) واسم مدركة
عمرو ولقب بمدركة لانه أدرك كل عز وشرف كان فى آبائه (ابن الياس)
قيل سمى بذلك لانه ولد بعد يأس أبيه وكان الياس من عظماء العرب
وكانوا يدعونه سيد العشيرة ولا يستقلون بأمر دونه وجاء فى الحديث
لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وكان فى العرب مثل لقمان الحكيم فى قومه
ومن كلامه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة
(ابن مضر) وكان من عظماء العرب أيضا وله كلام كثير فى الحكم ومنه

خير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فليس بين الصلاح والفساد الاصبر فواق وقيل انه أول من وضع الحداء للابل (ابن نزار) من زوجته سودة بنت عك (ابن معد) من امرأته معانة الجرهمية (ابن عدنان) وهو آخر جد ينتهي اليه النسب الصحيح للنبي صلى الله عليه وسلم وقد علا برسول الله شرفا كما قال القائل

وكم أب قد علا بابن له شرفا ۞ كما علا برسول الله عدنان

ولا خلاف في اتصال هذا النسب الشريف بسيدنا اسماعيل بن سيدنا ابراهيم عليهما السلام وانما الخلاف في عدد الاجداد التي بين عدنان و بين اسماعيل عليه السلام فمن مقل ومن مكثر وقد سبق ذكره في العرب المستعربة على أشهر الاقوال وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم نهى عن رفع النسب عن عدنان وكان اذا وصل الى عدنان أمسك وقال كذب النسابون بعده قال تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا ولهذا كره الامام مالك رفع النسب الى آدم وهذا نسبه من جهة أبيه

وأما نسبه من جهة أمه فانه ابن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن حكيم الملقب بكلاب المذكور في النسب الشريف وعبد مناف الذي هنا غير عبد مناف الذي تقدم لان عبد مناف الذي هنا هو ابن زهرة بن كلاب وعبد مناف الذي تقدم في النسب الشريف هو ابن قصي بن كلاب فيجتمع أبوه وأمه في حكيم فهو صلى الله عليه وسلم أشرف الناس نسبا وأكرم الخلق أما وأبا قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسماعيل واصطفى من اسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فانا خيار من خيار من خيار

(مولده ورضاعه وكفالته)

(وأما مولده صلى الله عليه وسلم) فانه لما أراد الله ابرازه الى الوجود ألهم عبد المطلب جده أن يذهب الى وهب بن عبد مناف ليخطب منه ابنته آمنة لولده عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم وكان أحب ولده اليه وسنه اذ ذاك ثماني عشرة سنة وآمنة يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وعفة فتزوجها وبنى بها في شعب أبي طالب فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فظهر لحمله غرائب ولوضعه عجائب فمنها تفوق عزها وأصبحت الاصنام منكسة وكانت قريش في جدب شديد فاخضرت الارض وحملت الاشجار وجاءهم الرزق من كل مكان فسميت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج وولد صلى الله عليه وسلم بمكة بشعب بني هاشم عند طلوع الفجر يوم الاثنين لثاني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول عام الفيل سنة ٥٧١ ميلادية وذلك في زمن ملك كسرى أنوشروان العادل ملك الفرس ونزل صلى الله عليه وسلم على يد الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف فهي قابلته رافعا بصره الى السماء واضعا يديه بالارض وفي ذلك من الاشارات مالا يخفى مكحولا نظيفا مسرورا (أي مقطوع السر) وهو ما تقطعه القابلة ورأت أمه حين وضعته نورا أضاءت به قصور بصرى ولم تجد في حملها ثقلا ولا تعبا وحصلت ليلة مولده ارهاصات كثيرة منها خمود نار فارس وارتجاج ايوان كسرى حتى انشق وسقطت منه أربع عشرة شرفة وتنكست جميع الاصنام كما نكست عند الحمل الى غير ذلك مما يطول شرحه •

وسافر والده عبد الله الى الشام يمتار فانصرف عنها الى المدينة فمرض بها ومات وعمره خمس وعشرون سنة ودفن في دور بني النجار والنبي صلى الله عليه وسلم وقتئذ حمل على الصحيح ولم يترك والده له من المال الا جارية وخمسة جمال

فكفله جده عبد المطلب وعق عنه يوم سابعه وسماه محمدا رجاء أن يحمد في السماء والارض وذلك بعد أن أخبرته أمه بكونها رأت في المنام قائلا يقول لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا فحملته المراضع وأول من أرضعته بعد أمه ثويبة مولاة عمه أبي لهب مع ابنها مسروح بلبنه وحمزة عمه وأبي سلمة بن عبد الاسد المخزومي فهم اخوته في الرضاعة وكانت المراضع يقدمن مكة ليرضعن الاطفال فقدمن في سنة جدباء وأخذت كل واحدة طفلا ولم تجد حليمة طفلا غيره وكان يتيما لما سبق من موت أبيه فلم يرغبن فيه لان المعروف عادة انما يرجى من أبي الصغير فاخذته حليمة السعدية وعادت به الى بني سعد فظهر عزها وتم سعدها ويسر الله به رزقها وظهرت البركة في بيتها في طعامها وشرابها وماشيتها ورأت العجب العجاب من أمره صلى الله عليه وسلم فحرصت عليه كل الحرص فلما أتمت رضاعه قدمت به الى مكة وهي أحرص الناس على مكثه عندها لما رأته من الخير العميم على يديه فقالت لامه آمنة لو تركت ابني عندي حتى يقوى فاني أخاف عليه وباء مكة ولم تزل بها حتى تركته معها فعادت به الى بلاد بني سعد فلما تم له أربع سنين جاءه ملكان وهو مع أخيه من الرضاع خارجا عن البيوت فشقا صدره واستخرجا قلبه وشقاه واستخرجا منه علقة سوداء وأخبراه بانها حظ الشيطان وغسلاه بالثلج وملآه حكمة وايمانا ثم رداه كما كان فلما بلغ حليمة ذلك من أخيه حيث انه حضر لها ولابيه في شدة وأخبرهما بذلك فخافت عليه وأمرها زوجها ان ترده لاهله فقدمت به على أمه فقالت ما أقدمك به وكنت حريصة عليه فقالت حليمة تخوفت عليه الشيطان فقالت آمنة كلا والله ما للشيطان عليه سبيل ان لابني شانا

وأخوته صلى الله عليه وسلم في الرضاعة من حليمة عبد الله وأنيسة وجذامة

وهي الشيماء غلب ذلك على اسمها أمهم حليمة وأبوهم الحرث بن أسد بن عبد العزى السعدى قدمت حليمة عليه صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوج خديجة وشكت الجدب فكلمها لها فأعطتها أربعين شاة وبعيرا ثم قدمت عليه هي وزوجها الحارث بعد النبوة فأسلما وبقيت في كرامته الى أن ماتت رضي الله عنها

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ست سنين توفيت أمه بالابواء بين مكة والمدينة وكانت قد قدمت به على أخوال أبيه بني عدي بن النجار تزيره اياهم فماتت وهي راجعة الى مكة

(سفره الى الشام مع عمه وفي مال خديجة وزواجه لها)

بقي صلى الله عليه وسلم في كفالة جده عبد المطلب الى ان بلغ ثمان سنين ثم توفي جده فكفله عمه أبو طالب شقيق أبيه ولما بلغ صلى الله عليه وسلم من العمر ثلاث عشرة سنة سافر الى الشام مع عمه أبي طالب فرآه (بحيرا) الراهب فأمر أباطالب بالرجوع به وحذره من اليهود فرجع به عمه أبو طالب بعد أن فرغ من تجارته

وشب صلى الله عليه وسلم حتى بلغ فكان أعظم الناس حلما وأحسنهم جوابا وأصدقهم حديثا وأبعدهم عن الفحش حتى سماه قومه الامين وبلغ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب صدقه وأمانته وكانت تاجرة قرشية ذات شرف ومال وعفة وكمال فعرضت عليه سفره في تجارة لها مع غلامها ميسرة فأجاب وخرج ومعه ميسرة حتى قدم الشام فباع واشترى وربح كثيرا ورجع الى مكة بمال خديجة فحدثها ميسرة بما رآه من الآيات الدالة على أنه سيكون له نبأ عظيم فعرضت نفسها عليه فتزوجها فهي أول أزواجه ولم يتزوج غيرها حتى ماتت رضي الله عنها وكانت وفاتها قبل الهجرة بثلاث سنين

(في تجديد قريش عمارة الكعبة وكسوتها)

وكانت الكعبة قصيرة البناء فهدمتها قريش ثم بنوها واختصموا في وضع الحجر الاسود وأرادت كل قبيلة وضعه ثم اتفقوا على تحكيم أول داخل من باب الحرم فكان صلى الله عليه وسلم أول داخل منه فقالوا هذا الامين وعمره وقتئذ خمس وثلاثون سنة فحكموه فأمرهم بوضع الحجر الاسود في وسط رداء ثم أمر كل قبيلة أن تأخذ بشيء من أطرافه حتى اتموا به الى موضع الركن فأخذه صلى الله عليه وسلم ووضعه في موضعه ثم أتموا بناء الكعبة

وكانت الكعبة تكسى القباطي ثم كسيت البرود وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف الثقفي

(البعثة النبوية)

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وأول ما بدئ به من النبوة الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ظاهرة لا خفاء فيها ثم حببت اليه الخلوة بالعبادة فكان يتعبد بغار حراء الليالي ذوات العدد ولم يزل كذلك حتى جاءه الملك وهو في ذلك الغار يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان وهو ابن أربعين سنة وقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فغطه حتى بلغ من الجهد ثم أرسله وقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فغطه الثانية ثم أرسله وقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فغطه الثالثة ثم أرسله وقال له اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فقرأها ثم خرج الى وسط الجبل فسمع صوتا من جهة السماء يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فبقي واقفا يشاهد جبريل حتى انصرف ثم انصرف صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده وحكى ذلك لخديجة فقالت أبشر



والذى نفس خديجة بيده انى لارجو أن تكون نبى هذه الامة ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل بن الحرث وكان شيخا كبيرا قد تنصر فى الجاهلية وكتب من التوراة والانجيل ماشاء الله ان يكتب فذكرت له ذلك فقال ورقة أنه ليأتيه الناموس الاكبر الذى أنزل على موسى ليتنى اكون فيها جذعا حين يخرجه قومه فقال صلى الله عليه وسلم أومخرجى هم قال نعم لم يأت قط أحد بمثل ماجئت به الا عودى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا وفتر الوحى مدة ثم تتابع وأمره الله بالتبليغ بقوله جل شأنه (ياأيها المدثر قم فأنذر) فبلغ الرسالة وحذر الناس عن الضلالة وجاهد فى الله حق الجهاد ونصح الامة وعبد ربه حتى أتاه اليقين وانتشرت أعلام نبوته وتواترت دلائل رسالته وأيده الله بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة واتسع به نطاق الاسلام وجمع كلمة العرب وساسهم خير سياسة بشريعته الغراء ولم يزل يدعو أهل مكة للاسلام حتى شرح الله قلوبهم اليه

(اول من أسلم)

فأول من آمن به من النساء خديجة بنت خويلد ومن الصبيان على ابن أبى طالب ومن الموالى زيد بن حارثة ومن الارقاء بلال ومن الرجال أبو بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير ابن العوام وطلحة بن عبد الرحمن بدعوة أبى بكر ثم أخذ الناس يدخلون فى الدين آحادا ودعا صلى الله عليه وسلم عمه أباطالب للاسلام فقال لاأستطيع فراق دينى ولكن لاينهض اليك شئ تكرهه مابقيت وقال لعلى الزمه فانه لايدعو الا الى الخير وبقى صلى الله عليه وسلم يدعو سرا ثلاث سنين ثم أمر باظهار الدعوة بقوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) فلما نزل قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين) دعا عليا فقال اصنع لنا طعاما

واجمع لي بني المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعل ودعاهم وكانوا نحو أربعين فيهم أعمامه فحضروا وأكلوا الطعام فلما فرغوا من الاكل وأراد النبي أن يتكلم سبقه عمه أبو لهب الى الكلام فقال ما أشد ما سحركم به صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم صلى الله عليه وسلم ثم قال يا علي قد رأيت كيف سبقني هذا الرجل الى الكلام فاصنع لنا في غد طعاما آخر واجمعهم ثانيا ففعل علي في الغد ما أمره به وجمعهم ثانيا فلما أكلوا قال لهم صلى الله عليه وسلم ما أعلم انسانا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به جئتكم بخيري الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم اليه فأيكم يوازرني على هذا الامر فأحجم القوم قال علي فقلت واني لاحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليهم فأخذ صلى الله عليه وسلم برقبة علي قائلا ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب مستهزئين لقد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع ثم عاب صلى الله عليه وسلم آلهتهم ونسبهم الى الكفر والضلال فعادوه الا من عصمه الله بالاسلام وقالوا لابي طالب ان ابن أخيك قد عاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل ابناءنا فانهه عنا أو خل بيننا وبينه فردهم أبو طالب ردا حسنا حتى عظم عليهم أمره فأتوه ثانيا وقالوا له ان لم تنهه عنا والا نازلناك واياه حتى يهلك أحد الفريقين فأخبر أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فظن أن عمه خاذله فقال له والله يا عم لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الامر الا ان يظهره الله او أهلك فيه ودمعت عيناه وولى باكيا فقال له أبو طالب أقبل يا ابن أخي وقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا وأخذت كل قبيلة تعذب من أسلم منها وحفظ الله رسوله بعمه أبي طالب

(فى أذى قريش للنبى صلى الله عليه وسلم)

أخذت قريش تعذب من أسلم بمكان أعدوه لذلك و يسمعون النبى السب والوعيد عنـد طوافه بالبيت و يعاقبون من صغى لقوله أشـد العقاب و يقولون ان جابرا النصرانى بمكة يعلمه آيات من القرآن فنزل ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين واشتد الاذى فأذن صـلى الله عليه وسـلم لمن ليس له عشيرة تحميه بالهجرة الى الحبشة فتتابعت اليها الجموع حتى هاجر اليها ثلاثة وثمانون رجلا وثمان عشرة امرأة سوى الصغار فبعثت قريش فى طلبهم عبد الله ابن أبى ربيعة وعمرو بن العاص بهدية الى النجاشى ليمكنهما من المهاجرين فأبى فقال له ابن العاص سلهم عما يقولون فى عيسى فسألهم فقالوا ما قاله الله فى كتابه من أنه كلمة الله ألقاها الى مريم العذراء فلم ينكر النجاشى عليهم شيئا وابقاهم فى جواره آمنين ورد هما بهديتهما خائبـين فعلمت قريش أن الاسـلام أخذ فى الازدياد فتعاهـدوا على بنى هاشم و بنى المطلب ألا ينا كحوهم ولا يبايعوهم وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها بالكعبة

(وأسلم حمزة) عم النبى صلى الله عليه وسلم وشج بالقوس أبا جهل وسبب اسلامه رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسـلم كان عند الصفا فمر به أبو جهل فشتمه فلم يكلمه وكان حمزة فى القنص فلما حضر أنبأته مولاة لعبد الله بن جدعان بشتم أبى جهل لابن أخيه محمد فغضب حمزة وقصد البيت ليطوف به وهو متوشح قوسـه فوجد أبا جهل جالسا مع جماعة فضربه حمزة بالقوس فشجه ثم قال أتشـتم محمدا وأنا على دينـه فقامت رجال من بنى مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهـل فقال دعوه فانى سببت ابن أخيه سبا قبيحا وتم اسـلام حمزة وعلمت قريش ان رسول الله قد عز وامتنع باسلام حمزة

(ثم اسلم عمر) فازداد به الاسلام عزا وارتاعت قريش وعاشد بدا وسبب اسلامه رضى الله تعالى عنه انه كان شديد العداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وكان النبى يودّ ان يسلم هو او ابو جهل وكان يقول فى دعائه اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين يعنيه أو أبا جهل فسبقت السعادة لعمر وكان قد أخذ سيفه وقصد قتل النبى صلى الله عليه وسلم فلقيه نعيم بن عبد الله فقال ماتريد يا عمر فأخبره فقال لئن فعلت ذلك لن يتركك بنو عبد مناف تمشى على الارض ولكن اردع أختك وابن عمك سعيد بن زيد وخباب فانهم قد أسلموا فقصدهم وهم يتلون سورة طه من صحيفة فسمع شيئا منها فلما علموا به اخفوا الصحيفة وسكتوا فسألهم عما سمعه فانكروه فضرب أخته فشجها وقال أريني ما كنتم تقرؤنه وكان عمر قارئا كاتبا فخافت أخته على الصحيفة وقالت تعدمها فعاهدها على انه يردها اليها فاعطته الصحيفة فقرأها فاعجبه حسنها وبلاغتها وقال ما أحسن هذا وأكرمه فطمعت فى اسلامه وكان خباب قد استخفى منه فلما سمع ذلك خرج اليه فسألهم عمر عن موضع النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا له هو بدار عند الصفا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك وعنده نحو أربعين نفسا ما بين رجال ونساء منهم حمزة وأبو بكر وعلى فقصدهم عمر وهو متوشح سيفه فاستأذن فى الدخول فأذن له فلما دخل نهض اليه الرسول وأخذ بمجمع ردائه وجذبه جذبة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب أوما تزال هكذا حتى تنزل بك القارعة فقال عمر يا رسول الله جئت لاسلم فكبر رسول الله وتم اسلام عمر وكان اسلامه سنة خمس من النبوة بعد اسلام حمزة بثلاثة أيام وباسلامه عظم الأمر على المشركين

وقدم من مهاجرى الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا بلغهم اسلام أهل مكة ولما قربوا منها علموا كذب ذلك فدخلوها خفية ثم عادوا الى الحبشة ثانيا

ومازال أبو طالب يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات فى شوال سنة عشر من النبوة ثم توفيت السيدة خديجة فى هذه السنة أيضا فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموتهما الشدائد ونالت منه قريش من الاذى مانالوا خصوصا أبالهب والحكم بن العاص وعقبة بن أبى معيط بن أمية فانهم كانوا جيران النبى صلى الله عليه وسلم ويؤذونه بالقاء القاذورات عليه وقت صلاته وطعامه

وسافر الى ثقيف بالطائف ودعاهم الى الاسلام فأبوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ليسبوه ويصيحوا به حتى الجؤه الى حائط عتبة وشيبة ابنى ربيعة فآوى الى ظله حتى اطمأن ثم رفع طرفه الى السماء وقال اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى على من تكلنى ان لم تكن على غضبان فلا أبالى ثم قدم الى مكة وقومه أشد مما كانوا قال ابن حزم ثم كانت الاسراء ليلا الى بيت المقدس ثم العروج الى السماء ولقى من لقى من الانبياء ورأى جنة المأوى وسدرة المنتهى فى السماء السادسة وفرضت الصلاة فى تلك الليلة وكان قد فشا الاسلام فى قريش وكانت الاسراء فى السنة الثالثة عشرة من النبوة ليلة سبع وعشرين من شهر رجب وتزوج صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة مباشرة بعد وفاة السيدة خديجة السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ودخل بها بعد الهجرة بثمانية أشهر وهى بنت تسع سنين وجميع أولاده من خديجة الا ابرهيم فانه من مارية القبطية ولدته فى ذى القعدة سنة ثمان من الهجرة وتوفى فى السنة الثانية عشرة من الهجرة وأولاده الذكور من السيدة خديجة القاسم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر ماتا صغيرين والاناث فاطمة زوج على رضى الله عنهما وزينب زوج أبى العاص فرق رسول الله بينهما بالاسلام ثم ردها اليه حين

أسلم ورقية وأم كلثوم تزوج بهما عثمان رضي الله عنه واحدة بعد أخرى

(في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل وابتداء أمر الانصار وبيعة العقبة)

أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل بمواسم الحج ويدعوهم الى الله فلم يطيعوه ولما أراد الله اظهار دينه خرج يدعو الى الاسلام فلقيه عند العقبة ستة رجال من الخزرج فتلا عليهم القرآن فآمنوا وانصرفوا الى المدينة فاخذوا يدعون الى الاسلام وخرج رسول الله في العام التالي الى الموسم فبايعه اثنا عشر رجلا من الانصار وهذه بيعة العقبة الاولى وبعث معهم الى المدينة مصعب بن عمير الذي جعل يتلو عليهم القرآن حتى كان سائر دور الانصار فيها مسلمون الا دار أمية بن زيد وعاد مصعب الى مكة في السنة الثالثة عشرة من البعثة ومعه ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من الاوس والخزرج من الذين أسلموا مع كفار من قومهم فاجتمعوا برسول الله ليلا أيام التشريق بالعقبة فقالوا ما لنا ان قتلنا دونك يارسول الله قال الجنة فبايعوه وعادوا الى المدينة وهذه بيعة العقبة الثانية ثم أمر رسول الله أصحابه بالهجرة فهاجروا الى المدينة وأقام مع علي وأبي بكر منتظرا الاذن بالهجرة

(الهجرة النبوية)

لما علمت قريش أن النبي صلى الله عليه وسلم أنصارا بالمدينة وأن أصحابه بمكة يلحقون بهم وخافوا خروجه الى المدينة اجتمعوا وتشاوروا في أمره فاجتمع الرأي على أن يضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل ولا يمكن الاخذ بثاره فنزل جبريل وأعلمه بذلك فأمر عليا أن ينام على فراشه متشحا ببرده ويخرج ليؤدي ما عنده من الودائع الى أربابها وخرج وهم يرصدونه بالباب وهو يتلو يس الى قوله تعالى فاغشيناهم فهم

لا يبصرون فجعل يكررها وحثا التراب على رؤسهم فخرج وهم لا يشعرون به وتوجه الى دار أبي بكر فأعلمه ان الله تعالى قد أذن له بالهجرة وتوجها الى غار في جبل ثور وخرجا منه بعد ثلاثة أيام الى المدينة يوم الاثنين خامس ربيع الاول من السنة الثالثة عشرة من البعثة ومعهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد الله بن أريقط وهو كافر استأجراه ليدلهما على الطريق فبعث قريش سراقة في أثرهما فنجاهما منه صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة ظهرا يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول فنزل بقباء وأسس بها المسجد المؤسس على التقوى ولحقه على بن أبي طالب ثم خرج من قباء يوم الجمعة فما مر على دار أحد من دور الانصار الا قال هلم يارسول الله وسألوه النزول عندهم واعترضوا ناقته وهو يقول خلوا سبيلها فانها مأمورة ولم تزل كذلك حتى بركت في موضع المسجد الذي بناه بعد فأقام النبي صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب الانصاري حتى بنى مسجده ومسكنه بالموضع الذي اشتراه وغير اسم يثرب بالمدينة وسمى الاوس والخزرج الانصار والمسلمين الذين هاجروا من مكة الى المدينة المهاجرين واتخذ عليا أخا وآخى بين المهاجرين والانصار وأخذ يعلمهم شرائع الدين ويقتدون به في الاقوال والافعال ويرجعون اليه في جميع الاحكام وبايعهم كبيعة النساء الا يشركوا بالله شيأ ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم وان يتعاونوا بالمعروف ويذروا اليهود آمنين على أموالهم (وأسلم سلمان الفارسي) وكان شيعا عامة براوعبد الله بن سلام من أعاظم أحبار اليهود وأشرافهم فزاد الاسلام عزا ولكن اليهود تحزبوا مع المنافقين وكثرت أسئلتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وأذيتهم لاصحابه وأخذت قريش تشدد على المسلمين وأغروا شعراءهم على الهجو فجعل صلى الله عليه وسلم من الخزرج حسان بن ثابت الانصاري وكعب بن مالك وعبد الله بن

رواحة الرد عليهم

(ثم دخلت سنة اثنتين من الهجرة) وفيها حولت الصلاة الى الكعبة وكانت الى بيت المقدس وكان ذلك يوم الثلاثاء منتصف شعبان فاستقبل الكعبة في صلاة الظهر وبلغ أهل قباء ذلك فتحولوا الى جهة الكعبة وهم فى الصلاة وكان صلى الله عليه وسلم فى منزل بنى سلمة فصلى بهم ركعتين من الظهر الى بيت المقدس ثم أمر باستقبال الكعبة وهو راكع فى الثانية فاستدار واستدارت الصفوف خلفه وأتم الصلاة فسمى المسجد مسجد القبلتين وفى شعبان منها فرض صوم رمضان وفيها فرضت صدقة الفطر وفيها تزوج على فاطمة الزهراء رضى الله عنهما وفيها أرى عبد الله بن زيد الانصارى صورة الاذان فى الرؤيا وورد الوحى به بعد ذلك وقال النورى فى شرح الروضة ان الاذان شرع فى السنة الاولى

(سبب مشروعية الجهاد وذكر غزواته صلى الله عليه وسلم)

بقى صلى الله عليه وسلم مدة وهو صابر على أذى المشركين والمنافقين واليهود وكان كلما اشتد الاذى عليه يؤمر بالصبر والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وجدال أهل الكتاب بالتى هى أحسن كما ورد بذلك الكتاب الشريف قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) ولما اشتد الاذى على أصحابه وتوالت عليهم الكروب وصار لا يمكنهم ان ينزعوا السلاح ولا يبيتوا الا فيه وكانوا مع ذلك يأتون النبى ما بين مضروب ومشجوج وهو يأمرهم بالصبر وكانوا يتمنون ان يشرع القتال وصاروا يرون ان مثل هؤلاء المعاندين لا يمكن ردعهم الا به ويقولون كنا أعزة قبل الاسلام فكيف نصير أذلة بعده وتمنى القتال كثير منهم ولما قوى الاسلام وعززه الله بالمهاجرين والانصار وصارت المدينة دار اسلام ومعقلا يلجأ اليه احباب الله وصار عندهم من العدد والعدد ما يكفى

الذود عن حرمتهم والمدافعة عن أنفسهم وضاقوا ذرعا بما كان يحصل لهم
من الاذى شرع الله لهم القتال وأذن للنبي فيه بعد ما نهى عنه فى نيف
وسبعين آية نزل غالبها بمكة وكان الاذن بالقتال فى اثنى عشرة ليلة خلت
من شهر صفر فى السنة الثانية من الهجرة وقيل انه شرع فى السنة الاولى
قال الزهرى ان أول آية نزلت فى الاذن بالقتال قوله تعالى أذن للذين
يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير وقيل قوله تعالى وقاتلوا فى
سبيل الله الذين يقاتلونكم الآية وقيل ان أول آية نزلت فيه قوله تعالى ان
الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل
الله فيقتلون و يقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن بعث
عليه الصلاة والسلام البعوث والسرايا وغزا بنفسه وقد جرت عادة أهل
السير والمحدثين غالبا ان يسموا كل عسكر حضره رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنفسه غزوة ومالم يحضره سرية أو بعثا وقد يطلقون على السرية
غزوة اذا اشتهرت كقولهم غزوة مؤتة وغزوة ذات السلاسل واستمر صلى
الله عليه وسلم هو وأصحابه رضى الله عنهم يقاتلون فى سبيل الله حتى دخل
الناس فى دين الله افواجا وابعد الفتح من أقطار الارض طائعين

(أول غزواته صلى الله عليه وسلم)

أول غزواته صلى الله عليه وسلم هى غزوة ودّان أو الابواء وهى قرية
كبيرة بينها و بين الابواء نحو ثمانية أميال والابواء قرية بين مكة والمدينة
كانت الغزوة بينهما فبعضهم أضافها الى الاولى و بعضهم أضافها الى الثانية
ولما كان فى شهر صفر بعد مقدم النبى المدينة باثنى عشر شهرا خرج
اليها فى مائتى رجل من أصحابه يريد قريشا و بنى ضمرة وجعل اللواء مع
عمه حمزة واستعمل على المدينة سعد بن عبادة ولما بلغ بين الابواء وودّان لم
يجد قريشا وقابله مخشى بن عمرو سيد بنى ضمرة بن عبد مناة بن كنانة

وسأله موادعة قومه فعقد له صلحا واشترط فيه ألا يغزوهم ولا يغزوه ولا يكثروا عليه جمعا ولا يعينوا عليه عدوا وأن لهم النصر على من رامهم بسوء وكتب بينه وبينهم بذلك كتابا ثم انصرف راجعا الى المدينة ولم يحصل حرب

(غزوة بواط)

بواط بضم الموحدة وفتحها جبل من جبال جهينة بقرب ينبع وسببها أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن عير القريش نحو ألفين وخمسمائة بعير فيها أمية ابن خلف ومائتا رجل من قريش ذاهبة الى مكة فخرج في جمادى الاولى في مائتي رجل لاعتراضها وجعل اللواء مع سعد بن أبي وقاص واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون وقيل سعد بن معاذ فانتهى الى بواط فلم يلقهم وعاد الى المدينة

(غزوة العشيرة)

العشيرة بالتصغير والمعجمة والمهملة موضع لبني مدلج بينبع خرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الاولى والثانية غازيا قريشا يريد العير التي صدرت الى الشام من مكة صحبة أبي سفيان ونفر من قريش وأعطى اللواء لحمزة عمه واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد وسار الى أن وصل العشيرة فأقام هناك بقية جمادى الاولى وليلة من جمادى الثانية ثم أخبر أن العير التي قصدها قد سبقته وهي التي كانت سببا في غزوة بدر الكبرى عند ايابها ووادع بني مدلج ثم رجع الى المدينة ولم يحصل حرب

(بدر الاولى ويقال لها غزوة سفوان أيضا)

أقام صلى الله عليه وسلم بعد العشيرة نحو عشر ليال ثم أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج في طلبه حتى بلغ ناحية بدر وفاته كرز فرجع الى المدينة وكان قد استخلف عليها زيد بن حارثة وكان حامل اللواء

في هذه الغزوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبعث فيما بين هذه الغزوات بعوثا منها بعث حمزة بعد الابواء بعثه في ثلاثين راكبا الى سيف البحر الاحمر فلاقى أباجهل في ثلثمائة راكب من أهل مكة فحجز بين الفريقين مجدى بن عمرو الجهنى (ومنها) بعث عبيدة بن الحرث بن المطلب في ستين راكبا من الانصار وثمانين من المهاجرين فبلغ سفية المرار ولاقى بها جمعا عظيما من قريش كان عليهم عكرمة بن أبي جهل وقيل مكرز بن أبي حفص بن الاخيف ولم يحصل بين الفريقين قتال وكان بعث حمزة وعبيدة متقاربين ولذلك اختلف في أولهما الا أنه لاخلاف في أنهما أول راية عقدت في الاسلام وقال الطبرى ان بعث حمزة كان قبل ودان وكان في شوال لسبعة أشهر من الهجرة (ومنها) بعث سعد بن أبي وقاص يطلب كرز بن جابر الذى أغار على سرح المدينة فبلغ المرار فلم يجده وعاد الى المدينة (ومنها) بعث عبد الله بن جحش بعثه في ثمانية من المهاجرين الى نخلة (بين مكة والطائف) ليعرفوا أخبار قريش فمر بهم عير لقريش فغنموها وأسروا اثنين وحضروا بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أول غنيمة غنمها المسلمون وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الثانية وألبس عليهم رجب فعيرهم المشركون بذلك فنزل يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه الى قوله تعالى والفتنة أشد من القتل

(غزوة بدر الكبرى)

هي أول غزوة وقع فيها القتال بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين فاظهر الله بها الدين وأعز الاسلام وسببها التعرض للعير التي خرج صلى الله عليه وسلم في طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها قد سبقته بايام فلم يزل مترقبا وفودها من الشام حتى بلغه قدوم أبي سفيان بن حرب بعير قريش ومعه ثلاثون رجلا فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس للخروج اليها

فبلغ أباسفيان الخبر فبعث بذلك الى مكة فقدم منها أبو جهل فى ٩٥٠ رجلا فيهم مائة فارس وخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة لثلاث خلون من رمضان فى السنة الثانية من الهجرة بثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم فارسان ومعهم من الابل سبعون يتعاقبون عليها ونزل بالصفراء وجاءته الاخبار بأن العير قد قاربت بدرا وأن المشركين قد خرجوا ليمنعوها فارتحل ونزل ببدر على أدنى مكان من القوم وبنى له صلى الله عليه وسلم عريش باشارة سعد بن معاذ فجلس فيه ومعه أبو بكر وأقبلت قريش فلما رآها قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تكذب رسولك فنصرك الذى وعدتنى وتقاربوا فبرز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة فاخرج لهم صلى الله عليه وسلم عمه حمزة وابن عمه على بن أبى طالب وعبيدة بن الحرث بن المطلب فقتل حمزة شيبة وقتل على الوليد بن عتبة وكرا على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله ثم مات وتزاحم القوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر فى العريش يدعو ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض اللهم أنجزلى ما وعدتنى ولم يزل كذلك حتى سقط رداؤه فوضعه أبو بكر عليه وأخفق صلى الله عليه وسلم ثم انتبه وقال أبشر يا أبا بكر فقد جاء النصر ثم خرج من العريش يحرض المؤمنين على القتال وأخذ حفنة من الحصباء ورمى بها قريشا وقال شاهت الوجوه ثم قال لاصحابه شدوا عليهم فهزموا قريشا وقتلوا سبعين رجلا منهم أبو جهل وأسروا سبعين منهم العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم وابنا أخويه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ونصر الله رسوله بالملائكة قال تعالى لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة الآيات وقال جل شأنه اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الآية ولما انتهى القتال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسحب القتلى الى القليب

وأقام صلى الله عليه وسلم ببدر ثلاثة أيام بلياليها ثم كر راجعا الى المدينة ولما وصل الى الصفراء أمر عليا بضرب عنق النضر بن الحرث وكان من أشد أعداء الرسول واذا تلا القرآن يقول ما يأتيكم محمد الا بأساطير الاولين ثم أمر بضرب عنق عقبة بن أبي معيط بن أمية وكان عثمان رضي الله عنه قد تخلف في المدينة بأمره صلى الله عليه وسلم بسبب مرض زوجته رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وماتت في غيبته فلم يرجع الى المدينة الا والناس قد نفضوا أيديهم من ترابها وكانت مدة غيبته تسعة عشر يوما

(غزوة بني قينقاع)

بنو قينقاع هم بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول وحلفاء الخزرج ولما كانت واقعة بدر نقضوا عهد الرسول الذي كان بينه وبينهم فخرج اليهم منتصف شوال منها فتحصنوا فحاصرهم خمس عشرة ليلة فنزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم فكتفوا وأراد قتلهم فكلمه فيهم عبد الله بن أبي بن سلول فأعرض عنه فأعاد السؤال فأعرض عنه فأدخل يده في جيب رسول الله وقال له يا رسول الله أحسن فقال ويحك أرسلني فقال لا والله حتى تحسن فقال له صلى الله عليه وسلم هم لك ثم أجلاهم وغنم المسلمون أموالهم وكانوا نحو سبعمائة

(غزوة السويق)

وسببها أن أبا سفيان بن حرب لما وجد ما أصابه هو وأصحابه في بدر من وقوع الهزيمة عليهم حلف ألا يمس الطيب ولا النساء حتى يغزو محمدا ويأخذ بثار قتلى بدر فخرج في مائتي راكب وبعث في مقدمتهم رجالا الى المدينة وصلوا الى أطرافها وقتلوا رجالا من الانصار فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج في طلبه فهرب أبو سفيان وأصحابه وصاروا

يرمون جرب السويق تخفيفا للرواحل فسميت غزوة السويق لذلك

(غزوة قرقرة الكدر)

وهى أرض مما يلى جادة العراق الى مكة وكان حامل اللواء فيها على بن أبى طالب وكانت فى ذى الحجة منها وقيل كانت فى المحرم سنة ثلاث من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان جمعا من سليم وغطفان تحزبوا للاغارة على المدينة فخرج لقتالهم فلم يجد أحدا فساق ماوجده من النعم ورجع الى المدينة

وفى هذه السنة مات عثمان بن مظعون رضى الله عنه وفيها حصلت الوقعة بذى قار بين بكر بن وائل و بين جيش كسرى برويز وانهزمت الفرس وقتل الهرمزان وفيها هلك أمية بن أبى الصلت من رؤساء الكفار قرأ الكتب واطلع على البعثة وكفر حسدا لانه رجا ان يكون هو المبعوث وسافر الى الشام ورجع عقب بدر فمر بالقليب وفيه قتلى بدر ومنهم عتبة وشيبة ابنا خال أمية فجدع أنف ناقته وأنشأ قصيدة يحرض فيها المشركين على المسلمين نهى صلى الله عليه وسلم عن روايتها وهو الذى أنزل الله فيه واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين (ثم دخلت سنة ثلاث من الهجرة) وأهم ماحصل فيها أنه فى رمضان منها ولد الحسن بن على رضى الله عنهما وفيها قتل محمد بن مسلمة الانصارى كعب ابن الاشرف اليهودى وفيها تزوج النبى صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر رضى الله عنهما وتزوج عثمان أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم وحصلت غزوة أمر

(غزوة أمر)

أمر بكسر الهمزة والميم وتشديد الراء اسم ماء ويقال لها غزوة غطفان وغزوة أنمار وسببها أن دعثور بن الحارث الغطفانى جمع جمعا من

ديار غطفان يريد الاغارة على أطراف المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم في جمع من أصحابه واستخلف عثمان بن عفان على المدينة فهرب المشركون في رءوس الجبال وفي هذا المحل بلت ثياب النبي وأصحابه من شدة المطر فنزع النبي أثوابه ونشرها على الشجرة واضطجع برأى من المشركين فجاء اليه دعثور وقال له من يمنعك مني اليوم فقال صلى الله عليه وسلم الله يمنعني منك ودفعه جبريل في صدره فوقع السيف من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا أحد واستجار به فاجاره فاسلم وحمل أصحابه على الاسلام وفي هذه الحادثه نزلت يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم

(وفيها كانت غزوة بحران)

بحران بفتح الباء وضمها وحاء مهملة ساكنة موضع على ثلاثة برد من المدينة وتسمى غزوة بني سليم في ثلاثمائة من أصحابه وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم أن بهذا المكان جمعا من سليم وغطفان فقصدهم فتفرقوا في رءوس الجبال وأعاليها ورجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق حربا

(وفيها كانت غزوة أحد)

وسببها ان أبا سفيان وأعاظم قريش لم يزالوا مصرين على أخذ ثار قتلى بدر فنزل أبو سفيان بذي الحليفة يوم الاربعاء لاربع مضين من شوال سنة ثلاث من الهجرة بثلاثة آلاف من قريش وامرأته هند بنت عتبة في أربع عشرة امرأة معهن الدفوف يضربن بها ويبكين على قتلى بدر ويحرضن المشركين على قتال المسلمين وخرج صلى الله عليه وسلم في ألف رجل منهم عبد الله بن أبي بن سلول المنافق بثلاثمائة من المنافقين ورجع بهم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعمائة رجل نزل بهم في شعب أحد الذي جعل ظهره اليه وحصل القتال بين الفريقين يوم السبت لسبع

مضين من شوال وظهرت فى هذه الغزوة بسالة حمزة رضى الله عنه وقتل فيها ارطاة حامل لواء المشركين واشتغل حمزة بقتل سباع بن عبد العزى فقتله وحشى الحبشى عبد جبير بن مطعم وهو مشتغل عنه بقتل سباع وقتل ابن قمأة الليثى مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين ظانا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاب ظنه فأعطى النبى صلى الله عليه وسلم الراية لعلى فانهزم المشركون وطمعت الرماة فى الغنيمة وفارقوا مكانهم الذى أمروا بملازمته فأتاهم خالد بن الوليد بخيل المشركين من خلفهم وأشيع أن الرسول قد قتل وانهزم المسلمون وأصيبت رباعية الرسول صلى الله عليه وسلم وشج وجهه وكلمت شفتاه وجرح على وأبو بكر وعمر ومثلت هند وصواحبها بالشهداء وكانت هذه الغزوة أشد غزوة على الصحابة قتل فيها منهم سبعون ومن المشركين اثنان وعشرون وفيها نزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء الآية

(وفيها كانت غزوة حمراء الاسد)

وهو جبل بناحية العقيق على ثمانية أميال من المدينة وسببها اظهار القوة والشهامة من المسلمين للمشركين مخافة أن يظنوا بهم ضعفا وذلك انه لما كان صبح يوم الاحد ثامن شوال منها أذن مؤذن النبى صلى الله عليه وسلم بالخروج الى طلب العدو وألا يخرج الا من كان معه بالامس فخرج وخرجوا على ما بهم من الجهد والجراح وسار عليه الصلاة والسلام متجلدا مظهرا القوة ارهبة العدو حتى انتهى الى حمراء الاسد وكان المشركون قد وصلوا اليه من أحد ودفع لواءه وهو معقود لم يحل الى على بن أبى طالب والى أبى بكر وأقام بها ثلاثا ومر به عليه الصلاة والسلام سعيد بن سعد الخزاعى سائرا الى مكة ولقى أباسفيان وكفار قريش بالروحاء فثبطهم عن الخروج للقاء النبى صلى الله عليه وسلم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فانصرفوا

فى غاية الجزع حتى أتوا مكة فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم الخبر قال حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل الله الذين استجابوا لله والرسول الآيتين (ثم دخلت سنة أربع) وفى صفر منها قدم على النبى صلى الله عليه وسلم قوم من عضل والقارة وطلبوا منه أن يبعث معهم من يفقههم فى الدين فبعث معهم ستة وهم ثابت بن أبى الافلح وخبيب بن عدى ومرثد ابن أبى مرثد الغنوى وخالد بن البكير الليثى وزيد بن الدثنة وعبد الله ابن طارق وقدم عليهم مرثد بن أبى مرثد فلما وصلوا الى الرجيع وهو (ماء لهذيل على بعد أربعة عشر ميلا من عسفان) غدروا بهم وقاتلوهم فقتل ثلاثة وأسر ثلاثة وهم زيد وخبيب وعبد الله فأخذهم الى مكة وهرب عبد الله بن طارق فى الطريق وقاتل حتى قتلوه بالحجارة وباعوا زيدا وخبيبا بمكة وقتلوهما صبرا

وفى صفر منها أيضا قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر (ملاعب الاسنة) ولم يسلم ولم يبعد عن الاسلام وقارب فى الامر وقال للنبى لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد يدعونهم رجوت أن يستجيبوا لك فقال أخاف على أصحابى فقال أبو براء أنا لهم جار فبعث صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمير الانصارى فى أربعين من خيار المسلمين فيهم عامر بن فهيرة نزلوا بئر معونة (على أربعة مراحل من مكة) وبعثوا بكتابه صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل فقتل صاحب الكتاب وجمع الجموع وقصدهم فقاتلوا وقتلهم عن آخرهم الا كعب بن زيد فبقى فيه رمق وتوارى فى القتلى ثم لحق بالنبى وأخبره وبقى الى ان استشهد يوم الخندق وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الانصار فرأى الطير يحوم حول المعسكر فقصد المعسكر فوجد القوم مقتولين فقاتل الانصارى حتى قتل وأسر عمرو بن أمية وأعتقه عامر بن

خيامهم وأوقع الله الخلف فيهم فتنازعوا وتفرقوا ورحلوا وكفى الله المؤمنين القتال وقال صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزونا وفي هذه الغزوة نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها الآية (وفيها) أيضا حصلت معجزات كثيرة (منها) ان صخرة اشتدت عليهم في حفر الخندق فضربها صلى الله عليه وسلم بالمعول فانهالت تحت المساحي (ومنها) أن أخت النعمان بن بشير الانصاري بعثتها أمها بقليل تمر الى أبيها وخالها عبد الله بن رواحة فمرت برسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاها وأخذ ما معها من التمر ونشره على ثوب فصدر عنه أهل الخندق وبقي التمر يتساقط من أطراف الثوب (ومنها) ان جابرا شوى له شويهة وخبز قرص شعير ودعاه الى ذلك فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينادي في أهل الخندق هلموا الى بيت جابر فتوجهوا اليه وأجلسهم الى الاكل فريقا بعد فريق فأكلوا وشبعوا جميعا وبقي الطعام بحسبه كما كان

(غزوة بني قريظة)

ولما انصرف صلى الله عليه وسلم من الخندق ورجع الى المدينة أمر بالوحي ظهرا بالسير الى بني قريظة فأمر مناديا ينادي من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم عليا برايته عليهم ثم نزل صلى الله عليه وسلم على بئر من آبارهم وتتابع الناس يلحقونه فحاصر بني قريظة خمسا وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكمه وكانوا حلفاء الاوس فسألوه أن يطلقهم كما أطلق بني قينقاع حلفاء الخزرج بسؤال عبد الله بن أبي فقال ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن معاذ فرضوا بذلك فأحضر سعد على حمار لانه كان مريضا وبه جرح من الخندق فقال صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم ثم حكم فيهم فحكم ان تقتل الرجال وتقسم

الاموال وتسبى الذرارى والنساء فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات ثم عاد صلى الله عليه وسلم الى المدينة وحبس بنى قريظة فى بعض دور الانصار وأمر أن تحفر لهم خنادق وتضرب أعناقهم فيها ففعل بهم كذلك وكانوا نحو سبعمائة ثم قسم سبايا بنى قريظة فأخرج الخمس واصطفى لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خنافة فبقيت فى ملكه حتى ماتت ثم انفجر جرح سعد بن معاذ رضى الله عنه فمات وشيعت جنازته وقيل ان هاتين الغزوتين كانتا فى السنة الرابعة وصححه النووى فى الروضة وفيها كانت غزوة (دومة الجندل) بضم الدال المهملة والجندل بفتح الجيم والدال بلد بين الحجاز والشام وصاحب دومة الجندل يسمى أكيدر وهو الذى أسسها وسببها ما بلغه صلى الله عليه وسلم من أن بها كثيرا يظلمون من مرّ بهم وأنهم مجتمعون يريدون غزو المدينة فقصدهم فى ألف من المجاهدين فتفرقوا ولم يحصل حرب وهرب أهل دومة الجندل وغنم المسلمون غنائم كثيرة وفى رجوعه صلى الله عليه وسلم الى المدينة صالح عيينة بن حصن الفزارى على أن يرعى بمحل بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلا لجدب أرضه فلما سمن حافره وخفه وانتقل الى أرضه أغار على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة وانتهى أمره الى الاسلام فأسلم بعد الفتح وشهد بعض المشاهد وكان من المؤلفة قلوبهم وارتد فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم أسلم ولم يزل مظهرا للاسلام الى أن مات

(وفيها كانت غزوة بنى لحيان) بكسر اللام وفتحها قبيلة من هذيل وسببها ارادة أخذ ثار من قتله هذيل بعد وقعة عاصم بن ثابت وخبيب بن عدى وغيرهما من الصحابة الذين قتلتهم هذيل فقصدهم صلى الله عليه وسلم بجيش فلما وصل اليهم تمنعوا فى رؤس الجبال فرجع ولم يلق حربا

وبها انتهت السنة الخامسة وفيها خرج لغزوة الغابة المعروفة بغزوة ذي قرد
(ثم دخلت سنة ست) وفيها حصلت غزوة (ذي قرد) بفتح القاف والراء
وبالدال المهملة موضع على ليلتين من المدينة على طريق خيبر قال البخاري
ومسلم انها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام ولكن أجمع أهل السير على خلافهما
وسببها اغارة عيينة بن حصن في أربعين فارسا من غطفان وفزارة على
لقاح رسول الله بالغابة فنادى رسول الله يا خيل الله اركبي فأول من أقبل
عليه من الفرسان المقداد بن الاسود فعقد له لواء في رمحه ثم تلاحقت به
الفرسان وأميرهم سعد بن زيد فاستنقذوا بعضها وعادوا الى المدينة
وكانت غيبتهم عنها خمس ليال

وفيها كانت (غزوة بني المصطلق) لأنها كانت في شعبان سنة ست على
الصحيح وقيل كانت سنة خمس ويقال لها غزوة المريسيع أيضا وسببها
ما بلغه صلى الله عليه وسلم من أن الحرث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق
قد جمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم جموعا كثيرة فبعث بريدة بن
الحصيب يعلم علم ذلك فاتى الحرث وكلمه وعرف أنه مصر على ذلك
فرجع الى رسول الله وأخبره بذلك فخرج عليه الصلاة والسلام حتى لقيه
بماء لهم يقال له المريسيع واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق فقتل المسلمون
كثيرا منهم وغنموا وسبوا كثيرا ووقعت جويرية بنت قائدهم الحرث
ابن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس فكاتبته على نفسها فأدى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنها كتابتها وتزوجها فقال الناس أصهار الرسول
فأعتق بتزوجه اياها مائة من أهل بني المصطلق فكانت عظيمة البركة
على قومها

وفيها قتل رجل من الانصار رجلا من المسلمين خطأ يظنه كافرا والقتيل
هو هشام الليثي وكان أخوه مقيس مشركا فقدم المدينة وأظهر الاسلام

طا البادية أخيه فامر له رسول الله بها وأقام قليلا ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتدا ومن قوله

حللت بها وترى وأدركت ثورتى ✲ وكنت الى الاوثان أول راجع

وهو ممن أهدر النبى دمه يوم الفتح وفى هذه الغزوة ازدحم جوجاه الغفارى أجير عمر رضى الله عنه وسنان الجهنى حليف الانصار على الماء وتقاتلا فصرخ الانصارى يامعشر الانصار وصرخ الغفارى يامعشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبى المنافق وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم فقال عبد الله بن أبى أوقد فعلوها قد كاثرونا فى بلادنا أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل ثم قال لمن حضر من قومه هذا مافعلتم بانفسكم أحللتموهم دياركم وقاسمتموهم أموالكم لو أمسكتم عنهم لتحولوا عنا فأخبر زيد بن أرقم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وحينئذ قال عمر بن الخطاب يارسول الله مر بقتله فقال ياعمر كيف يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ثم أمر بالرحيل فى وقت لم يكن يرحل فيه ليقطع ما الناس فيه فلقيه أسيد بن حضير وقال يارسول الله رحت فى ساعة لم تكن لتروح فيها فقال أوما بلغك ماقاله عبد الله بن أبى فقال وماذا قال فأخبره بمقاله فقال أنت والله تخرجه ان شئت أنت العزيز وهو الدليل وبلغ ابنه عبد الله ذلك وكان حسن الاسلام فقال يارسول الله بلغنى أنك تريد قتل أبى فان كنت فاعلا فرنى فانا أحمل اليك رأسه فقال صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته مابقى معنا

ولما رجع النبى من هذه الغزوة وهو بالطريق كان (حديث الافك) فقال أهل الافك ماقالوا فى عائشة رضى الله عنها وهم مسطح بن اثاثة بن عباد بن عبد المطلب وهو ابن خالة أبى بكر الصديق وحسان بن ثابت وعبد الله بن أبى وحمنة بفتح الحاء والنون بينهما ميم ساكنة بنت جحش ورموا

عائشـة بالافك مع صفوان بن المعطل صاحب الناقة فلما أنزل الله براءتها
جلدهم صلى الله عليه وسلم حد القذف الاعبد الله بن أبى فلم يجلده
وفى هذه الغزوة أيضا نزل التيمم وقيل انه نزل فى السنة الرابعة وفى سنة ست
أيضا كانت (غزوة الحديبية) وهى بئر أو شجرة بقرب مكة وقيل قرية
وسببها أن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم رأى رؤيا قبل أن يخرج الى
الحديبية أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام وأخـذ مفتاح الكعبة بيده
وطافوا واعتمروا وحلق بعضهم وقصر بعض فأخبر بذلك أصحابه وحسبوا
أنهم داخلو مكة عامهم هذا فاخبر أصحابه أنه معتمر فخرج من المدينة يوم
الاثنين غرة ذى القعدة سـنة ست معتمرا فى ألف وأربعمائة رجل من
المهاجرين والانصار لا يريد حربا وساق الهدى حتى بلغ ثنية المرار هبط
الحديبية أسفل مكة فبعث قريش اليه عروة بن مسعود الثقفى سيد أهل
الطائف فقال له ان قريشا عاهدوا الله أن لا تدخل عليهم مكة عنوة وترجع
اليهم فقال جئت كسرى وقيصر فى ملكهما فوالله ما رأيت ملكا فى قومه
مثل محمد فى أصحابه فبعث النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ليخبر أبا
سفيان وأشراف قريش انه لم يأت لحرب بل أتى زائرا معظما لهذا البيت
فقالوا لعثمان ان أحببت أن تطوف بالبيت فطف فقال لا الا أن يطوف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوه ومنعوه الرجوع وبلغ رسول الله أنه
قتل فدعا من معه الى البيعة فبايعوه بيعـة الرضوان تحت الشجرة ثم علموا
أن عثمان لم يقتل وبلغ قريشا ذلك فبعثوا الى النبى صلى الله عليه وسلم سهيل
ابن عمرو فى الصلح فأجابهم الى ما طلبوه وهو وضع الحرب بينه وبينهم عشر
سنين وانه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن
يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه وأشهد على الكتاب رجالا من
الفريقين ثم نحر هديه وحلق رأسه وفعل أصحابه مثله ثم عاد الى المدينة وفى

هــذه الغزوة وقع من معجزاته نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم (ثم دخلت سنة سبع) وفيها غزا عدة غزوات وابتدأ يرسل رسله الى الملوك والعظماء يدعوهم للاسلام وفيها كانت غزوة (خيبر) خرج صلى الله عليه وسلم اليها فى منتصف المحرم منها وحاصره وافتتح حصونها حصنا حصنا وأصاب منها سبيا منه صفية بنت كبيرهم حيي بن أخطب فتزوجها صلى الله عليه وسلم وجعل عتقها صداقها وهو من خواصه صلى الله عليه وسلم ومن خبرها أنهم لما وصلوا اليها أخذ الراية أبو بكر فقاتل قتالا شديدا ورجع فاخذ عمر بن الخطاب فقاتل أشد منه ورجع فقال صلى الله عليه وسلم أما والله لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاستشرف اليها المهاجرون والانصار وجاء علي من المدينة أرمد فمسح صلى الله عليه وسلم على عينيه فبرأتا وأعطاه الراية فسار وقاتل أهل الحصن وضرب بعضهم فألقى ترسه من يده فتناول من عند الحصن بابا فتترس به وقاتل حتى قتل مرحبا صاحب الحصن شجاع خيبر ثم فتح الله عليه وكان فتحها فى صفر بعد الحصار بضع عشرة ليلة وعند انتهاء الحرب ألقى الباب من يده فاجتهد ثمانية من الصحابة أن ينقلوه فما قدروا وسأل أهل خيبر وفدك رسول الله الصلح على أن يساقيهم بنصف الثمار ويخرجهم متى شاء فكانت خيبر للمسلمين وفدك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة من دون المؤمنين لانه فتحها بلا إيجاف وانصرف صلى الله عليه وسلم من خيبر الى وادى القرى فحاصره وفتحه عنوة ثم سار الى المدينة فقدم من الحبشة بقية المهاجرين ومنهم جعفر بن أبي طالب فقال صلى الله عليه وسلم ما أدرى بأيهما أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر وفى هذه السنة تزوج صلى الله عليه وسلم أم حبيبة أخت معاوية ومن خبرها أنها كانت قد هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر عبيد الله فكتب صلى الله

عليه وسلم الى النجاشي يطلب المهاجرين ويخطبها فزوجها له من ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بالحبشة وأصدقها النجاشي عنه أربعمائة درهم وبلغ خبرها أبا سفيان فقال ذلك الفحل الذي لا يقدع أنفه وكلم رسول الله المسلمين أن يدخلوا الذين حضروا من الحبشة في سهامهم من مغنم خيبر فرضوا بذلك وقاسموهم وفي خيبر سمته زينب بنت الحارث اليهودية في الشاة فلاك منها قطعة فأخبرته الشاة أنها مسمومة فلفظها وروى أنه قال في مرض موته ان أكلة خيبر لم تزل تعاودني (وفيها) ابتدأ صلى الله عليه وسلم برسل الى الملوك والعظماء يدعوهم للاسلام فارسل الى (كسرى برويز) ملك الفرس والى قيصر ملك الروم والى المقوقس صاحب مصر والى النجاشي ملك الحبشة والى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب بصرى والى هوذة ملك اليمامة والى المنذر ملك البحرين والى غيرهم فأما (كسرى برويز) فانه لما وصل اليه كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم على يد عبد الله بن أبي حذافة أخذته العزة وعظمة الملك فمزقه فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال مزق الله ملكه فمزق بعد قليل من الزمن ثم ان كسرى بعد أن مزق الكتاب بعث الى عامله باذان باليمن أن ابعث الى هذا الرجل الذي في الحجاز فبعث باذان الى النبي صلى الله عليه وسلم رجلين وأرسل معهما كتابا يأمره فيه بالمسير الى كسرى فلما قدما عليه أعلماه بما قدماله وقالا ان قبلت ذلك كتب فيك باذان الى كسرى وان أبيت فهو مهلكك فأخر الجواب الى الغد فنزل عليه الوحي وأخبره أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله فأخبرهما بذلك وقال لهما ان ديني وسلطاني سيبلغان ملك كسرى فقولا لباذان أسلم فرجعا الى باذان وأخبراه بذلك فبينما هو متفكر في أمره اذ ورد عليه كتاب شيرويه يخبره بأنه قتل أباه كسرى وأنه لا يتعرض الى رسول الله فأسلم باذان وتبعه كثير

من أهل فارس (وأما قيصر) هرقل ملك الروم فلما وصل الكتاب اليه مع دحية الكلبي عظمه ووضعه على فخذه ورد دحية رسوله ردا جميلا (وأما المقوقس) صاحب مصر جريج بن متى فانه أرسل اليه حاطب بن أبي بلتعة فأكرمه وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم جاريتين أو أربع جوار منهن مارية القبطية أم ابراهيم وأهدى اليه أيضا بغلة وحمارا وأشياء أخرى من خيرات مصر (وأما النجاشي) ملك الحبشة فانه أرسل اليه عمرو بن أمية الضمري فقبل الكتاب وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب الذي كان مهاجرا اليها (وأما الحرث بن أبي شمر الغساني) فلما وصل الكتاب اليه على يد شجاع بن وهب الاسدي قال أنا سائر اليه فقال صلى الله عليه وسلم باد ملكه فأهلكه الله بعد قليل (وأما هوذة) ملك اليمامة فأرسل اليه سليط بن عمرو فقال ان جعل لي الامر بعده سرت اليه وأسلمت ونصرته والا قصدت حربه فقال لا ولا كرامة اللهم اكفنيه فمات بعد قليل من الزمن (وأما المنذر ملك البحرين) فأرسل اليه العلاء بن الحضرمي فأسلم وتبعه جميع أهل البحرين وأرسل كثيرا غير من ذكر كعمرو بن العاص فانه أرسله الى جعفر وعبد الله ملكي عمان فأسلما وتبعهما كثير من الناس وأمية المخزومي فانه أرسله الى الحرث بن عبد ياليل بن عبد كلال الحميري باليمن فقال سأنظر في أمري والحرث بن عمير الى صاحب بصرى فعرض له عمرو بن شرحبيل فقتله بموتة ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول سواه وبسبب مقتله (كانت غزوة مونة) وأبي موسى الاشعري ومعاذ بن جبل وأردفهم علي بن أبي طالب الى اليمن فأسلم عامة اليمن طوعا من غير قتال وفي ذي القعدة من هذه السنة خرج صلى الله عليه وسلم معتمرا (عمرة القضاء) وساق معه سبعين بدنة ولما قرب من مكة خرجت له قريش وتحدثوا أن محمدا في عسر وجهد فاصطفوا له

عند دار الندوة فلما دخل المسجد الحرام اضطبع بأن جعل وسط ردائه تحت عضده الايمن وطرفيه على عاتقه الايسر ثم قال رحم الله امرأ أراهم اليوم قوة ورمل فى أربعة أشواط من الطواف ثم سعى بين الصفا والمروة وتزوج فى سفره هذا ميمونة بنت الحرث زوجه بها العباس فى الاحرام وهو من خواصه صلى الله عليه وسلم ثم عاد الى المدينة

(ثم دخلت سنة ثمان) وفى جمادى الاولى منها كانت (غزوة موتة) وهى أول غزواته الى الروم وموتة قرية دون دمشق بأدنى البلقاء وسببها انه صلى الله عليه وسلم أرسل الحرث بن عمير الى ملك بصرى بكتابه فعرض له بموتة عمرو بن شرحبيل الغسانى فقتله كما سبق ولما بلغه ذلك بعث ثلاثة آلاف وأمر عليهم زيد بن حارثة مولاه وقال ان أصيب فجعفر بن أبى طالب فان أصيب فعبد الله بن رواحة فقال أبو بكر حسبك يا رسول الله فانى أتخوف أن لا نعد أحدا الا قتل وجلس صلى الله عليه وسلم على المنبر وكشف له عن معركتهم فقال أخذ الراية زيد بن حارثة حتى استشهد فصلى عليه وقال استغفروا له ثم قال أخذ الراية جعفر حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لأخيكم جعفر ثم قال أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة وكان صلى الله عليه وسلم يخبر أصحابه بالساعة التى قتلوا فيها ولما قتل هؤلاء اتفق المسلمون على خالد فأخذ الراية وجاءته العرب المتنصرة والروم فى نحو مائة ألف فهزمهم الله على يديه ثم عاد منصورا الى المدينة وفى هذه السنة كان نقض الصلح وفتح مكة وذلك أن بنى بكر كانوا فى عقد قريش وعهدهم وخزاعة كانت فى عقد النبى وعهده فاتى فى هذه السنة بنو بكر جماعة من خزاعة فقتلوا منهم باعانة من قريش فانتقض عهدهم وندمت قريش فقدم أبو سفيان ليجدد العهد ودخل على أم حبيبة فطوت عنه فراش النبى صلى الله عليه وسلم

فقال يابنتي أرغبت به عني أم رغبت بي عنه فقالت هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس فقال لقد أصابك بعدي شر ثم أتاه فكلمه فلم يرد شيأ وأتى كبار الصحابة مثل أبي بكر وعلي فما أجابه أحد فعاد وأخبر قريشا وتجهز صلى الله عليه وسلم وقصد أن يبغت قريشا بمكة قبل أن يعلموا به فكتب حاطب بن أبي بلتعة اليهم مع سارة مولاة بني هاشم يعلمهم بذلك فأطلع الله رسوله على ذلك وأرسل عليا والزبير فأخذا منها الكتاب ثم قال لحاطب ما حملك على هذا فقال والله اني مؤمن ما بدلت ولا غيرت ولكن لي بين أظهرهم أهل وولد وليس لي عشيرة فصانعتهم بذلك فقال عمر رضي الله عنه دعني أضرب عنقه فانه منافق فقال النبي لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ثم خرج من المدينة لعشر من رمضان ومعه المهاجرون والانصار وطوائف من العرب وكان جيشه عشرة آلاف حتى قارب مكة فركب العباس بغلة النبي صلى الله عليه وسلم لعله يجد رجلا يعلم قريشا ليأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأمنوه والا هلكوا قال فسمعت صوت أبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعي خرجوا متنكرين فقلت أبا حنظلة يعني أبا سفيان فقال أبا الفضل قلت نعم قال فداك أبي وأمي ما وراءك قلت قد أتاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف فقال ما تأمرني به قلت تركب لأستأمن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم والا تضرب عنقك فردفني وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت طريقي على عمر بن الخطاب فقال عمر أبا سفيان الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم اشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدركته فقال يارسول الله دعني أضرب عنقه وسأله العباس فيه فقال صلى الله عليه وسلم قد أمناه وأحضره يا عباس بالغداة فرجع به العباس

الى منزله وجاء به بالغداة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان
أما آن لك أن تعلم أن لا اله الا الله قال بلى قال ويحك ألم يأن لك أن تعلم أنى
رسول الله فقال بأبى وأمى أما هذه ففى النفس منها شىء فقال له العباس
ويحك تشهد قبل أن تضرب عنقك فتشهد وأسلم معه حكيم بن حزام
وبديل بن ورقاء ثم أمر العباس أن يذهب بأبى سفيان الى مضيق الوادى
يشاهد جنود الله فقال يارسول الله انه يحب الفخر فاجعل له شيئا يكون فى
قومه فقال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام
فهو آمن قال العباس فخرجت به كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمرت عليه القبائل وهو يسأل عنها قبيلة قبيلة وأنا أعلمه حتى مر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء من المهاجرين والانصار فقال
لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقلت ويحك انها النبوة فقال نعم اذن ثم
أمر صلى الله عليه وسلم أن يدخل الزبير ببعض الناس من كدا وسعد بن
عبادة سيد الخزرج ببعض الناس أن يدخل من ثنية كداء وأمر عليا
أن يأخذ الراية منه فيدخل بها لما بلغه من قول سعد اليوم يوم الملحمة اليوم
تستحل الحرمة وأمر خالدا أن يدخل من أسفل مكة فى بعض الناس
ونهاهم عن القتال فلم يقاتلوا الا خالدا فانه لقيه جماعة من قريش فرموه
بالنبل ومنعوه الدخول فقاتلهم وقتل ثمانية وعشرين مشركا فقال صلى
الله عليه وسلم ألم أنه عن القتال فقالوا ان خالدا قوتل فقاتل وقتل اثنان
من المسلمين وفتحت مكة يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان عنوة بالسيف
وهو مذهب الشافعى وقال أبو حنيفة فتحت صلحا ولما مكنه الله من رقاب
قريش قال ماترونى صانعا بكم فقالوا له خيرا أنت أخ كريم وابن أخ
كريم قال فاذهبوا فأنتم الطلقاء ولما اطمأن الناس خرج صلى الله عليه
وسلم الى الطواف فطاف سبعا على راحلته واستلم الركن بمحجن كان فى

يده ودخل الكعبة ورأى فيها الشخوص على صور الملائكة وصورة ابراهيم وفي يده الازلام يستقسم بها فقال قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالازلام ماشأن ابراهيم والازلام ثم أمر بتلك الصور فطمست وصلى في البيت وكسر الاصنام التي به بقضيب كان بيده فما أشار به الى صنم من جهة وجهه الا استلقى على قفاه أو من خلفه الا انكب على وجهه وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وأهدر صلى الله عليه وسلم دم عشرة رجال وست نسوة فمنهم من عصمه الله بالاسلام ومنهم من أخذ له بعض الصحابة أمانا ومنهم من أصر على كفره حتى قتل (والاول) من الرجال عكرمة بن أبي جهل واستأمنت له زوجته أم حكيم فأمنه صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه (الثاني) هبار بن الاسود وأسلم فعفا عنه (الثالث) عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان بن عفان من الرضاعة فأتاه به عثمان وسأله فيه فصمت طويلا ثم أمنه فأسلم وقال صلى الله عليه وسلم انما صمت ليقوم أحدكم فيقتله فقالوا هلا أومأت الينا فقال ان الانبياء لا تكون لهم خائنة الاعين وكان هذا قد أسلم قبل الفتح وكتب الوحي فكان يبدل القرآن ثم ارتد ثم أسلم وعاش الى خلافة عثمان وولاه مصر (الرابع) مقيس بن صبابة لقتله الانصاري الذي قتل أخاه خطأ وارتداده (الخامس) عبد الله بن هلال كان قد أسلم ثم قتل مسلما وارتد (السادس) الحويرث ابن نقيل كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهجوه فقتله علي رضي الله عنه (السابع) صفوان بن أمية وكان كثير الاذى للرسول فاستأمن له عمير بن وهب ثم آل أمره الى الاسلام (الثامن) كعب بن زهير وكان يهجو الرسول وحضر اليه وهو جالس بالمسجد وأنشده قصيدة بانت سعاد فعفا عنه وأجازه ببردته الشريفة (التاسع) عبد الله بن الزبعري وكان يهجو الصحابة ويحرض على قتالهم فلما بلغه هرب الى

نجران ثم عاد وأسلم (العاشر وحشى) بن حرب قاتل حمزة فهرب ثم عاد في وفود الطائف وأسلم وأمره رسول الله أن يغيب وجهه عنه (وأما النساء) فاحداهن هند زوج أبي سفيان فتنكرت مع نساء قريش وبايعته فلما عرفها قالت له أنا هند فاعف عما سلف فعفا عنها (الثانية والثالثة) قينتان مغنيتان لابن خطل كانتا تغنيان له بهجاء الرسول فأمر بقتلهما فقتلت احداهما وأسلمت الثانية (الرابعة) مولاة بني خطل وقتلت يوم الفتح (الخامسة) مولاة بني عبد المطلب (السادسة) حاملة كتاب حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة استأجرها بعشرة دنانير وأذن بلال الظهر على الكعبة فقالت جويرية بنت أبي جهل قد أكرم الله أبي فلم يشهد نهيق بلال على ظهر الكعبة وقال الحرث بن هشام ليتني مت قبل هذا وقال خالد بن اسيد لقد أكرم الله أبي فلم ير هذا اليوم فخرج صلى الله عليه وسلم ثم ذكر لهم ما قالوه فقال الحرث أشهد أنك رسول الله فانه ما اطلع على هذا أحد سوانا فنقول أخبرك وبعد فتح مكة بعث صلى الله عليه وسلم السرايا حولها يدعون الناس الى الاسلام ولم يأمرهم بقتال وكانت بنو جذيمة قد قتلوا في الجاهلية عوفا أبا عبد الرحمن وقتلوا عم خالد الفاكه وكانا قد أقبلا من اليمن فأخذوا أموالهما وقتلوهما وكان من السرايا التي بعثها سرية خالد بن الوليد فنزل على ماء لبني جذيمة فأقبلوا بالسلاح فقال خالد دعوا السلاح فان الناس قد أسلموا فوضعوه وأمر بهم فكتفوا وقتل كثيرا منهم وبلغ النبي ذلك فرفع يديه الى السماء وقال اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد ثم أرسل صلى الله عليه وسلم عليا بمال يؤدي به دياتهم فدفعها لهم وأعطاهم ما فضل من الديات تطييبا لخاطرهم فأعجب النبي فعله وأنكر عبد الرحمن ابن عوف على خالد فعله فقال ثأرت أباك فقال بل ثأرت عمك الفاكه وفعلت فعل الجاهلية في الاسلام وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم

خصامهما فقال ياخالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة أحدهم ولا روحته وفي شوال منها كانت (غزوة حنين) وهو واد بينه و بين مكة ثلاث ليال ولما فتحت مكة تجمعت هوازن لحربه صلى الله عليه وسلم ومقدمهم مالك بن عوف النضري وانضمت اليه ثقيف أهل الطائف و بنو سعد بن بكر الذي رضع فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وحضر بنو جشم وفيهم دريد بن الصمة وقد جاوز المائة يستقدون برأيه وهو يرتجز و يقول

يا ليتني فيها جذع ✲ أخب فيها وأضع

و بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج من مكة لست من شوال وكان يكثر الصلاة بمكة من يوم فتحها الى خروجه هذا وخرج معه صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا ألفان من مكة وعشرة آلاف من غيرها ومعه صفوان بن أمية لم يسلم بل استمهل بالاسلام شهرين وأعاره مائة درع ومعه أيضا جمع من المشركين وانتهى الى حنين وأعجب المسلمين كثرتهم وقال رجل منهم لن نغلب اليوم من قلة ثم التقى الجمعان وانهزم المسلمون لا يلوى بعضهم على بعض وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المهاجرين والانصار وآل بيته حتى تراجع المسلمون ونصروا على المشركين وتبعوهم قتلا وأسرا ووقعت في الاسر الشيماء أخت رسول الله من الرضاعة بنت حليمة السعدية فاكرمها وزودها وردها الى قومها اجابة لطلبها وفي هذه الغزوة نزل قوله تعالى و يوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها الآية (حصار الطائف) ولما انهزمت ثقيف من حنين تحصنوا بالطائف فسار اليهم صلى الله عليه وسلم وحاصرهم نيفا وعشرين يوما وقاتلهم بالمنجنيق

وقطع أعناقهم ثم انصرف الى الجعرانة وبها غنائم هوازن وكانت أربعة وعشرين الف بعير وأكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة فرقها على غير الانصار فوجدوا فى أنفسهم فدعاهم وقال يامعشر الانصار أوجدتم على لماعة من الدنيا ألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم أما ترضون أن تذهب الناس بالبعير والشاة وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم الى رحالكم أما والذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الانصار وأتى اليه بعض هوازن فرد عليهم نصيبه ونصيب بنى المطلب وأطلق السبى وكان عدته ثمانية آلاف وأسلم مالك بن عوف مقدمهم هوازن واستعمله النبى على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل ثم اعتمر وعاد الى المدينة واستخلف على مكة عتاب بن أسيد وهو شاب لم يبلغ عشرين سنة وترك معه معاذ بن جبل يفقه الناس فى الدين وفيها ولد ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم وفيها مات حاتم الطائى المضروب به المثل فى الجود

(ثم دخلت سنة تسع) وفيها تتابعت الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل الناس فى دين الله أفواجا وورد عليه عروة بن مسعود الثقفى وكان غائبا عن حصار الطائف فأسلم وحسن اسلامه ثم قال أمضى الى قومى وادعوهم فقال صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوك فكان كما قال ووفد كعب بن زهير بن أبى سلمى بعد أن أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه ومدحه بقصيدته (بانت سعاد) فأعطاه بردته واشتراها معاوية رضى الله عنه فى خلافته من أهل كعب بأربعين ألف درهم ثم توارثها الخلفاء وبقيت فيما بينهم حتى أخذها التتر

(غزوة تبوك)

وفى رجب منها أعلم الناس بالتجهز الى الروم وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى بغيرها الا فى هـذه الغزوة فكره الناس الخروج لشدة الحر وجدب البلاد وعسر الناس مع ايناع الثمار الباعث على حب المقام فسمى جيش العسرة وأمر الناس بالتجهز وكانت الثمار قد طابت فتجهزوا على كره وأمر صلى الله عليه وسلم بالانفاق فأنفق أبو بكر جميع ماله وأنفق عثمان ثلاثمائة بعير طعاما وألف دينار فقال صلى الله عليه وسلم لا يضر عثمان ما صنع بعد اليوم وتخلف عبد الله بن أبى المنافق وتخلف ثلاثة من الانصار وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية واستخلف صلى الله عليه وسلم على أهله عليا فأرجف بذلك المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا فأخذ سلاحه ولحق به وأخبره بما قالوه فقال كذبوا انما خلفتك لمن ورائى فارجع فاخلفنى فى أهلى أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبى بعدى وكان معه صلى الله عليه وسلم ثلاثون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف ولقوا فى الطريق حرا وعطشا ووصلوا الحجر أرض ثمود فنهاهم عن مائه وعن الدخول فى منازلهم وساروا حتى وصلوا تبوك وهى فى أطراف الشام من جهة القبلة بينها وبين المدينة نحو أربع عشرة مرحلة وهى آخر غزواته صلى الله عليه وسلم فأقام بها عشرين ليلة وقدم عليه يوحنا صاحب ايلة فصالحه على الجزية وصالح أهل أزرح على مائة دينار فى كل رجب وبعث خالد بن الوليد فأتى باكيدر صاحب دومة الجندل فصالحه على الجزية ثم قدم الى المدينة فى رمضان فاعتذر اليه الثلاثة الذين خلفوا ونهى صلى الله عليه وسلم عن مخاطبتهم فاعتزلهم الناس خمسين ليلة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فأنزل الله توبتهم فى قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت الآية وقدم عليه وفد ثقيف فأسلموا وبعث

معهم المغيرة بن شعبه لهدم اللات
(ثم دخلت سنة عشر) وفيها جاءته وفود العرب قاطبة يطلبون الاسلام ودخل الناس فى دين الله أفواجا وجاء النصر والفتح من كل مكان وبعث عليا الى اليمن بكتاب قرأه عليهم فاسلمت همدان كلها فى يوم واحد ثم تتابع أهل اليمن على الاسلام وكتب بذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فأمره ان يأخذ من صدقات نجران وجزيتهم ففعل وعاد فاتى النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فى حجة الوداع

(حجة الوداع)

خرج صلى الله عليه وسلم حاجا لخمس بقين من ذى القعدة واختلف العلماء فى حجة الوداع هل كانت قرانا أو تمتعا أو افرادا والاظهر القران حج صلى الله عليه وسلم وساق الهدى وعلم الناس مناسك الحج والسنة ونزلت اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا الآية فبكى ابو بكر رضى الله عنه لما سمعها كأنه استشعر أنه ليس بعد الكمال الا النقصان وأنه قد نعيت اليه صلى الله عليه وسلم نفسه وخطب النبى صلى الله عليه وسلم بعرفة خطبة بين فيها الاحكام وتم حجه وعاد الى المدينة وسميت حجة الوداع لانه لم يحج بعدها
(ثم دخلت سنة احدى عشرة) وفيها ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم أقام بالمدينة بعد قدومه من حجة الوداع حتى خرجت سنة عشر والمحرم ومعظم صفر من سنة احدى عشرة وابتدأ به مرضه فى أواخر صفر قبل ليلتين بقيتا منه وهو فى بيت زينب بنت جحش وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه فى بيت ميمونة بنت الحرث فجمع نساءه واستأذنهن أن يمرض فى بيت احداهن فأذن له أن يمرض فى بيت عائشة فانتقل اليه وكان قد جهز

جيشا مع مولاه أسامة بن زيد وأكد في مسيره في مرضه وعن عائشة رضي الله عنها قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وبي صداع وأنا أقول وارأساه قال بل أنا يا عائشة أقول وارأساه ثم قال ما ضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك ودفنتك فقلت كأني بك والله لو فعلت ذلك ورجعت الى بيتي تعرست ببعض نسائك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أثناء مرضه وهو في بيت عائشة خرج بين الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما حتى جلس على المنبر فحمد الله ثم قال أيها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد مني ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه ومن أخذت منه مالا فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلي فانها ليست من شأني ثم نزل وصلى الظهر ثم رجع الى المنبر فعاد الى مقالته فادعى عليه رجل ثلاثة دراهم فأعطاه عوضها ثم قال ألا ان فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ثم صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم ثم قال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر وقال فديناك بأنفسنا ثم أوصى بالأنصار ولما اشتد به وجعه صلى الله عليه وسلم قال ائتوني بدواة وبيضاء أكتب لكم كتابا لا تضلون بعدي أبدا فتنازعوا فقال لا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا ان رسول الله يهجر فذهبوا يعيدون عليه فقال دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني اليه وكان في أيام مرضه يصلي بالناس وانما انقطع ثلاثة أيام فلما أذن بالصلاة أول ما انقطع قال مروا أبا بكر فليصل بالناس وسارّ فاطمة رضي الله عنها في مرضه فبكت ثم سارّها فضحكت فلما مات أخبرت بأنه قال لي في الاولى اني ميت من وجعي هذا فبكيت وقال في الثانية انك أول أهلي لحوقا بي فضحكت فكان كما قال وتزايد به مرضه حتى توفي يوم الاثنين ضحوة النهار وقيل نصفه قالت عائشة رأيت رسول الله وهو

يموت وعنده قدح فيه ماء يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم
يقول اللهم أعني على سكرات الموت قالت وثقل في حجري فذهبت أنظر في
وجهه واذا بصره قد شخص وهو يقول بل الرفيق الأعلى فعلمت أنه خير
فاختار فلما قبض وضعت رأسه على وسادتي ووفاته صلى الله عليه وسلم
على الصحيح يوم الاثنين ثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فعلى هذه
الرواية يكون يوم وفاته موافقا ليوم مولده ولما مات ارتد كثير من العرب
الا أهل مكة والطائف والمدينة فلم يدخلها ردة وكان عامل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على مكة عتاب بن أسيد فاستخفى خوفا على نفسه فارتجت مكة
وكاد أهلها يرتدون فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة وصاح بقريش
وغيرهم فاجتمعوا اليه فقال يا أهل مكة كنتم آخر من أسلم فلا تكونوا
أول من ارتد والله ليتمن هذا الامر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامتنع أهل مكة من الردة وتولى غسله علي والعباس والفضل وقثم ابنا
العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
العباس وابناه يقلبونه وأسامة وشقران يصبان الماء عليه وعلي يغسله وعليه
قميصه وهو يقول بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا ولم ير منه ما يرى من الميت
وكفن في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة أدرج فيها ادراجا
وصلوا عليه أفذاذا ودفن تحت فراشه الذي مات عليه وحفر له أبو طلحة
الانصاري ونزل في قبره علي والفضل وقثم ودفن ليلة الاربعاء على
الصحيح وهو وان غابت عن الوجود طلعته فقد بقيت شريعته وبركته
كيف لا وهو الذي أظهر هذا الدين القويم وهدى الخلق الى الصراط
المستقيم فكل فضل منسوب الى فضله وكل علم مستفاد من علمه ونبله
وقد فضله الله على الخلق أجمعين وخصه بخصائص لا يحصيها أحد من
العالمين ولهذا وجب أن نذكر شيأ من مناقبه على سبيل الاختصار والايجاز

ومارأينا أحسن مما وصفه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث انه روى أنه سمع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا تسمعهم عليه فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكت فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتها بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بذنبك فقال عفا الله عنك لم أذنت لهم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعلك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون لو كانوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وأمي يارسول الله ان كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذلك بأعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح بالأبطح صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله احياء الموتى فماذلك بأعجب من الشاة المسمومة حيث كلمتك وهي مشوية فقالت لا تأكلني فاني مسمومة بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا عن آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا

يعلمون بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد تبعك في قلة سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا في كبر سنه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل بأبي أنت وأمي يارسول الله لولم تجالس الا كفؤا ما جالستنا ولولم تتزوج الا كفؤا ما تزوجت منا ولولم تؤا كل الا كفؤا ما آكلتنا لبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض تواضعا منك صلى الله عليك وسلم اه وقال أنس رضي الله عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء

وكان صلى الله عليه وسلم من الفصاحة بمرتبة عالية فكان أفصح العرب لسانا وأوضحهم بيانا وأعدلهم نطقا وأسدهم لفظا وأبينهم لهجة وأقوامهم حجة وأعرفهم بمواقع الخطاب وأهداهم الى طرق الصواب تأييدا إلهيا وحفظا سماويا وعناية ربانية ورعاية روحانية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم بما يفهمون ويحدثهم بما يعلمون ويفقهون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم

(أزواجه صلى الله عليه وسلم)

جملة المشهورات المتفق عليهن من أزواجه صلى الله عليه وسلم احدى عشرة امرأة ست من قريش وأربع عربيات وواحدة غير عربية من بني اسرائيل من سبط هرون بن عمران كما قاله الطبراني وهؤلاء اللاتي لاخلاف فيهن وأولهن (خديجة) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي بن كلاب القرشية الاسدية صاحبة الشرف والمال والصفة والكمال كانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة أمها فاطمة بنت زائدة بنت الاصم وهي سيدة النساء وأسبقهن نكاحا واسلاما ولا خلاف في أنها أول

فسالة صلى الله عليه وسلم وأنه لم يتزوج قبلها ولا معها حتى ماتت واختلفوا في ترتيب البواقي وكانت خديجة تاجرة قرشية ذات شرف ومال وعفة وكمال وقومها كانوا حريصين على نكاحها وقد زادها الله شرفا بنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أراد الله ذلك وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام من تجارتها وأخبرت بما ربحوا سرت بذلك ثم قدم عبدها ميسرة وأخبرها بالربح وبما شاهده من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يدل على أنه سيكون سيد هذه الامة فأضعفت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ضعف ما سمت له ورغبت فيه قال ميسرة أرسلتني خديجة سرا الى محمد بعد أن رجع من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك أن تتزوج قال قلة ذات يدي قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والعفاف ألا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال وكيف لي بذلك قلت علي قال افعل فذهبت الى خديجة وأخبرتها فأرسلت الى النبي صلى الله عليه وسلم أن ائتني ساعة كذا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها وروى أنه حضر أبو طالب ورؤساء مضر فخطب أبو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا حكاما على الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل من قريش الا رجح وان كان في المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم فتزوج بها صلى الله عليه وسلم وكل أولاده منها الا ابراهيم فانه من مارية القبطية وقد سبق ذكر زواجه لها وتزوج صلى الله عليه وسلم (عائشة) بنت أبي بكر بن أبي قحافة القرشية بمكة وهي بنت ست سنوات وقيل سبع

ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع وقيل عشر سنين وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر زوجها منه أبوها وأصدقها أربعمائة درهم وكانت أحب نساء الرسول صلى الله عليه وسلم اليه وتزوج (سودة) بنت زمعة بن قيس ابن عبد شمس القرشية أمها شموس بنت قيس بن زيد زوجه اياها سليط ابن عمرو ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس وأصدقها أربعمائة درهم وتزوج (حفصة) بنت عمر بن الخطاب القرشية أمها زينب بنت مظعون زوجها أبوها وأصدقها أربعمائة درهم وتزوج (زينب) بنت خزيمة بن الحرث القرشية الهلالية زوجه اياها قبيصة بن عمر الهلالي وأصدقها أربعمائة درهم وتزوج (صفية) بنت حيي بن أخطب وهي غير عربية من بني اسرائيل من سبط هرون بن عمران من بني النضير وأمها برة بنت شمويل وكانت من سبايا خيبر اصطفاها لنفسه وجعل عتقها صداقها وتزوج (ام حبيبة) رملة بنت أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشية الاموية أمها صفية بنت أبي العاص زوجه اياها خالد ابن سعيد بن العاص بالحبشة وأصدقها النجاشي عنه أربعمائة درهم وهو الذي خطبها وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحرث القرشية الهلالية وأمها هند بنت عوف بن زهير كان اسمها برة وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد زوجها اياه عمه العباس وأصدقها عنه أربعمائة درهم وتزوج أم سلمة القرشية هند وقيل رملة والاول أصح بنت أبي أمية سهيل أمها عاتكة بنت عامر وتزوج (زينب) بنت جحش بن رباب العربية أمها أمية بنت عبد المطلب كان صلى الله عليه وسلم زوجها من زيد بن حارثة فلما طلقها زيد تزوجها صلى الله عليه وسلم زوجه اياها أخوها ابو أحمد وأصدقها أربعمائة درهم وتزوج (جويرية) بنت الحرث بن أبي ضرار الخزاعية العربية

قال ابن هشام اشتراها صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس وأعتقها وتزوجها وقيل أسلم أبوها وزوجه اياها وأصدقها أربعمائة درهم وماتت خديجة وزينب بنت خزيمة في حياته صلى الله عليه وسلم وتوفي صلى الله عليه وسلم عن التسع البواقي بلا خلاف وعن أم ولده هي مارية القبطية وقد ذكر أنه صلى الله عليه وسلم تزوج اثنتي عشرة امرأة غير من تقدم ذكرهن ولم يمسكهن ولم يكن من أمهات المؤمنين بل منهن من طلق قبل الدخول ومنهن من طلق بعده على خلاف فيهن لا داعي لذكره هنا وعلى ذلك يكون عدد من تزوج بهن صلى الله عليه وسلم من النساء ثلاثا وعشرين وقد أوصلن بعضهم الى ثلاثين وبعضهم لم يذكر الا خمس عشرة

(أعمامه صلى الله عليه وسلم)

أعمامه صلى الله عليه وسلم اثناعشر حمزة والعباس وهما مسلمان ومن جلة الصحابة وأبو طالب والصحيح أنه مات على الجاهلية واسمه عبد مناف وأبو لهب واسمه عبد العزى والحارث والزبير وحجل بتقديم الحاء أو الجيم ويسمى المغيرة وعبد الكعبة وقثم والغيداق واسمه مصعب وقيل نوفل والمقوم وبعضهم يعدهم عشرة ويجعل عبد الكعبة والمقوم واحدا ويجعل حجلا والغيداق واحدا (فاما حمزة) فهو عمه صلى الله عليه وسلم وأخوه في الرضاعة من ثويبة الأسلمية وكان أسن منه بيسير وكان أسد الله وأسد رسوله شهد بدرا وأحدا وبها استشهد قتله وحشي كما سبق ووجدوا فيه يومئذ بضعا وثمانين جرحا ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم ولم يعقب احدا وورد أنه خير الشهداء يوم القيامة (واما العباس) فهو أصغر أعمامه شهد بدرا مع المشركين مكرها وأسر مع من أسر وفدى يومئذ نفسه وأسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه الى يوم فتح مكة وقيل أسلم قبل يوم بدر وكان يكتم اسلامه وشهد يوم حنين وثبت مع من ثبت

وكان صلى الله عليه وسلم يجله ويمدحه توفى سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وولد له من الذكور عشرة الفضل وهو أكبرهم وعبد الله وعبيد الله ومعبد الله وقثم وعبد الرحمن والحارث وكثير وعوف وتمام وهو أصغرهم ومن الاناث ثلاث أم حبيب وأم كلثوم وأميمة (وأما أبو طالب) فولد له طالب وعقيل وجعفر وكل منهم أكبر ممن يليه بعشر سنين وأم هانئ وجمانة وقد أسلموا جميعا الا طالبا فذهب ولم يعلم اسلامه (وأما أبو لهب) فولد له عتبة ومعتب ودرة وهؤلاء قد أسلموا وعتيبة عقير الاسد (وأما الحارث) وهو أكبر أولاد عبد المطلب وبه كان يكنى فلم يدرك الاسلام وأسلم من أولاده أربعة نوفل وربيعة وأبو سفيان وكان أخاه من رضاع حليمة وعبد الله وزاد ابن عبد البر المغيرة وقيل غير ذلك وكان نوفل أسن اخوته وأسن من أسلم من بني هاشم (وأما الزبير) فولد له عبد الله وضباعة وصفية وأم الحكم وأم الزبير أسلموا جميعا (وأما حجل) فقد انقطع عقبه وكذلك المقوم (وأما عبد الكعبة) فلم يدرك الاسلام ولم يعقب (وأما قثم) فمات صغيرا (وأما ضرار) فانه مات في بدء الوحي ولم يسلم وكان من فتيان قريش جمالا وسخاء (وأما الغيداق) فكان أجود قريش وأكثرهم ثروة والاشقاء لعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم من هؤلاء ثلاثة أبو طالب والزبير وعبد الكعبة

(عماته صلى الله عليه وسلم)

أما عماته صلى الله عليه وسلم فست صفية واسلامها محقق معروف وهي أم الزبير بن العوام وأروى وعاتكة وفي اسلامهما خلاف وأم حكيم وبرة وأميمة ولا خلاف في عدم اسلامهن وهؤلاء الخمس شقيقات عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم

(كتابه صلى الله عليه وسلم)

كتابه صلى الله عليه وسلم هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأبي بن كعب وهو أول من كتب له وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح وارتد يوم الفتح وسبق الكلام عليه فيمن أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمهم وكان ممن عصمه الله بالاسلام

(أخلاقه وآدابه)

وأما أخلاقه وآدابه صلى الله عليه وسلم فحدث عنها ولا حرج وها نحن نذكر طرفا منها عسى أن يوفقنا الله للاقتداء بهذا الرسول الكريم فانه نعم الامام العظيم قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

كان صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة الى الله المزينة بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق فكان يقول في دعائه اللهم أحسن خلقي وخلقي ويقول اللهم جنبني منكرات الاخلاق فاستجاب الله دعاءه بفضله العميم حتى جعله على خلق عظيم وأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه عليه الصلاة والسلام القرآن كما ورد عن سعد بن هشام قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت أما تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وانما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقوله جل شأنه (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) وقوله واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقوله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم وقوله ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقوله اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم

ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد وجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء وأمثال هذه التأديبات في القرآن كثير وهو المقصود الاول بالتأديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فهو صلى الله عليه وسلم أفضل من أدب بالقرآن وأدب به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أدبني ربي فأحسن تأديبي وقال بعثت لاتمم مكارم الأخلاق فرغبهم في ذلك بفعله وقوله ثم لما أكمل الله سبحانه وتعالى خلقه بفضله العميم أثنى عليه بقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الي أحاسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا وهكذا خاصة أصحابه عليه الصلاة والسلام تأدبوا بآدابه وتخلقوا بأخلاقه

وكان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجعهم وأعدلهم وأعفهم لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وكان لا يسئل شيئا الا أعطاه وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد ويجيب دعوة العبد والحر غنيا كان أو فقيرا يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق ولو على نفسه أو على أخص أصحابه وكان يأكل مما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال يجيب الدعوة الى الوليمة ويعود المرضى ويشيع الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس متوكلا على حفظ الله جل وعلا فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وكان يكرم أهل الفضل ويتألف أهل الشرف بالبر لهم ويصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو أفضل منهم ولا يجفو على أحد ويقبل معذرة المعتذر اليه وكان لا يمضي عليه وقت في غير عمل لله

تعالى أوفيا لابد منه لا يحقر فقيرا لفقره ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء مستويا قد جمع الله له تعالى السيرة الحميدة والسياسة الناجحة المفيدة وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ يتيما فى أمة أمية فعلمه الله تعالى محاسن الاخلاق وجعله نخبة الخلق وصفوة الخلاق وأطلعه على أخبار الاولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز المبين وأمده بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة

(معجزاته صلى الله عليه وسلم)

من تأمل فى سيرته الشريفة وأنبائه المنيفة علم أنها كلها أوجلها معجزات باهرات وآيات بينات ومن نظر الى أحواله وسياسته لانواع الخلق وهدايته الى ضبطهم والتأليف بين قلوبهم علم ان ذلك لا يمكن أن يكون بمجرد الكسب وانما هو بمحض فضل الله تعالى وقدرته وتدبيره وحكمته ولذلك قد امتن الله عليه بقوله جل شأنه هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم وقد أيده الله تعالى بمعجزات كثيرة أجلها القرآن الشريف الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد جمع فأوعى من كل ما يلزم للمعاش والمعاد وتحداهم بأقصر سورة منه فعجزوا عن ذلك وأخبر الله عن عجزهم بقوله تعالى (فان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين وكيف لا يعجزون وقد قال الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ثم ان وجوه اعجاز القرآن لا تنحصر ولذلك قد أطال العلماء فيها وألفوا كتبا كثيرة خاصة بها مثل نهاية الايجاز فى دلائل الاعجاز للعلامة الفخر الرازى واعجاز القرآن للقاضى أبى بكر الباقلانى وكثير من

المفسرين وأهل السير قد تعرض لذلك ومرجع جميع ماذكروه الى أربعة أوجه (الاول) من حيث ماتضمنه من الاخبار عن الغيوب وذلك مما لا يقدر عليه أحد من البشر ولا سبيل له اليه فمن ذلك ما وعد الله تعالى به نبيه عليه الصلاة والسلام انه سيظهر دينه على الاديان بقوله عز وجل هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فحصل ذلك وقوله جل شأنه لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين فكان كذلك وقوله غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين فكان كما أخبر وقوله اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فحصل ذلك وقوله قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد فصدق فيما أخبر به وقوله فى أهل بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم ووفى لهم بما وعد والآيات التى تضمنت الاخبار بالغيب كثيرة (الثانى) ماذكر فيه من محاسن العلوم وكثير السير مع أنه كان معلوما من حال النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان أميا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ كما أنه كان معلوما من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم ثم انه مع ذلك أتى بجملة ما وقع من عظائم الأمور وأمهات السير من لدن آدم الى بعثته ومن المعلوم أن هذا مما لا سبيل اليه الا بالتعليم واذا كان معروفا أنه لم يكن ملابسا لاهل الآثار وحملة الاخبار ولا مترددا اليهم للتعلم منهم ولا كان قارئا حتى يجوز أن يقع اليه كتاب فيأخذ منه علم أنه لم يصل الى ذلك الا بطريق الوحى ولذلك قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وقال جل شأنه وكذلك نفصل الآيات وليقولوا درست (الثالث) مااختص به من بديع النظم وعجيب الأسلوب الذى وصل فى البلاغة الى أعلى درجات منتهاها و يعجز البلغاء

عن القرب منها فضلا عن الوصول اليها ولذلك وقع التحدي بأقصر سورة منه وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب خاص به يتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد وهذه الخصوصية موجودة في جميع القرآن الشريف لا يختص بها موضع دون آخر وهو مع طوله وسائر تصرفاته متناسب في الفصاحة وعلى أحسن مايكون من بديع النظم وجزالة المعاني كما وصفه الله تعالى بقوله الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقوله جل شأنه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (الرابع) ايجازه وكثرة معانيه وما اشتمل عليه من البلاغة الخارجة عن طاقة العرب مع أنهم أهل ذلك اللسان وفرسان هذا الميدان ولم يسعهم الا الاعتراف بفصاحته والاقرار ببلاغته حتى كان بعضهم يسجد لفصاحته كما حكي عن أبي عبيدة أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وذلك لما أخذه من العجب وهزه من الطرب وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان نائما يوما في المسجد فاذا برجل على رأسه يتشهد فاستخبره فأخبره أنه من بطارقة الروم وكان ممن يحسن كلام العرب وأنه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم قال فتأملتها فاذا هي قد جمع الله فيها ما أنزل على عيسى بن مريم عليه السلام من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون فكان ذلك سببا لاسلامه وأمثال ذلك كثير (ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) انشقاق القمر حيث طلب كفار قريش

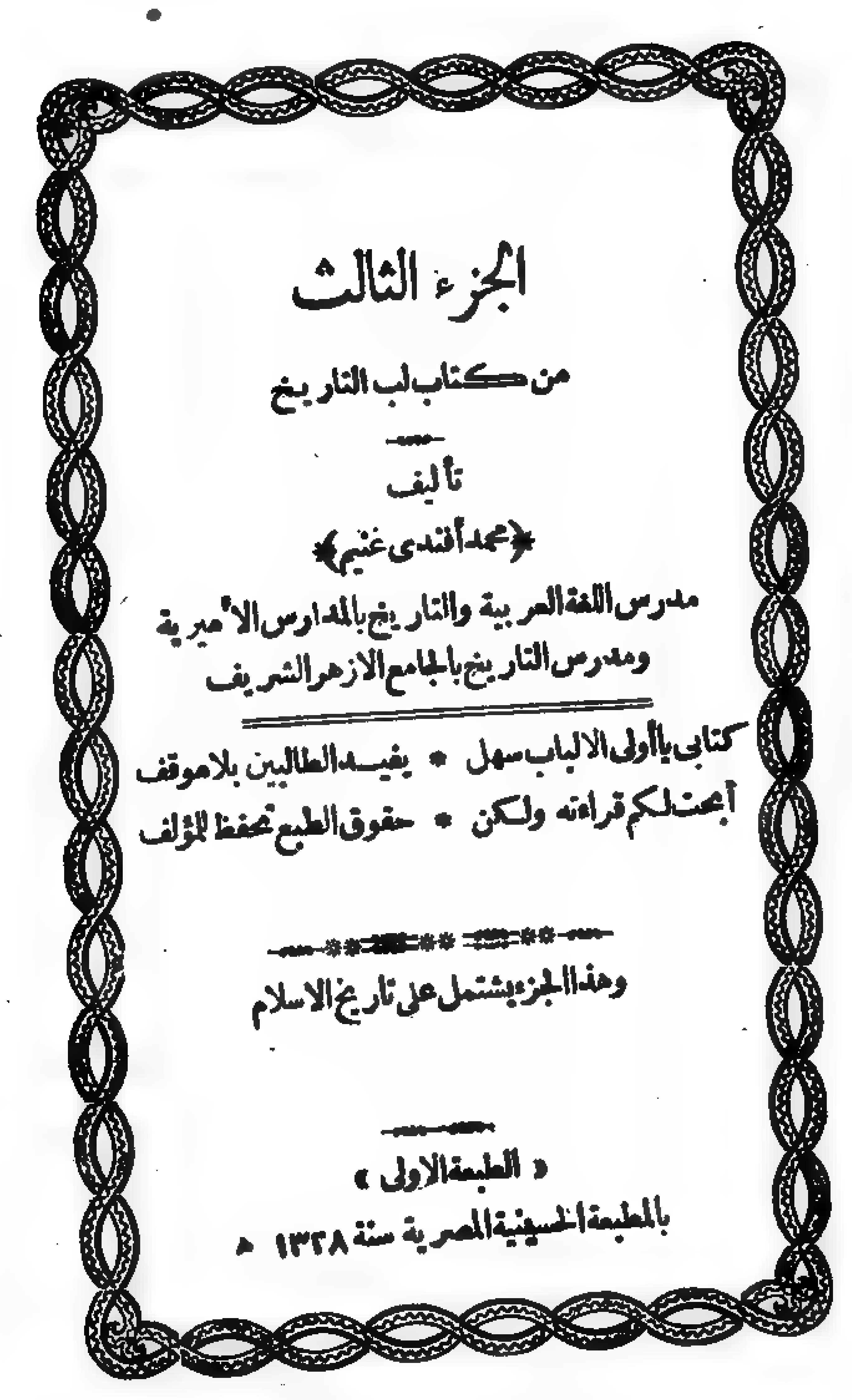
منه آية فسأل الله تعالى فانشق القمر شقين أحدهما فوق أبي قبيس والآخر دونه وشاهد ذلك الداني والقاصي واستمر كذلك حتى غرب فزاد الله الذين آمنوا ايمانا وقال الذين كفروا هذا سحر مستمر قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وقد روى حديث انشقاق القمر كثير من الصحابة وروى ذلك عنهم كثير من التابعين ثم نقله عنهم تابعوهم الى أن وصل الينا وتأيد بالآية الكريمة ففي الترمذي من حديث ابن عمر في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة فوق الجبل والأخرى دونه وعدوا هذه المعجزة تالية للقرآن الشريف لعظمها (ومن معجزاته) نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته قال أنس رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر فالتمس الناس ماء الوضوء فلم يجدوا فأتى صلى الله عليه وسلم بفضل وضوء فوضع يده في الاناء وأمر الناس أن يتوضؤا قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه حتى توضأ الناس جميعا فقيل كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وروى هذه الحادثة غير أنس من الصحابة ووقع ذلك غير مرة فانه حصل يوم الحديبية ويوم تبوك (ومنها) تكثير القليل من الطعام فقد حصل ذلك مرارا عديدة ورواه كثير من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وتقدم التنبيه على بعضه في غزوة الأحزاب فلا حاجة لتكراره (ومنها) وضع التراب على رءوس القوم فيخذلون وحصل ذلك مرارا عديدة ففي يوم تآمر الملأ من قريش على قتله خرج ووضع التراب على رءوسهم وهو يتلو يس الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون فلم يشعر به أحد وما أصاب أحدا من تلك الحصباء شيء الاقتل يوم بدر وكذلك يوم بدر ويوم حنين فانه قبض قبضة من تراب ورمى بها في وجوه القوم فهزمهم الله تعالى (ومنها) نسج

العنكبوت وتعشيش الحمامتين الوحشيتين عليه فى الغار حين خرجت قريش فى طلبه فنجاه الله تعالى (ومنها) نصره بالريح وبالرعب والملائكة وعصمته فى جميع الأحوال وصدقه فى جميع الأقوال وما كان من أمر سراقة بن مالك حيث تبعه فساخت قوائم فرسه فى الأرض (ومنها) ابراء المرضى وذوى العاهات فقد رد عين قتادة بن النعمان لما أصيبت يوم أحد فكانت أحسن عينيه وعافى الله به عين على حين جاء أرمد يوم خيبر فسح على عينيه بريقه فبرئتا ولم يحصل لهما رمد بعد ذلك ومسح على أثر سهم أصاب وجه أبى قتادة فى غزوة ذى قرد فشفى وعلى رجل ورأس زيد بن معاذ حين أصيبتا بسيف فلم يحصل لهما أذى وعلى يد معاذ بن عفراء وقد قطعت فالتصقت الى غير ذلك فما لا يسع المقام ذكره (ومنها) حنين الجذع الذى كان يخطب عليه لما فارقه عندما عمل له المنبر حيث سمع منه صوت سمعه جميع الحاضرين فضمه اليه فسكت وتسبيح الحصا فى كفه لما روى ذلك عن أنس بن مالك (ومنها) تنكيس الأصنام يوم الفتح حين دخل البيت وفيه الأصنام ومعه قضيب فى يده فما أشار به الى صنم من جهة وجهه الا استلق على قفاه وما أشار به لصنم من جهة قفاه الا انكب على وجهه وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا (ومنها) اخباره بالغيوب فى مواضع كثيرة فقد أخبر عثمان بأنه تصيبه بلوى بعدها الجنة فقتل وبأن عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله جماعة معاوية لما كان مع على وأن الحسن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك حيث نزل لمعاوية لحقن دماء المسلمين وأخبر يوم بدر أصحابه أن احدى الطائفتين لهم فحقق الله ذلك وصار فى بدر أيضا يريهم مصارع القوم فما تعدى واحد مصرعه وأخبر فاطمة الزهراء رضى الله عنها أنها أول أهله لحوقا به فكان كذلك الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى (ومنها) اجابة دعائه

صلى الله عليه وسلم دعا أن يعز الله الاسلام بأحد العمرين فاعزه الله بعمر ابن الخطاب رضي الله عنه ودعا لعلي أن يذهب الله عنه الحر والبرد فاذهبهما الله عنه ودعا لعبد الله بن عباس أن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين فأعطاه الله ذلك ودعا لأنس بن مالك رضي الله عنه بطول العمر وكثرة الولد والمال فعاش نحو مائة سنة وولد له مائة وعشرون ولدا ذكرا لصلبه وكان نخله يحمل في السنة مرتين ودعا لتمر جابر بالبركة فبارك الله فيه حتى وفى منه غرماءه وفضل ثلاثة عشر وسقا وكان صلى الله عليه وسلم اذا أجدب الناس ومنعوا من المطر واستسقى لهم جاءهم الغيث من كل مكان وحصل ذلك مرتين مرة للمشركين بمكة ومرة للمسلمين بالمدينة ودعا على عتبة بن أبي لهب بقوله اللهم سلط عليه كلبا من كلابك يأكله فأكله الاسد بالزرقاء من الشام وحاكى الحكم بن العاص مشيته صلى الله عليه وسلم مستهزئا فقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات وأمثال ذلك كثير من غرائب آياته وعجائب معجزاته مما شهد به الداني والقاصي وعرفه الطائع والعاصي وأثبته العلماء في تصانيفهم وأودعه الفضلاء في تآليفهم وهم مهما أطالوا فانهم لا يبلغون معشار آياته ولا وقفوا على كثير من خصائصه وفضائله ومعجزاته ولذا قال بعضهم

لو أن بحرا مداد الكاتبين وما ✽ في الأرض من شجر أقلام مستطر
لم يدركوا حصر فضل المصطفى أبدا ✽ وكيف يحصر شيء غير منحصر

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وجعلنا من الناسجين على منواله المقتدين بأفعاله وأقواله حتى تنال من الله رضاه ونبلغ من القصد منتهاه



الجزء الثالث

من كتاب لب التاريخ

تأليف

﴿محمد أفندى غنيم﴾

مدرس اللغة العربية والتاريخ بالمدارس الأميرية
ومدرس التاريخ بالجامع الازهر الشريف

كتابى باولى الالباب سهل * يفيد الطالبين بلا موقف
أبحت لكم قراءته ولكن * حقوق الطبع تحفظ للمؤلف

وهذا الجزء يشتمل على تاريخ الاسلام

« الطبعة الاولى »

بالمطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(الخلفاء الراشدون)

الخلفاء الراشدون هم الذين قاموا بأمر الخلافة الاسلامية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من السنة الحادية عشرة الى الحادية والاربعين وهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وخلفهم الامام الحسن بن على رضى الله عنهم أجمعين وكانت مدته متممة للخلافة الاسلامية التي أخبر عنها صلى الله عليه وسلم بقوله الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا وكانت سياستهم الرفق واللين والعدل بين الرعية اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى عهدهم دانت لهم بقاع بلاد العرب وفتحت بلاد فارس والشام وفلسطين ومصر والعراق وأفريقية والاندلس والجزائر المجاورة لها وجزيرة قبرس وحاولوا الاستيلاء على بلاد النوبة وبعد فتحهم هذه الفتوحات العظيمة و بذلهم فى خدمة الاسلام الهمم الجسيمة واقامتهم بأمر الخلافة ثلاثين سنة لم يأخذهم فيها عن الحق نوم ولا سنة انتقل أمر الخلافة بعد الحسن بن على رضى الله عنهما الى بنى أمية كما سيأتى

(خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه)

أبو بكر الصديق رضى الله عنه هو الخليفة الاول بعد وفاة النبي صلى الله

عليه وسلم واسمه عبد الله بن أبي قحافة يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب بويع بالخلافة في السنة الحادية عشرة من الهجرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما توفى النبي صلى الله عليه وسلم اندهش الناس اندهاشا عظيما حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قال ان محمدا قد مات علوت رأسه بسيفي هذا ولما حضر أبو بكر الصديق وتحقق موت النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا ان من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا قوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين فرجع القوم الى قوله ولم يعين صلى الله عليه وسلم خليفة بعده ولذلك لما توفى حصل خلاف بين المهاجرين والانصار فقال الانصار للمهاجرين منا مير ومنكم أمير وتهيئوا الانتخاب سعد بن عبادة الخزرجي وقال المهاجرون للانصار منا الامراء ومنكم الوزراء وكثر الجدال بين الفريقين حتى كاد يستفحل الامر ثم اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة و بايع عمر أبا بكر ثم توالى الناس عليه يبايعونه في الشهر الذي توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتأخر عن بيعته الا قليل من الناس و بايعوه بعد قليل من الزمن ولما تم له الامر صعد على المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتموني على حق فاعينوني وان رأيتموني على باطل فسددوني أطيعوني ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لي عليكم الا ان أقواكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه وأضعفكم عندي قوى حتى آخذ الحق له أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

وأول عمل بدأ به أنه أنفذ جيش أسامة بن زيد الذي كان قد جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته الى أبنى وخرج رضي الله عنه بنفسه

يودعهم وأوصاهم بقوله لاتخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعزقوا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للا كل واذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم الى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له واذا لقيتم قوما فحصوا أواسط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه واذا قدم لكم الطعام فاذكروا اسم الله عليه يا أسامة اصنع ما أمرك رسول الله ببلاد قضاعة ولا تترك من أمره شيئا وعند رجوعه قال لاسامة ان أردت أن تسيفني بعمر فافعل فأذن له فيه فرجع معه ثم سار أسامة لما أمر به وبعث الجنود الى بلاد قضاعة وأغار على أبنى وسبى وغنم وكر راجعا الى المدينة وكانت غيبته عنها أربعين ليلة

وفي مبدأ خلافته رضي الله عنه ارتد كثير من قبائل العرب ومنع آخرون الزكاة وظهر قوم بادعاء النبوة وعظم الخطب على المسلمين ونجم النفاق في قلوب البعض واشرأبت المشركون لولا تدورك هذا الخطب الجسيم بحزمه وهمته وثباته وقوته فانه رضي الله عنه أسرع في تلافي الامر وأمر بتجهيز الجيوش لقتال أهل الردة ولم يزل يقاتلهم حتى رجعوا الى الاسلام وقاتل مانعي الزكاة حتى أدوها وحارب المتنبئين حتى قتل من قتل وهرب من هرب وخرج رضي الله عنه في مبدأ الامر بنفسه يريد المقاتلة ومضى حتى وصل الى الربذة ثم أرجعوه الى المدينة فرجع وعقد أحد عشر لواء لعظماء المسلمين وأبطالهم فغزوا وانتصروا على أعداءهم ونالوا مرادهم منهم وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وعاد الامر كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

وكان ممن ادعى النبوة أبو الاسود العنسي باليمن وطليحة بن خويلد الاسدى بنجد ومسيلمة بن حبيب الحنفي باليمامة وسجاح بنت الحرث التميمية

(أما أبو الاسود العنسى) فان الله قد سلط عليه من قتله وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك قبل موته فوردت الاخبار لابى بكر بأنه قد قتل فى الوقت الذى أخبر صلى الله عليه وسلم أنه يقتل فيه (وأما طليحة الاسدى) فبعد أن عظم أمره واجتمعت عليه قبائل طى وأسد وغطفان وغيرهم أرسل له جيشا تحت امرة خالد بن الوليد فاخضع قبائل طى و بنى أسد وغطفان وهوازن وسليم وهزم طليحة فى واقعة بزاخة وألجأه الى الفرار ففر هاربا الى الشام (وأما مسيلمة الكذاب) فانه قد اجتمعت عليه سجاح ومن تبعها من بنى تميم وتغلب و بنى ربيعة وغيرهم من أتباع طليحة الذين انضموا اليها فوافقها مسيلمة على دعواها فلم يكترث الخليفة بهذه الجموع وأرسل خالد بن الوليد لغزو مسيلمة وسجاح وأتباعهما فقتل مسيلمة الكذاب والذى قتله هو وحشى قاتل حمزة فى جاهليته بالحربة التى قتل حمزة بها وأما سجاح فانها لما اشتد بها الضيق فرت هاربة الى الشام و بقيت بها الى أن أسلمت فى زمن معاوية رضى الله عنه واستشهد من الصحابة نحو سبعمائة رجل أكثرهم من القراء منهم زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وهو أكبر منه سنا وأقدم اسلاما ومنهم البراء بن مالك أخو أنس بن مالك وقتل من أتباع مسيلمة نحو سبعة عشر ألفا أغلبهم من بنى حنيفة وأعطى أبو بكر من سبى بنى حنيفة على بن أبى طالب جارية فاستولدها محمد بن الحنفية

وخاف أبو بكر على ضياع القرآن فجمعه وكتبه فى مصحف واحد وحفظه عند حفصة بنت عمر زوج النبى صلى الله عليه وسلم و بقى عندها الى أن رأى عثمان رضى الله عنه اختلاف الناس فى القرآن فأمر بأن تكتب من هذا المصحف عدة مصاحف فكتبت وسيرها للامصار للسير على مقتضاها كما سيأتى فى خلافته ولما هدأ الوقت وانقطعت القلاقل وخضع

الكل لامر الخليفة ورجع الناس لاتباع الدين الحنيف والشرع القويم تفرغ الخليفة أبو بكر رضي الله عنه الى الفتوحات الخارجية لتعميم عدل الاسلام في سائر الانام فجهز خالد بن الوليد في جيش جرار الى بلاد العراق وكانت تابعة للفرس وكان ذلك في شهر المحرم من السنة الثانية عشرة من الهجرة وفي الثالثة عشرة جهز أبا عبيدة بجيش عرمرم الى بلاد الشام وكانت تابعة للروم وصار يسير اليها الجيش بعد الجيش وقال لهم اذا اجتمعتم فامير الناس أبو عبيدة ولما وصل خالد الى العراق أخذ يفتح في بلاده ففتح الحيرة والانبار وغيرهما من المدائن ولم يزل مجتهدا في الفتح منصورا في غزواته حتى كتب اليه أبو بكر يأمره بالانصراف عنها وان يستخلف عليها المثنى بن حارثة ويتوجه بمن معه الى الشام لمساعدة الجند هنالك وجعله أميرا على جيوش الشام بدل أبي عبيدة فانصرف عنها الى الشام

(واقعة اليرموك)

توجه خالد رضي الله عنه مسرعا الى الشام اجابة لامر الخليفة ومر بأركة وتدمر وحوران وفتحها وصالح أهلها على الجزية ولم يزل سائرا محفوفا بالنصر العظيم والفتح المبين حتى اجتمعت عساكره بعساكر أبي عبيدة باليرموك والتحم القتال بينهم وبين الروم واشتدت الحرب فانهزمت الروم شر هزيمة وكان هرقل بمدينة حمص فلما بلغه انتصار المسلمين رحل عنها وجعلها بينه وبين المسلمين

ثم حاصر خالد وأبو عبيدة مدينة دمشق فدافع أهلها عن أنفسهم دفاعا شديدا وأتى جيش اثناء الحصار من الروم لمساعدة المحاصرين نحو سبعين ألف مقاتل فهزمه المسلمون شر هزيمة عند مدينة (أجنادين) وكان جيش المسلمين نحو عشرين ألف مقاتل وغنموا من الروم غنائم كثيرة وافتتحوا بصرى وأجنادين من بلاد فلسطين وحصلت بينهم وبين الروم

عدة وقائع كان النصر فيها للمسلمين و بيناهم على حصار دمشق اذ جاء الخبر بوفاة أبي بكر فاخروه ومضوا في القتال ولم يشعروا أحدا به مخافة أن يحصل اضطراب أو وهن في الهزيمة وقيل ان الخبر قد جاءهم وهم في واقعة اليرموك قبل حصار دمشق

(وفاة أبي بكر والوصية لعمر رضي الله عنهما)

ولما اشتد بأبي بكر المرض جمع أكابر الصحابة وأخبرهم انه يريد أن يوصي الى عمر بالخلافة فاستحسنوا ذلك وأثنوا على رأيه فدعا عثمان بن عفان وقال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر و يوقن فيها الفاجر اني استعملت عليكم عمر بن الخطاب فان صبر وعدل فذلك علمي به و رأيي فيه وان جار و بدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب ثم ختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج به عثمان وقرأه على الناس فرضوا به فرفع أبو بكر يديه وقال اللهم اني لم أرد بذلك الا اصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فوليت عليهم خيارهم وقد حضرني من أمرك ما حضرني فاخلفني فيهم وهم عبادك ونواصيهم بيدك فاصلح لهم خليفتهم واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته

وكانت وفاته رضي الله عنه في ١٣ جمادى الآخرة في السنة الثالثة عشرة من الهجرة ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال وعمره ثلاث وستون سنة ودفن بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما توفي و بلغ ذلك علي بن أبي طالب جاء باكيا مسترجعا وقال يرحمك الله يا أبا بكر لقد كنت أول القوم اسلاما وأشدهم يقينا وأحفظهم على رسول الله وأحدهم على الاسلام وأحماهم على أهله وأنسبهم برسول الله خلقا وخلقا وهديا وسمتا

فجزاك الله عن الاسلام خيرا وعن الرسول خيرا صدقته حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وسماك الله فى كتابه صديقا فقال تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به كنت والله للاسلام حصنا وللكفر نا كسا لم تغلب حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك كنت كالجبل لاتحركه العواصف ولا تزيله القواصف كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا فى بدنك قويا فى دينك متواضعا فى نفسك عظيما عند الله جليلا فى الارض كبيرا عند المؤمنين لم يكن لاحد عندك مطمع فالضعيف عندك قوى والقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق من القوى للضعيف لا أحرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك وفضائله رضى الله عنه شهيرة ومآثره كثيرة وكفاه فضلا قول النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من طلعت عليه الشمس بعد النبيين أبو بكر وقوله عليه الصلاة والسلام لو وزن ايمان أبى بكر بايمان هذه الامة لرجح ايمان أبى بكر الى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة والآثار الشهيرة

(خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه)

هو الخليفة الثانى بعد النبى صلى الله عليه وسلم بويع بالخلافة فى اليوم الذى توفى فيه ابو بكر رضى الله عنه ولقب بأمير المؤمنين فرارا من قولهم خليفة خليفة رسول الله (وأول عمل بدأ به) أنه رد سبايا أهل الردة الى عشائرهم ولما تم له أمر الخلافة أرسل الى أبى عبيدة يخبره بوفاة أبى بكر وولاه على الشام والجند وعزل خالد بن الوليد وكان خالد ومن معه قد هزموا مرج الصفر وكانوا على حصار دمشق ثم ان صاحبها طلب الصلح فدخل أبو عبيدة من باب بالامان بينما دخل خالد عنوة من الجهة الاخرى وكان فتحها فى السنة الرابعة عشرة ولما تملك المسلمون المدينة نزح كثير من أهلها بأموالهم وأهليهم صحبة البطريق توما وكان ذلك على غير رغبة خالد وقال الواقدى

ان خالد بن الوليد صالحهم وكتب للاسقف كتابا بالصلح وأعطاهم الامان فأجاز ذلك أبو عبيدة اهـ

ووجه أبو عبيدة عمرو بن العاص الى الاردن وفلسطين ففتح الاردن عنوة وفى السنة الخامسة عشرة فتحت بعلبك وغيرها من المدن على يد خالد وحوصرت حمص ثم طلب أهلها الصلح وبث أبو عبيدة عماله فى نواحى حمص وفتحت اللاذقية وجبلة وأنطرسوس

ولما رأى هرقل تقدم العرب السريع أفاق من غفلته وسير ثمانين ألفا الى انطاكية وقيسارية وكان جبلة بن الايهم الغسانى على مقدمة الروم فى جيش من قومه يبلغ عشرين ألف مقاتل واجتمع كثير من جموع أهل الشام للمدافعة عن أوطانهم ولما علم أبو عبيدة بهذه الجموع رجع الى دمشق وكتب بذلك الى عمر فأمده بثمانية آلاف من الجند فهزم الروم شر هزيمة ثم توجه أبو عبيدة الى بيت المقدس فحاصرها أربعة أشهر فطلب بطريقها (صفرونيوس) من أبى عبيدة أن يكون الخليفة هو المصالح لهم فأخذ عليهم المواثيق بذلك وكتب الى عمر فخرج من المدينة ولما وصل الى دمشق نزل الجابية من أرضها وجعل خالدا على مقدمته وأدناه منه وآمره ثم سار الى بيت المقدس فافتتحها صلحا وكتب لهم بذلك كتابا هذه صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب لاهل البيت المقدس أنكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم لا تسكن ولا تخرب الا أن تحدثوا حدثا عاما وأشهد شهودا ثم انه دخل المدينة وزار كنيسة القمامة وأقام هناك عشرة أيام ألقى فى أثنائها أساس مسجد على شكل هيكل سليمان عليه السلام وهو المسمى بمسجد عمر وكان ذلك سنة ست عشرة وفى سنة سبع عشرة هجرية حج عمر بالناس وعمر المسجد الحرام وزاد فيه (وفيها) حصل قحط بالمدينة وصارت القواد ترسل الاقوات اليها حتى خف الضيق

وأراد قوم احتكار الاقوات فنهاهم عمر رضى الله عنه عن ذلك
و بعد فتح بيت المقدس انقسمت عساكر الاسلام الى قسمين قسم بقى فى
فلسطين بصحبة عمرو بن العاص والآخر وهو الاكبر ذهب الى انطاكية
وحلب بصحبة أبى عبيدة وخالد وقاسوا أهوالا شديدة فى حصار حلب ثم
استولى المسلمون عليها بعد حصارها خمسة شهور ما عدا قلعتها وكان بها
بطريق شجاع ذا مكانة عالية فى الدولة الرومانية فأراد أبو عبيدة تركها فلم
يرض عمر بذلك و بقيت محاصرة الى أن فتحت على يد دامس الشجاع من
موالى ملوك كندة وفتحوا أيضا مرعش وقنسرين ثم فتحوا انطاكية
صلحا بعد قتال قليل وكانت مدينة عظيمة اتخذها خلفاء اسكندر مقرالهم
وكذا خلفاء ملوك الروم فى المشرق وكان بها نحو سبعمائة نفس داخل
السور وكان فتحها سنة ١٨ هجرية وفتحت قيسارية أم ولايات قسطنطين
الثلاث وكان على حصارها معاوية بن أبى سفيان وكان بها وقت الحصار
قسطنطين ابن هرقل ومعه أربعون ألف جندى ففر الى القسطنطينية
وترك هرقل بلاد سوريا كلها للعرب لما رأى بطشهم وقوتهم وأيقن أنهم
لا يغلبون و بعد أن تملك العرب لبنان استولوا على طرابلس وصور بغاية
السهولة ووجدوا فى مرساها خمسين سفينة محملة ذخائر وأقواتا وأموالا
وكانت للروم وصارت غزة وعسقلان والرملة ونابلس وعكة وصيدا للعرب
ودخلت سوريا جميعها فى قبضة المسلمين وفى سنة ١٨ هجرية أيضا
حصل طاعون عمواس ومات به من المسلمين خمس وعشرون ألفا ومات
أبو عبيدة رضى الله عنه وكان عمر رضى الله عنه قد حضر بلاد الشام عند
منصرفه من الحج فلما بلغه تزايد الطاعون رجع وكلمه أبو عبيدة بقوله
أفرارا من قدر الله يا عمر قال نعم أفر من قدر الله الى قدر الله ومات خالد بعد
أبى عبيدة بثلاث سنين وكان من أشهر القواد العربية وأشجعهم

ومن تأمل فتح المسلمين لبلاد الشام في ست سنين أخذه العجب والاندهاش مع أن تلك البلاد كانت تابعة لدولة الروم القوية البطش العريقة في الحضارة وكانت مدنها مملوءة بآلات الدفاع غاية في المنعة وبذلك يرد على من قال ان العرب انما أخضعت الامم التي لا مدنية عندها

(افتتاح بلاد الفرس وغيرها)

لم تكن العرب تكتفي ببلاد الشام وحدها فانه بينما كانت جيوشهم تتقدم منصورة ببلاد سوريا وفلسطين كانت لهم كذلك عدة جيوش ببلاد الفرس والعراق والجزيرة لان عمر رضي الله عنه لما جلس على كرسي الخلافة أرسل سعد بن أبي وقاص لتجديد الحرب على الفرس بثلاثين ألف جندي فسار حتى نزل بسهول القادسية بجوار المكان الذي شيدت فيه مدينة الكوفة واقتتل مع الفرس قتالا شديدا عدة أيام وكان جيشهم يزيد عن مائة ألف جندي تحت قيادة رستم أحد مشاهير قوادهم وكان ذلك في عهد يزدجرد بن برويز فصدم المسلمون الفرس في اليوم الرابع وكانت الريح شديدة وغشي الغبار أعين الفرس فتشتتوا وقبض على رستم اثناء فراره وقتل ومات من الفرس في تلك الوقائع نحو أربعين ألفا ومن العرب ثمانية آلاف وجرح مثلهم وكان ذلك سنة خمس عشرة هجرية ووقع تاج كسرى ومنطقته ودرعه في يد العرب وكانت مكللة بالجواهر واستولوا على بساطه وكان طوله ستين ذراعا في مثلها وكان على هيئة روضة رسمت عليها الزهور وأنواع الطير بالجواهر على قضبان من الذهب فبعث به سعد الى الخليفة ففرقه على المسلمين وأصاب على بن أبي طالب قطعة فباعها بعشرين ألف درهم

ثم وقعت بلاد العراق كلها أي أرض الاشوريين في يد العرب وأسسوا هناك مدينة البصرة عند ملتقى الدجلة والفرات ثم قطع سعد الفرات

وتملك المدائن وكانت عاصمة الفرس وكانت من أعظم مدن العالم ولم يبق منها الآن الا قبو قائم في الصحراء وتقدم جيش المسلمين نحو جلولاء وكان بها يزدجرد ملك العجم فرحل عنها وأخذها المسلمون وفتح المسلمون أيضا تكريت والموصل والاهواز وفي سنة ١٧ هجريه اختطت الكوفة وتحول سعد اليها ووجدوا بالمدينة أموالا لا تحصى كثرة

و بعد أن استولوا على بلاد العجم لم يبق بينهم و بين الترك غير جيحون فعبروه وفتحوا ما وراءه وقصد بعض قوادهم بلاد الهند وأخضعوا سواحلها وكان عقبة بن غزوان يغزو البلاد التي بين جيحون وشط العرب ودخلت بخاري وسمرقند وغيرهما في الاسلام واستمر المسلمون يفتحون و يتقدمون ببلاد الفرس تحت قيادة عمار بن ياسر حتى تقابل ببلاد نهاوند مع جيش فارسي نحو ١٥٠ ألف جندي فهزمه المسلمون شر هزيمة وكان ذلك سنة ٢١ هجرية وفيها أيضا فتحت أصفهان وهمذان وتوفي خالد ابن الوليد رضي الله عنه وفي سنة ٢٢ ﻫ فتحت اذربيجان والري وجرجان وقزوين وطبرستان وغزا الاحنف بن قيس خراسان وحارب يزدجرد وافتتح هراة عنوة ومع هذا كله فان يزدجرد لم تزل فيه روح الامل في استرجاع دولته ولذلك قد طلب المساعدة من ملك الترك وملك الصين فأمداه ومع ذلك فان جيوش العرب قد هزمته فلم يجد له سبيلا الا كونه ولى مدبرا بمن معه من خواصه و بقي الى ان قتله أحدهم عند نهر (مرغ آب) و بموته انتهت دولة آل ساسان وكانت هذه الفتوحات الكثيرة في هذه المدة القصيرة تعد من خوارق العادات ومن الغرابة بمكان حتى قال بعض المؤرخين من الفرنجة ما نظرت عين ولا سمعت أذن باسرع براح وأعجل نجاح من فتوح هؤلاء العرب للبلاد فقد فتحوا أولا الشام وفلسطين ومصر وافريقية ثم تغلبوا على مملكة فارس في أقرب وقت

وأسرع حركة ولا يحمل ذلك على مجرد ما أشربت به قلوبهم يومئذ من الحمية الدينية والشجاعة العربية بل انهم كانوا من قديم الزمان معروفين بين الامم بأنهم أمهر من حمل السلاح واعتقل الرماح من أهل الارض جميعا

(فتوح مصر وافريقية من سنة ١٨ الى سنة ٣٠ هجرية)

لما رأى هرقل ما حل بسوريا وغيرها من ممالكه خاف على مابقى منها سيما مصر فعقد بينه وبين عمر رضى الله عنه معاهدة مضمونها أنه يدفع جزية سنوية معلومة فى أوقات معينة من السنة فى مقابلة ترك المسلمين مصر ولما لم تكن هذه الجزية تدفع فى أوقاتها وبالقدر المعين اعتبر الخليفة تلك المعاهدة لاغية وكان عمرو بن العاص يرغبه فى فتحها كثيرا ويقول له لئن اذا فتحت مصر كانت عونا للمسلمين وقوة لهم وهى أكثر الارض أموالا وأعجز عن القتال ولم يزل به حتى رضى وأذن له بالمسير فسار ومعه أربعة آلاف رجل كلهم أقوياء أشداء وقال له الخليفة سر وأنا مستخير الله فى سيرك وسيأتى اليك كتابى سريعا ان شاء الله تعالى فان أدركك وكنت قد دخلت مصر أو شيئا من أرضها فامض لوجهك وان لم تكن قد دخلتها أو شيئا من أرضها فانصرف عنها فسار عمرو بن العاص فى جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس حتى وصل رفح (قرية قرب العريش) فادركه رسول الخليفة فتخوف عمرو ان هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول وسار يدافعه وأمر بجد السير حتى أمسى فسأل أين نحن فقيل فى العريش فقال وفى أى أرض هى فقيل له فى أرض مصر فحمد الله وأمر بالمبيت وتناول الكتاب حينئذ وقرأه ولما أصبح الصباح تلاه على الجنود بصوت عال وهو بسم الله الرحمن الرحيم من الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص عليه سلام الله تعالى وبركاته أما بعد فان أدركك كتابى هذا وأنت لم تدخل مصر

فارجع عنها وان أدركك وقد دخلتها أو شيئا من أرضها فامض لوجهك واستنصر الله بنصرك واعلم انى ممدك ثم قال هلم بنا طاعة لامير المؤمنين وكان جيشه يزداد بمن ينضم اليه من العرب أثناء سيره وأول مدينة قاتل فيها هي مدينة الفرما قاتلت الروم قتالا شديدا نحو شهر ثم فتحها الله عليه وكان على ميمنة عسكره عبد الله بن سعد منذ خروجه من قيسارية الى أن قرب من أرض مصر ثم سار عمرو بن العاص ولم يكن يدافع الا بالامر الخفيف حتى أتى مدينة بلبيس فحاصرها نحو شهر ثم فتحها وكان بها بنت المقوقس أرمانوسة ولما استولى على المدينة سيرها الى أبيها استجلابا لوده ففرح أبوها بذلك غاية الفرح ثم سار عمرو ومازال حتى مر بجانب المقطم فأشرف على حصن بابل أو بابليون وكان على ضفة النيل الشرقية ومكانه الآن مكان قصر الشمع وكان حصنا منيعا ويزيده النيل منعة وأمامه جزيرة الروضة وبينهما جسر من الخشب فأمر عمرو بنصب الخيام فيما بين الحصن والمقطم ولما رأى أن ذلك المكان مناسب أقام هناك جامعا لا يزال للآن وعادت مضارب العرب بيوتا والقلعة مدينة ودعيت الفسطاط وصارت فيما بعد عاصمة البلاد المصرية وكان فى ذلك الحصن جنود الروم وقد تأهبوا للدفاع ومعهم المقوقس وكان عاملا من قبل الروم على مصر العليا واتخذ هذا الحصن مركزا حربيا فأخذ عمرو فى المهاجمة مدة فأبطأ عليه الفتح فكتب للخليفة يستمده فأمده بأربعة آلاف عليهم أربعة من كبار القواد وهم المقداد بن الاسود والزبير بن العوام وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل (ان الرابع هو) خارجة بن حذافة ومعهم كتاب من الخليفة يقول فيه قد أنفذت اليك أربعة الاف على كل ألف منهم رجل مقام الألف فصار معك اثنا عشر ألفا (لانه كان أمده بأربعة آلاف أخرى بعد فتح بلبيس) ولا تغلب اثنا عشر ألفا من قلة وكان الروم قد خندقوا عليهم وألقوا بالخنادق

حسك الحديد فصارت العرب تهاجم الاعداء حتى اضطروهم الى الالتجاء الى داخل الحصن وصارت العرب محيطة به من ثلاث جهات واستمر الرمى بالسهام مدة وشدد المسلمون الحصار وسلطوا المنجنيق على الحصن وتخابر وامع المحصورين فى شأن التسليم ويقال ان المقوقس كان ممن ير يدون الصلح الا أنه ليس من وظيفته الاستقلال بذلك بدون مشاورة عظماء الروم وكانت الاقباط يكرهون الروم لما هو حاصل بينهما من المناقشات الدينية والخلافات المذهبية ولما تضايق المحصورون تركوا الحصن وعبروا الجسر ليلا وأبقوا به من يقوم بالمدافعة حتى ينظروا لهم أمرا بدون أن يعلم العرب بذلك ولما أبطأ الفتح قال الزبير بن العوام انى أهب نفسى لله وأرجوا أن يفتح الله علينا ووضع سلما الى جانب الحصن وصعد عليه وتبعه القوم حتى كاد السلم ينكسر من كثرة الناس عليه فعند ذلك هرب من كان باقيا به من عظماء القبط والروم والجند واستولى المسلمون عليه وكان مكثهم على أبوابه حتى فتحوه سبعة أشهر وقيل غير ذلك وفر من بقى منهم الى مدينة منف وكانت عاصمة مصر العليا وكسروا بعد مرورهم الجسر الخشب الذى بين الروضة والضفة الغربية وأرسل المقوقس كتابا الى عمرو يهدده فيه ويخوفه باسم الروم وانهم تجهزوا لقتاله بالمدة والسلاح وينصحه بالرجوع الى بلاده فارسل عمرو الى المقوقس كتابا يقول فيه انا لا نقبل الا احدى ثلاث الاسلام أو الجزية أو القتال حتى يحكم الله ثم ان المقوقس أرسل يطلب من عمرو رسلا ليتخابروا فى أمر الصلح فارسل عمرو عشرة رجال أحدهم عبادة بن الصامت وكان هائل المنظر أسود اللون وجعله متكلم القوم وبعد أن تكلم مع المقوقس بفصاحة تامة وأظهر له مطلوبهم رجع ثانيا مع أصحابه بعد جدال طويل مع المقوقس كانت نهايته أنه رضى بدفع الجزية هو وأصحابه حيث لا مقدرة لهم على رد العرب ثم

اجتمع المقوقس مع عمرو فى مكان معين لامضاء شروط الصلح ومضمونها الامان لاهل مصر على أنفسهم وعيالهم وأموالهم وكافة متعلقاتهم وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية اذا أجمعوا رأيهم على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم وكذلك من دخل فى صلحهم من الروم ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه وانهم لا يمنعون من تجارة صادرة أو واردة الى آخر العهد ولما تم الصلح كتب المقوقس الى ملك الروم يعلمه فلم يقبل وكتب اليه يقبح رأيه ويقول انما أتاك من العرب اثنا عشر ألفا وبمصر من القبط مالا يحصى فان كان القبط قد فضلوا العرب علينا أو كرهوا قتالهم فان عندك من بمصر والاسكندرية من الروم أكثر من مائة ألف وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا لمن بمصر من الروم أما المقوقس فلم يرض أن ينقض عهده وأخبر عمرا بذلك قائلا انى نصحت لهم فاستغشونى فلا أجيبهم الى ما أجبتنى اليه وانما سلطانى على نفسى وعلى من أطاعنى وتم صلح القبط وكتب عمرو بذلك الخليفة فأجابه منشطا له وسأله أن يصف له مصر ثم سار عمرو الى الاسكندرية للاستيلاء عليها وكانت فى غاية المنعة والتحصين ومحاطة بالبحر وبحيرة مريوط قال بعض المؤرخين وكانت العرب تهجم على السور والقلاع هجوما غريبا ما رؤى مثله وكان عمرو يعرض نفسه للخطر مرارا حتى دخل هذه المدينة مرة فى احدى هجماته ولولا ذكاء خادمه لقتل فيها وبعد حصارها أربعة عشر شهرا وفقدان عدد عظيم منهم استولوا عليها سنة ٢٠ هجرية الموافقة سنة ٦٤٠ ميلادية ولما فتحت الاسكندرية أرسل عمرو الى الخليفة يقول له لقد فتحت مدينة المغرب العظيمة ولا يقدر على تعداد ما فيها من الاموال وبالاختصار أنها تحتوى على ٤٠٠٠ حمام و٤٠٠ ملهى و١٢٠٠٠ يهودى يؤدون الجزية والمدينة أخذت عنوة دون شروط وأرسل عمر الى عمرو يمنع النهب

والسلب وبأن تؤخذ الجزية وبعد هذا بقليل مات هرقل وقيل انه مات غما وهاج شعب القسطنطينية لانقطاع الاقوات التي ترد اليهم من الاسكندرية وحكم المجلس بتهديد الحرب على العرب وأرسل لذلك الغرض جيوشا كثيرة فلم يتمكنوا من شيء وطردوا بعد أن ألمت بهم خسائر كثيرة ولما افتتحت الاسكندرية كان لم يزل بها بعض بقايا دار كتبها القديمة التي يزعم بعض المؤرخين أن عمرا أحرقها بأمر الخليفة وهذا خطأ فان حرق الكتب كان عند محاصرة يولوس قيصر لها كما سبق ذلك في مدة البطالسة

ولما تم الامر لعمرو بمصر أجرى فيها مناهل العدل ورفع المكوس والمظالم ووصل النيل بالبحر الاحمر تسهيلا لنقل البضائع الى بلاد العرب ثم سار عمرو نحو برقة فصالحه أهلها وتقدم الى طرابلس الغرب وفتحها عنوة وكان عمر رضي الله تعالى عنه صاحب فضل وزهد وعدل وشفقة على الرعية وكان كريما محسنا للفقراء وهو أول من لقب بأمير المؤمنين كما تقدم وأول من أرخ بالسنة الهجرية على المشهور وأول من عس بالليل ودون الدواوين واستقضى القضاة وفضائله رضي الله عنه أكثر من أن تحصر وفي عهده اتسع نطاق الاسلام وخفقت الهجرة الشام وقويت شوكته بما فتحه من الجهات حتى سامى السماء رفعة وشرفا وكانت خلافته زهرة تاريخ الاسلام حتى قال بعض المؤرخين ان العرب قد افتتحوا في مدته ستة وثلاثين ألف مكان ما بين مدن وقرى وقلاع وحصون وهدموا أربعة آلاف هيكل وأقاموا ألفين ومائتي جامع وكان من أعظم أهل السياسية وأحكم رجال الرياسة والكياسة وكان رضي الله عنه يحب استدامة العمل ومن وصاياه التنبيه على الناس وقت السلم باتباع احدى الحرف الثلاث الزراعة والتجارة والصناعة ويروى عنه أنه مر على قوم فوجدهم جلوسا بفناء

الكعبة فعلاهم بالدرة وقال اعملوا فان السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة وكانت وفاته يوم السبت سلخ ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين هجرية ومات رضي الله عنه شهيدا بطعنة من أبي لؤلؤة فيروز عبد المغيرة بن شعبة وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام ودفن عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنهما وعهد بالخلافة الى النفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد بعد أن عرضها على عبد الرحمن بن عوف فلم يقبل

(خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه)

عثمان رضي الله عنه هو الخليفة الثالث بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بويع له بالخلافة لثلاث ليال مضت من المحرم سنة ٢٤ هجرية وكانت توليته بعد وفاة عمر رضي الله عنه وذلك أن عمر لما رأى خطر أمره عهد بالخلافة بعده للنفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض بعد أن عرضها على عبد الرحمن بن عوف فلم يقبل كما سبق وكانت الصحابة رضي الله عنهم أرادوا من عمر رضي الله عنه أن يعهد بالامر بعده لولده عبد الله فقال حسب قوي وجود من يحمل حملا ثقيلا كهذا وكفاهم ما حملوا وأود أن يخلفهم غيرهم وبعد موته اجتمع أهل الشورى وهم علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم وكان عمر قد شرط عليهم أن يكون ابنه شريكا في الرأي ولا يكون له حظ في الخلافة وجعل لهم مدة الشورى ثلاثة أيام وقال لا يمضي اليوم الرابع الا ولكم أمير وان اختلفتم فكونوا مع الذين معهم عبد الرحمن بن عوف ثم اتفقوا في اليوم الرابع على أن يختار عبد الرحمن منهم رجلا فخلا بعلي وقال له لنا الله عليك ان وليت هذا الامر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر فقال أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه

ما استطعت وأعمل مبلغ علمي وطاقتي فتركه وخلا بعثمان وقال له مثل ما قال لعلي فقال عثمان أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر فصفق عبد الرحمن على يد عثمان وبايعه وخرج والناس يهنئونه بالخلافة ولما تم لعثمان الامر صعد على المنبر وجلس محل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم الناس في ذلك وارتج عليه وقيل انه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أيها الناس ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وأنتم الى امام عادل أحوج منكم الى امام يشقق الخطب وان أول كل أمر صعب وان عشت فسأتيكم بالخطب ثم نزل وأقر عمال عمر سنة تنفيذا لوصيته ثم انه عزلهم بعد ذلك وغيرهم بمن يريد فعزل عمرو بن العاص عن مصر الذي فتح سوريا ومصر وبعض بلاد المغرب واعتاض عنه بعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري أخي عثمان في الرضاع سنة ست وعشرين وكان ذلك سبب العداوة بين عثمان وعمرو بن العاص وقال عثمان لعمرو لما قدم كيف تركت عبد الله فقال كما أحببت قال وماذاك قال قوي في نفسه ضعيف في ذات الله قال لقد أمرته أن يتبع أثرك قال لقد كلفته شططا (وفيها) وسع أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه المسجد الحرام وافتتح المغيرة بن شعبة همذان والري

وكان عثمان قد جهز عبد الله المذكور بأربعين ألفا حين وجهه الى مصر وأمره بالسير الى بلاد المغرب فسار اليها وبعد مدة وصل الى نواحي طرابلس وافتتحها سنة ست وعشرين وكانت قد اجتمعت هناك أهالي البلاد باموالهم وجاءته عساكر الروم فغزاها وظفر بها ثم قدم البطريق غريغريوس (جرجيس) وكان واليا على الاقطار التي بين طرابلس وطنجة في مراكش من طرف ملك الروم ومعه مائة وعشرون ألفا وعدد عظيم من الاهالي وتجدد القتال ودام أياما متوالية كل يوم من الصباح الى

الظهر حتى تشتد الحرارة وكان عبدالله نمى عن الحرب وترك امرة الجنود الى غيره ولما طال أمر الحرب أمر عثمان عبدالله بن الزبير أفرس أهل زمانه بالمسير الى تلك الجهات ومعه اثنا عشر الفا ولما وصل الى الجنود الاسلامية تقابل مع أميرهم الذى اعتذر عن نفسه بتحالف العدو على قتله وفى اليوم الثانى صدم ابن الزبير بعسكره عسكر غريغوريوس فهزمهم وقتله ابن الزبير بنفسه ولما قتل هربت بقية عساكره الى مدينة شيطلة فى تونس وكانت مدينة جميلة واسعة قوية فحاصرها ابن أبى سرح حتى فتحها وصار بين العرب و بين قرطاجة (١٥٠) ميلا ولم يمنعهم عن فتحها الاما لحقهم من التعب وموت كثير منهم بالحرب وقرطاجة هذه كانت أول مدينة بحرية وكانت بقيت تحت حكم ايطاليا مدة مائة سنة ثم تغلب عليها الرومان وحرقوها وتحالفوا على بقائها خربة ولعنوا كل من أقام بها حجرا ثم أعادوا ابناءها بأنفسهم ولما رأى الافريقيون قوة العرب صاروا يتواردون عليهم اما لطلب الصلح على دفع جزية معينة أو الدخول فى دين الاسلام ثم رجع العرب الى مصر بالاموال الكثيرة والغنائم العظيمة بعد أن غابوا عنها خمسة عشر شهرا وكانوا قد صالحوا أهل أفريقية على مليون ونصف من الدنانير و بعد أن دفعوا الخمس لبيت المال فرقوا ما بقى على العساكر وأرسلوا الى عثمان يبشرونه بنصرتهم وأرسلوا له ما جعل لبيت المال وقدره خمسون ألف دينار ووجه عبدالله بن سعد بن أبى سرح جيشا الى بلاد النوبة فسئلوا الموادعة والصلح فأجابوا ورجع الجيش بعد أن فرضوا عليهم جزية سنوية وأمر عثمان عبدالله بن نافع بن الحصين بأن يسير الى الاندلس بحرا فغزا تلك الجهات وعاد الى أفريقية فأقام بها أميرا من طرف عثمان ورجع عبدالله بن سعد الى مصر

واستأذن معاوية عثمان سنة سبع وعشرين بغزو الروم فى البحر فأذن له

وسير معاوية جيشا الى قبرس وسار اليها أيضا عبدالله بن سعد من مصر واجتمعوابها وقاتلوا أهلها ثم صولحوا بمدبعدة وقائع على جزية قدرها سبعة آلاف دينار كل سنة وعزل عثمان أباموسى الاشعرى عن البصرة وولى مكانه ابن خاله عبـدالله بن عامر بن كريز وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة وعزل سعد بن أبى وقاص عن الكوفة وولى مكانه الوليد ابن عقبة ثم عزله لعدم حسن سيرته وكان كثير السكر ويدخل فى الصلاة وهو سكران وفتح عبدالله بن كريز هذا نيسابور عنوة سنة ثلاثين وفتحت كذلك هراة ومرو والروذ والجوزجان والطالقان والفارياب وطخارستان حتى نهر بلخ وافتتح سلمان بن ربيعة الباهلى أرمينية والتقت عساكره مع خاقان ملك الخزر فقتل سلمان ومن معه وكانوا أربعة آلاف

وبلغ عثمان رضى الله عنه ماوقع فى أمر القرآن من أهل العراق وأنهم يقولون قرآتنا أصح من قرآن أهـل الشام لاناقرأنا على أبى موسى الاشعرى وكذلك أهل الشام يعيبون غيرهم ويفضلون قراءتهم وكذلك غيرهم فأمر باحضار المصاحف التى بأيدى الناس وحرقها أوسلقها بالماء الحار ثم أمر باحضار المصحف الذى كان عند حفصة حيث أجمع الصحابة عليه ونسخ منه عدة مصاحف وسيرها الى الامصار للسير على مقتضاها وسقط فى هذه السنة خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من يد عثمان فى بئر أريس وكان من الفضة عليه ثلاثة أسطر محمد ثم رسول ثم الله وكان يتختم به ويختم به الكتب التى يرسلها الى الملوك ثم ختم به بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان الى أن سقط فى تلك البئر وفى السنة الثانية والثلاثين عصت خراسان واجتمع أهلها فى خلق كثير فسار اليها المسلمون وفتحوها ثانيا وبينما أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه مشتغلا بالفتح مكللة جيوشه بالنصر والظفر اذ نقم الناس عليه وكثرت أضداده وتكلموا فيه بزعم أنه آثر أقاربه وقدم

ذوى رحمه و بنى الدار واتخذ الضياع والاموال من بيت مال الله والمسلمين ونفى أباذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن بن جميل وآوى الحكم بن أبى العاص وعبد الله بن سعد بن أبى سرح طريدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عثمان هو وقومه من بنى أمية سألوا أبا بكر فى الحكم بن العاص فلم يأذن لهم ولما ولى عمر سألوه ذلك فلم يفعل وزوج عثمان ابنته لمروان بن الحكم وأمر له بالمال الذى ورد من أفريقية وولى الوليد بن عقبة الكوفة فأحدث فى الصلاة ما أحدث وعزل أهل الاستحقاق وأقام غيرهم ممن لا استحقاق لهم من أقاربه وغيرهم واتهموه أيضا رضى الله عنه بالخديعة فى أمر ابن أبى سرح عندما عزله وولى مكانه محمد بن أبى بكر وذلك أنه قد اجتمع من أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة جموع ناقمين على عثمان حتى منعوه الصلاة ولزم أهل المدينة بيوتهم وحاصروه فى داره ثم اتفق على مع عثمان على اجابة ما طلبه الناس منه وهو عزل مروان بن الحكم من كتابته وعبد الله بن سعد بن أبى سرح عن مصر فأجاب الى ذلك وفرق الناس عنه ثم ان عثمان رد مروان الى وظيفته ثم ذهب محمد بن أبى بكر الى مصر ومعه عدة من المهاجرين والانصار فالتقوا فى طريقهم بعبد على هجين يجهده فقالوا له الى أين قال الى عامل مصر فقالوا هذا عامل مصر يعنون محمد بن أبى بكر فقال بل العامل الآخر يعنى ابن أبى سرح ففتشوه فوجدوا معه كتابا بخط مراون وختم عثمان يقول فيه اذا جاءك محمد بن أبى بكر ومن معه وأخبرك بانك معزول فلا تقبل واحتل لقتلهم وأبطل كتابهم وامض فى عملك فرجع محمد بن أبى بكر ومن معه الى المدينة وجمعوا الصحابة وأوقفهم على الكتاب وسألوا عثمان عن ذلك فاعترف بختمه وخط كاتبه ولكنه حلف بانه لم يأمر بذلك فطلبوا منه أن يسلم اليهم مروان فامتنع فازداد حنق الناس عليه وجدوا فى قتاله

وأرسل علي والزبير وطلحة أولادهم للذب عنه ثم تسور الدار على عثمان محمد بن أبي بكر ورجلان معه ثم قبض محمد على لحيته فقال قعدت مني مقعدا ما كان أبوك يقعده ولو رأى ذلك لاساءه فتراخت يد محمد بن أبي بكر فقتله أحد الرجلين اللذين كانا معه فترامت هند امرأته عليه لتدافع عنه فقطعت أصابعها وكان عثمان رضي الله عنه حين قتل صائما يتلو القرآن في المصحف وكان مقتله لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومدة خلافته ثنتا عشرة سنة الا اثني عشر يوما واختلف في عمره بين خمس وسبعين واثنين وثمانين ومكث ثلاثة أيام لم يدفن لان محاربيه منعوا دفنه ثم دفنه علي ليلا وكتب عثمان رضي الله عنه أثناء حصاره الى معاوية بالشام يسأله القدوم عليه فتوجه اليه في اثني عشر ألف مقاتل ثم قال لهم كونوا في أوائل الشام حتى آتي أمير المؤمنين لاعرف أمره فأتى عثمان فسأله عن المدد فقال قدمت لاعرف رأيك فآتيك بهم ثم رده ليأتي بهم فرجع ولم يعد اليه حتى قتل وكان قتله رضي الله عنه سببا لفتح باب الفتنة على المسلمين وفضائله شهيرة ومآثره كثيرة رضي الله عنه

(خلافة الامام علي كرم الله وجهه)

هو الخليفة الرابع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تولى الخلافة يوم الجمعة لخمس باقية من ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية بعد امتناع منه وتأخر عن بيعته نفر قليل سموا بالمعتزلة ولما تم له الامر قال له المغيرة بن شعبة يا أبا الحسن لك عندي نصيحة قال وما هي قال أن تبقي عمال عثمان قال له نعم الا معاوية فبلغ ذلك معاوية فامتنع عن مبايعته وحصلت بينهما مكاتبات لم تجد نفعا وكانت عاقبتها الحرب بينهما كما سيأتي وعزل علي عمال عثمان الا أبا موسى الأشعري ومعاوية وولى مصر قيس بن سعد ولما قدمها اعتزلت عنه فرقة كانت عثمانية وأبت أن تدخل في طاعة علي الا أن يقتل قاتل عثمان

وأقاموا ببلدة خربتا المعروفة الآن (بخربت نما) وكانت نحو عشرة آلاف
وبعد أن بايع طلحة والزبير ذهبا الى مكة ولحقا بعائشة رضي الله عنها لأنها
كانت خرجت اليها قبل مقتل عثمان وحرضاها على قتال علي ومطالبته بدم
عثمان فتبعتهم وتبعهم كثير من بني أمية وساروا لقتال عليّ وأرادت عائشة
الرجوع فلم يسمعوا لها وأرادوا الاستيلاء على البصرة فمنعهم عامل عليّ
عثمان بن حنيف من دخولها فقالوا لم نأت لحرب وانما جئنا للصلح وكتبوا
بينهم وبينه كتابا أنهم لا يحدثون أمرا الى قدوم علي ثم أمر عثمان بن حنيف
أصحابه بنزع السلاح فنزعوه فغدروا بهم وقبضوا على عثمان وسجنوه ثم
أطلق بعد أن نتفوا لحيته وحاجبيه ولما أتى الخبر لعليّ سار الى البصرة ومعه
أربعة آلاف من أهل المدينة واستنفر أهل الكوفة فثبطهم أبو موسى
الاشعري ومع ذلك فقد وافاه منهم ستة آلاف ثم قدم البصرة وسعى في
تجنب أسباب الحرب فلم يمكنه ذلك ودارت رحى الحرب بين الطرفين
بموضع يسمى الخريبة أربع ساعات من النهار وكانت عائشة وقت القتال
راكبة جملا في هودج قطعت على خطامه أيد كثيرة وتمت الهزيمة على
أصحاب طلحة والزبير وقتل طلحة في المعركة وقتل الزبير في الطريق عند
منصرفه الى المدينة وأمر الامام علي عائشة بالرجوع الى المدينة وجهزها
بما تحتاج وشيعها أولاده مسير يوم وشيعها الناس أيضا وسميت هذه الوقعة
بواقعة الجمل ثم سار عليّ الى الكوفة ونزلها سنة ٣٦ هجرية وانتظم له
الامر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان ولم يبق خارج
عنه الا الشام وبها معاوية الذي كاتبه الامام مرارا فلم تجد الكتابة نفعا كما
سبق وكان من شأن معاوية أنه اتفق هو وعمرو بن العاص على حرب
الامام علي ومطالبته بدم عثمان وأنه يعطيه مصر اذا انتصر وبلغ الامام علي
فخرج من الكوفة بجيش وخرج معاوية وعمرو بن العاص بجيش

آخر والتقى الفريقان بصفين (بلدة بين دمشق والعراق على جانب الفرات الشرقى سميت بها الواقعة) وحصلت بينهما وقائع كثيرة قتل فيها كثير من الفريقين وفى آخر مرة حمل الامام على على صفوف أهل الشام فلم يبق لهم صف الا انتقض ووقعت الهزيمة عليهم وهم معاوية بالفرار فنهاه عمرو بن العاص عن ذلك ورفعوا المصاحف فى وجوه القوم وطلبوا الرجوع للحكم بما فيها باشارة عمرو بن العاص وكانت حيلة فآل الأمر الى التحكيم بينهم فحكم أهل الشام عمرو بن العاص وكان معروفا بالدهاء والحيل وحكم أهل العراق أباموسى الاشعرى ولم يكن كذلك فاختلى عمرو بأبى موسى الاشعرى واتفقا بعد جدال طويل وأحاديث كثيرة على خلع على ومعاوية وترك الامر للمسلمين يولون من أرادوا ثم أقبلا الى الناس وقد اجتمعوا وكان اجتماعهم بدومة الجندل فقال أبو موسى ان رأينا قد اتفق على أمر نرجو به صلاح هذه الامة فقال عمرو صدق تقدم يا أباموسى فتكلم فلما تقدم لحقه ابن عباس وقال له ويحك والله انى أظن أنه خدعك ان كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه قبلك فانى لا آمن أن يخالفك فقال أبو موسى انا قد اتفقنا ثم تقدم وحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انا لم نر أصلح لامر هذه الامة من أمر قد أجمع عليه رأينا وهو أن نخلع عليا ومعاوية وتستقبل هذه الامة أمرها فتولى من أرادت وانى قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الامر أهلا ثم تنحى وأقبل عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبى فانه ولى عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه فقال له أبو موسى مالك قد غدرت وركب أبو موسى ولحق بمكة حياء من الناس وصاح القوم حكم الحكمان بغير ما فى كتاب الله والشرط عليهما

غير ذلك وسلم أهل الشام على معاوية بالخلافة واعتبر واحكم الحكمين نافذا ولم يرض به أصحاب على وقالوا حكم الحكمان بغير ما فى كتاب الله والشرط عليهما غير ذلك ومن هذا الوقت أخذ أمر على فى الضعف وأمر معاوية فى القوة وصار كل منهما يغير على أعمال صاحبه

وفى سنة ٤٠ هجرية اتفق جماعة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادى وعمرو بن بكير والبرك بن عبد الله التميميان على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا أكفيكم عليا وقال البرك بن عبد الله أنا أكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكير أنا أكفيكم عمرا وتواعدوا على ليلة سبع وعشرين من رمضان من هذه السنة أما ابن ملجم فانه قتل عليا فى الغلس وهو خارج لصلاة الفجر وأما البرك فانه جرح معاوية ولم يقتله وأما عمرو بن بكير فانه قتل خارجة ابن أبى حبيبة صاحب شرطة عمرو بن العاص الذى كان نائبا عنه فى الصلاة فى تلك الليلة وهو يظنه ابن العاص فأخذوه الى عمرو فقال من هذا قالوا عمرو فقال ومن قتلت قالوا خارجة قال أردت عمرا وأراد الله خارجة ثم أمر عمرو بقتله فقتل وقال بعضهم يتأسف على الامام على ويتمنى عدم فقده

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة ❊ فدت عليا بما شاءت من البشر

ودفن الامام على بالكوفة أو بالبقيع وعمره ٦٣ سنة ومدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وكان من الابطال المشهورين والعلماء العاملين وكان العامل من طرفه على مصر سعد بن أبى وقاص ثم محمد بن أبى بكر وفضائله شهيرة كرم الله وجهه ورضى عنه

(بيعة الحسن وتسليمه الامر لمعاوية)

لما توفى على رضى الله عنه اجتمع أصحابه وبايعوا ابنه الحسن وكان على قبل موته قد تجهز بالجيوش الى الشام ويقال انه بايعه أربعون ألفا من

عسكره على الموت ولما بويع الحسن بلغه مسير معاوية لقتاله فزحف عليه فى ذلك الجيش من الكوفة للقائه حتى نزل المدائن وكان على مقدمة عسكره قيس بن سعد بن عبادة الانصارى فى اثنى عشر ألفا ثم حصلت فى عسكره فتنة وتعاظم أمرها حتى قيل انهم نازعوه بساطا كان جالسا عليه فى سرادقه وطعنه بعضهم فى فخذه فحمل على سرير الى المدائن ولما رأى الحسن ذلك كتب الى معاوية يذكر له النزول عن الامر بشروط مخصوصة منها أن يعطيه ما فى بيت مال الكوفة وقدره خمسة آلاف دينار وأن لا يسب عليا فأجابه الى ما طلب مؤقتا ولم يوف له بعد ثم بايع معاوية لستة أشهر من بيعته ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس ثم لحق الحسن وأهل بيته بالمدينة ولم يزل بها حتى مات سنة ٤٩ هجرية وتقدم أن مولده كان فى رمضان من السنة الثالثة منها قال العلامة ابن خلدون

وما ينقل من أن معاوية دس اليه السم مع زوجته جعدة بنت الاشعث فهو من أحاديث الشيعة اهـ

وكان الحسن رضى الله عنه تقيا ورعا صفوحا ولقب بالامين لتفضيله الامان فى المسلمين على خير نفسه وكانت مدته رضى الله عنه متممة للخلافة الاسلامية التى أخبر عنها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا

وهذا اجمال الكلام فى الخلافة الاسلامية وما حصل فيها من الفتوحات والحروب الداخلية التى لو صرفت نحو الفتح لملكوا أغلب المعمورة ولم يبق على وجه الارض الا مسلم أو مسالم ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله عاقبة الامور

(الدولة الاموية)

عدد ملوك هذه الدولة أربعة عشر أولهم معاوية بن أبى سفيان وآخرهم

مروان الجعدي ومدة حكمهم نيف وتسعون سنة

(وأول ملوكها معاوية بن أبي سفيان)

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه هو ابن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أسلم مع أبيه عام فتح مكة وبويع البيعة التامة يوم عزل الحسن نفسه ونزل له عن الخلافة سنة ٤١ هجرية وقدم الكوفة فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه لم تختلف أمة بعد نبيها الا غلب باطلها حقها الا ما كان من أمر هذه الامة فان حقها غلب باطلها ثم نزل وبايعه الناس ولما عاد الى الشام بلغه أن ملك الروم زاحف في جموع كثيرة وعسكر جرار فخاف أن يشغله أمره عما يحتاج اليه من تدبير ملكه واحكام أمره فوجه اليه فصالحه ثم وجه العمال فولى عبد الله بن عامر البصرة وأضاف اليه معها خراسان سنة ٤١ وقد وجه هذا العامل عبد الرحمن بن سمرة فافتتح بلخ بعد حرب شديدة وحاصر كابل ثم فتحها صلحا وفتح نسف وزابلستان (غزنة وأعمالها) واستعمل ابن عامر ايضا على الهند عبد الرحمن بن سوار العبدي فغزا وغنم واهدى معاوية من خيلها عبد الله بن عامر ثم عزل لكونه كان لينا على السفهاء وولى معاوية مروان بن الحكم المدينة وولى المغيرة بن شعبة الكوفة سنة اثنتين وأربعين وغزا بسر بن أرطاة الروم فهزمهم شر هزيمة وقتل جماعة من بطارقتهم حتى بلغ القسطنطينية وشتى ببلادهم سنة ثلاث وأربعين وفيها ولى معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص مصر لوفاة عمرو بن العاص ثم عزله وولى أخاه عتبة ابن أبي سفيان ثم ولى بعده عقبة بن عامر الجهني وعزله وولى معاوية بن حديج ثم مسلمة بن مخلد وجمع له مصر والمغرب واستمر واليا حتى أيام يزيد وكان زياد بن عبد الله عامل علي على فارس فلما صار الامر لمعاوية كتب اليه يتوعده ويتهدده ان لم يبايعه وأهم معاوية أمره وخاف أن يدعو الى

أحد من بني هاشم و يبعد الحرب فوجه اليه المغيرة بن شعبة فقدم به على معاوية فأكرمه وحاسبه على مال البلاد بموجب قوله ثم ادعاه أخا سنة ٤٤ وولاه البصرة وأضاف اليه خراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان ولما قدم زياد البصرة سدد أمرها ووطد الملك لمعاوية ووضع السيف في رقاب من خالفه وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة فخافه الناس خوفا شديدا ثم ان معاوية ولى زيادا الكوفة أيضا سنة ٥٠ فكان زياد يقيم بالكوفة ستة أشهر وبالبصرة مثلها وهو أول من سير بين يديه الحرس بالعمد والحراب والسيوف وكانت حراسه خمسمائة لا يفارقونه في حال من الاحوال وكان أحد دهاة العرب قويا في السياسة عظيم الهيبة بلغ من الفصاحة غايتها ومن الشجاعة نهايتها

ولما توطد الملك لمعاوية شرع في اتمام فتح أفريقية وكان الافريقيون هم الذين دعوه الى ذلك ليتخلصوا من جور حكامهم وكان على أفريقية عقبة بن نافع وكان قد فتح غدامس سنة اثنتين وأربعين وكورا من كور السودان فأرسل اليه معاوية عشرة آلاف فارس فدخل بهم أفريقية وانضم اليه جموع كثيرة من البربر فكثر جمعه وعظم جيشه وكانت عادة البربر اذا دخل عليهم أمير أطاعوه وأظهر كثير منهم الاسلام ومتى تنحى عنهم خلعوا طاعته وارتدوا الى الكفر راجعين ثم رأى عقبة أن يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين وأهلوهم وأموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد فقصد موضع القيروان وكان أجمة كثيرة الاشجار وبعد قطعها أمر ببناء المدينة سنة ٥٠ فبنيت وبنى المسجد الجامع ووضع به ٥٠٠ عمود من الصوان وبنى الناس دورهم ومساجدهم وكان محيط المدينة ثلاثة آلاف وستمائة باع وجعل لها سورا عظيما من الحجر وفي أثناء البناء كان يرسل السرايا فتغير وترجع غانمة ودخل كثير من البربر في الاسلام واتسعت بذلك

خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود وأمنوا واطمأنوا وما
زال عقبة يفتح فى بلاد المغرب حتى وصل الى المحيط

وكان المسلمون لا يفترون عن مقاتلة الروم سنويا صيفا وشتاء برا وبحرا
لاضعاف قوتهم وكسر شوكتهم ولا يرجعون الا بالغنائم الوافرة ولما نظروا
أن لا شيء يرد امتداد فتوحاتهم ولا يصدهم عن قصدهم سير معاوية رضى
الله عنه سنة ٤٨ جيشا عظيما الى القسطنطينية مع سفيان بن عوف فأوغلوا
فى بلاد الروم حتى وصلوا اليها وألقوا الحصار عليها وكان فى الجيش ابن
عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الانصارى رضى الله عنه وتوفى أبو
أيوب ودفن قريبا من سورها ولم يتمكن المسلمون من فتحها وقاومهم الروم
أشد المقاومة وأحرقت النار الاغريقية أغلب سفنهم وعرقلت حركاتهم
ومكثت العسكر على حصار هذه المدينة مدة ست سنوات يحاصرونها صيفا
ويرجعون عنها شتاء ويأوون الى خليج صغير هناك ولذلك كان المحاصرون
يتمكنون من اصلاح ما تخرب من السور والنار الاغريقية التى فقدت
الآن قيل انه اخترعها رجل من الشام يدعى كاليتيوذكوس وكان مهندسا
عظيما وكيماويا شهيرا ونسبت للاغريقيين لانهم أول من استعملها ولم يبوحوا
لاحد بتركيبها ولم يكتبوا عنها شيئا ويقال ان الزيت بعض أجزائها ولكن
لا يعلم مقدار ما يوضع منه على الكبريت والقطران وكان يخرج من هذا
المركب دخان كثيف ولهيب محرق ولم تكن ترتفع على خط مستقيم
أثناء اشتعالها بل كانت تحرق الجوانب والاسفل وكان الماء يزيدها اشتعالا
وكان الروم يسمونها النار المائعة والبحرية ويستعملونها برا وبحرا ويقال
ان العرب تعلموا عمل تلك النار وصاروا يستعملونها بعد وهذه أول مرة
صدت فيها عسكر الاسلام مدة الخمسين سنة الاولى من فتوحاتهم وفتحت
جزيرة رودس سنة ٥٣ فتحها قتادة بن يعلى الازدى ودخلها المسلمون وفى

سنة أربع وخمسين ولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان فقطع جيحون الى سمرقند والصغد وهزم الكفار وفتحت ترمذ صلحا وقتل معه قثم بن العباس ودفن بسمرقند ثم بايع معاوية الناس ليزيد بولاية عهده وبايعه أهل الشام والعراق وأراد مروان بن الحكم عامله بالمدينة البيعة له فامتنع الحسين وعبدالله بن عمر وعبدالرحمن ابن أبي بكر وعبدالله بن الزبير وامتنع الناس لامتناعهم ثم قدم معاوية الحجاز بألف فارس وبايع يزيد أهل الحجاز الا من سبقوا وقال معاوية ليزيد انى مهدت لك الامور ولم يبق أحد لم يبايعك غير هؤلاء الاربعة فأما عبدالرحمن فانه رجل كبير يموت اليوم أو غدا وأما ابن عمر فانه رجل قد غلب عليه الورع وأما الحسين فله قرابة فان ظفرت به فاصفح عنه وأما ابن الزبير فان ظفرت به فقطعه اربا ثم مات معاوية فى شهر رجب سنة ٦٠ وخلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرون يوما من مبايعة الحسن وعمره خمس وسبعون وقيل سبعون وبقى فى الشام نحو أربعين سنة أميرا وخليفة وكان حليما ذا هيبة يقهر حلمه غضبه ويغلب جوده منعه وهو أول من بايع لولده وأول من وضع البريد وأول من عمل المقصورة فى المسجد وأول من خطب جالسا فى قول بعضهم رضى الله عنه

(الثانى يزيد بن معاوية)

لما مات معاوية رضى الله عنه بويع ولده يزيد وأرسل الى عامله بالمدينة بالزام الحسين وعبدالله بن الزبير وابن عمر بالبيعة فأما ابن عمر فانه قال ان أجمع الناس على بيعته بايعته وأما الحسين وابن الزبير فلحقا بمكة ولم يبايعا وأرسل عامل المدينة جيشا مع عمرو بن الزبير وكان شديد العداوة لاخيه عبدالله بن الزبير ليقاتله فانصرف عبدالله وهزم الجمع وحبس أخاه عمرا

حتى مات
وورد على الحسين رضي الله تعالى عنه مكاتبات كثيرة من أهل الكوفة بالمسير اليهم ليبايعوه وكان عاملها النعمان بن بشير فأرسل الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل ليأخذ البيعة له فبايعه نحو ثمانية وعشرين ألفا وقيل بايعه ثلاثون ألفا وبلغ يزيد عن النعمان بن بشير كلام لا يرضيه فولى الكوفة عبيد الله بن زياد والي البصرة فقدم الكوفة ورأى ما الناس عليه فخطب وحث الناس على طاعة يزيد ثم اجتمع الى مسلم ابن عقيل من كان بايعه للحسين وحصروا عبيد الله بن زياد بقصره ومعه ثلاثون رجلا فأمرهم أن يشرفوا من القصر ويمنعوا أهل الطاعة ويخزلوا أهل المعصية فكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها فتقول انصرف فان الناس يكفونك فتفرق الناس عن مسلم وبقي معه ثلاثون رجلا فاستتر ونادى منادي عبد الله بن زياد من أتى بمسلم ابن عقيل فله ديته فأمسك مسلم فوبخه وضرب عنقه في الحال ورميت جثته من القصر وضرب عنق هانئ بن عروة أيضا وكان ممن أخذ البيعة للحسين وبعث برأسيهما الى يزيد سنة ستين ثم أخذ الحسين رضي الله عنه في الذهاب الى الكوفة وكان بمكة فقال له عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يا ابن العم اني أخاف عليك أهل العراق فانهم أهل غدر ونفاق وأقم في الحجاز فانك سيده وان أبيت الا أن تخرج فسر الى اليمن فان بها شيعة لابيك وبها حصون وشعاب فلم يرض الحسين وقال لقد أزمعت وأجمعت وخرج من مكة واجتمع عليه قوم من العرب فسار بهم ولاقاه الفرزدق في الطريق فقال له ان قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء كل ذلك والحسين رضي الله عنه لا يعلم ما حصل لابن عمه مسلم بن عقيل ولما بلغه أمر قتله وأن الناس تخزلت عنه أعلم الحسين من معه وقال من أراد أن ينصرف فلينصرف فتفرق الناس

عنه وسارهو بأهل بيته حتى وصل الى مكان يقال له سراف قرب الكوفة فلقيه الحر بن يزيد التميمي صاحب شرطة عبيد الله بن زياد في ألف فارس فقال لهم الحسين ما أتيت الا بكتبكم ثم قام خطيبا فقال أيها الناس انها معذرة الى الله واليكم انى لم آتيكم حتى أتتنى كتبكم ورسلكم أن اقدم علينا فليس لنا امام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى وقد جئتكم فان تعطونى ما أطمئن اليه من العهود أقدم مصركم وان لم تفعلوا وكنتم لمقدمى كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى أقبلت منه فسكتوا وقد أذن المؤذن لصلاة الظهر وصلى وراءه الفريقان ولما دخل وقت العصر صلى بهم أيضا ثم استقبلهم فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انكم ان تتقوا الله وتعرفوا الحق لاهله يكن أرضى لله ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الامر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم السائرين فيكم بالجور والعدوان فان أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتنى به كتبكم أنصرف عنكم فقال الحر بن يزيد انا والله ماندرى هذه الكتب والرسل التى تذكر فأخرج خرجين من الصحف فنشرها بينهم فقال الحر انا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك وقد أمرنا الا نفارقك حتى نوصلك الكوفة بين يدى عبيد الله بن زياد وما زالوا به حتى سار معهم وورد كتاب من عبيد الله يأمر الحر أن ينزل الحسين ومن معه على غير ماء فانزلهم بالموضع المعروف بكربلا وهو بأرض العراق بين الحلة والكوفة سنة احدى وستين وفى الغد قدم من الكوفة عمرو بن سعد بن ابى وقاص في أربعة آلاف فارس أرسله زياد لحرب الحسين فسأله الحسين احد ثلاثة أمور اما العود من حيث أتى واما أن يجهز الى يزيد واما أن يلحق بالثغور فكتب عمرو الى ابن زياد أن يجاب الحسين فى احدى هذه الامور الثلاثة فلم يقبل وأرسل شمر بن ذى الجوشن الى عمرو بن سعد بكتاب يقول له فيه اما أن

تقاتل الحسين وتقتله وإما أن تعتزل ويكون الامير على الجيش شمر وفى اليوم الثانى ركب عمرو بن سعد فى أصحابه وذلك يوم عاشوراء من تلك السنة وركب الحسين فى أصحابه وكانوا اثنين وسبعين ما بين راكب وراجل واستمر القتال الى الظهر من ذلك اليوم واشتد بالحسين العطش فتقدم ليشرب فرمى بسهم فأصاب فاه وتكاثر القوم عليه وطعنوه مرارا واحتز وا رأسه وقيل ان الذى نزل واحتز رأسه هو شمر وقيل بل هو سنان بن أنس النخعى ثم أرسل الرأس الشريف و بقية الرؤس والنساء والاطفال الى يزيد ثم انه جهز النساء والاطفال الى المدينة وهذه حادثة مشهورة لا ينبغى التوسع فيها لشهرتها وفظاعتها وقد اختلف فى موضع الرأس الشريف فقيل انه جهز الى المدينة ودفن عند أمه وقيل انه دفن عند باب الفراديس من دمشق ثم نقل الى عسقلان وأن خلفاء مصر الفاطميين نقلوه الى القاهرة ودفنوه بها وبنوا عليه مشهدا معروفا وكان ذلك فى خلافة الفائز بنصر الله الفاطمى على يد الصالح طلائع بن رزيك سنة ٥٤٩ وخرج الخليفة وعسكره فتلقاه من خارج مصر حافيا مكشوف الرأس قال المقريزى رحمه الله فى خططه وكون الرأس الشريف بمشهد القاهرة هو الذى اعتمده المؤرخون وأما الجثة الشريفة فقد دفنت بكربلاء وكان الحسين رضى الله عنه مقداما شجاعا وورد فى فضله أحاديث كثيرة مشهورة وكان عمره حين قتل خمسا وخمسين سنة وأشهر

وكان عبد الله بن الزبير لا يزال ممتنعا بمكة ولم يدخل فى طاعة يزيد ثم ان أهل المدينة اتفقوا سنة ٦٣ على خلع يزيد وأخرجوا نائبه عثمان بن محمد بن أبى سفيان منها فجهز يزيد جيشا مكونا من عشرة آلاف من أهل الشام مع مسلم بن عقبة وأمره أن يسير نحو المدينة واذا ظفر بأهلها أباحها للجند ثلاثة أيام يسفكون فيها الدماء و يأخذون الاموال وأن

يبايعهم على أنهم خول وعبيد ليزيد ومتى فرغ من أمرهم يسير الى مكة فسار حتى نزل على المدينة من جهة الحرة وأصر أهل المدينة من المهاجرين والانصار وغيرهم على قتاله وعملوا خندقا ودام القتال أياما ثم انهزم أهل المدينة وقيل ان اقتلى من أهل المدينة كانوا نحو سبعمائة من أشراف الناس من قريش والمهاجرين والانصار وعشرة آلاف من الموالى وعامة الناس وبايع مسلم من بقى بالمدينة ليزيد كما شاء ثم سار نحو مكة ومات قبل أن يصل اليها وأقام على الجيش مقامه الحصين بن نمير السكونى فى المحرم سنة أربع وستين فقدم مكة وحاصر عبد الله بن الزبير أربعين يوما حتى أتاهم الخبر بموت يزيد وكان الحصين قد رمى الكعبة بالمنجنيق وأحرقها بالنار ولما علم الحصين بموت يزيد قال لعبد الله ابن الزبير من الرأى أن ندع دماء القتلى بيننا واقدم الى الشام حتى نبايعك فامتنع عبد الله من ذلك فارتحل الحصين راجعا الى الشام وسار معه من كان بالمدينة من بنى أمية وكانت مدة خلافة يزيد ثلاث سنين ونصفا وعمره ٣٨ سنة وكانت أمه ميمونة بنت بحدل الكلبية أقام معها بين أهلها بالبادية فنشأ فصيحا وكان عاكفا على اللهو والقنص وكان شاعرا لبيبا وقد أجمع العلماء على فسقه وقبح سيرته واختلفوا فى جواز لعنه عليه من الله ما يستحقه

(الثالث معاوية بن يزيد بن معاوية)

بويع بعد وفاة والده يزيد فى ربيع الاول سنة أربع وستين وكان شابا دينا ورعا ولما تم له أمر البيعة وجد أنه لا يمكن استخلاص الملك الا بالسيف واراقة الدماء فجمع الناس وخطب فيهم فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه معاشر الناس انى قد نظرت فى أمركم وانى قد ضعفت عن القيام به والساخط على أكثر من الراضى وما كنت لأتحمل أثقالكم

ولا يرانى الله متقلدا أوزاركم وألقاه بعد مماتكم فشأنكم أمركم فخذوه
ومن رضيتم به عليكم فولوه فلقد خلعت بيعتى من أعناقكم والسلام
فاجتمعت عليه بنو أمية وقالوا له اعهد الى من تريد فقال ما أصبت من
حلاوتها فلا أتحمل من مرارتها ودخلت عليه أمه فوجدته يبكى فقالت
له ليتك كنت حيضة فلم أسمع بخبرك فقال وددت والله ذلك ويلى ان
لم يرحمنى ربى ثم تغيب عن الناس الى أن مات فى الثانية والعشرين من
العمر ومدته أربعون يوما وقيل ثلاثة أشهر وبعد موت معاوية بن يزيد
انتقل الملك من عقب معاوية بن أبى سفيان الذى حاول أن يجعله فيه
وكاد الامر يتم لعبد الله بن الزبير حيث بايعه أهل البصرة واجتمعت
له العراق والحجاز واليمن وبايعه أهل مصر وبايع له فى الشام سرا الضحاك
ابن قيس والنعمان بن بشير بحمص وزفر بن الحرث الكلابى بقنسرين
لولا أن مروان بن الحكم نازعه فى الامر واجتمعت به بنو أمية وصار
الناس فى الشام فرقتين اليمانية مع مروان والقيسية مع الضحاك بن قيس
مبايعين لابن الزبير واقتتل الفريقان بمرج راهط بالغوطة وانهزم
الضحاك والقيسية وقتل الضحاك ونادى منادى مروان ألا يتبع أحد
مهزوما ودخل مروان دمشق ونزل بدار معاوية بن أبى سفيان وبايعه
الناس وتزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية تخوفه من خالد وبقى مع
امرأته هذه الى أن شتم ولدها خالدا مرة شتمة تمسها فبلغها ذلك فأمرته
بالكتمان ثم تعاهدت مع الجوارى على قتل مروان فوضعت على وجهه
وسادة وهو نائم وقعدت هى وجوار بها فوقها حتى مات بعد أن عمر ثلاثا
وستين سنة ومدة ملكه تسعة أشهر وثمانية عشر يوما

وقال الذهبى رحمه الله ان مروان لا يعد فى أمراء المؤمنين بل هو متغلب
باغ على ابن الزبير وكذلك عهده لولده عبد الملك غير صحيح وانما صحت

خلافة عبد الملك من حين قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وعده غيره من أمراء المؤمنين من أول أمره ولكل وجهة هو موليها

(الخامس عبد الملك بن مروان)

بويع عبد الملك في ثالث رمضان من سنة خمس وستين بعد موت والده وتم له الامر بالشام ومصر وكان قبل الخلافة متعبدا ناسكا فقيها عالما فلما جاءته الخلافة كان المصحف بين يديه يقرأ فيه فأطبقه وقال السلام عليك هذا آخر العهد بك وفي مدة خلافته خرج المختار بن عبيد الله الثقفي بالكوفة مطالبا بدم الحسين في جموع كثيرة فاستولى عليها وبايعوه بها وحصل قتال وظفر بشمر فقتله وقتل عمرو بن سعد بن أبي وقاص الذي كان أمير الجيش الذي حارب الحسين وبعث برأسهما الى محمد بن الحنفية بالحجاز ثم استولى المختار على الموصل وقتل عبيد الله بن زياد وأحرق جثته وانتقم الله تعالى للحسين بالمختار وقتل به ألوفا

وفي سنة اثنتين وسبعين جهز عبد الملك الحجاج الى مكة لقتال ابن الزبير في أربعين ألفا فحاصروا مكة نحو شهر أشد الحصار ونصب المنجنيق على أبي قبيس وقيقعان فما زال يحاصره ويضيق عليه الى أربعة أشهر حتى دخل الحجاج بعسكره مكة المكرمة فاشتد الحرب داخلها حتى قتل عبد الله ابن الزبير وتفرقت جماعته ولما تمكن الحجاج من مكة هدم الكعبة المشرفة لوقوع خلل فيها من المنجنيق وكان قد بناها عبد الله بن الزبير بعد وقعة يزيد على قواعد ابراهيم فبناها الحجاج هذا البناء الموجود للآن سنة ثلاث وسبعين وولى عبد الملك الحجاج العراق فسار من المدينة الى الكوفة وخرج في أيامه بالعراق شبيب الخارجي ووقع بينه وبين الحجاج حروب كثيرة كانت غايتها تفرق جموع شبيب وموته وكذلك خرج عبد الرحمن ابن الاشعث واستولى على خراسان ثم قصد الحجاج وغلب على الكوفة

فأمد عبد الملك الحجاج بالجنود من الشام فهزم عبد الرحمن وتفرقت جموعه والتجأ الى ملك الترك فطلبه منه الحجاج وتهدده بالحرب فقبض عليه ملك الترك وعلى أربعين من أصحابه وبعث بهم الى الحجاج فألقى عبد الرحمن في الطريق نفسه من على سطح فمات

وكان الحجاج ظلوما غشوما سفاكا للدماء سيء الاخلاق قبيح السيرة قتل كثيرا وحبس كثيرا حتى قيل انه قتل بأمره سوى من قتل في حروبه مائة وعشرون ألفا ومات في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة ولم يكن لحبسه سقف يستره وروى أنه سمع ضجة وهو خارج من صلاة الجمعة فقال ماهذا قيل المسجونون يشكون فالتفت اليهم وقال اخسؤا فيها ولا تكلمون فما صلى بعدها جمعة وهلك وكان مع هذا عالما فصيحا حافظا القرآن وهو الذى بنى مدينة واسط أيام عبد الملك وتوفى عبد الملك بدمشق منتصف شوال سنة ست وثمانين عن ثلاث وستين سنة بعد أن عهد لابنه الوليد بالخلافة ومدة خلافته احدى وعشرون سنة وهو أول من ضرب الدنانير والدراهم بسكة الاسلام وكتب عليها بعض آيات من القرآن وعين فيها اسم المدينة وتاريخ السنة التى ضرب فيها وأول من نهى الناس عن التكلم بحضرة الخليفة وفي عهده اتسعت حدود الدولة من جهة الشرق في السند والتركستان وكان شديدا وعماله كذلك حتى قال بعضهم لولم يكن لعبد الملك الا تولية الحجاج وتمكينه من رقاب الناس لكفى ونحن نطلب له من الله الرحمة

(السادس الوليد الاول ابن عبد الملك)

بويع له بالخلافة يوم وفاة والده سنة ٨٦ هجرية وكان أبوه قد عهد له بها وهو معدود من أعظم ملوك بني أمية لانه كان عادلا وفي مدته بنيت المباني الفاخرة ووقعت الفتوحات الهائلة وكان محسنا له شفقة ورأفة

بالرعية أعطى المجذمين ومنعهم السؤال الى الناس والمخالطة معهم وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا وأمر بالكتابة باللغة العربية فى جميع دواوينه وولاياته وكان يبرحملة القرآن ويقضى عنهم ديونهم وبنى الجامع الاموى وزاد فيه جزءا من كنيسة (ماريوحنا) بعد أن أرضاهم عنها بما شاؤا سنة ٨٦ ولم يتمم بناءه بل أتمه أخوه سليمان ويقال ان جملة ما أنفق على بنائه أربعمائة صندوق كل واحد منها فيه ثمانية وعشرون ألف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة من الذهب للقناديل ومازالت به الى أيام عمر بن عبد العزيز فجعلها فى بيت المال واستعاض عنها حديدا ونحاسا ومن مبانيه أيضا قبة الصخرة ببيت المقدس وبنى المسجد النبوى ووسعه وأدخل فيه الحجرات النبوية

وفى أيامه فتحت الاندلس حيث أرسل الى عامله ببلاد افريقية وهو موسى بن نصير بفتحها فسار اليها ولم تنجح مساعيه فى أول الامر فأرسل من قبله طارق بن زياد ومعه خمسمائة رجل ليختبر واحال تلك البلاد وأمده بخمسمائة أخرى فنزل طارق بهذا الجيش الصغير فى (جون قلبة) المحاط بصخر منيع وقاتل ثلاثة أيام حتى فتحه ومن يومئذ سمى باسمه فقيل جبل طارق وانه كان قد انضم الى المسلمين جموع من أهل تلك البلاد لانهم كانوا متضررين من جور ملكهم رودريق ولم يزل يحارب حتى قتل رودريق ثم سار طارق بن زياد قاصدا مدينة طليطلة ليمنع كبار المملكة والاساقفة أن يجتمعوا بهذه المدينة التى هى قاعدة بلادهم ليختبروا ملكا آخر فبمجرد وصوله اليها فتحت له أبوابها فأبقاها على ما كانت عليه ثم سار هذا القائد المنصور الى جبال البرينات من غير أن يعارضه أحد فى طريقه فأراد موسى بن نصير أن يكمل فتحها ويحوز هذا الفخر العظيم لنفسه من غير أن يشرك معه طارقا فاجتاز

البوغاز بتسعة عشر ألفا وفتح البلاد من غير أن يلحقه أدنى مشقة ثم جاوز جبال البرينات وفتح الجزء الجنوبى من فرنسا ولما رأى هذا الفاتح العالى الهمة أن الدهر سالمه عزم على فتح أوروبا لكن منعه من تنفيذ هذا الغرض انحطاط درجته عند الخليفة وذلك أنه حملته الغيرة من طارق على أن يسلك معه مسلك الاذلال بقدر ما تقتضيه الغيرة غير أن طارقا وجد فى دولة الخليفة أصحابا وأصدقاء مانعوا عنه وصاروا من حزبه حتى أوغروا صدره عليه فأرسل يطلبه فحضر الى الشام ومعه من الاسارى عدد كثير فدخل دمشق بموكب حافل وكان هذا آخر مسراته فان الخليفة أهانه وأمر بضربه أمام الحاضرين وطرده الى مكة فذهب اليها وبقى بها الى أن مات ووقعت فى أيام الوليد فتوحات كثيرة غير الاندلس من ذلك أنهم فتحوا ما وراء النهر وتغلغل الحجاج فى بلاد الترك وتغلغل مسلمة بن عبد الملك فى بلاد الروم ففتح وسبى وفتح محمد بن القاسم الثقفى بلاد الهند وفى أيامه توفى الحجاج الثقفى وأراح الله الناس من شره وتوفى الوليد سنة ٩٦ بدير مروان وترك أربعة عشر ولدا لصلبه ودفن فى مقابر الباب الصغير

﴿ السابع سليمان بن عبد الملك ﴾

بويع بعد عدة أيام من موت أخيه ولما تولى أحسن التدبير والسياسة ورد المظالم وآوى الغرباء وأفرج عن المسجونين واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيرا له ثم أمر الخليفة بقتل عبد الله وعبد العزيز ولدى موسى بن نصير اللذين كانا بقيا بالنيابة عن أبيهما ببلاد الاندلس والمغرب الاقصى فمات ابن نصير حين بلغه موت ولديه ومع ذلك فان بنى موسى لم يوقف الفتوحات فانهم بعد أن جاوزوا جبل البرينات استولوا على مدينة ناربون وبعض مدن من فرنسا الجنوبية وامتدت فتوحاتهم الى قسم

برجونيا ثم قام عبد الرحمن بجيش جرار قاصدا بذلك فتح باقى بلاد فرنسا ووضع الحصار على مدينة بوردو واستولى عليها وتقدم الى نهر لوار بفرنسا فقابله شارل بن بيبين دوهيرستال العالم بقدوم عبد الرحمن المذكور فانتصر العرب على الجيش المكون من الغول والجرمانيين تحت قيادة شارل المذكور على شواطئ نهر بواتيه ورجعوا الى اسبانيا واكتفوا بأمرهم وذلك سنة ١١٨ من الهجرة الموافقة لسنة ٧٣٢ ميلادية وفى سنة ٩٧ هجرية خرج سليمان بالجيوش ونزل بمرج دابق وبعث أخاه مسلمة الى القسطنطينية وقال أقم عليها حتى تفتحها وأقام مسلمة قاهرا لها حتى جاءه الخبر بموت أخيه سليمان وذلك فى سنة ٩٩ هجرية وفى أيامه بنى أسامة بن يزيد الملقب بالتنوخى مقياس النيل بالروضة سنة ٩٧ هجرية حينما وقع مقياس النيل الموجود بحلوان وأوصى بالخلافة بعده لعمر بن عبد العزيز وكان عامله على مصر عبد الملك بن رفاعة ومدة خلافة سليمان سنتان وثمانية أشهر

﴿الثامن عمر بن عبد العزيز بن مروان﴾

وهو الملقب بالاشج بويع بالخلافة بعد موت سليمان ولما تولى رفع المظالم التى صدرت ممن سبقه من الملوك وغير سب الامام على كرم الله وجهه على المنابر بقوله تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان و إيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وله مناقب كثيرة منها أنه باع جميع ما يملك وكذا نساؤه برضاهن وأدخله فى بيت المال ومنها المحافظة على ما فى بيت المال حتى قيل ان خادمه أتاه يوما بماء يقضى به حاجته فقال بأى شئ أسخنت هذا الماء فقال له من خشب بيت المال فأمر بشراء

غيره ورده الى محله وكان العامل من طرفه على مصر أبو أيوب بن الصباح ثم بشير بن صفوان وهو أول من فرض لابناء السبيل شيأ واليه ينتهى العلم والورع والعدل والشرف وتوفى رضى الله عنه بدير سمعان ودفن به وعمر تسعا وثلاثين سنة ويقال انه مات مسموما وسبب ذلك أن بنى أمية خافوا أنه لو امتدت أيامه ربما يخرج الملك من أيديهم وأنه لا يعهد به الا لمن يصلح للامر ولو من غيرهم فعاجلوه وقيل غير ذلك ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما وبويع بعده ليزيد بن عبد الملك

﴿ التاسع يزيد بن عبد الملك بن مروان ﴾

ولى الامر يوم موت ابن عمه عمر بن عبد العزيز وذلك انه لما احتضر عمر ابن عبد العزيز كتب الى يزيد بن عبد الملك سلام عليك أما بعد فانى لا أرانى الا ميتا فالله الله فى أمة محمد فانك تدع الدنيا لمن لا يحمدك وتفضى لمن لا يعذرك والسلام ولما تم له الامر قال خذوا بسيرة عمر بن عبد العزيز فسار بسيرته مدة الى أن دخل عليه أربعون من أهل الشام وحلفوا له أن ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب فى الآخرة فخدعوه بذلك فانخدع ولم ينتفع به بعد ذلك فى الخلافة وخرج فى أيامه اليزيد بن المهلب فارسل اليه أخاه مسلمة فقاتله وظفر به ثم توفى يزيد فى حوران لاربع سنين من خلافته بعد أن عهد بالامر بعده الى أخيه هشام

﴿ العاشر هشام بن عبد الملك ﴾

ولى الامر بعد وفاة يزيد الثانى سنة ١١٠ هجرية وكان رحمه الله حازما عاقلا صاحب سياسة حسنة وكان ذا رأى ودهاء وحزم وفيه حلم وقلة شره وقام بالخلافة أتم قيام ويوصف بالبخل والحرص ولذلك قيل انه جمع من الاموال مالم يجمعه خليفة قبله وفى أيامه غزا المسلمون بلاد الترك فانتصروا وغنموا كثيرا وقتلوا من الاتراك كثيرا وقتلوا خاقان،

ملك الترك وكان المتولى لحرب الترك أسد بن عبد الله القسرى وفى أيام هشام أيضا خرج زيد بن على زين العابدين ودعا الى نفسه فأسرعت اليه الشيعة وكان الوالى على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفى فجمع العساكر وناوش زيدا القتال فأصاب زيدا سهم فى جبهته فحمل من المعركة فمات ودفن فلما أصبحوا استخرجه يوسف من قبره فصلبه ومات هشام بالرصافة التى بناها بأرض الشام سنة ١٢٥ هجرية بعد أن أقام خليفة نحو ٢٠ سنة

﴿الحادى عشر الوليد الثانى بن يزيد بن عبد الملك﴾

وكان الوليد بن يزيد مقيما بالبادية فلما مات هشام سار توا الى دمشق وولى الخلافة سنة ١٢٥ هجرية وأقام فى الملك سنة واحدة وكان أكمل بنى أمية أدبا وفصاحة وأعرفهم بآداب العرب ولغتهم وكان كثير السماحة والكرم الا أنه كان منهمكا فى اللذات مستخفا بأمر الامة مشغولا بالملاهى متظاهرا بالمعاصى ولذلك أجمع أهل دمشق على خلعه وقتله لتظاهره بالمنكرات والزندقة فلم يلبث حتى قتل سنة ١٢٦ هجرية وبقتله اضطربت البلاد وانتصر على بنى أمية أعداؤهم ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك

﴿الثانى عشر يزيد الثالث وهو ابن الوليد﴾

تولى والامور مضطربة وكان يلقب بالناقص فتفاءل بنو أمية بولايته وكان كثير التعبد محمود السيرة متخلقا بأخلاق عمر بن عبد العزيز وكان محافظا على الدين ورعا الا أنه لم يتم له الأمر الا وبغتته المنية فتوفى بالطاعون بعد خمسة أشهر وأيام من ولايته

﴿الثالث عشر ابرهيم بن الوليد﴾

بويع بالخلافة بعد وفاة يزيد الثالث سنة ١٢٦ ولم يكد يتم له أمر حتى سار اليه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم فى جيش عظيم قاصدا عزله

ولما علم بذلك ابرهيم بن الوليد جهز له جيشا مع سليمان بن هشام واقتتلوا فانهزمت أصحاب ابرهيم وسليمان وقتلوا ابنى الوليد بن يزيد وكانا فى السجن ثم اختفى ابرهيم ونهب سليمان بيت المال وقسمه على أصحابه وخرج من دمشق ولم يلبث ابرهيم غير سبعين يوما وقيل ثلاثة أشهر

﴿الرابع عشر مروان بن محمد﴾

بويع له بعد ابرهيم بن الوليد ولما استقر له الامر عاد الى حران وأرسل الى ابرهيم بن الوليد يستأمنه فأمنه وقدم عليه وفى زمنه كثرت الفتن واستحكم الخلاف فى البلاد وخرج البعض عن الطاعة وفى عهده قام محمد حفيد العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم بين العباسيين فى اظهار حقوق بنى العباس فبعث أناسا يحرضون الناس على الخروج عن الطاعة فأجابه أبو مسلم أمير خراسان وأظهر الخروج والقيام فازدحم المسلمون تحت لوائه فعند ذلك حصل بين العباسيين والامويين مشاجرة عظيمة على نهر الزاب سفكت فيها الدماء ونزل مروان حين القتال عن جواده ففزع الجواد وخاض وسط المقاتلين فظنوا أن مروان قد قتل فاختلت صفوف العساكر الشامية فهرب مروان واجتاز جزيرة النهرين وفلسطين ولم يزل سائرا حتى وصل الى مصر فأدركه صالح أخو عبد الله فى كنوسة بأبى صير فقتله وقيل ان الذى قتله هو عامر بن اسماعيل المزنى الذى كان مع السفاح وكان مروان وقتئذ جالسا يتناول طعام العشاء فجلس وأكل طعام مروان بعد قتله وأرسل برأسه الى عبد الله العباسى بالكوفة فعرفوها وأيقنوا بانقراض الدولة الاموية وذلك سنة ثلاث وثلاثين ومائة وكان عمر مروان ستة وخمسين سنة ومدة خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وأصر أبو العباس السفاح أن ينتقم من الامويين دفعة واحدة أخذا بثار أخيه وراحة لاسرته مما كابدوه من المشاق فقتل الالوف من الامويين

وخدع منهم بدمشق تسعين أميرا واحتال على قتلهم حيث انه أظهر لهم الوداد وعمل لهم ضيافة الصلح ولكن لهم عساكر طرقوا رءوسهم على حين غفلة فوضعت عليهم الالواح وفرشت فوقها بسط جلس عليها أبو العباس الذي لقب من ذلك الوقت بالسفاح مع جميع أمراء جيشه يأكلون ويتمتعون وتحتهم من يكابد حرارة الموت ويعالج خروج الروح من بنى أمية الذين قصد السفاح استئصالهم ونجا منهم عبد الرحمن بن معاوية بن الخليفة هشام وفرهاربا الى بلاد الاندلس ودعا أهلها الى بيعته فبايعوه ودخلوا تحت طاعته فأسس بها دولة أموية جديدة بقرطبة تسمى بالدولة المروانية غير تابعة للدولة العباسية وكان ذلك فى جمادى الثانية من سنة ١٣٢ هجرية وهاهى نذكر من أخبارها ما فيه عبرة لمن تدبر وتبصرة لمن تبصر مع المبالغة فى الاختصار مخافة الاكثار

﴿دولة الامويين بالاندلس﴾

هذه الدولة حكمت بالاندلس من سنة ١٢٩ الى سنة ٤٢٢ عبارة عن ٢٨٣ سنة وعدد ملوكها ستة عشر ملكا كانت الاندلس فى مدتهم منتظمة الاحوال بالغة من الرفعة غايتها ومن المدنية نهايتها فانتشرت فيها العلوم والآداب وارتقت أحوال التجارة والزراعة والصناعة ولم تزل آخذة فى التقدم حتى وصلت الى أرفع درجة وبعد ذلك أخذت فى السقوط حتى نزلت الى الحضيض وتمزقت كل ممزق ثم تلاشت ولم يبق لها أثر فى الوجود حتى كأنها لم تكن كما هو شأن كل دولة حصل الخلف فيها وتشعبت آراؤها وكثرت أحزابها وتفرقت كلمتها وتشتتت قلوبها سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

﴿وأول ملوكها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام
ابن عبد الملك بن مروان﴾

بويع له في الاندلس سنة تسع وثلاثين ومائة وكان يلقب بالداخل لدخوله بلاد الاندلس وبتملكه لهذه البلاد خرجت عن حكم بني العباس وقصة تملكه للاندلس طويلة ملخصها أنه لما قامت الدولة العباسية وأخذوا يتبعون بني أمية قتلا هرب عبد الرحمن المذكور وخرج مختفيا ومازال ينتقل حتى دخل الاندلس كما سبق وكان بها رجال من بقايا عمال بني أمية ومواليهم فأعانوه حتى انتزع الاندلس من عمال بني العباس بهمته وحسن تدبيره واستفحل ملكه وملك بعده ذريته وكان دخوله الاندلس في خلافة المنصور العباسي وكان المنصور يعجب من أمره ويذكره في مجالسه ويسميه صقر قريش وأراد استرجاع الاندلس من يده فلم يتمكن من ذلك ولما استقامت أموره وتمكنت دولته بلغه عن بعض من أعانه أنه يقول لولا أنا ما توصل لهذا الملك وكان منه أبعد من النجم وعن بعضهم أنه يقول انما أعانه سعده لا عقله وتدبيره فحركه ذلك وكان شاعرا فصيحا فأنشأ يقول

لايلف ممتن علينا قائل ✲ لولاى ما ملك الامام الداخل
سعدي وحزمي والمهند والقنا ✲ ومقادر بلغت وحال حائل
ان الملوك مع الزمان كواكب ✲ نجم يطالعنا ونجم آفل
والحزم كل الحزم ألا يغفلوا ✲ أيروم تدبير البرية غافل
ويقول قوم سعده لا عقله ✲ خير السعادة ما حواها العاقل
أبني أمية قد جبرنا صدعكم ✲ بالغرب رغما والسعود قبائل
مادام من نسلي امام قائم ✲ فالملك فيكم ثابت متواصل

وأخذ ينظم أحوال الاندلس حتى عم الامن وتمت الراحة ووصلت البلاد الى أعلى درجات التقدم والحضارة وبقي فيها نافذ الكلمة مطلق التصرف حتى هابته الملوك وخافته العظماء والولاة وجدد مجد بني أمية وأعلى ذكرهم

وكان عازما على اعادة دولتهم فى الشرق لولا أنه حالت بينه وبين ذلك عقبات مات قبل اقتحامها وهو الذى بنى بقرطبة القصر والجامع وأدار سوقها ونظم طرقها وأكثر فيها العمران والمبانى وكان من أهل العلم والفضل وعلى أجمل سيرة فى الحزم والعدل وله أدب فائق وشعر رائق ذكرهما المؤرخون فى مطولاتهم وفى آخر أيامه أوصى بالخلافة لابنه ثم مات بعد أن حكم ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وكانت وفاته فى ربيع الآخر سنة ١٧٢ وعمره تسع وخمسون سنة

﴿الثانى هشام بن عبد الرحمن الداخل﴾

تولى بعد أبيه بعهد منه ويكنى بأبى الوليد وكان حسن السيرة متحليا بالعدل وكان يتشبه بعمر بن عبد العزيز فى العدل والورع وكان يعود المرضى ويشهد الجنائز ويتصدق بالصدقات الكثيرة وربما كان يخرج فى الليالى المظلمة الشديدة المطر ومعه صرر الدراهم يتحرى بها المساتير وذوى البيوتات من الضعفاء وكان يبحث عن أحوال أمور عماله حتى اذا بلغه عن أحدهم حيف عزله ولم يوله بعد ذلك ولم يزل كذلك معروفا بالعدل والفضل موصوفا بالحلم والجود الى أن توفى فى صفر سنة ١٨٠ بعد أن حكم سبع سنين وسبعة أشهر وعمره ٣٩ سنة وأربعة أشهر

﴿الثالث الحكم بن هشام﴾

استخلفه أبوه قبل موته وتولى وله من العمر اثنتان وعشرون سنة وكان يكنى أبا العاص وكان منهمكا فى اللذات فى مبدا أمره حتى انه أوقع بأهل الربض (محلة متصلة بقصره) لما اتهمهم فى بعض أمره فقتلهم وهدم دورهم ومساجدهم ولم يزل كذلك متماديا فى طغيانه الى أن أحدث الفقهاء فى أيامه أشعار الزهد والحض على قيام الليل والادعية التى أودعوا فيها التعريض به مثل قولهم يا أيها المسرف المتمادى فى طغيانه المصر على كبره

المتهاون بأمر ربه أفق من سكرتك وتنبه من غفلتك وكان هذا من جملة ما هاجه وأوغر صدره عليهم وكانوا أشد الناس عليه فانهم كانوا يحرضون عليه العامة ويشجعونهم الى ان قاموا عليه وكان بينه وبينهم ما كان فرجع عما هو عليه مخافة العزل أو القتل واستقام فاستقامت له الامور وكبت أعداءه وقمع الخارجين عليه ومنهم عماه سليمان وعبدالله ابنا عبدالرحمن وكانا في بر العدوة فظفر بسليمان فقتله وصالحه عبدالله خوفا منه وكانت مدة خلافته ستا وعشرين سنة وتوفي في ذي الحجة سنة ٢٠٦ وعمره اثنتان وخمسون سنة وخلف تسعة عشر ابنا

﴿ الرابع عبدالرحمن بن الحكم ﴾

تولى بعد أبيه الحكم بن هشام ولما تم له الامر خرج عليه عم أبيه عبدالله البلنسي فبرز له عبدالرحمن فلما بلغ ذلك عبدالله خاف فرجع الى بلنسية ثم مات في أثناء ذلك وبعد موته نقل عبدالرحمن أولاده وأهله اليه بقرطبة وخلصت الخلافة لولده هشام بن عبدالرحمن وكانت مدة خلافته احدى وثلاثين سنة وستة أشهر وخلف خمسة وأربعين ولدا وتوفي في ربيع الآخر سنة ٢٣٨ وكان مولده سنة ست وسبعين ومائة ومدة ولايته احدى وثلاثون سنة وثلاثة أشهر

﴿ الخامس محمد بن عبدالرحمن ﴾

ولي بعد أبيه وكان فقيها فصيحا بليغا كثير الجهاد وهو صاحب وقعة طليطلة المشهورة التي قتل فيها آلاف من أعدائه وتوفي سلخ صفر سنة ٢٧٣ هجرية وعمره خمس وستون سنة ومدة ولايته أربع وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وله ثلاثة وثلاثون ولدا

﴿ السادس المنذر بن محمد بن عبدالرحمن ﴾

بويع له بعد موت أبيه بثلاث ليال فأحسن الى الناس وعدل فيهم فأحبوه

وكان جوادا يحب الشعر ويجيز الشعراء ولم تطل مدته بل مات بعد أن حكم سنة وأحد عشر شهرا وكانت وفاته في المحرم سنة ٢٧٥ هـ بعد أن عمر أربعين سنة وخلف ستة ذكور وبعد موته بويع أخوه عبد الله بن محمد

(السابع عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن)

تولى يوم وفاة أخيه وكثرت فى أيامه الفتن والثورات بالأندلس فثار عليه ابن مروان ببطليوس وابن تاكيت بماردة ولب بن محمد بسرقسطة وطليطلة ومطرف بن موسى بن ذى النون الهوارى بشنت مرى وابن حفصون في ششتر ومالقة ورندة وثوار أشبيلية وغيرهم ثم توفي في ربيع الاول سنة ٣٠٠ هـ ومدة حكمه خمس سنين وأحد عشر شهرا وله أحد عشر ابنا أحدهم محمد المقتول الذى قتله أبوه في حد من حدود الله وهو والد عبد الرحمن الناصر الذى تولى بعد جده

(الثامن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله)

ولى بعد جده ونزل بحضرة أعمامه وأعمام أبيه ولم يختلفوا عليه وهو أول من لقب بألقاب الخلفاء من الامويين وخوطب بأمير المؤمنين وكانوا يخاطبون قبله بالامراء وأبناء الخلائف وكان شابا فطنا فاستقل بالأمر منفردا دون أعمامه وأعمام أبيه وهابه الناس وسكن الاضطراب بالأندلس وقاتل المخالفين له حتى أذعنوا واستقامت الأمور في الأندلس في نيف وعشرين سنة من ملكه ودامت أيامه خمسين سنة ونصفا شيد فيها ملك بنى أمية هناك حتى صارت مدينة قرطبة حاضرة الأندلس منبع العلوم والآداب تضارع بغداد اذ ذاك وبعد أن أخضع تلك الأقاليم وعلا سلطانه فيها شرع في تشييد المبانى الفاخرة والقصور الشاهقة واختط مدينة الزهراء واتخذها دار ملكه وأنشأ بها من القصور الشاهقة والمبانى العجيبة والبساتين الكثيرة ما فاق عن عمل أجداده وجعل فيها

حبس ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ثم انتقد الناس على المهدى أشياء منها أنه كان يصنع النبيذ فى قصره فسموه نباذا ومنها فعله بالمؤيد مافعله وأنه كان كذابا متلونا ومنها أنه كان مبغضا للبربر فقاموا عليه واستعانوا بملك قشتالة (الفنس الخامس) وكان ذلك غاية أمنيته لأنه كان يود ضعف دولتهم حتى يمكن زوالها فأمده بجيش عرمرم وذهب معه الى قرطبة فحاربوا المهدى فقتلوا من جنده نحو عشرين ألفا وغلبوه وخلعوه وبايعوا سليمان بن الحكم ولقب بالمستعين بالله

الثانى عشر سليمان بن الحكم المستعين بالله

بويع منتصف شوال سنة أربعمائة ولما تم له الأمر سار الى الأعداء واستعان بهم فأعانوه وساروا معه الى قرطبة فكان ذلك من أسوأ غلطاتهم وأفظعها فاقتتلوا مع المهدى بقبتيج وحصلت بينهم الواقعة المشهورة التى قتل فيها مالا يحصى فانهزم المهدى وفر الى قرطبة وتحصن بها ودخل سليمان البلد وحصره في القصر فلما رأى المهدى ما نزل به أظهر المؤيد الذى كان قد أخفاه من قبل ظنا منه أنه يخلع هو والمستعين ويرجع الأمر الى المؤيد فلم يوافقه أحد لاعتقادهم أن المؤيد قد مات فلما أعياه الأمر احتال في الهروب فهرب سرا واختفى ودخل المستعين القصر وأغار البربر والروم على قرطبة فنهبوا وسلبوا وأسروا عددا عظيما من أهلها وأخذت قوة المسلمين في الضعف وفرح بذلك أعداؤهم الذين لايزالون يتربصون بهم الدوائر

عود المهدى وقتله وعود المؤيد

لما اختفى المهدى فر الى طليطلة وجمع الجيوش وسار الى (الفنس) مستنجدا به فأنجده وجمع له الجيوش وسار بهم معه الى قرطبة فخرج

اليهم المستعين واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المستعين بالله ومن معه بعد ماقتل من الطرفين كثير ومضى المستعين الى (شاطبة) ودخل المهدى قرطبة وجدد البيعة لنفسه وجعل الحجابة لواضح الفتى ثم ان جماعة من العامريين كانوا مع المستعين بالله فأرسلوا الى المهدى يطلبون الدخول في طاعته بشرط أن يجعلهم في جملة رجاله فأجابهم فلما دخلوا قرطبة استمالوا واضحا الى قتل المهدى فأجابهم ودخلوا عليه قصره فقبضوا عليه وأخذوه أسيرا ثم أخذوا المؤيد بالله وأجلسوه مجلس الخلافة وبايعوه وأحضر المهدى بين يديه فعدد له ذنوبه ثم أمر بقتله فقتل وطافوا برأسه في قرطبة وكان عمره ٣٣ سنة

واستمر المؤيد فى ملكه الى أن اتفق البربر مع سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الأموى وأعادوه الى الخلافة ولقب المستعين بالله وأخرج المؤيد من قصره بقرطبة ولم يعلم له مقر بعد ذلك وبقى سليمان المستعين يدبر الأمور الى سنة ٤٠٧ ثم خرج عليه أحد القواد المسمى خيران العامرى من أصحاب المؤيد ومعه كثير من الناس وجرى بين الفريقين قتال كانت غايته هزيمة سليمان وأخذه أسيرا وبقيت قرطبة في يد خيران الى أن تولى على بن حمود العلوى

انقراض الدولة الأموية من الأندلس
وأخبار الدولة العلوية بها

لما علم على بن حمود العلوى خروج خيران العامرى على سليمان وكان ابن حمود حينئذ مستوليا على سبتة وبينه وبين الأندلس (عدوة المجاز) وكان أخوه القاسم بن حمود على الجزيرة الخضراء طمع فى حكم الأندلس فعبر من سبتة الى (مالقة) فاجتمع اليه خيران وغيره وبايعوه على طاعة

المؤيد ان ظهر خبره ثم انه لما تم له الأمر أحضر سليمان المستعين فقتله هو وأخوه وأبوه وأظهر موت المؤيد وبايع لنفسه وتلقب بالمتوكل على الله وقيل الناصر لدين الله وهو علي بن حمود بن ابي العيش ميمون ابن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ثم ان خيران خرج عن طاعة ابن حمود لأنه انما وافقه طمعا في وجود المؤيد بقصر قرطبة واعادته الى الخلافة وسار خيران من قرطبة يطلب شخصا من بني أمية يقيمه في الخلافة الى أن لقي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الناصر كان في (جيان) مستخفيا فبايعه ولقبه المرتضى (وهو الثالث عشر من الأمويين بالأندلس) واجتمع الى عبد الرحمن المذكور أهل (شاطبة وبلنسية وطرطوشة) مخالفين على علي بن حمود فلم ينتظم لعبد الرحمن أمر وجمع علي بن حمود جموعه وقصدهم من قرطبة وبرز العساكر الى ظاهرها ودخل الحمام ليخرج ويسير فوثب عليه غلمانه وقتلوه في الحمام في ذي القعدة سنة ٤٠٨ وعمره ٤٨ سنة وولايته سنة وتسعة أشهر

ثم ولي بعده أخوه القاسم بن حمود وهو أكبر من علي بعشرين سنة وتلقب بالمأمون وملك قرطبة وغيرها الى سنة ٤١٢ ثم سار القاسم من قرطبـة الى أشبيلية فخرج عليـه ابن أخيه يحيي بن علي بن حمود بقرطبة ودعا الى نفسـه وخلع عمه فأجابوه مستهل جمادى الاولى سنة ٤١٢ هـ وتلقب يحيي بالمعتلي وبقي بقرطبة حتى سار اليه عمه القاسم من أشبيلية فخرج يحيي عن قرطبة الى (مالقة والجزيرة الخضراء) فاستولى عليهما سنة ثلاث عشرة وأربعمائة في ذي القعدة ودخل القاسم بن حمود قرطبة

في ذلك التاريخ وجرى بينه وبين أهلها قتال أدى الى اخراجه منها فسار الى (شريش) فقصده ابن أخيه يحيي هو وأتباعه حتى قبضوا عليه وحبسوه وبقي محبوسا الى أن مات وبعد ذلك خرج أهل أشبيلية عن طاعة القاسم وابن أخيه يحيي وقدموا عليهم قاضي أشبيلية أباالقاسم محمد بن اسمعيل بن عباد اللخمي وبقي اليه أمر أشبيلية وكانت ولاية القاسم بن حمود بقرطبة الى أن قبض عليه وحبس ثلاثة أعوام وعدة أشهر وبقي محبوسا حتى مات سنة ٤٣١

الرابع عشر من الامويين سعيد بن القاسم المستظهر بالله

قدم أهل قرطبة عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ولقب بالمستظهر بالله وهو أخو المهدى محمد بن هشام وبويع في رمضان وقتلوه في ذى القعدة كل ذلك سنة ٤١٤

الخامس عشر المستكفى

لما قتل المستظهر بويع بالخلافة محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر ولقب بالمستكفى ثم خلع بعد سنة وأربعة أشهر فهرب وسم في الطريق فمات

ثم اجتمع أهل قرطبة على طاعة يحيي بن على بن حمود العلوى وكان بمالقة يخطب له بالخلافة ثم خرجوا عن طاعته سنة ٤١٨ وبقي يحيي كذلك مدة ثم سار من مالقة الى قرمونة وأقام بها محاصرا لاشبيلية الى أن قتل في المحرم سنة ٤٢٧ وبموته انقرضت الدولة الأموية

السادس عشر من الأمويين المعتمد بالله

لما خلع أهل قرطبة طاعة يحيي بايعوا لهشام بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الناصر الأموى فلقبوه بالمعتمد بالله سنة ٤٢٨ وجرى

في أيامه فتن أدت الى خلعه سنة ٤٢٢ وسار مخلوعا الى سليمان بن هود الجذامي وأقام عنده حتى مات هشام سنة ٤٢٨ هجرية

ثم جاء شخص بعد هشام يقال له أميـة وهو من ولد عبد الرحمن الناصر فطلب البيعة فقالوا له نخشى عليك أن تقتل لأن السـعادة قد ولت عنكم يابني أميـة فقال بايعوني اليوم واقتلوني غدا فلم ينتظم له أمر واختفى فكان آخر العهد به ثم ان بلاد الاندلس وتوابعها اقتسمها أصحاب الأطراف والرؤساء وصاروا أشبه بملوك الطوائف فنشأ عن ذلك انقراض الدولة الاموية من الأندلس ثم اضمحل الاسلام بعـد ذلك فيها وخرج المسلمون منها وزالت تلك الدولة التي كان لهـا من المآثر العظيمة مايدهش الأبصار والملك لله الواحد القهار . هذا وقبل الكلام على الدولة العباسية أردت أن أذكر عمال الامويين على مصر تتميما للفائدة

ذكر عمال بني أمية على مصر

عمال معاوية عليها

أولهم (عمرو بن العاص) بن وائل بن هاشم بن سـعيد بن سهم ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك أبو عبـد الله تولاها أولا بعد فتحها من قبل أمير المؤمنـين عمر بن الخطاب وبقي بها أربع سنين وأشهرا ثم صرف عنها في زمن عثمان بن عفان كما سبق

ووليها ولايته الثانية غرة ربيع الاول سنة ٣٨ هجرية من قبـل معاوية بن أبي سفيان بعد قتل محمد بن أبي بكر الصـديق وأعطاها له معاوية طعمة بعد رزق جندها وما يصرف في مصالحها كشرطه معه وكان عمرو من دهاة الدهر عميق الغور في السياسة ميمون النقيبة

منصورا في مغازيه وبينما هو مشغول بالفتح مشمول بالنصر والظفر اذ أدركه مرض موته فتوفي ليـلة الفطر سنة ٤٣ هجرية فغسله ابنه عبـد الله بن عمرو وأخرجه الى المصلى وصلى عليـه ولم يبق أحد صلى العيـد الا صلى عليه ثم صلى بالناس صلاة العيد وكان أبوه قد استخلفه ولما بلغ معاوية رضى الله عنه موت عمرو بن العاص رضى الله عنه أسف أسفا شديدا وخاف على مصر وفكر فى الذى يليها بعد عمرو ولم ير من الصواب أن يجعلها لابنه من بعـده مخافة أن يطمع في شئ من خراجها أو تكون طعمة له كأبيـه أو تكون وراثة لبنى عمرو وذريتهـم ورأى أنه يوليها لأقرب الناس اليـه وأقدرهـم على سياستها والقيام بشؤونها فأرسل اليها أخاه (عتبة بن أبى سفيان) وجعله أولا على صلاتها فهو ثاني من تولى أمرها من قبله وقدم اليها في ذى القعدة سنة ٤٣ هجرية فأقام بها شهرا وعرض له أمر فوفد على أخيه معاوية واستخلف عبد الله بن قيس بن الحارث وكان فيه شدة فكره الناس ولايته وامتنعوا منها فبلغ ذلك عتبة بن أبى سفيان فرجع الى مصر خوفا على أمرها أن يتشتت ثم صعد المنبر وقال يا أهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم وقد وليكم من اذا قال فعل فان أبيتم درأكم بيـده فان أبيتم درأكم بسيفه ثم رجا بالاخير ماأدرك في الأول ان البيعة شائعة لنا عليكم السمع ولكم علينا العدل وأينا غدر فلا ذمة له على صاحبه فناداه المصريون من جوانب المسجد سمعا سمعا فناداهم عدلا عدلا ثم نزل ثم جمع له أخوه الصلات والخراج معا ثم عقد عقبة لعلقمة بن يزيد على الاسكندرية فى اثنى عشر ألفا تكون لها رابطة ثم خرج اليها مرابطا في ذى الحجة سنة ٤٤ هجرية

فات بها وكانت مدة ولايته سنة واحدة ثم ولاها عقبة بن عامر ستة أشهر وبعد موت عقبة أقام معاوية رضى الله عنه عوضا عنه (عقبة بن عامر) ابن عبس الجهنى فهو الرابع من عماله عليها وجمله على الصلاة والخراج وكان قارئا فقيها شاعرا لبيبا صحابيا جليلا له الصحبة والهجرة والسابقة في الاسلام الا أنه لم يكن في السياسة والكياسة على ما يرضى معاوية فولى مكانه (مسلمة بن مخلد) الانصارى فهو خامس عماله

وكان من سراة المدينة وعظماء الناس وأمره أن يسير الى مصر ويكتم أمره عن عقبة بن عامر حتى يدبر له حيلة يخرجه بها من مصر وفي ١٦ ربيع الأول سنة ٤٥ هـ أرسل معاوية الى عقبة أنه ولاه على البحر وأمره بالمسير الى رودس فسار عقبة الى الاسكندرية ورافقه اليها مسلمة ثم نزل عقبة البحر سائرا الى رودس ورجع مسلمة واستوى على عرشه فلما بلغ ذلك عقبة قال أعزلا وغربة وكان صرفه عن مصر لعشر بقيت من ربيع الاول سنة ٤٧ هـ وكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة أشهر ولما ولى مسلمة بن مخلد الانصارى انتظمت أموره وانقادت له البلاد وعرفت فضله العباد وأنشأ منارات للمساجد واعتنى بالعبادة والمعابد وفي أيامه نزلت الروم البرلس سنة ٥٣ هـ وحصلت وقائع قتل في احداها وردان مولى عمرو بن العاص فى جمع من المسلمين وبقى مسلمة واليا على مصر الى ان مات معاوية في رجب سنة ٦٠ هـ كما سبق

عمال يزيد بن معاوية على مصر

لما بويع ليزيد أقر عامل مصر عليها وهو مسلمة بن مخلد الذى كان واليا عليها من قبل أبيه وبعث اليه بأخذ البيعة له فبايعه الجند الا عبد الله ابن عمرو بن العاص فهدده عابس بن سعيد بالنار وهم بحرق داره عليه

ان لم يبايع فبايع قهرا وقدم مسلمة من الاسكندرية فجمع لعابس مع الشرط القضاء وكان مسلمة يطيل الصلاة كما روى عن ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد أنه قال كان مسلمة بن مخلد يصلي بنا فيقوم في الظهر فربما قرأ البقرة ولم يترك ألفا ولا واوا وتوفي مسلمة وهو وال لخمس باقية من رجب سنة ٦٢ هـ فكانت ولايته ١٥ سنة وأربعة أشهر واستخلف عابس بن سعيد ثم وليها (سعيد بن يزيد) بن علقمة بن يزيد بن عوف الازدي من أهل فلسطين فقدم مستهل رمضان سنة ٦٢ هـ فتلقاه عمرو ابن قحزم الخولاني فقال يغفر الله لأمير المؤمنين أما كان فينا مائة شاب مثلك يولي علينا أحدهم ولم يزل أهل مصر عا كفين على نكايته والاعراض عنه حتى توفي يزيد بن معاوية في ربيع الأول سنة ٦٤ هـ كما سبق في خلافته

وفي رجب منها دعا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه الى نفسه بالخلافة فقامت الخوارج الذين بمصر واظهروا دعوته وسارت وفودهم اليه يهنئونه بالخلافة فبعث اليها عبد الرحمن بن جحدم سنة ٦٤ هـ فقدمها في جمادى الأولى منها واعتزل سعيد بعد أن وليها سنتين الا شهرا ثم وليها بعده من قبله عبد الرحمن بن جحدم ولم تطل مدته فانه بعد ثلاثة أشهر من ولايته صرف عنها ووليها (عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم) فدخلها في شعبان سنة ٦٤ هـ في جمع كثير من الخوارج وبقي بها الى أن بويع مروان بن الحكم بالخلافة من أهل الشام وأهل مصر معه في الباطن لأن الناس كانوا قد بايعوا ابن الزبير على غل في قلوب شيعة بني أمية فسار مروان اليها وبعث ابنه عبد العزيز في جيش الى أيلة ليدخل مصر من هناك وأجمع ابن جحدم على حربه وحفر الخندق

في شهر وهو الذي في شرق القرافة وقدم مروان فحارب ابن جحدم وقتل بينهما كثير من الناس ثم اصطلحا ودخل مروان لمشر من جمادى الأولى سنة ٦٥ هـ فكانت مدة ابن جحدم تسعة أشهر ووضع مروان العطاء فبايعه كثير من الناس ومن تأخر قتله وبقى مروان في مصر شهرين الى أن هدأ الوقت وانقطعت القلاقل ثم بارحها ورجع الى مقره بالشام

عمال مروان بن الحكم على مصر

لما أراد مبارحتها قد عهد بأمرها الى ابنه عبد العزيز بن مروان وهم بالرحيل منها فقال له ياأمير المؤمنين كيف المقام في بلد ليس بها أحد من بنى أبى فقال له مروان يابنى عمهم باحسانك يكونوا كلهم بنى أبيك واجعل وجهك طلقا تصف لك مودتهم وأوقع الى كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره يكن لك عينا على غيره وينقاد قومه اليك وقد جعلت معك أخاك بشرا مؤنسا وجعلت لك موسى بن نصير وزيرا ومشيرا وما عليك اذا كنت أميرا في أقصى الارض أليس ذلك أحسن من غلق بابك عليك وخمولك في منزلك ثم أوصاه عند خروجه من مصر الى الشام قائلا أوصيك بتقوى الله في سرك وعلانيتك فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأوصيك ألا تجعل لداعى الله عليك سبيلا فان المؤذن يدعو الى فريضة فرضها الله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وأوصيك ألا تعد الناس موعدا الا أنفذته لهم والا تعجل في شئ من الحكم حتى تستشير فان الله لو أغنى أحدا عن ذلك لأغنى نبيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالوحى الذى يأتيه مع أن الله عزوجل قال في كتابه العزيز وشاورهم فى الأمر

وخرج مروان من مصر في غرة رجب سنة ٦٥ هـ والحرب قائمة بينه وبين عبد الله بن الزبير ثم مات مروان في رمضان من هذه السنة بعد مابلغ من العمر ٦٣ سنة وبموته بويع لابنه (عبدالملك بن مروان)

عاملاه على مصر

لما تم له أمر البيعة أقر أخاه عبد العزيز بن مروان على مصر وفى سنة ٦٩ هـ أمر عبد العزيز بن مروان ببناء قنطرة الخليج الكبير في طرف الفسطاط وبنى مقياسا للنيل بحلوان وهو ثانى مقياس بناه المسلمون فى مصر فان أول مقياس عمل كان فى زمن عمرو بن العاص وقيل ان هذا أول مقياس ووقع الطاعون في مصر فخرج عبد العزيز منها ونزل حلوان واتخذها دار اقامته وجمع فيها جنده وأعوانه وبنى فيها الدور والقصور والمساجد فحسنت عمارتها وتمت زينتها ونظامها ولم يزل عبد العزيز بحلوان الى أن توفي في ١٣ جمادى الاولى سنة ٨٦ هـ وحملت جثته الى الفسطاط فى سفينة في نهر النيل ودفن بالفسطاط بعد أن حكم بمصر ٢٠ سنة وعشرة أشهر وكان رحمه الله محمودالسيرة معروفا بالصلاح والعدل والسداد في جميع أموره وتولى بعده ابن أخيه عبد الله بن عبد الملك بن مروان من قبل أبيه وكان دخوله الى مصر يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الثانية سنة ٨٦ هـ وسنه ٢٩ سنة وطلب منه أبوه أن يقتفى آثار عمه عبد العزيز فى حسن سيرته وجميل سياسته ثم مات عبد الملك بن مروان فيسنة ست وثمانين وتولى الخلافة ابنه (الوليدالاول)

عماله على مصر

لما عهد له بالخلافة أقر أخاه عبد الله عليها الذى كان عاملا من قبل أبيه

وفي مدة ولايته جعل الكتابة في دواوين مصر باللغة العربية وكانت قبل ذلك بالقبطية وغلت الأسعار غلوا فاحشا فتشاءم الناس منه وهى أول شدة رأوها بمصر وكان مرتشيا فكرهه الناس ولم يزل بغيضا حتى اضطر الى الرجوع الى أخيه فصرفه عنها فى صفر سنة ثمان وثمانين واستخلف عبد الرحمن بن عمرو بن قحزم الخولانى وأهل مصر في شدة عظيمة ثم صرف عبد الرحمن المذكور بعد أن ولى ٣ سنين و ١٠ أشهر وتولى بعده (قرة بن شريك) بن مرثد بن الحارث العبسى على صلاتها وخراجها فقدمها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة ٩٠ وبقى بها الى أن مات وهو وال ليلة الخميس لست بقيت من ربيع الأول سنة ٩٦ هجرية وكانت ولايته ٦ سنين وأياما وكان ظالما سيئ السيرة واستخلف (عبد الملك بن رفاعة) فأقره الخليفة الوليد فتمت ولايته وبعد ثلاثة أشهر من ولايته توفي الوليد بدمشق في منتصف جمادى الثانية وتولى بعده أخوه (سليمان بن عبد الملك ابن مروان)

عمال سليمان بن عبد الملك على مصر

لما تم له الأمر أقر عبد الملك بن رفاعة في مصر على صلاتها وجعل على خراجها أسامة بن يزيد التنوخى فبنى هذا العامل مقياس النيل بالروضة سنة ٩٧ هجرية بأمر الخليفة سليمان بن عبد الملك لما تهدم مقياس حلوان وخاطبه فى ذلك ثم مات الخليفة سليمان في ٢١ صفر سنة ٩٩ هجرية وأوصى بالخلافة لابن عمه عمر بن عبدالعزيز

ولما استقر له الأمر عزل ابن رفاعة بعد أن حكم ٣ سنين ثم ولى (أيوب بن شرحبيل) بن أكسوم بن أبرهة بن الصباح على صلاتها

في ربيع الاول سنة ٩٩ وورداليه كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالزيادة في أعطيات الناس عامة ففعل وساد العدل والأمن وأريقت الخمر وعطلت حاناتها ثم شكا القبط من ظلم أسامة فعزله الخليفة وجمع لأيوب الصلات والخراج وأمره ان يرسل اليه أسامة فأرسله اليه مكبلا فمات في الطريق ثم توفي عمر بن عبد العزيز واستخلف (يزيد بن عبد الملك) فاقر أيوب على مصر وبقي بها الى أن مات لاحدى عشرة خلت من رمضان سنة ١٠١ فكانت ولايته سنتين ونصفا ثم ولي بعده (بشر ابن صفوان الكلبي) من قبل يزيد بن عبد الملك فقدمها لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ١٠١ وفي أيامه نزل الروم تنيس ثم ولاه يزيد على افريقية فخرج اليها في شوال سنة ١٠٢ واستخلف أخاه حنظلة فولي (حنظلة بن صفوان) باستخلاف أخيه فأقره يزيد بن عبد الملك وخرج الى الاسكندرية فى سنة ١٠٣ واستخلف (عقبة بن مسلمة) وكتب يزيد بن عبد الملك فى سنة ١٠٤ بكسر الاصنام ومحو التماثيل فكسرت الاصنام ومحيت التماثيل وفى سنة ١٠٥ هـ مات يزيد بن عبد الملك وبويع (هشام بن عبد الملك) ولما تم له الامر صرف حنظلة عن مصر في شوال سنة ١٠٥ فكانت ولايته ٣ سنين وولي عليها من قبله (محمد بن عبد الملك بن مروان) لهشام بن عبد الملك الخليفة على الصلات فدخل مصر لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ١٠٥ وفي مدته وقع وباء شديد بمصر في أسفلها فترفع محمد الى الصعيد فارا من الوباء وبقي بالصعيد اياما ثم قدم وخرج من مصر بعد شهر وانصرف الى الاردن فولي (الحر بن يوسف) بن يحيي بن الحكم على صلاتها فدخل لثلاث خلت من ذى الحجة سنة ١٠٥ وفي مدته كان أول

انتقاض للقبط في سنة ١٠٧ ورابط بدمياط ثلاثة أشهر ثم وفد على هشام في شوال سنة ١٠٧ فولى مكانه (حفص بن الوليد) وقدم في ذي القعدة سنة ١٠٧ وصرف في ذي الحجة سنة ١٠٨ باستعفائه لمغاضبة كانت بينه وبين عبد الله بن الحبحاب متولي خراج مصر فتولى (عبد الملك بن رفاعة ثانيا) على الصلات فقدم من الشام عليلا لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ١٠٩ وكان أخوه الوليد يخلفه من اول المحرم وقيل بل ولى أول المحرم ومات بالنصف منه وكانت ولايته نصف شهر ثم ولى أخوه (الوليد بن رفاعة) باستخلاف أخيه فأقره هشام بن عبد الملك على الصلاة وتوفي وهو وال أول جمادى الآخرة سنة ١١٧ واستخلف عبد الرحمن بن خالد فكانت أمرته ٩ سنين و ٥ أشهر ثم ولى بعده (عبد الرحمن بن خالد الفهمي) على صلاتها وصرفه هشام عنها بعد أن ولى سبعة أشهر وولى حنظلة بن صفوان ثانيا فقدم لخمس خلت من المحرم سنة ١١٩ فانتقض القبط وحاربهم في سنة ١٢١ ثم ولاه هشام أفريقية فاستخلف حفص بن الوليد بأمر هشام وخرج لسبع خلت من ربيع الاول سنة ١٢٤ فكانت ولايته هذه ٥ سنين و ٣ أشهر وولى (حفص بن الوليد) الحضرمي ثانيا باستخلاف حنظلة بن صفوان على صلاتها فأقره هشام الى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة ١٢٤ فجمع له الخراج والصلات واستسقى بالناس وخطب ودعا ثم صلى بهم وبقي الى أن مات هشام ابن عبد الملك واستخلف من بعده (الوليد بن يزيد) فأقر حفصا السابق على الصلات والخراج كما كان ثم صرف بعد ذلك عن الخراج (بعيسى بن أبي عطاء) لسبع بقيت من شوال سنة ١٢٥ وانفرد

بالصلات ولم يزل كذلك حتى وفد على الوليد بن يزيد واستخلف عقبة ابن نعيم الرعيني وقتل الوليد بن يزيد وحفص بالشام

وبويع (يزيد بن الوليد بن عبد الملك) فأمر حفصا بالالحاق بجنده وأمره على ثلاثين ألفا وفرض الفروض وبعث ببيعة أهل مصر الى يزيد بن الوليد ثم توفى يزيد بن الوليد وبويع أخوه (ابراهيم بن الوليد) وخلفه (مروان بن محمد الجعدى) فكتب حفص يستعفيه من ولاية مصر فأعفاه مروان فكانت ولاية حفص هذه ثلاث سنين الا شهرا وولى (حسان بن عتاهية) بن عبد الرحمن وهو بالشام فكتب الى خير بن نعيم باستخلافه فسلم حفص الى خير ثم قدم حسان لاثنتى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ١٢٧ على الصلات وعيسى بن أبى عطاء على الخراج فأسقط حسان فروض حفص كلها فوثبوا عليه وقالوا لانرضى الا بحفص وأخرجوا عيسى بن أبى عطاء صاحب الخراج وذلك فى آخر جمادى الآخرة وأقاموا حفصا فكانت ولاية حسان ستة عشر يوما فولى (حفص بن الوليد) الثالثة كرها أخذه قواد الفروض بذلك فأقام على مصر رجب وشعبان ولحق حسان بمروان ووفد حنظلة بن صفوان من أفريقية وقد أخرجه أهلها فنزل الجيزة وكتب مروان اليه بولايته على مصر فامتنع المصريون من ولاية حنظلة وأظهروا الخلع وأخرجوا حنظلة الى الحوف الشرقى ومنعوه من المقام بالفسطاط وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد الفسطاط فحاربوه وهزموه وسكت مروان عن مصر بقية سنة ١٢٧ ثم عزل حفصا أول سنة ١٢٨ وولى (الحوثرة بن سهيل) بن العجلان الباهلى فسار اليها فى آلاف وقدم أول المحرم فيها وقد اجتمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه الامان فأمنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقد

امام أتوا اليه فخرج اليه حفص ووجوه الجند فقبض عليهم وقيدهم فانهزم الجند ودخل معه عيسى بن أبي عطاء على الخراج لاثنتي عشرة خلت من المحرم وبعث في طلب رؤساء الفتنة فجمعوا له وضرب أعناقهم وقتل حفص بن الوليد ثم صرف في جمادى الاولى سنة ١٣١ وبعثه مروان الى العراق فقتل واستخلف على مصر (حسان بن عتاهية) وقيل استخلف أبا الجراح بشر بن أوس وخرج لعشر خلت من رجب وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر ثم ولي (المغيرة بن عبدالله) بن المغيرة الفزاري على الصلات من قبل مروان فقدم لست بقيت من رجب سنة ١٣١ وخرج الى الاسكندرية واستخلف أبا الجراح وتوفي لاثنتي عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ١٣٢ فكانت ولايته عشرة أشهر واستخلف ابنه (الوليد بن المغيرة) ثم صرف الوليد في النصف من جمادى الآخرة وولي (عبدالملك بن مروان) بن موسى بن نصير من قبل مروان على الصلات والخراج وكان واليا على الخراج قبل أن يولى الصلات في جمادى الآخرة سنة ١٣٢ فأمر باتخاذ المنابر في الكور ولم تكن قبله وانما كان ولاة الكور يخطبون على العصى الى جانب القبلة وخرج القبط فحاربهم وقتل كثيرا منهم ثم سار مروان بن محمد الى مصر منهزما من بني العباس فقدم يوم الثلاثاء لثمان بقيت من شوال سنة ١٣٢ وقد سوّد أهل الحوف الشرقي وأهل الاسكندرية وأهل الصعيد وأسوان فهزم مروان على تعدية النيل وأحرق دار آل مروان المذهبة ثم رحل الى الجيزة وعبر الجسرين وبعث بجيش الى الاسكندرية فاقتتلوا وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم وهزمهم وبعث الى الصعيد وبينما هو كذلك اذ أقبل صالح ابن علي بن عبدالله بن عباس في طلبه هو وأبو عون عبدالملك بن يزيد يوم

الثلاثاء للنصف من ذى الحجة فأدرك صالح مروان ببوصير من الجيزة بعد مااستخلف على مصر معاوية بن بحيرة فحارب مروان حتى قتل يوم الجمعة لسبع بقيت من ذى الحجة سنة ١٣٢ ودخل صالح الى الفسطاط يوم الاحد لثمان خلت من المحرم سنة ١٣٣ وبعث برأس مروان الى العراق فأيقنوا ان مروان قد قتل وبموت مروان قد انقضت أيام بنى أمية والارض لله يورثها من يشاء من عباده وبذلك قد انتهى ذكر عمالهم على مصر وكان مقرهم بالفسطاط الا عبد العزيز بن مروان فانه جعل محل اقامته حلوان ومات بها كما سبق وأما عمال بنى العباس فبنوا لهم بناء وسموه العسكر وأقاموا فيه حتى كانت دولة ابن طولون فبنى القطائع وانتقل اليها مقر الملك

ومما تقدم يعلم ان سبب انقراض دولة بنى أمية هو عدم تيقظ ملوكهم الى أحزاب العباسيين حتى قويت فان العباسيين لاعتقادهم الأحقية للخلافة لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون الناس سرا ليعتهم من أول خلافة الأمويين وهم لايكترثون بذلك حتى قوى حزبهم وصارت لهم عصبية قوية فقاموا في عهد مروان الجعدى وبايعوا عبد الله السفاح بالكوفة فتحارب مع مروان وهزمه واستخلص الدولة لنفسه كما سبق وهكذا شأن كل أمة غفلت عن ملكها وغرقت في بحار شهواتها

وتمتاز هذه الدولة بأنها كانت عربية محضة لم يكن لغير العنصر العربى فيها تغلب ولا سلطان وفي عهدها اتسعت حدود المملكة الاسلامية من جهة الشرق والغرب والشمال فأضافت الى أملاكها بلاد السند وجزءا عظيما من بلاد التركستان حتى حدود الصين ومن جهة الشمال

أخذوا كثيرا من بلاد الروم واستولوا على كثير من حصونهم وجعلوا لهم (اسطولا) يغزون به في البحر الأبيض المتوسط حتى صارت تهابهم دولة الروم وتخشى سلطانهم وفي عهدها اشتغل الناس كثيرا بالعلوم الدينية والأدبية واللغوية وكان للشعراء والأدباء فيها حظ عظيم

ومما يعاب عليها أن كثيرا من خلفائها انهمكوا فى الشهوات واستبدوا في أمورهم ورأوا أن الامة أقل منهم شأنا وتركوا الاستشارة في أمرهم فضلوا وأضلوا وقد ولوا في عهدهم كثيرا من أمراء الجور والعسف كالحجاج بن يوسف الثقفي وغيره من ولاة السوء ولذلك محت هذه السيئات ما لهم من كثير الحسنات فلم تكبر في أنظار عامة المسلمين وخاصتهم مع ما لها من المآثر الجميلة والفتوحات الكثيرة والأعمال الجليلة

(الدولة العباسية)

حكمت هذه الدولة نحو ثمانمائة وتسع من السنين

وكانت دولة كثيرة المحاسن جمة الفوائد أسواق العلوم فيها رابحة وبضائع الآداب فيها رائجة وشعائر الدين فيها مقامة والخيرات متدفقة والحرمات مرعية والثغور محصنة قوية مع كثرة ماحصل في أوائلها من الاضطرابات وسفك الدماء ولم تزل آخذة في القوة والرفعة الى أن سامت السماء علوا وشرفا وبقيت كذلك حتى كانت أواخرها فاضطربت واضمحل حالها لاسباب سنبينها وأصل ملوك هذه الدولة من نسل العباس عم النبي

صلى الله عليه وسلم وكان مقر ملكهم بالعراق أيام نشأة الدولة وقوتها وأقام بها منهم سبعة وثلاثون خليفة ومدة خلافتهم بالعراق ٥٢٤ سنة من سنة ١٣٢ الى سنة ٦٥٦

ثم انتقلوا الى مصر بعد اضمحلال شوكتهم وحكم بها منهم خمسة عشر خليفة ومدة حكمهم ٢٨٥ سنة من سنة ٦٦٠ هـ حين أتى الى مصر المستنصر بالله وأثبت نسبه في مدة السلطان بيبرس فبايعه وبايع له الناس الى سنة ٩٤٥ التي مات فيها المتوكل على الله آخرهم بمصر وبموته انقرضت الخلافة العباسية من جميع الأرض ولم يكن لهم من الخلافة اذذاك الا الاسم والدعاء في الخطبة فكانوا يفردون بمحل وتجرى عليهم النفقات فيه (وأولهم بالعراق أبو العباس السفاح) من سنة ١٣٢ الى ١٣٦ هـ

وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بويع له بالكوفة لثلاث ليال خلت من ربيع الاول سنة ١٣٢ هـ ولما تمت له البيعة صلى بالناس صلاة الجمعة وقال في أول خطبة خطبها الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه واختاره وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوامين به والذابين عنه ثم ذكر قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن قال فلما قبض الله نبيه قام بالامر بعده أصحابه الى أن وثب بنو حرب ومروان فجاروا فأملى لهم حينا حتى استوفوا فانتقم الله منهم بأيدينا ورد علينا حقنا ليمن به على الذين استضعفوا في الارض وختم بنا كما استفتح بنا وما توفيقنا أهل البيت الا بالله

وكانت سياسته تمكين دولته وتقوية شوكته بتدمير جميع الأمويين فأسرف في القتل وسفك الدماء حتى لقب نفسه (السفاح) في خطبة خطبها

حيث قال وهو على المنبر استمدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبيح وهو أول من اتخذ الوزراء في الاسلام فجعل أبا مسلمة حفص بن سليمان وزيرا له وجعل الأنبار مقر خلافته وكان عامله على مصر (صالح بن على) بن عبدالله بن عباس وكان دخوله اليها لثمان خلت من المحرم سنة ١٣٣ هـ ولما استقر بها بعث وفدا من أهلها ببيعتهم له

وأصدر اليه السفاح أمرا بقتل من وجد من بنى أمية بمصر فقتلهم وهدم دورهم وأهلك كثيرا من شيعتهم وحمل طائفة منهم الى العراق فقتلوا بقلنسوة (من أرض فلسطين) وأمر للناس بصلاتهم وقسمت الصدقات على اليتامى والمساكين ثم صرفه السفاح عنها بامارته على فلسطين وولى مكانه (أبا عون بن عبد الملك) مستهل شعبان سنة ١٣٣ فمكث بها قليلا ثم أعيد اليها صالح بن على ثانيا ثم مات السفاح يوم الاحد لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ١٣٦ هـ وعمره ٣٢ سنة وستة أشهر ومدة خلافته ٤ سنين وتسعة أشهر وكان كريما وقورا كاملا عاقلا كثير الحياء الا أنه كان مسرفا فى القتل فساءت سيرته وفي آخر أمره عهد بالخلافة الى أخيه المنصور فتولى بعده

(الثانى من العباسيين المنصور)
[١٣٦ ـ ١٥٨ هـ]

وهو أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس بويع له بالخلافة بعد موت أخيه السفاح ولم يستقم له الأمر حتى قتل كثيرا من الناس وكان أول عمل بدأ به أنه أمر بقتل أبى مسلم الخراسانى صاحب دعوتهم وممهد ملكهم ليستقر له الملك وقال لو كان فيهما آلهة الا الله

المفسدتا وهو الذي حمل الامام أباحنيفة على القضاء فلم يقبل وهو أبو الخلفاء العباسيين الذين أتوا بعده وهو أول خليفة قرّب المنجمين ليعمل بأحكام النجوم وأول من أمر بترجمة كتب أجنبية الى العربية فترجمت له كتب كثيرة كرسائل أرسطاليس في المنطق وغيره وكتب بطليموس في الهيئة وكتاب كليلة ودمنة وفي عصره أيضا بدئ بتدوين العلوم وتصنيف الكتب من حديث وفقه وتفسير فصنف ابن جرير بمكة تفسيره الكبير وغيره من المصنفات وصنف الامام مالك بن أنس الموطأ بالمدينة والأوزاعي بالشام وابن أبي عمرويه وحماد بن مسلمة وسفيان الثورى بالكوفة وصنف أبو اسحاق المغازى وصنف أبو حنيفة الفقه ورتبه وكثر التدوين في علوم مختلفة فدونت كتب العربية من لغة وصرف ونحو ومعان وبيان وتاريخ وغير ذلك وكانوا قبل ذلك يتعلمون ويعلمون من كتب غير مرتبة ويعولون على محفوظاتهم من أشياء مشتتة وفي مدة حكمه عظمت هيبته في النفوس ودانت له البلاد والعباد ولم يبق خارجا عنه الا بلاد الأندلس فقد أطماعه اليها وان لم تساعده الظروف على ضمها لملكه لما كان لعبد الرحمن الأموى صاحبها من القوة وحسن التدبير كما سبق التنبيه عليه وفى سنة ١٤٥ ه أسس مدينة بغداد وصارت قاعدة الملك من عهده وسماها دار السلام وسبب تأسيسها هو بغضه لاهل الكوفة لانه كان لا يأمنهم على نفسه لميلهم الى ذرية فاطمة الزهراء فخرج يريد موضعا يسكنه هو وجنده فاختار الموضع الذى بنيت فيه مدينة بغداد ووضع بيده أول لبنة في أساسها وقال بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال ابنوا على بركة الله وتم بناؤها وصارت من أعظم

بلاد الاسلام رونقا وحضارة ومنها انتشرت جميع العلوم والمعارف في سائر البلاد الاسلامية ووسع المسجد الحرام سنة ١٥٨ ﻫ وعمر مسجد الخيف بمنى وكان عامله على مصر (يزيد بن حاتم) قدم اليها منتصف ذى القعدة سنة ١٤١ ﻫ وأمره بغزو بلاد المغرب فسار اليها وصالحه ملك الروم على الجزية وفى سنة ١٥٠ ﻫ خرج القبط بمدينة سخا فبعث اليهم جيشا فشتته القبط ورجع مهزوما فصرفه عن مصر في ربيع الآخر سنة ١٥٢ وكانت مدة ولايته بها سبع سنين وأربعة أشهر وولى عليها بعده (عبد الله بن عبد الرحمن) بن معاوية بن حديج لثنتى عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة ١٥٢ ﻫ وأقبل على الخليفة لعشر باقية من رمضان سنة ١٥٤ واستخلف أخاه محمدا ورجع في آخر هذه السنة ومات وهو وال مستهل صفر سنة ١٥٥ واستخلف أخاه محمدا فكانت ولايته سنتين وشهرين فولى (محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج) ومات وهو وال منتصف شوال وكانت ولايته ثمانية أشهر واستخلف موسى بن على فولى (موسى بن على) باستخلاف محمد بن حديج وأقرار الخليفة على توليته وكان صالحا يسير للمسجد ماشيا ويحدث فيكتب الناس عنه الحديث ثم مات المنصور وهو محرم بقرب مكة لست خلت من ذى الحجة سنة ١٥٨ ﻫ وله من العمر ٦٣ سنة ومدة خلافته ١٢ سنة وتولى بعده ابنه محمد المهدى

(الثالث من العباسيين المهدى)

[١٥٨ — ١٦٩ ﻫ]

وهو محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه

بعهد منه وهو يومئذ ببغداد سنة ١٥٨ وكان المهدى شهما فطنا كريما شديدا على أهل الالحاد والزندقة وكان يجلس في أوقات مخصوصة لرد المظالم وفي سنة ١٦٥ سير المهدى ابنه الرشيد لغزو الروم فسار حتى بلغ خليج القسطنطينية وصاحبة الروم وقتئذ (أيرينى) امرأة الملك لزون فجزعت من المسلمين وطلبت الصلح من الرشيد فصالحها على الجزية

وأقام المهدى بريدا بين مكة والمدينة واليمن بغالا وابلا وفي سنة ١٦٠ حج المهدى رحمه الله وكسا الكعبة وطيبها بالمسك والعنبر من أسفلها الى أعلاها ومن داخلها وخارجها ولم تكن الكعبة يومئذ فى وسط المسجد فاشترى دورا كثيرة وزاد في الحرم الجانب الشمالى الشامى واليمانى حتى صارت الكعبة المعظمة في وسط الحرم وهو أول من حمل الثلج الى مكة وأمر باصلاح طريقها وحفر البرك والمجارى لجمع ماء المطر وأول من عين صرة لاهل الحرمين الشريفين وأرسلها لهم

وأقر موسى بن على الذى كان واليا من قبل أبيه على مصر وبقى بها الى سابع عشر ذى الحجة سنة ١٦١ فكانت ولايته ست سنين وشهرين ثم عزله وولى (عيسى بن لقمان) بن محمد الجمحى فقدم اليها لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة سنة ١٦١ وصرف عنها لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ١٦٢ فكانت ولايته أربعة أشهر ثم ولاها (واضح مولى أبي جعفر) فدخلها لست باقية من جمادى الاولى وصرف عنها فى رمضان وولى (منصور بن يزيد) وهو ابن خال المهدى فقدم اليها لاحدى عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ١٦٢ وصرف عنها منتصف ذى الحجة وكان مقامه بها شهرين وثلاثة أيام ثم ولى (يحيى بن داود) أبو صالح من أهل خراسان فقدم في ذى الحجة وكان أبوه تركيا وهو من أشد الناس

وأعظمهم هيبة وأقدمهم على القتل والعقوبة فنع من غلق الدروب والحوانيت بالليل حتى جعلوا عليها شرائح من القصب لمنع الكلاب ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال من ضاع له شئ فعلىّ أداؤه فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول يا أبا صالح احرسها فكانت الامور على هذا المنوال مدة ولايته وأمر الاشراف والفقهاء وأهل النوبات بلبس القلانس الطوال والدخول بها عليه يوم الاثنين والخميس بلا أردية وكان أبو جعفر المنصور اذا ذكره يقول هو رجل يخافنى ولا يخاف الله فبقى الى المحرم سنة ١٦٤ ثم صرف عنها وقدم (سالم بن سوادة) التميمى عاملا على الصلات ومعه أبو قطيعة اسماعيل بن ابراهيم على الخراج لثنتى عشرة خلت من المحرم سنة ١٦٥ ثم وليها (ابراهيم بن صالح) بن على بن عبد الله ابن عباس على الصلات والخراج معا فقدم أيضا فى المحرم من هذه السنة وابتنى دارا عظيمة وخرج دحية بن المصعب بن الاصبغ بن عبد العزيز ابن مروان بالصعيد ودعا الى نفسه بالخلافة فتراخى عنه ابراهيم ولم يحفل بأمره فاستفحل وملك الصعيد فبلغ المهدى فسخط عليه وعزله لسبع خلت من ذى الحجة سنة سبع وستين ثم ولى بعده (موسى بن مصعب) بن الربيع من أهل الموصل فقدم لسبع خلت من ذى الحجة فرد ابراهيم وأخذ منه وممن عمل له ثلاثمائة ألف دينار ثم سيره الى بغداد وشدد موسى فى الخراج وزاد على كل فدان ضعف مايقبل به وارتشى فى الاحكام وجعل خراجا على أهل الاسواق وعلى الدواب فكرهه الجند ونابذوه وسارت قيس واليمانية وكاتبوا أهل الفسطاط فاتفقوا عليه وبعث بجيش الى قتال دحية بالصعيد وخرج فى جند من مصر لقتال الخارجين عليه فلما التقى الجيشان انهزم عنه أهل مصر بأجمعهم وأسلموه فقتل لتسع

خلت من شوال سنة ١٦٨ فكانت ولايته عشرة أشهر وكان ظالما غشوما سمعه الامام الليث بن سعد يقرأ في خطبته انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها فقال اللهم لاعقتنا ثم ولى (عسامة بن عمرو) باستخلاف موسى ابن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع أخيه بكار بن عمرو فخار به يوسف ابن نصير وهو على جيش دحية فتطاعنا فوضع يوسف الرمح في خاصرة بكار ووضع بكار الرمح في خاصرة يوسف فقتلا معا ورجع الجيشان منهزمين وذلك في ذي الحجة منها وصرف عسامة لثلاث عشرة خلت منه بكتاب ورد عليه من الفضل بن صالح بأنه ولى مصر وقد استخلفه فخلفه الى سلخ المحرم سنة ١٦٩ ثم قدم (الفضل بن صالح) بن على بن عبد الله ابن عباس سلخ المحرم في جيوش الشام الى مصر ثم مات المهدى في المحرم هذا سنة ١٦٩ وله من العمر ٤٣ سنة ومدة خلافته عشر سنين وشهر واحد وتولى بعده ابنه الهادى

(الرابع الهادى)

[١٦٩ - ١٧٠ ه]

وهو موسى الهادى بن محمد المهدى بويع له بالخلافة بعد موت أبيه سنة ١٦٩ ه ولما تم له الامر جد في خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد التى عهد بها أبوهما وجعل البيعة لابنه جعفر فلم يستطع ذلك وفى مدته ظهر الحسين بن على بن الحسن بن الحسين رضى الله عنهم بالمدينة في جمع من أهل بيته وجرى بينه وبين عامل الهادى على المدينة عمر بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب قتال فانهزم عمر وبايع الناس الحسين ثم خرج الحسين ومن معه الى مكة وكان قد حج جماعة من بنى العباس منهم سليمان بن أبى جعفر المنصور وانضم اليه شيعتهم ومواليهم واقتتلوا قتالا

شديدا فقتل الحسين وانهزم أصحابه بعد قتل كثير منهم وأفلت منهم ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على رضى الله عنهم فحضر وعلى بريدها واضح الشيعي مولى بنى العباس فحمل ادريس على البريد الى المغرب الى أرض طنجة فبلغ الهادى ذلك وبقى ادريس حتى أرسل اليه الرشيد في خلافته الشماخ الناعى فسمه وكان لادريس محظيـة من محاظيه حبلى فولدت بعده ولدا سموه ادريس باسم أبيه ولم يزل هناك حتى كبر واستقل بملك تلك البلاد وكثرت ذرية الحسن فيها

وأما مصر فانه أقرّ الهادى فيها الفضل بن صالح الذى كان واليا عليها من قبل أبيه المهدى وبقى متخوفا ممن كان فيها من المخالفين ومن خروج دحية ولم يزل مجدا فى طلب دحية حتى قدر عليه وأسره وسيق الى الفسطاط فضرب عنقه وصلب في جمادى الآخرة سنة ١٦٩ هـ وبموته انقطعت الفتن وتمت الراحة وبلغ الفضل أن الخليفة يريد عزله فلم يصدق وكان يقول أنا أولى الناس بولاية مصر لقيامى بأمر دحية وقد عجز عنه غيرى وبينما هو كذلك اذ ورد عليه أنه صرف عنها فندم على قتل دحية وعلى ما تحمله من التعب والمشاق وهذا التغير الكثير كان سببا في عدم التفات العمال الى المصلحة العمومية لعلمهم انه مهما صنع الواحد منهم فانه يصرف بعد قليل وكان يحمل الكثير على العمل لصالحه الذاتى واعتنائه بأموره الشخصية ثم ولى بعده عليها (على بن سليمان) بن على بن عبد الله ابن عباس فدخلها سنة ١٦٩ وبقى واليا عليها الى ان مات الهادى ببغداد منتصف ربيع الاول سنة ١٧٠ وعمره ٢٤ سنة ومدة خلافته سنة واحدة وثلاثة أشهر وتولى بعده أخوه (الرشيد)

(الخامس الرشيد)

(١٧٠ - ١٩٣ هـ)

وهو هرون الرشيد بن محمد المهدي بويع بالخلافة ليلة وفاة أخيه موسى الهادي سنة ١٧٠هـ واستوزر يحيي البرمكي ومكنه هو وعائلته ثم نكبهم وأخذ جميع مايملكونه واختلف المؤرخون في سبب نكبتهم والغالب أنها لأمور سياسية

وكان بينه وبين شرلمان ملك الفرنسيس مودة كثيرة وكان كلاهما يهادي الآخر فبعث شرلمان الى هرون عدة هدايا ليحمي النصارى الذاهبين الى بيت المقدس فأجابه الى ماطلبه وبعث له أقمشة نفيسة وعطرا وخشبا زكي الرائحة وفيلا وخيمة على هيئة خيام العرب وساعة كبيرة دقاقة تعجب منها أهل ديوانه ولم يمكنهم معرفة تركيبها وغير ذلك من المصنوعات النفيسة التي سبقت بها العرب غيرهم في غابر الازمان وغزا الرشيد الروم مرارا وانتصر عليهم في ثمانية حروب حضرها بنفسه وأشهرها غزوة هرقلة من بلاد الروم في مدة ملكها (نيسيفور) حين امتنع عن أداء الخراج التي كانت تدفعه الملكة (ايريني) وهزمهم فيها شر هزيمة وأعاد عليه الخراج كما كان

وفي أيامه ظهر يحيي الحسني بالديلم فأحضره وحبسه حتى مات وهاجت فتنة بدمشق بين المضريين واليمنيين واستمر القتال بينهما بسببها سنتين وكان تسكينها على يد جعفر البرمكي

وكان الرشيد من أعظم الملوك سطوة وكان عالما تقيا محبا للعلم والعلماء بلغ من الجود غايته فكان يتصدق بالكثير من ماله وأخذت الدولة الاسلامية في وقته رونقا عظيما لم تأخذه في زمن غيره وكان يصلي كل يوم وليلة مائة

ركمة لا يقطعها الا لعلة شديدة وكان يتصدق من خالص ماله كل يوم بألف دينار وكان عاقلا مهيبا حسن التدبير عالي الهمة راويا للاخبار والتواريخ يحب الشعر ويجيز عليه ويميل لأهل الأدب والفضل وكان غير محتجب عن أصحاب الدعاوى والحاجات ساهرا على راحة الرعية وماشاع عنه من أمر الخمر الملاهي فغير متفق عليه وانما رواه القصاصون على سبيل الفكاهات لميل النفس الى مثل تلك الحكايات الموضوعة وتبعهم بعض المؤرخين وعد ذلك العلامة بن خلدون من غلطاتهم ونحن نوافقه على ذلك وفي مدته توفي الامام مالك وسيبويه النحوي وظهر رافع بن الليث بسمرقند مخالفا للرشيد فتوجه لقتاله وبينما هو سائر في طريقه اذ أصابته حمى ولم تزل تتزايد عليه حتى ألجأته الى الدخول في مدينة (طوس) فاشتدت عليه ومات بها سنة ١٩٢ ومدة خلافته اثنتان وعشرون سنة وشهران

عماله على مصر

أقر الرشيد عليها (على بن سليمان) بن على بن عبد الله بن عباس الذى كان واليا عليها من قبل الهادى فأظهر سليمان في ولايته الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنع الملاهي والخمور وهدم الكنائس المستحدثة بمصر وبذل له القبط في تركها ٥٠٠٠٠ دينار فامتنع وكان كثير الصدقة في الليل والنهار وأظهر أنه يصلح للخلافة وطمع فيها فسخط عليه الرشيد وعزله لأربع باقية من ربيع الاول سنة ١٧١ هـ وولى مكانه (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس على الصلاة فأذن للقبط بأعادة كنائسهم التى هدمها على بن سليمان فبنيت بمشورة الامام بن سعد وعبد الله بن لهيعة ثم صرف عن مصر لأربع عشرة خلت من رمضان سنة ١٧٢ فكانت ولايته سنة وخمسة أشهر

ونصف شهر ثم وليها (مسلمة بن يحيي) ابن قرة بن عبيد الله البجلى من أهل جرجان ثم صرف في شعبان سنة ١٧٣ بعد أن وليها أحد عشر شهرا ثم ولى (محمد بن زهير) الازدى على الصلات والخراج لخمس خلت من شعبان فبادر الجند لعمر بن غيلان صاحب الخراج فلم يدفع فصرف بعد خمسة أشهر سلخ ذى الحجة سنة ١٧٣ فولى (داود بن يزيد) بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب بن أبى صفرة وقدم هوو (ابراهيم ابن صالح ابن على) فولى (داود) الصلات وبعث ابراهيم لاخراج الجند الذين ثاروا من مصر فدخل لاربع عشرة خلت من المحرم سنة ١٧٤ ه فأخرجت الجنود الى المشرق والمغرب في عالم كثير فساروا الى البحر فأسرتهم الروم وصرف لست خلت من المحرم سنة ١٧٥ فكانت ولايته سنة ونصف شهر ثم أعيد اليها (موسى بن عيسى) على الصلات والخراج فدخلها لسبع خلت من صفر سنة ١٧٥ وصرف عنها لليلتين بقيتا من صفر سنة ١٧٦ فكانت ولايته الثانيه سنة ثم ولى (ابراهيم بن صالح) ابن على بن عبد الله بن عباس ثانيا فكتب الى عسامة بن عمرو فاستخلفه ثم قدم نصر بن كلثوم خليفته على الخراج مستهل ربيع الاول وتوفي عسامة لسبع بقيت من ربيع الآخر فقدم (روح بن روح) ابن زنباع خليفة لابراهيم على الصلات والخراج معا ثم قدم ابراهيم فى نصف جمادى الاولى من هذه السنة وتوفي وهو وال لثلاث خلت من شعبان فكان مقامه بمصر شهرين وثمانية عشر يوما وقام بالامر بعده (ابنه صالح بن ابراهيم) مع صاحب شرطته خالد بن يزيد وبقى صالح بن ابراهيم بها الى أن وليها (عبد الله بن المسيب) بن زهير بن عمرو الضبى على الصلات لاحدى عشرة بقيت من رمضان سنة ١٧٦ وصرف في رجب

سنة ١٧٧ فولى (اسحاق بن سليمان) ابن على بن عبد الله بن عباس على الصلات والخراج معا فكشف أمر الخوارج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فحاربهم فقتل كثير من أصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فعقد لهرثمة ابن أعين في جيش عظيم وبعث به فنزل الحوف فتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا فقتل منهم واستخرج الخراج كله وصرف عنها اسحاق في رجب سنة ١٨٧ وولى (هرثمة بن أعين) على الصلات والخراج لليلتين خلتا من شعبان ثم سار الى أفريقية لاثنتى عشرة خلت من شوال فأقام بمصر شهرين ونصفا ثم ولى (عبد الملك ابن صالح) بن عبد الله بن عباس على الصلات والخراج فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب بن زهير الضبي وصرف في سلخ سنة ١٧٨ هـ فولى (عبيد الله بن المهدى) بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس على الصلات والخراج لاثنتى عشرة خلت من المحرم سنة ١٧٩ فاستخلف (ابن المسيب) ثم قدم لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول وصرف في شهر رمضان من هذه السنة فكانت ولايته تسعة أشهر وخرج من مصر لليلتين خلتا من شوال فأعاد الرشيد (موسى بن عيسى) وولاه مرة ثالثة على الصلات فقدم ابنه (يحيى بن موسى) خليفة له لثلاث ليال خلت من رمضان ثم قدم آخر ذى القعدة وصرف في جمادى الآخرة سنة ١٨٠ هـ فولى الرشيد (عبيد الله بن المهدى) ثانيا على الصلات فأرسل (داود بن حباش) نائبا عنه لسبع خلت من جمادى الآخرة ثم قدم لاربع خلت من شعبان ثم صرف لثلاث خلت من رمضان سنة ١٨١ هـ فولى (اسماعيل بن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس على الصلات لسبع خلت من رمضان فاستخلف عون بن وهب الخزاعى ثم قدم لخمس

بقيت منه وكان مشهورا بالخطابة قال ابن عفير مارأيت على هذه الاعواد أخطب من اسماعيل بن صالح ثم صرف فى جمادى الآخرة سنة ١٨٢ هـ فولى (اسماعيل بن عيسى) بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس على الصلات فقدم لأربع عشرة بقيت من جمادى الآخرة وصرف في رمضان فولى (الليث بن الفضل) على الصلات والخراج وقدم لخمس من شوال ثم عاد الى الرشيد لسبع بقيت من رمضان سنة ١٨٣هـ بالمال والهدايا واستخلف أباه (الفضل بن على) ثم عاد في آخر السنة وخرج ثانيا بالمال لتسع بقيت من رمضان سنة ١٨٥هـ واستخلف (هاشم بن عبدالله) ابن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج فقدم لأربع عشرة خلت من المحرم سنة ١٦٨ هـ فكان كلما تم خراج سنة وفرغ من حسابها خرج بالمال الى أمير المؤمنين هرون الرشيد ومعه الحساب ثم خرج عليه أهل الحوف وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم في أربعة آلاف مقاتل ليومين بقيا من شعبان سنة ١٨٦هـ واستخلف (عبدالرحمن بن موسى) بن على ابن رباح على الجند والخراج فواقع أهل الحوف وانهزم عنه الجند فبقي في نحو المائتين فحمل بهم وهزم القوم وبعث الى الفسطاط بثمانين رأسا وقدم فرجع أهل الحوف ومنعوا الخراج ثانيا فخرج ليث الى الرشيد وسأله أن يبعث معه جيوشا فانه لايقدر على استخراج الخراج من أهل الاحواف الابجيش فرفع (محفوظ بن سليمان) أنه يضمن خراج مصر عن آخره بغير سوط ولاعصا فولاه الرشيد الخراج وصرف ليثا عن الصلات والخراج وبعث (أحمد بن اسحاق) على الصلات مع محفوظ وكانت ولاية ليث أربع سنين وسبعة أشهر ثم ولى (أحمد بن اسماعيل) ابن على بن عبد الله بن عباس على الصلات والخراج فقدم لخمس بقيت

من جمادى الآخرة سنة ١٨٧ هجرية ثم صرف لثمان عشرة خلت من شعبان سنة ١٨٩ هجرية فكانت ولايته سنتين وشهرا ونصفا ثم ولى (عبيد الله بن محمد) بن ابراهيم بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس على الصلات واستخلف (طليعة بن عيسى) بن طليعة الحضرمى ثم قدم للنصف من شوال وصرف لاحدى عشرة بقيت من شعبان سنة ١٩٠ هجرية وخرج واستخلف (هاشم بن عبد الله) بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج فولى (الحسين بن جميل) على الصلات وقدم لعشر خلت من رمضان ثم جمع له الخراج مع الصلات في رجب سنة ١٩١ هـ وخرج أهل الحوف وامتنعوا من أداء الخراج وخرج (أبو النداء) بأيلة في نحو ألف رجل فقطع الطريق بأيلة وشعيب ومدين وأغار على بعض قرى الشام وانضم اليه من جذام جماعة فبلغ من النهب والقتل مبلغا عظيما فبعث الرشيد من بغداد جيشا لذلك وبعث (الحسين بن جميل) من مصر عبد العزيز ابن الوزير بن صابى الجروى في عسكر فالتقى المسكران بأيلة فظفر عبد العزيز بأبى النداء وسار جيش الرشيد الى بلبيس في شوال سنة ١٩١ هـ فأذعن أهل الحوف لاداء الخراج وصرف (ابن جميل) لاثنتى عشرة خلت من ربيع الآخر سنة ١٩٢ فولى (مالك بن دلهم) بن عمير الكلبي على الصلات والخراج فقدم لسبع بقيت من ربيع الآخر وفرغ (يحيى بن معاذ) أمير جيش الرشيد من أمر الحوف وقدم الفسطاط لعشر بقيت من جمادى الآخرة فكتب الى أهل الاحواف أن اقدموا حتى أوصى بكم (مالك بن دلهم) فدخل الرؤساء من اليمانية والقيسية فغلقت عليهم الأبواب وقيدوا وسار بهم للنصف من رجب وصرف مالك لاربع خلت من صفر سنة ١٩٣ هـ فولى (الحسن بن التختاح) بن التختكان على الصلات

والخراج فاستخلف (العلاء بن عاصم) الخولاني وقدم لثلاث خلت من ربيع الاول ثم مات الرشيد وهو وال عليها وكان قد أوصى بالخلافة لابنيه محمد الامين ثم عبد الله المأمون

(السادس من العباسيين الأمين)
(١٩٣ — ١٩٨ هـ)

وهو (محمد الأمين بن هرون الرشيد) بويع له بالخلافة بعد موت أبيه الرشيد سنة ١٩٣ هجرية بعهد منه كما سبق التنبيه عليه وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور ولم يكن في الخلفاء من أمه هاشمية سواه وسوى علي بن أبي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهما وكان الأمين من أحسن الناس خلقا وأقواهم بطشا وأعظمهم شجاعة لكنه كان سيئ التدبير ضعيف الرأي كثير التبذير لا يصغى الى قول مشير منهمكا في اللذات غير مكترث بأمر الخلافة ولذلك لما ولي الخلافة فرق الأموال وعكف على الشراب ومنادمة الفساق وأرسل الى الجهات فجمعوا له المغنيين وأجرى لهم الرواتب واحتجب عن الأمراء والأعيان ولها عن تدبير مملكته حتى قام عليه المأمون أخوه فجهز لقتاله وحاصره ببغداد وبلغ الخبر الأمين وهو بجانب حوض ماء مع جواريه يتصيدن السمك وكان وضع في أنف كل سمكة درة نفيسة شبكها بقضيب من الذهب فكل من صادت من جواريه سمكة كانت الدرة لها فرفع الأمين رأسه وقال للذى أخبره ويلك دعني فان الجارية فلانة قد صادت سمكتين وأنا لم أصد شيئا ولم تزل الفتن تتزايد ويكثر الهرج والمرج حتى درست محاسن بغداد ودام حصارها خمسة عشر شهرا وتفرق الناس عن الامين ولم يبق معه ممن يدافع عنه الا قليل الى أن دخلت سنة ١٩٨ هـ فدخل (طاهر بن

الحسين) ومن معه من العساكر بغداد بالسيف قهرا فخرج الأمين بأمه وأهله من القصر الى مدينة المنصور فدخل عليه قوم من العجم ليلا فقتلوه وذهبوا برأسه الى طاهر فبعثه مع الثياب والقضيب الى المأمون فعظم عليه الامر وأسف على قتل أخيه لانه كان يود أن يحضر اليه حيا ليرى رأيه فيه فحقد (على طاهر بن الحسين) وأهله الى أن مات طريدا وكان قتل الامين ليلة السبت لست باقية من المحرم سنة ١٩٨ ﻫ وعمره ٢٧ سنة ودفن ببغداد وكانت مدة حكمه أربع سنين وثمانية أشهر

وكانت حالة مصر في عهد الامين مضطربة لانه بوفاة الرشيد واستخلاف الامين ثار الجند بمصر ووقعت فتنة عظيمة قتل فيها كثير من الناس ونهب الحسن مال مصر فوثب أهل الرملة وأخذوه وبلغ الحسن بن التختاخ عزله فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام لثمان بقيت من ربيع الاول سنة ١٩٤ ﻫ واستخلف (عوف بن وهب) على الصلات (ومحمد بن زياد) بن طبق القيسي على الخراج فولى (حاتم بن هرثمة) بن أعين من قبل الامين على الصلات والخراج وقدم في ألف من الابناء فنزل ببلبيس فصالحه أهل الاحواف على خراجهم وثار عليه أهل تمويه وعسكروا فبعث اليهم جيشا فانهزموا ودخل حاتم الى الفسطاط معه نحو مائة من الرهائن لاربع خلت من شوال وصرف في جمادى الآخرة سنة ١٩٥ ﻫ فولى (جابر بن الاشعث) بن يحيي الطائي على الصلات والخراج لخمس بقيت من جمادى الآخرة وكان لينا فلما حدثت فتنة الامين والمأمون قام (السرى بن الحكم) غضبا للمأمون ودعا الناس الى خلع الامين فأجابوه وبايعوا المأمون لثمان بقيت من جمادى الآخرة سنة ١٩٦ ﻫ وأخرجوا (جابر بن الاشعث) وكانت ولايته سنة فولى (عباد بن محمد) بن حيان

أبو نصر من قبل المأمون على الصلات والخراج لثمان خلت من رجب بكتاب (هرثمة بن أعين) وكان وكيله على ضياعه بمصر في الثامن من رجب سنة ١٩٦ هـ فبلغ الامين ما كان بمصر فكتب الى (ربيعة بن قيس) ابن الزبير الجرشي رئيس قيس الحوف بولاية مصر وكتب الى جماعة بمعاونته فقاموا ببيعة الامين وخلعوا المأمون وساروا لمحاربة أهل الفسطاط بخندق عباد وفي أثناء ذلك بلغهم قتل الأمين فصرف عباد في صفر سنة ١٩٨ هـ فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر

(السابع من العباسيين المأمون)

(١٩٨ ـ ٢١٨ هـ)

وهو (عبد الله بن هارون الرشيد) بويع له بالخلافة في حياة أخيه سنة ١٩٨ هـ وكان عالما أديبا في غاية من الفصاحة وله شأن عظيم في المناظرة والاطلاع على كثير من الفنون الحكمية والأدبية وكان معدودا من أعظم رجال الفلك وغزا الروم وفتح عدة حصون وحضر الى مصر وفتح باب الهرم الكبير ورجع منه سنة ٢١٧ هـ وفي مدة خلافته تقدمت العرب تقدما عظيما في العلوم العقلية والنقلية وقد اهتم بجمع كتب اليونان وأمر بترجمتها الى اللغة العربية ككتاب اقليدس في الهندسة وغيره من الكتب الفلسفية والحكمية فانتشرت العلوم بين الناس وفاقت مدته مدة والده وقاس الدرجة الارضية فوجدها تساوي ٥٦ ميلا وكان مع ذلك صاحب فتوحات وغزا جزيرة صقلية وغيرها من جزائر أوروبا وتغلب عليها وفتح جزيرة جريد وغيرها من الجهات الشرقية التي كانت في قبضة الرومانيين وكان كثير العفو حتى روى عنه أنه كان يقول لو يعلم الناس ما أجد في العفو من اللذة لتقربوا الىّ بالذنوب وكانت أمه أم ولد اسمها

سمراتيل ماتت في نفاسها به وكان كثير التجسس مغرما بالعلم بكل شيء من أحوال مملكته حتى حمله ذلك على تعيين نحو ١٧٠٠ عجوز يتجسسن ويعرفنه ما يقفن عليه من الاحوال وفي سنة مائتين أمر باحصاء ولد النباس فبلغوا ٣٣٠٠٠ ما بين ذكر وأنثى وفي سنة ٢٠١ هـ جعل ولي عهده (علي الرضا بن موسى الكاظم) بن جعفر الصادق أحد الأئمة والذي حمله على ذلك هو افراطه في التشيع فشق ذلك على كثير من بني العباس وبغضوه وخرجوا عليه

وقد شدد في القول بخلق القرآن وتفضيل علي على أبي بكر وعمر وكتب بذلك الى عماله وكلفهم أن يحملوا الناس عليه فأجابه قوم وامتنع آخرون وأحضر (الامام أحمد بن حنبل) لما بلغه أنه امتنع فقيل له ما تقول في كلام الله أمخلوق هو قال هو كلام الله لا أزيد على ذلك ثم بلغ المأمون أن الذين أجابوا انما أجابوا كرها فأمر باحضارهم وهو بالروم فحملوا اليه فمات قبل وصولهم اليه وكانت وفاته في رجب سنة ٢١٨ بقرية (دندون) من أرض الروم ونقل الى (طرسوس) ودفن بها وقد بلغ من العمر ٤٨ سنة ومدة خلافته ٢٠ سنة وخمسة أشهر ويؤثر عنه أنه قال قبل موته يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ولما ورد خبر وفاته الى بغداد قال أبو سعيد المخزومي

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ * مون في ثبت ملكه المأسوس
خلفوه بعرصتي طرسوس * مثل ماخلفوا أباه بطوس

عماله على مصر

ولي من قبله عليها (المطلب بن عبد الله) الخزاعي بعد صرف عباد عنها على الصلات والخراج فدخلها من طريق الحجاز للنصف من ربيع الاول سنة

١٩٨ ﻫ وحصلت في أيامه حروب واضطرابات فصرف عنها في شوال
بعد سبعة أشهر من ولايته ثم ولى (العباس بن موسى) بن عيسى بن موسى
ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس على الصلات والخراج فقدم ابنه عبد
الله ومعه الحسين بن عبيد الانصارى في آخر شوال فسجنا المطلب فثار
الجند مرارا فنعهم الانصارى أعطياتهم وتهددهم وتحامل على الرعية
وعسفها وتهدد الجميع فثاروا وأخرجوا المطلب من الحبس وأقاموه
لاربع عشرة خلت من المحرم سنة ١٩٩ﻫ وأقبل العباس فنزل بلبيس
ودعا قيسا الى نصرته ومضى الى (الجروى) بتنيس ثم عاد فمات في بلبيس
لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة ويقال ان المطلب دس اليه سما
في طعامه فمات منه وكانت حروب وفتن فكانت ولاية المطلب هذه سنة
وثمانية أشهر ثم ولى (السرى بن الحكم) بن يوسف من قوم الزط ومن
أهل بلخ باجماع الجند عليه عند قيامه على المطلب في مستهل رمضان
سنة مائتين ثم ولى (سليمان بن غالب) بن جبريل البجلى على الصلات
والخراج بمبايعة الجند له لاربع خلت من ربيع الاول سنة ٢٠١ فكانت
حروب ثم صرف بعد خمسة أشهر وأعيد (السرى بن الحكم) ثانيا من قبل
الخليفة على الصلات والخراج فتمت ولايته وأخرجه الجند من الحبس
لاثنتى عشرة خلت من شعبان وتتبع من حاربه وقوى أمره ومات وهو
وال سلخ جمادى الاولى سنة ٢٠٥ ﻫ فكانت ولايته هذه ثلاث سنين
وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما ثم ولى ابنه (محمد بن السرى) أبو نصر أول
جمادى الآخرة على الصلات والخراج وكان الجروى قد غلب على
أسفل الارض فجرت بينهما حروب ثم مات لثمان خلت من شعبان سنة
٢٠٦ ﻫ وكانت ولايته أربعة عشر شهرا ثم ولى (عبيد الله بن السرى)

ابن الحكم بمبايعة الجند لتسع خلت من شعبان على الصلات والخراج فكانت بينه وبين الجروى حروب الى أن قدم (عبد الله بن طاهر) وأذعن له عبيدالله في آخر صفر سنة ٢١١ هـ فولى (عبد الله بن طاهر) ابن الحسين بن مصعب من قبل المأمون على الصلات والخراج وقدم يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة ٢١١ هـ وأقام في معسكره حتى خرج عبد الله بن السرى الى بغداد للنصف من جمادى الاولى ثم سار الى الاسكندرية مستهل صفر سنة ٢١٢ هـ واستخلف (عيسى بن يزيد الجلودى) فحاصرها بضع عشرة ليلة ورجع في جمادى الآخرة وأمر بالزيادة فى الجامع العتيق فزيد فيه مثله ثم ركب النيل متوجها الى العراق لخمس بقيت من رجب وكان مقامه بمصر واليا سبعة عشر شهرا وعشرة أيام ثم ولى (عيسى بن يزيد الجلودى) باستخلاف ابن طاهر على الصلات الى سابع عشر ذى القعدة سنة ٢١٣ هـ وصرف ابن طاهر وولى المعتصم ابن هرون الرشيد أمر مصر من قبل أخيه فأقر عيسى على الصلات فقط وجعل على الخراج (صالح بن شيرازاد) فظلم الناس وزاد عليهم في خراجهم فانتقض أهل مصر السفلى وعسكروا فبعث عيسى ابنه محمدا في جيش فحاربوه فانهزم وقتل أصحابه فى صفر سنة ٢١٤ هـ فولى (عمير بن الوليد التميمى) على الصلات لسبع عشرة خلت من صفر وخرج ومعه عيسى الجلودى لقتال أهل الحوف في ربيع الآخر واستخلف ابنه (محمد بن عمير) فاقتتلوا وكانت بينهم معارك قتل فيها عمير لست عشرة خلت من ربيع الآخر وكانت مدة امرته ستين يوما فولى (عيسى الجلودى) ثانيا على الصلات فحارب أهل الحوف بمنية مطر ثم انهزم فى رجب منها فاقبل المعتصم الى مصر في أربعة آلاف من أتراكه وقاتل أهل الحوف في

شعبان ودخل الى مدينة الفسطاط لثمان بقيت منه وقتل أكابر الحوف ثم خرج الى الشام غرة المحرم سنة ٢١٥ هـ في أتراكه ومعه جمع من الأسارى في ضر وجهد شديد وولى على مصر (عبدويه بن جبلة) من الابناء على الصلات فخرج ناس بالحوف في شعبان فبعث اليهم وحاربهم حتى ظفر بهم ثم قدم الأفشين حيدر بن كاوس الصغدى الى مصر لثلاث خلت من ذى الحجة ومعه على بن عبد العزيز الجروى لأخذ ماله فلم يدفع اليه شيئا فقتله وصرف عبدويه وخرج الافشين الى برقة وولى (عيسى بن منصور) بن موسى بن عيسى الرافعى أول سنة ٢١٦ هـ على الصلات فانتقضت مصر السفلى عربها وقبطها في جمادى الأولى وأخرجوا العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة فقدم الافشين من برقة للنصف من جمادى الآخرة ثم خرج هو وعيسى في شوال فأوقعا بالقوم وأسرا منهم وقتلا ومضى الأفشين ورجع عيسى فسار الافشين الى الحوف وقتل جماعتهم وكانت حروب الى أن قدم أمير المؤمنين (عبد الله المأمون) لعشر خلت من المحرم سنة ٢١٧ هـ فسخط على عيسى وحل لواءه فأخذه بلباس البياض ونسب الفشل اليه والى عماله وسير الجيوش وأوقع بأهل الفساد وسبى القبط وقتل من قتل ثم رحل لثمان عشرة خلت من صفر بعد تسعة وأربعين يوما وولى (كيدر) وهو نصر بن عبد الله أبو مالك الصغدى فورد كتاب المأمون عليه بأخذ الناس بالمحنة في جمادى الآخرة سنة ٢١٨ هـ والقاضى بمصر يومئذ هرون بن عبد الله الزهرى فأجاب وأجاب الشهود ومن وقف منهم سقطت شهادته وأخذ بها القضاة والمحدثون والمؤذنون فكانوا على ذلك من سنة ٢١٨ الى سنة ٢٣٢ ومات المأمون في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين وبويع أبو اسحاق المعتصم

(الثامن من العباسيين المعتصم بالله)

(٢١٨ – ٢٢٧ هـ)

وهو ابراهيم المعتصم بالله بن هرون الرشيد بويع له بالخلافة يوم موت أخيه المأمون بعهد منه

ولما بويع له تشغب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فخرج اليهم العباس فقال لهم قد بايعت عمي فسكنوا واطمأنوا ولم يكن في بني العباس مثله في القوة والشجاعة وكان فيه عنف يرهب الاعداء ونشأ أميا يكتب كتابة عامية ويقرأ قراءة ضعيفة لم يتعلم العلم لان الرشيد كان يميل اليه فاتفق أنه مات غلامه الذي كان يقرأ معه فقال له الرشيد يا ابراهيم مات غلامك قال نعم واستراح من عناء المكتب فقال ان المكتب قد بلغ منك هذا دعوه لا تعلموه وهو أول من أدخل الاتراك الدواوين وكان يتشبه بملوك الاعاجم وبلغ غلمانه الاتراك ثمانية عشر ألفا وألبسهم أطواق الذهب والديباج وكانوا يطردون الخيل في بغداد فضاقت بهم المدينة وتأذى منهم الناس فبنى مدينة سر من رأى (سامرا) بقرب بغداد وانتقل اليها سنة ٢٢٠ هجرية

وفي عهده خرج توفل بن ميخائيل ملك الروم الى بلاد المسلمين فأوقع بأهل زبطرة وعاد الى ملطية وغيرها من البلاد فاستباحها قتلا وأسرا ومثل بالاسرى وقطع أوصالهم فبلغ المعتصم ذلك وبلغه أن أسيرة هاشمية نادت وامعتصماه فنادى بالرحيل الى غزو (عمورية) وهو يقول لبيك لبيك وتجهز واستعد استعدادا لم يسبق له نظير وسار حتى بلغ عمورية (وهي على سبعة مراحل من أنقرة) وجرى بين المسلمين والروم عليها قتال شديد قد انتهى بفتح عمورية فهدمت وأحرقت وقتل من الروم نحو

ثلاثين ألفا وأسر مثلهم ولما دخل المدينة صار يقول لبيك لبيك وطلب العلج فضرب عنقه وفك الشريفة من قيودها واستولى على جميع مافي البلد من الاموال والذخائر وكتب اليه ملك الروم كتابا يتهدده فيه فلما قرأه قال للكاتب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك والجواب ماترى لاماتسمع وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار وجهز الجيوش وفرقها وفتحوا وغنموا ورجعوا سالمين وكان ميمونا في مغازيه وهو أول من أضاف الى لقبه اسم الله تعالى ولكنه قد أساء الى المسلمين بالتشديد وامتحن الناس وجبرهم على القول بخلق القرآن والذي دعاه الى ذلك تنفيذ وصية أخيه فانه لما عهد اليه بالخلافة أوصاه أن يحمل الناس على ذلك واستمر الامام أحمد محبوسا الى أن بويع المعتصم فأحضره الى بغداد وعقد له مجلسا للمناظرة فناظروه ثلاثة أيام ولم يزل الى اليوم الرابع ولم يقل بخلق القرآن فأمر بضربه الى أن أغمي عليه وهو صائم ولم يزل يتوجع حتى مات رضي الله عنه سنة ٢٤١ هجرية ثم توفي المعتصم سنة ٢٢٧ هجرية في ربيع الأول وهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فعسى الله أن يعفو عنه وأكبر غلطاته من الوجهة السياسية ادخاله المماليك في الدولة فانه استعمل خمسين ألفا من الاتراك التارية لاجل المحافظة على الثغور وصاروا يزيدون وتقوى شوكتهم شيئا فشيئا الى أن اتحدوا بعد ذلك على خلع الطاعة وكان ذلك سببا في انحطاط الدولة العباسية حيث فقدت العصبية العربية وابتدأ ذلك الانحطاط من عهد المتوكل على الله عاشر خلفائها ومن الوجهة الدينية تشديده على أهل السنة في القول بخلق القرآن واهانة أكابر العلماء ومعارضتهم في عقيدتهم وفتح باب الفتنة وعدم الرضا بما وسع المسلمين من

عهد النبوة الى عهده ولم ينتج من ذلك شيء من الفوائد بل نتج عنه كثير من الزندقة والفساد سامحه الله وعفا عنه

(عماله على مصر)

لما ولي المعتصم بالله ورد كتابه على كيدر عاملها ببيعته وأمر باسقاط من في الديوان من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل ذلك فخرج يحيى بن وزير الجروى في جمع من لخم وجذام ومات كيدر في ربيع الثاني سنة ٢١٩ فولى ابنه (المظفر بن كيدر) باستخلاف أبيه وخرج الى يحيى بن وزير وقاتله وأسره في جمادى الآخرة ثم صرفت مصر الى أبي جعفر أشناس فدعى له بها وصرف المظفر بن كيدر في شعبان فولى (موسى بن أبي العباس) من قبل أشناس على الصلات مستهل شهر رمضان سنة ٢١٩ وصرف في ربيع الآخر سنة ٢٢٤ فكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر ثم ولي (مالك بن كيدر) بن عبد الله الصفدى من قبل أشناس على الصلات وقدم لسبع بقيت من ربيع الآخر وصرف لثلاث خلت من ربيع الآخر سنة ٢٢٦ فولى (على بن يحيى) الأرملي من قبل أشناس على صلاتها وقدم لسبع خلت من ربيع الآخر سنة ٢٢٦ وبقى الى أن أقره الواثق بالله كما سيأتي في خلافته

(التاسع من العباسيين الواثق بالله)

[٢٢٧ ـ ٢٣٢ هـ]

وهو أبو جعفر هرون بن المعتصم بويع له بالخلافة (بسر من رأى) بعد موت أبيه ونفذت البيعة الى بغداد واستقر له الأمر وكان من أفاضل الخلفاء فطنا أديبا شاعرا لبيبا وكان يتشبه بالمأمون في جميع حركاته وسكناته وفي عهده غزا المسلمون الروم في البحر ففتحوا جزيرة صقلية وفتحوا

مدينة مسينيا في عهد الملكة بدورة امرأة نوفل ملك الروم وكانت قد ملكت بعد وفاته بالنيابة عن ابنها جنية ميخائيل حيث كان صغيرا وقد اقتفى الواثق أثر أبيه في مخالفة أهل السنة والقول بخلق القرآن ثم رجع بعد ذلك عن هذا القول قبل موته وسبب ذلك أنه أتى بشيخ من أكابر الناس وأفاضل العلماء وذلك الشيخ هو أبو عبد الرحمن بن عبدالله بن محمد الاسدى شيخ أبي دؤاد والكسائى بعد أن مكث في السجن مدة مكبلا في قيوده فلما وقف بين يديه سلم عليه فلم يرد الواثق السلام فقال الشيخ ياأمير المؤمنين بئس ماأدبك به مؤدبك قال الله تعالى (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فما حييتنى بأحسن منها ولا بها فقال الواثق وعليك السلام ثم قال لابن دؤاد سله فقال الشيخ المسئلة لى مرة فأجبنى فقال سل فانقض الشيخ على أبى دؤاد وقال أخبرنى عن هذا الامر الذى تدعو الناس اليه أشيء دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قال دعا اليه أبو بكر الصديق بعده قال لا قال دعا اليه عمر ابن الخطاب بعدهما قال لا قال دعا اليه عثمان بعدهم قال لا قال دعا اليه على ابن أبي طالب بعدهم قال لا فقال الشيخ شيء لم يدع اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على رضى الله تعالى عنهم تدعو أنت اليه الناس فهو لا يخلو من أحد أمرين اما أن تقول علموه أو جهلوه فان قلت علموه وسكتوا عنه وسعنا واياك من السكوت ماوسع القوم وان قلت جهلوه وعلمته أنت فيالكع ابن لكع يجهل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون بعده رضى الله عنهم شيئا وتعلمه أنت وأصحابك فألزمه الشيخ الحجة فعند ذلك أمر الواثق بفك قيود الشيخ فأخذها ووضعها في كمه فقال الواثق ماتفعل بها قال أوصى لمن بعدى اذا

أنامت أن تضع القيد بيني وبين كفي حتى أخاصم هذا الظالم يوم القيامة فأقول يارب سل عبدك هذا لم قيدني وروع أهلي وولدي واخواني بلا حق وجب على فبكى الحاضرون ثم سأله الواثق أن يجعله في حل فقال الشيخ جعلتك في حل اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كنتم من أهل بيته فرجع الواثق عن هذا القول وأطلق الشيخ وأكرمه وأحسن اليه

وهو أول خليفة استخلف سلطانا وألبسه التاج وكان أعلم الخلفاء بالغنى وله أصوات وألحان عملها نحو مائة صوت وألف له الاصفهاني كتاب الاغاني وتوفي الواثق في رجب سنة ٢٣٢ هـ وعمره ست وثلاثون سنة ومدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر ولما احتضر جعل يقول

الموت فيه جميع الناس مشترك * لا سوقة منهم يبقى ولا ملك
ماضر أهل قليل في تفاخرهم * فليس يغني عن الأملاك ماملكوا

ثم ألصق خده بالارض وجعل يقول يامن لا يزول ملكه ارحم من يزول ملكه ثم قبض رحمه الله

عماله على مصر

أقر الواثق بالله (علي بن يحيى) الذي كان واليا عليها من قبل المعتصم الى سابع ذي الحجة سنة ٢٢٨ فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر ثم ولي (عيسى بن منصور) الثانية من قبل (اشناس) على صلاتها فدخلها لسبع خلت من المحرم سنة ٢٢٩ ومات أشناس سنة ٢٣٠ وجعل مكانه (ايتاخ) فأقر (عيسى بن منصور) وبقي بها الى أن مات الواثق وبويع (المتوكل)

(العاشر المتوكل على الله)

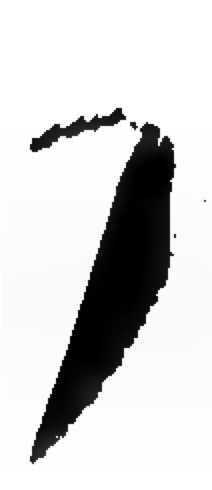
(٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ)

وهو جعفر بن المعتصم بن هرون الرشيد بويع له بالخلافة (بسر من رأى) يوم مات أخوه (الواثق) بعهد منه سنة ٢٣٢ هـ وله من العمر ٢٦ سنة فأحيا السنة وأمات البدعة وأبطل القول بخلق القرآن وكتب الى الآفاق بذلك وقرب علماء السنة وعظمهم ورفع قدرهم وعزز جانبهم فكبتت المعتزلة وخمدت أنفاسهم وأراح الله الناس من شر تلك الفتن وفي أيامه ظهر بمدينة (سامرا) (محمود بن فرج) بادعاء النبوة وزعم أنه ذو القرنين الذي ذكره الله في كتابه وتبعه ٢٧ رجلا فألزم المتوكل أصحابه أن يصفعه كل منهم عشر صفعات ثم حبسه وضربه حتى مات

ونقل دواوين الخلافة الى دمشق وهجر العراق مدة شهرين ثم عاد الى سامرا

وفي سنة ٢٤٥ بنى المتوكل مدينته التي سماها بالمعزية والمتوكلية وساق اليها الماء من افريقية فأنفق عليها أموالا كثيرة وتحول اليها

وكان المتوكل يبغض أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه ويكثر الوقيعة فيه ولشدة بغضه له قد أمر بهدم قبر الحسين بن على رضى الله عنهما ومنع الناس من زيارته فاشمأز منه المسلمون وتألموا وهجاه الشعراء فمما قيل فى ذلك



تالله ان كانت أمية قد أتت * قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتانا بنو أبيه بمثله * هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على ألا يكونوا شاركوا * في قتله فتتبعوه رميما

ولله در ابن الوردى حيث قال

وكم قد محى خير بشر كما محت * ببغض على سيرة المتوكل

تعمق في عدل ولما جنى على * جناب على حطه السيل من عل

وفي سنة ٢٤٧ هـ كثر المماليك الأتراك في بغداد فاستولوا على المملكة وصار بيدهم العقد والحل والتولية والعزل وزاد طغيانهم وعتوهم الى أن حملهم ذلك على السطو على الخليفة المتوكل وكان بينه وبين ابنه المنتصر جفاء ونفور فاتفق مع (بغا) الصغير قائدهم فدخلوا عليه في مجلس أنس وعنده الوزير (الفتح بن خاقان) فصاح الفتح ويلكم هذا سيدكم ورمى بنفسه فضربهما بغا فقتلا معا ثم خرج بغا ومن معه من رجاله الى المنتصر بالله فسلموا عليه بالخلافة وكان قتل المتوكل في شوال سنة ٢٤٧ هـ وعمره ٤٠ سنة ومدة خلافته ١٤ سنة وعشرة أشهر

وقتل المتوكل سهل على المماليك أمر الخلفاء فكان الخليفة في يدهم كالعصفور في يد الصغير يفعل به ماشاء

عماله على مصر

لما بويع المتوكل صرف (عيسى بن منصور) الذى كان واليا عليها من قبل أبيه في منتصف ربيع الأول سنة ٢٣٣ هـ وولى (هرثمة بن النضر) الجبلى من أهل الجبل لايتاخ على الصلات وقدم لست خلت من رجب سنة ٢٣٣ هـ وورد كتاب المتوكل بترك الجدال في القرآن لخمس خلت من جمادى الآخرة سنة ٢٣٤ هـ ومات هرثمة وهو وال لسبع باقية من رجب سنة أربع واستخلف ابنه حاتم بن هرثمة فولى (حاتم بن هرثمة) بن النضر باستخلاف أبيه له على الصلات وصرف لست خلت من رمضان فولى (على بن يحي) بن الأرمنى المرة الثانية من قبل ايتاخ على الصلات لست خلت من رمضان وصرف أيتاخ فى المحرم سنة ٢٣٥ هـ واستصفيت أمواله بمصر وترك الدعاء له ودعى للمنتصر مكانه فصرف على بن يحي في ذى الحجة

من هذه السنة وولى (اسحق بن يحيى) بن معاذ بن مسلم الجبلى من قبل المنتصر ولى عهد أبيه المتوكل على الله على الصلات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من ذى الحجة ومات اسحاق بن يحيى بعد عزله غرة ربيع الآخر سنه ٢٣٧ فولى (عبد الواحد بن يحيى) بن منصور بن طلحة بن زريق على الصلات والخراج فقدم لتسع باقية من ذى الحجة سنة ٢٣٦ هـ وصرف عن الخراج لتسع خلت من صفر سنة ٢٣٧ هـ وأقر على الصلات وحدها ثم صرف سلخ صفر سنة ٢٣٨ هـ بخليفته عنبسة على الصلات والشركة في الخراج مستهل ربيع الاول فولى (عنبسة بن اسحق) ابن شمر بن عبس أبو جابر من قبل الخليفة على الصلات وشريكا لأحمد بن خالد صاحب الخراج فقدم لخمس خلت من ربيع الآخر سنة ٢٣٨ هـ وأخذ العمال برد المظالم وأقامهم للناس وأنصف منهم وأظهر من العدل مالم يسمع بمثله في زمانه وكان يروح ماشيا الى المسجد الجامع من العسكر وكان ينادى في شهر رمضان السحور وفي ولايته نزل الروم دمياط وملكوها ومافيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من الناس وسبوا النساء والأطفال فنفر اليهم يوم النحر من سنة ٢٣٨ في جيشه ومعه كثير من الناس فلم يدركهم وأضيف له الخراج مع الصلات ثم صرف عن الخراج أول جمادى الآخرة سنة ٢٤١ هـ وأفرد بالصلات وورد الكتاب بالدعاء (للفتح بن خاقان) فى ربيع الأول سنة ٢٤٢ هـ فدعى له وعنبسة هذا آخر من ولى مصر من العرب وآخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع وصرف أول رجب منها فقدم العباس بن عبد الله بن دينار خليفة (يزيد بن عبد الله) وكانت ولاية عنبسة أربع سنين وأربعة أشهر وخرج الى العراق في رمضان سنة ٢٤٣ هـ فولى (يزيد بن عبد الله) بن دينار من الموالى ولاه المنتصر ولى

عهد أبيه على الصلات فقدم لعشر باقية من رجب سنة ٢٤٢ هـ فأخرج المخنثين من مصر وضربهم وطاف بهم ومنع من النداء على الجنائز وضرب فيه وخرج الى دمياط مرابطا في المحرم سنة ٢٤٥ ورجع في ربيع الأول فبلغه نزول الروم الفرما فرجع اليها فلم يلقهم وعطل الرهان وباع الخيل وتتبع الروافض وحملهم الى العراق وبنى مقياس النيل في سنة ٢٤٧ وجرت على العلويين في ولايته شدائد كثيرة وبقى الى أن مات المتوكل وبويع ابنه محمد المنتصر

(الحادى عشر المنتصر بالله)

(٢٤٧ – ٢٤٨ هـ)

وهو أبو عبد الله محمد بن المتوكل بويع له بالخلافة في الليلة التى قتل فيها أبوه وامتنع الناس أولا من مبايعته بحجة أنه قتل والده فأخرج أحمد ابن الخطيب كتابا من المنتصر أن الفتح بن خاقان قتل المتوكل فقتلته به فبايعه الناس وكان كثير العدل قليل الظلم ولما ولى الامر أمر بزيارة قبر الحسين رضى الله عنه ويقال أنه لما جلس على سرير الملك رأى في بعض البسط دائرة فيها فارس عليه تاج وحوله كتابة فارسية فأمر بها فترجمت فاذا هى (أنا شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت أبى فلم أتمتع بالملك الا ستة أشهر) فتغير وجه المنتصر وأمر برفع البساط فحصل له حمى كانت سببا في موته وقيل انهم دسوا الى طبيبه ابن طيفور الدم فقصده بريشة مسمومة فمات عن ست وعشرين سنة من عمره ومدة خلافته ستة أشهر

حالة مصر في عهده

لما مات المتوكل ومات الفتح بن خاقان أيضا وبويع المنتصر أقر (يزيد ابن عبد الله) على مصر ولم يزل بها الى أن مات المنتصر في ربيع الأول

سنة ٢٤٨ﻫ (و بويع المستعين بالله)

(الثاني عشر المستعين بالله)

(٢٤٨ ـ ٢٥٢ ﻫ)

هو أحمد بن محمد بن المعتصم بالله بويع له بالخلافة سنة ٢٤٨ ﻫ ولاه موالى الاتراك الذين أصبح بأيديهم الحل والعقد ولم يولوا أحدا من ولد المتوكل لئلا يطالب بدمه وكانت تلك الايام أيام فتن وخروج خوارج وأن المستعين كان ضعيفا في رأيه وعقله وتدبيره ولذلك كانت أيامه كلها قلاقل ولم يكن فيه من خصال الخير الا الكرم وكان عامله على مصر (يزيد بن عبد الله) ولسوء تدبيره خلع فى سنة ٢٥١ﻫ مكرها ثم قتل بعد ذلك في المحرم سنة ٢٥٢ ﻫ وكانت خلافته سنتين وتسعة أشهر وعمره ٣١ سنة

(الثالث عشر المعتز بالله)

(٢٥٢ ـ ٢٥٥ ﻫ)

وهو أبو عبدالله محمد بن المتوكل على الله بويع له بالخلافة في المحرم سنة ٢٥٢ تولى بعد خلع المستعين ابن عمه وحرض عليه فقتل وأتى برأسه اليه وهو مشتغل بلعب الشطرنج فلم يلتفت اليه حتى فرغ من لعبه ونظر الى الرأس ثم أمر بدفنه وفي أيامه ابتدأت الدولة الطولونية بمصر وسيأتى الكلام عليها ثم ان الاتراك الذين صار في يدهم مقاليد الدولة اتفقوا على خلعه مع جماعة آخرين بسبب طلب أرزاقهم فساروا الى بابه ودخلوا عليه وأهانوه ومنعوه الطعام والشراب ثلاثة أيام ثم أدخلوه سردابا وجصصوا عليه فمات في رجب سنة ٢٥٥ ﻫ وعمره ٢٤ سنة ومدة خلافته ثلاث سنين وستة أشهر وفي أيامه قويت شوكة المتغلبين على البلاد واشتدت عزائمهم وولى أحمد بن طولون مصر وكان المعتز رحمه الله حسن الخلق والخلق طيب السيرة

والسرية الاأن الأتراك قد تمردوا في زمنه واستخفوا بالخلافة واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في يدهم ان شاءوا أبقوه وان شاءوا خلعوه وان شاءوا قتلوه وبعد موت المعتز قام بأمر الدولة المهتدى بالله

(الرابع عشر المهتدى بالله)

(٢٥٥ ــ ٢٥٦ هـ)

وهو أبو عبد الله جعفر بن الواثق بن المعتصم بويع له بالخلافة حين خرجوا على ابن عمه المعتز سنة ٢٥٥ وكان ورعا متعبدا عادلا قويا في دينه شجاعا مهيبا ولما ولى الخلافة أمر بابطال الملاهى ومنع سماع الغناء وشرب الخمر ونفى المغنيات وترك المنكرات وجلس ينظر في حوائج الناس ومنع مظالمهم وكان يقول انى لأستحى من الله عز وجل ألا يكون في بنى العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بنى أمية وكان يتشبه به وسعى في الخير جهده ومع ذلك فانه لم يجد أحدا يساعده ولا قوة يدفع بها طغيان هؤلاء الطاغين الذين أثاروا عليه الفتنة وهاجوا وماجوا بسبب قتله بعض الموالى وأخذوه أسيرا وعذبوه وجبروه على خلع نفسه فلم يفعل فقتلوه وذلك في رجب سنة ٢٥٦ هـ وعمره ٣٧ سنة ومدة خلافته سنة واحدة ودفن في سامرا وتولى بعده المعتمد على الله

(الخامس عشر المعتمد على الله)

(٢٥٦ ــ ٢٧٩ هـ)

وهو أبو العباس أحمد بن المتوكل على الله بويع له بالخلافة بعد ابن عمه المهتدى بالله بسامرا وكان مستضعفا ومنهمكا في اللذات وكان أخوه الموفق طلحة الناصر هو الغالب على أمره وله الأمر والنهى وفى أيامه خرج أحمد بن طولون وظفر بحلب وأنطاكيا وبقية العواصم واستفحل أمره

بمصر واغتال خراجها وهي يومئذ من أغنى الأقطار وأغناها وضيق على المتوكل أخوه طلحة من انهماكه في اللذات فلم يكن له من الأمر شيء سوى الاسم والدعاء في الخطبة وقد اتفق أنه طلب في بعض الأيام ثلثمائة دينار فلم يحصل عليها فقال

أليس من العجائب أن مثلي * يرى ما قل ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا * وما من ذاك شيء في يديه
اليه تحمل الأموال طرا * ويمنع بعض ما يجبي اليه

ومن الحوادث التي حصلت في أيامه أن الزنج دخلوا البصرة وأعمالها وضربوا وقتلوا وأحرقوا وسبوا ونهبوا أموالا كثيرة واستمر القتال بينهم الى سنة ٢٧٠ هـ ثم قتل رئيسهم (يهودا) الذي كان يدعى أنه نبي وانه مطلع على الغيب وكان له منبر يصعد عليه ويسب عثمان وعليا ومعاوية وطلحة والزبير ولما قتل زينت بغداد وطافوا برأسه فيها وهي على رمح ثم توفي المعتمد في شوال سنة ٢٧٩ هـ ببغداد وعمره خمسون سنة ومدة خلافته ٢٣ سنة ثم ملك بعده المعتضد بالله

(السادس عشر المعتضد بالله)
(٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ)

وهو أبو العباس أحمد بن الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بويع له بالخلافة يوم موت عمه المعتمد سنة ٢٧٩ فقام بالأمر بعده حق القيام وكان شجاعا عاقلا لايهاب الموت ولا يخاف الاسد مدبرا حازما ولذلك جدد ملك بني العباس وولي الامر والثغور مهملة والامور معطلة والكلمة غير نافذة والظلم ضارب بجرانه فقوم الاعوجاج وأبطل المظالم والمفاسد وقوى الثغور وحافظ عليها وهدم دار الندوة التي كانت

في الحرم وجعلها مسجدا فانتشر في أيامه لواء العدل وانقطعت المظالم والمفاسد لتيقظه وحسن تدبيره مع ما في أيامه من الفتن وكثرة الخوارج وممن خرج عليه عمرو بن الليث الصفار الذى عظم شأنه واستولى على أكثر بلاد العجم وكانت عاقبة أمره الاسر ومقاساة الهوان ولم يزل المعتضد ساهرا على رعيته ملتفتا لتشييد دعائم مملكته الى أن مات سنة ٢٨٩هـ وله من العمر ٤٦ سنة ومدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ثم قام بالامر بعده ابنه المكتفى بالله

(السابع عشر المكتفى بالله)

(٢٨٩ ـ ٢٩٥)

وهو أبو محمد على بن المعتضد بالله بويع له بالخلافة بعد موت أبيه في ربيع الاول سنة ٢٨٩ هـ وكان حسن الخلق والخلق يكره سفك الدماء وفي أيامه ظهرت القرامطة وهم قوم من الخوارج خالفوا الدين وخرجوا عليه وقطعوا الدرب على الحجاج ونهبوهم وقتلوا منهم كثيرا فأرسل اليهم المقتدر عساكره وأوقع بهم وقتل بعض زعمائهم وفي عهده رجعت مصر والشام الى الخلافة العباسية وانقرضت دولة بنى طولون وكان المكتفى فصيحا يقول الشعر ونقش على خاتمه علىّ يتوكل على ربه ثم عاجلته المنون لاثنتى عشرة خلت من ذى القعدة سنة ٢٩٥ هـ ومدة خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوما وقد أوصى بصدقة من خالص ماله ٦٠٠٠٠٠ دينار كان قد جمعها وهو صغير وأوصى بالخلافة الى أخيه المقتدر بالله

(الثامن عشر المقتدر بالله)

(٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ)

وهو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بويع له بالخلافة يوم موت أخيه وهو ابن ثلاث عشرة سنة سنة ٢٩٥ هـ واختل نظام الملك في أيامه لحداثة سنه وانهماكه في اللذات وكان كثير الانفاق مبذرا وولى الخلافة ثلاث مرات فتغلب عليه الجند واتفقوا على خلعه وعقدوا البيعة لابي العباس ابن المعتز ولقبوه المرتضى بالله ولم يتم له الأمر ولم يمكث سوى يوم واحد ولذلك لم يعد من الخلفاء ثم عاد المقتدر وقتل ابن المعتز فاستقام له الأمر وهذه ولايته الثانية ثم جرت بينه وبين مؤنس المظفر أمير الجيوش منافرة أدت الى خلعه ومبايعة أخيه القاهر ثم أعيد المقتدر مرة ثالثة وحمله الجند على أعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وصفح عن أخيه القاهر ثم وقع بينه وبين مؤنس خلاف أدى الى الحرب فتوغل المقتدر في المعركة فضربه واحد من البربر فسقط الى الارض فقال لضاربه ويحك أنا الخليفة فقال له أنت المطلوب واحتز رأسه بسيفه وكان قتله يوم الاربعاء سنة ٣٢٠ هـ وله من العمر ٣٨ سنة وشهر وخمسة أيام ومدة خلافته ٢٥ سنة وولى بعده أخوه القاهر بالله

(التاسع عشر القاهر بالله)

(٣٢٠ ـ ٣٢٢)

وهو القاهر بالله بن المنصور محمد بن المعتضد بويع له بالخلافة سنة ٣٢٠هـ وكان طائشا سفاكا للدماء قبيح السيرة كثير التلون مدمنا للخمر وكان من وزرائه ابن مقلة الذى جود الخط العربى وأخذه من الخط الكوفى ولكنه لم يترك فيه شيئا يشابه الخط الكوفي

ولم يمكث القاهر في الخلافة الا سنة وستة أشهر ثم خلع وسملت عيناه لست خلت من جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ ثم عاش ما بقي من عمره معدما فقيرا يتكفف الناس الى أن مات سنة ٣٣٨هـ وله من العمر ٥٨ سنة وتولى بعده الراضي بالله

(العشرون الراضي بالله)

(٣٢٢ ـ ٣٢٩هـ)

وهو أبو العباس محمد بن المقتدر بالله بويع له بالخلافة سنة ٣٢٢ هـ وفي عهده ضعف أمر الخلافة العباسية واسترد الروم كثيرا من البلاد التي كانت في حوزة الاسلام وتم استقلال الولاة بجميع الاقاليم فكانت مصر والشام في يد الاخشيد وفارس في يد آل بويه والموصل وديار بكر في يد بني حمدان وخراسان وما وراء النهر في يد سامان وطبرستان وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة في يد القرامطة والاندلس في يد عبد الرحمن الاموي ولم يبق للخليفة الا بغداد وما والاها فبطلت دواوين المملكة ونقص قدر الخلافة وعم الخراب وساد الفساد وقهرت العباد ثم مات الراضي في ربيع الأول سنة ٣٢٩ هـ وعمره ٣١ سنة وأشهر بعد أن حكم سبع سنين وكان آخر خليفة له شعر يدون وآخر من خطب كثيرا وآخر من جالس الجلساء وآخر من كان في معيشته على ترتيب أسلافه وتولى بعده أخوه المتقي بالله

(الحادي والعشرون المتقي بالله)

(٣٢٩ ـ ٣٣٣ هـ)

وهو أبو اسحاق ابراهيم بن المقتدر بويع له بالخلافة بعد أخيه الراضي سنة ٣٢٩ هـ وكان ورعا كثير الصوم والتهجد والتلاوة حافظا لدينه بعيدا عن

اللهو والطرب وشرب الخمر وفي سنة ٣٣١ من حكمه عدت الروم على الأردن ونصيبين فقتلوا وسلبوا ثم طلبوا منديلا في كنيسة الرها يزعمون أن المسيح مسح به وجهه فارتسمت صورة وجهه فيه فأرسلوه اليهم في مقابلة فك الاسارى ففعلوا وكثرت الاضطرابات والحروب والفتن في أيامه بين رؤساء الدولة وصار كل واحد منهم يود أن تكون له السيادة والاعداء ينقصون أطراف الدولة وهم لايلتفتون الى ذلك ومع كون المتقي كان ملكا عاقلا مدبرا فانه لم يستطع المحافظة على ملكه لضعف قوته وكثرة المخالفين له والمتغلبين عليه ولم يزل في نكد من العيش وأمره مضطرب الى أن خلع وسملت عيناه لتسع باقية من صفر سنة ٣٣٣ ﻫ بأمر (يوزون) التركي لما قام عليه فكانت مدته ثلاث سنين وأحد عشر شهرا وعاش بعد ذلك مخلوعا الى أن مات سنة ٣٤٣ﻫ وعمره ٤٧ سنة وولي بعده المستكفي بالله

(الثاني والعشرون المستكفي بالله)
(٣٣٣ ــ ٣٣٤ ﻫ)

وهو أبو القاسم عبد الله بن المكتفي ولي الأمر سنة ٣٣٣ ﻫ بعد خلع ابن عمه المتقي وفي عهده استولى معز الدولة بن بويه على بغداد وبذلك لقبه المستكفي كما لقب أخويه عماد الدولة وركن الدولة وأمر أن تضرب ألقابهم على الدنانير ومن هذا الوقت صار الخليفة في غاية الضعف ليس له الا الاسم والدعاء في الخطبة ومع ذلك فانه لم ينج من الأذى بل انه خلع وسملت عيناه في جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ ﻫ كما أمر بذلك أحد أمرائه معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي لما دخل بغداد وتغلب على الخلافة وكانت مدة ولايته ١٧ شهرا وعاش مخلوعا الى أن مات سنة

٣٣٩ هـ وعمره ٥٠ سنة وولي بعده المطيع لله

(الثالث والعشرون المطيع لله)

(٣٣٤ - ٣٦٣ هـ)

وهو أبو الفضل القاسم بن المقتدر بويع بالخلافة بعد خلع المستكفي سنة ٣٣٤هـ وفي أيامه ازداد ضعف الخلافة وغلبت الديلم على بغداد والروافض العبيديون على مصر والشام ومكة والمدينة وغلب الروم على الجزيرة وبعض الثغور وردت القرامطة الحجر الاسود الى مكانه وبقي الخليفة بلا وزير بل كان له كاتب يدير اقطاعاته واخراجاته وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد فكان بنو بويه يعتقدون أن الاحق بالخلافة العلويون فلم يكن ثم باعث ديني يبعثهم على الطاعة والانقياد لبني العباس وبقي المطيع يدير الامور جهده الى أن ضاق ذرعا فتخلى عن الخلافة لابنه غير مكره يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة سنة ٣٦٣ هـ وبعد نيف وأربعين يوما مات لثمان خلت من المحرم سنة ٣٦٤هـ فكانت ولايته ٢٩ سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما وعمره ٦٤ سنة وولي بعده ابنه الطائع لله

(الرابع والعشرون الطائع لله)

(٣٦٣ - ٣٨١ هـ)

وهو أبو بكر عبد الكريم ابن المطيع بويع له بالخلافة بعد خلع أبيه نفسه وكان مغلوبا على أمره من قبل أمرائه وما كان له الا العظمة الظاهرية وكان شديد القوة في خلقه كريما شجاعا بطلا جوادا سمحا الا أن يده كانت قصيرة مع ملوك بني بويه ولم يزل كذلك حتى تغلبوا عليه وخلعوه سنة ٣٨١ هـ بعد أن تولى الحكم ١٦ سنة وأشهرا وعاش بعد

ذلك مخلوعا مسمول العينين الى أن مات سنة ٤٠٠هـ والذى تولى خلعه وسمل عينيه (فناخسرو) بن الحسن بن بويه الديلمى الملقب ببهاء الدولة وتولى بعده القادر بالله

(الخامس والعشرون القادر بالله)

(٣٨١ ـ ٤٢٢ هـ)

وهو أبو العباس أحمد بن اسحاق بن المقتدر بويع له بالخلافة سنة ٣٨٩ هـ وكان كثير العبادة والصدقات دينا ورعا مؤثرا للعدل وقضاء الحوائج وفي أيامه رجع وقار الدولة العباسية وزاد رونقها وأخذت أمورها في القوة ومكث القادر فى الخلافة مدة طويلة الى أن مات سنة ٤٢٣ هـ ولم يبلغ أحد من الخلفاء في إمارة المؤمنين مبلغه ولا طول عمره لان ولايته دامت ٤٢ سنة وأشهرا ومات وهو ابن ٩٣ سنة لان مولده كان سنة ٣٣١ هـ وتولى بعده القائم بأمر الله

(السادس والعشرون القائم بأمر الله)

(٤٢٣ ـ ٤٦٧ هـ)

وهو أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله بويع له بالخلافة يوم موت أبيه سنة ٤٢٣ هـ وكان عادلا قوي الدين واليقين كثير الفضل والعدل والصدقات من خيرة الخلفاء ولكنه كان مغلوبا على أمره وفي أيامه كان انقراض دولة بنى بويه وابتداء الدولة السلجوقية وكانت مدة ملك الديلم ١٢٩ سنة وكان هذا الملك الصالح كثير الصدقة والصيام والتهجد ومما يؤثر عنه أنه ما كان ينام الا على سجادته وما تجرد من ثيابه وتوفي رحمه الله سنة ٤٦٧ هـ ومدة خلافته ٤٥ سنة وله من العمر ٧٧ سنة وولى الامر بعده ولد ولده المقتدى بأمر الله

(السابع والعشرون المقتدى بأمر الله)

(٤٦٧ ـ ٤٨٧ هـ)

وهو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بويع له بالخلافة يوم وفاة جده وكان دينا على الهمة نجيبا أزال المنكرات والملاهي ولذلك عمرت بغداد في أيامه وخطب له بالحجاز واليمن والشام وأقام بالخلافة ١٩ سنة وأشهرا ومات فجأة في المحرم سنة ٤٨٧ هـ وتولى بعده المستظهر بالله

(الثامن والعشرون المستظهر بالله)

(٤٨٧ ـ ٥١٢ هـ)

وهو أبو العباس أحمد المقتدى بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه وكان لين الجانب كريم الاخلاق جوادا محبا للعلم والعلماء وفي سنة ٤٩٢ في عهده أخذ الافرنج بيت المقدس وقتلوا نحو سبعين ألفا وهدموا المشاهد وجمعوا اليهود في كنيستهم وأحرقوها عليهم وتمكنت الافرنج من الشام وفي سنة ٥١٨ هـ نقل المصحف العثماني من مدينة طبرية الى الجامع الأموي بدمشق خوفا عليه ونسب الى عثمان لانه هو الذي أمر بكتابته كما سبق في خلافته ومات المستظهر لسبع بقيت من ربيع الآخر سنة ٥١٢ هـ ومدة خلافته ٢٥ سنة وثلاثة أشهر وعمره ٥١ سنة وولى بعده المسترشد بالله

(التاسع والعشرون المسترشد بالله)

(٥١٢ ـ ٥٢٩ هـ)

ولى المسترشد بعد وفاة أبيه بعهد منه وسنه يومئذ ٢٧ سنة وكان شجاعا دينا مقداما حتى قيل انه لم يل الخلافة أحد بعد المعتضد أشجع منه ذا رأى صائب وهمة عالية فأحيا مجد بنى العباس وأرجع الدولة العباسية الى نضارتها وقوتها وخرج الى قتال السلطان مسعود السلجوقى بنفسه فانتصر

عليه ولكنه قتل بعد ذلك غيلة حيث دخل عليه الفزارية بالسكاكين وقتلوه هو ومن معه فجأة في سابع عشر ذى الحجة سنة ٥٢٩ هـ بعد أن حكم ١٧ سنة وثمانية أشهر وعمره ٤٥ سنة وعهد بالخلافة لابنه الراشد بالله

(الثلاثون الراشد بالله)

(٥٢٩ ـ ٥٣٠ هـ)

وهو أبو جعفر منصور بن المسترشد بويع له بالخلافة يوم موت أبيه بعهد منه وكان حسن الهيئة جميل الوجه كريم الاخلاق فصيح اللسان قوى الجنان وبقي يغالب الأيام الى أن خلعه السلطان مسعود السلجوقى بعد شهادة أهل بغداد عليه أنه ارتكب منكرا فحكم قاضى القضاه بن الكرخى بخلعه فخلعوه لاربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ٥٣٠ هـ وعمره ٣٠ سنة وكانت خلافته نحو سنة وبعد ذلك قتل سنة ٥٣٢ هـ وهو صائم في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان وولى الأمر بعده عمه المقتفى

(الحادى والثلاثون المقتفى لأمر الله)

(٥٣٠ ـ ٥٥٥ هـ)

وهو أبو عبد الله محمد بن المستظهر بويع له بالخلافة يوم وفاة ابن أخيه وكان شديد الهيبة سيدا عالما فاضلا دينا شجاعا خليقا بالامارة عظيم السلطان قوى الجنان بيده أزمة الامور فكان لايجرى في خلافته أمر الا بأمره وتوقيعه وفي سنة ٥٤٣ حاصر الافرنج دمشق فوصل اليها نور الدين الشهيد محمود بن زنكى صاحب حلب يومئذ وأخوه غازى صاحب الموصل فنصر الله المسلمين بهما وانهزم الافرنج عنها وفي أيامه عادت بغداد والعراق الى يد الخلفاء ولم يبق له منازع فى سلطانه وكان الحكم

قبله للمتغلبين من الملوك وليس للخليفة الا اسم الخلافة كما تقدم ومن سلاطينه أيام دولته (سنجر) صاحب خراسان والسلطان (نور الدين) محمود ابن زنكي صاحب الشام ومصر وكان المقتفي مغرما بكتابة القرآن حسن الخط فكتب بيده الكريمة ثلاث ربعات وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ٥٥٥ هـ وعمره ٦٦ سنة ومدة خلافته ٢٣ سنة وجدد بناء الكعبة وعمل لنفسه من الباب العتيق تابوتا دفن فيه وولى بعده ابنه المستنجد بالله

(الثاني والثلاثون المستنجد بالله)

(٥٥٥ ـ ٥٦٦ هـ)

وهو أبو جعفر المظفر يوسف بن المقتفي بويع له بالخلافة بعد يوم موت أبيه وكان موصوفا بالعدل والديانة ثاقب الفكر صائب الرأى وأبطل المكوس والمظالم ومما يؤثر عنه أنه رأى في منامه في حياة والده أن ملكا نزل من السماء فكتب له في كفه ثلاث خاءات فطلب معبرا فقال له انك ستلى الخلافة سنة ٥٥٥ فكان كذلك وكان له شعر رقيق منه قوله .

عيرتني بالشيب وهو وقار * ليتها عيرت بما هو عار
ان تكن شابت الذوائب مني * فالليالي تزينها الاقمار

وفي أيامه ساد العدل وباد الظلم لانه كان شديدا على المفسدين وتوفي سنة ٥٦٦ في ثامن ربيع الثاني خنقه أكابر دولته في حمام عقب مرض أصابه وقيل انه حبس في الحمام الى أن مات بعد أن عمر ٤٨ سنة وكانت خلافته ١١ سنة وتولى بعده ابنه المستضيء بأمر الله

(الثالث والثلاثون المستضيء بأمر الله)

(٥٦٦ ـ ٥٧٥ هـ)

وهو أبو محمد حسن بن المستنجد بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وكان سمحا كريما محيا للسنة مبيدا للبدعة كثير الخيرات والصدقات وفى مدته عمرت البلاد وعم العدل في جميع أرجائها ومحيت عن الناس مظالم كثيرة ولذلك كثر الثناء عليه من جميع الخلائق ولم يكن يركب الا مع مماليكه ولا يدخل عليه سوى الامراء وفي أيامه انقرضت دولة الفاطميين بمصر وملكها أسد الدين (شيركوه) نائبا عن محمود نورالدين ومات نور الدين بعد أن بنى قبة الامام الشافعي سنة ٥٧٤ فخلفه في جهاده وحسن سيرته صلاح الدين يوسف الايوبى وهو الذى استرد من الافرنج بيت المقدس وكثيرا مما كان بأيديهم من البلاد الاسلامية بهمته المشهورة وحروبه المعروفه ولم يزل المستضيء ناشرا لواء العدل معروفا بالحزم والفضل الى أن توفي سنة ٥٧٥ ومدة خلافته ٦ سنين و نصف وعمره ٣٧ سنة وولى الامر بعده ابنه الناصر لدين الله

(الرابع والثلاثون الناصر لدين الله)

(٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ)

وهو أبو العباس أحمد بن المستضيء بنور الله بويع له بالخلافة في بغداد يوم وفاة أبيه غرة ذى القعدة سنة ٥٧٥ وعمره ٢٣ سنة وكان عظيم الهيبة شجاعا مقداما ذا دهاء فائق وذهن رائق فنشر لواء العدل وعمل على احياء السنة وكان له هيبة في النفوس حتى انه اذا ذكر اسمه عند أمرائه وعظماء دولته خفضوا أصواتهم اجلالا له وفى أيامه كان ظهور صلاح الدين الايوبى واستيلاؤه على مصر وفتح بيت المقدس

وازالة دولة الفاطميين وامانة البدع فأمر باراقة الخور وابطال الملاهي وأبطل المكوس والمظالم فعمرت البلاد واستراحت العباد وكثرت الارزاق وعم الامن والوفاق فقصد الناس بغداد من كل فج وراجت التجارة رواجا عظيما وعم الخير في أنحاء مملكته حتى صار الناس يتبركون به أيام دولته وكان يقظا ملتفتا لامر دولته حريصا على راحة رعيته يتعب نفسه لراحتهم ويسهر الليالي الطوال ليناموا في ظل أمانه فكان كثيرا مايطوف ببغداد ليلا ليقف على كل شيء يهمه الوقوف عليه فضلا عن كونه كان متخذا الارصاد والعيون في كل جهة ليأتواله بالاخبار حتى يقف على مايهمه وفي أيامه أيضا ابتدأ خروج التتار من بلادهم مغيرين على بلاد الاسلام فظهر جنكيزخان سنة ٥٩٩ وكان لايدين بدين فافسد البلاد وأضر بالعباد ودخل بخارى ونهب وسلب وقتل كثيرا وقصد بلاد خراسان ومات سنة ٦٢٤ فقام بعده ولده (تولي خان) وبعده ولده (هلا كو) وبعده ولده (تكدار) فأسلم وسمى نفسه أحمد وكان انقراض دولتهم سنة ٧٢٧ ولم يزل الناصر ملتفتا لامر رعيته باسطا اليهم بساط العدل الى سلخ رمضان سنة ٦٢٢ وعمره ٧٠ سنة ومدة خلافته ٤٧ سنة فهو من أطول الملوك أياما وشق موته على جميع أهل مملكته لما كان موصوفا به من صفات الكمال وتولى بعده الظاهر بالله

(الخامس والثلاثون الظاهر بالله)

(٦٢٢ — ٦٢٣ هـ)

بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه بعهد منه وكان جميل الوجه حسن الهيئة موقرا محسنا لرعيته ولما تولى لم يزل ناشرا لواء العدل ساعيا جهده في ابطال مابقي من المكوس والمظالم وأعاد بسيرته سيرة العمرين فانه

ما ولي الخلافة بعد عمر بن العزيز أحدمثله أمر بجباية الخراج والأموال على الرسم القديم في العراق وأرسل الى القاضي عشرة آلاف دينار ليفرقها على المعسرين وأعطى العلماء والصالحين ليلة عيد النحر مائة ألف دينار وتوفي رحمه الله في ١٣ رجب سنة ٦٢٣ هـ وعمره ٥٢ سنة ومدة خلافته تسعة أشهر ونصف ولو طال أمده لكان من أجل الخلفاء نفعا وولي الأمر بعده ابنه المستنصر بالله

(السادس والثلاثون المستنصر بالله)

(٦٢٣ — ٦٤٠)

وهو أبو جعفر المنصور محمد بن الظاهر بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه وعمره ٣٥ سنة وكان عادلا كريما محبا للعلم والعلماء وأهل الدين والتقوى وكان كثيرا ما يقول اني أخاف أن الله لا يثيبني على ما أهبه وأعطيه لأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وأنا والله لا فرق عندي بين التراب والذهب وكانت أيامه كلها سرور وأمان وراحة بال واطمئنان خاطر الفتن فيها نائمة والخيرات كثيرة ولذلك لم يشغله شاغل عن بناء المساجد وتقوية الرباطات وحفظ الثغور وتشييد الحصون وبناء المدارس والملاجئ وقصد التتار البلاد في أيامه فلم يفلحوا وهزمهم شر هزيمة ورجعوا على أعقابهم خائبين ولذلك أحبته رعيته وأطلقت ألسنة الثناء والشكر عليه ولم يزل حصنا حصينا وذخرا وملجأ للرعية الى أن مات مأسوفا عليه يوم الجمعة عاشر جمادى الثانية سنة ٦٤٠ هـ وعمره ٥٢ سنة ومدة خلافته ١٧ سنة وولي الأمر بعده ابنه المستعصم بالله

(السابع والثلاثون المستعصم بالله)

(٦٤٠ ـ ٦٥٦)

وهو أبو أحمد عبدالله بن المستنصر بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وهو آخر الخلفاء العباسيين بالعراق وكان حليما كريما الا أنه كان ضعيف الرأى غير ملتفت لأمور الخلافة ولذلك ركن الى وزيره مؤيد الدين ابن العلقمى الرافضى وكان عدوا له يداريه في الظاهر ويعمل على زوال دولته فى الباطن ولذلك صار يكاتب (هولاكو) ملك التتار ويغريه على أخذ بغداد ويرشده لطريق أخذها ويخبره بضعف الخليفة وقلة عساكره وانحلالهم ولم يزل به الى أن زحف على بغداد في عسكر جرار وجيش عرمرم والمستعصم ومن معه في غفلة فأوقع بهن بها وأرسل الى الخليفة يطلبه اليه فاستيقظ من رقدته وندم حيث لا ينفع الندم

وأما الوزير المخادع الخائن فانه ذاق جزاء ما كسبت يداه فان (هولاكو) استدعاه بين يديه وعنفه على خياناته لسيده ثم قتله شر قتلة ولم ينل شيئا مما كان يتوهمه وبقتل المستعصم خرجت بغداد من قبضة الخلافة الاسلامية بدخول التتار فيها واستيلائهم عليها وأقام الناس بلا خليفة ثلاث سنين وعلق التتار المصاحف في أعناق الكلاب وقلبوا المساجد كنائس وألقوا كتب الائمة في نهر الدجلة كما سبق وذهبت محاسن بغداد كأن لم تكن بعد أن كان بها اثنا عشر ألف خان واثنتا عشرة ألف طاحونة وأربع وعشرون ألف سوق وألفا حمام وثمانية آلاف مدرسة ومن جوامعها الرصافة كان يسع مائة ألف انسان كانوا يحضرون مجلس ابن الجوزى ولما مات بها الامام أحمد بن حنبل حضر جنازته ألف ألف وستمائة ألف رجل ضبط ذلك بالمساحة وكانت أجمل مدينة فى الدنيا ثم انتشرت فتنة

التتار فأخذوا بلاد الروم ورتبوا على ملكهم كل سنة أربعمائة ألف دينار ثم اضمحلت الخلافة الاسلامية وانتقلت الى مصر بعدما كان لها من العزة والسلطان ما كان والملك لله الواحد الديان

خلت المنابر والأسرة منهم فعليهم حتى الممات سلام

(انتقال دولة بني العباس الى مصر)

لما اضمحل بنو العباس انتقلوا الى مصر وتركوا بغداد لغلبة التتار عليها وحكم بها منهم ١٧ خليفة ومدة حكمهم بها ٢٨٥ سنة ولم يكن لهم اذ ذاك أمر ولا نهي بل كانوا يجعلونهم في محل وتجرى عليهم النفقات فيه كما تقدم

(أولهم المستنصر بالله)

(٦٥٩ ـ ٦٦٠)

وهو أبو القاسم أحمد بن الظاهر بأمر الله كان غائبا عن الفتنة فسلم وقدم مصر وأثبت نسبه في رجب سنة ٦٥٩ هـ في أيام الظاهر بيبرس فتلقاه وبايعه هو وأهل الحل والعقد بالخلافة وبايعه الناس على مراتبهم وخطب باسمه على المنابر فاستبشر الناس وفرحوا فرحا عظيما ثم رتب له السلطان حاجبا وكاتبا وعين له جميع ما يحتاج اليه وأقام بالقلعة ثم بدا له بعد ذلك الرجوع الى العراق والمطالبة بالبيعة فودعه الظاهر وسار معه حتى وصل الى الشام ثم فارقه فذهب الخليفة الى العراق فلما قرب منه بعساكره استقبله جماعة من التتار فاقتتلوا وقتل كثير من عساكره وتشتت من بقى منهم ولم يعلم له أثر بعد ذلك وقيل انه قتل وكان ذلك في المحرم سنة ٦٦٠ هـ

(الثاني الحاكم بأمر الله) (الاول)

(٦٦٠ ـ ٧٠٦)

وهو أبو العباس أحمد بن على كان قد اختفى وقت الفتنة وقدم حلب

فبايعه كثير من الناس ثامن المحرم سنة ٦٦٠ هـ ولما قصد المستنصر بغداد ووقعت الواقعة التي تقدم الكلام عليها وأخبره بها كاتب الحاكم الملك بيبرس فطلبه الى القاهرة فحضر ومعه ولده وجماعة من اتباعه فأكرمه الملك الظاهر وبايعه بالخلافة وطالت مدته وفي سنة ٦٩٩ هـ قصد (غازان) ابن أرغون بن ابقا بن هولا كو كبير التتار دمشق بجيش عظيم فخرج السلطان اليه وتقابلا على ثلاث فراسخ من حمص بواد حضر فيه واقعة قتل فيها أكثر من عشرة آلاف من التتار وظهرت علامات النصر على المسلمين أولا ثم انهزمت ميمنتهم فدخل التتار دمشق وعثوا فيها الفساد وبقي الحاكم بأمر الله الى أن توفي بمصر سنة ٧٠٦ هـ ودفن بجوار السيدة نفيسة رضي الله عنها وهو أول خليفة من العباسيين دفن بمصر

(الثالث المستكفي بأمر الله)

(٧٠٦ ـ ٧٤٢)

هو أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله بويع له بالخلافة بعهد من أبيه سنة ٧٠٦ هـ وعمره ١٧ سنة وخطب له على المنابر بمصر والشام وكان فاضلا كريما يحب العلم والعلماء ويعظم أهل الأدب ويقربهم الى مجلسه وبعد أن أقام في الخلافة احدى وثلاثين سنة حصلت فتنة بينه وبين الملك الناصر ترتب عليها خلع الخليفة ونفيه الى قوص (قرية من قرى صعيد مصر) واستمر بها الى أن مات سنة ٧٤٢ هـ

(الرابع الواثق بالله)

(٧٤٢ ـ ٧٤٣)

هو ابراهيم بن المستمسك بالله بايعه الناصر بعد موت المستكفي بأمر الله سنة ٧٤٢ هـ وكان قد عهد لولده أحمد فلم يلتفت السلطان لتنفيذ عهده

وبايع ابراهيم واستمر في الخلافة الى آن حضرت الوفاة السلطان الناصر فندم عند موته وعزل ابراهيم وجعل الخلافة لأحمد كما عهد والده فخلع ابراهيم في أول المحرم سنة ٧٤٣ هـ وكانت مدته نحو سنة

(الخامس الحاكم بأمر الله الثاني)

(٧٤٣ — ٧٥١)

هو أبو العباس أحمد بن المستكفي بويع له بالخلافة بعد خلع ابراهيم بايعه الناصر والقضاة والعلماء وأرباب الدولة فقوى دعائم الخلافة وسلك مسلك آبائه واستمر كذلك الى أن مات سنة ٧٥١ هـ

(السادس المعتضد بالله)

(٧٥١ — ٧٦٣)

هو أبو بكر بن المستكفي بويع له بالخلافة يوم موت أخيه بعهد منه وكانت سيرته حميدة وسار على نهج الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين

(السابع المتوكل على الله)

(٧٦٣ — ٧٧٩)

هو أبو عبد الله محمد بن المعتضد بويع له بعد موت أبيه بعهد منه وطال عمره حتى أعقب نحو مائة ولد وفي سنة ٧٧٣ حدثت العلامة الخضراء على عمائم الأشراف ليتميزوا بها وذلك بأمر السلطان الملك الأشرف شعبان ابن محمد بن قلاوون وفي هذه السنة كان ابتداء خروج تيمورلنك الأعرج الخبيث الذي خرب البلاد وأهلك العباد ثم خلع المتوكل على الله سنة ٧٧٩ هـ وبقي الى أن توفي بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ

(الثامن المعتصم بالله)

(٧٧٩)

وهو زكريا بن ابراهيم بويع له يوم خلع المتوكل سنة ٧٧٩ هـ وأقام نحو شهر وخلعوه ثم أعيد المتوكل بن المعتضد بالله بعد أن كان مخلوعا فأقام ست سنين وخلعه السلطان برقوق الجركسي ملك مصر سنة ٧٨٥ هـ

(التاسع الواثق بالله)

(٧٨٥ — ٧٨٨)

هو عمر بن ابراهيم بويع له بعد خلع المتوكل مرة ثانية فأقام ثلاث سنين وكان محمود السيرة وتوفي سنة ٧٨٨ هـ وأعيد الى الخلافة زكريا بن ابراهيم أعاده برقوق ثانيا وأقام نحو ثلاث سنين وتوفي سنة ٧٩١ هـ وأعيد المتوكل على الله بن المعتضد بالله بويع مرة ثالثة فأقام سبع عشرة سنة وتوفي سنة ٨٠٨ هـ وكان مجموع خلافته بما فيها من الخلع والحبس نحو ٤٥ سنة وخلف عشرة أولاد ذكور تولى بعده الخلافة منهم خمسة أولهم المستعين بالله

(العاشر المستعين بالله)

(٨٠٨ — ٨١٥)

هو أبو الفضل العباس بن المتوكل بويع له بالخلافة يوم موت أبيه المتوكل بعهد منه فأقام في الخلافة ست سنين ثم خلع ثم عاد وبقي ستة أشهر ثم خلع سنة ٨٥١ هـ وحبس بالأسكندرية وبقي بها الى أن مات وبويع بعده المعتضد وهو الثاني من أولاد المتوكل

(الحادي عشر المعتضد بالله)

(٨١٥ — ٨٤٥)

وهو أبو الفتح داود بن المتوكل بويع له يوم خلع أخيه فأقام في الخلافة

ثلاثين سنة وكان حميد السيرة ممدوح الخصال سمحا كريما يميل الى مجالسة العلماء وبلغ بمصر من التعظيم والتكريم ونفوذ الكلمة مالم يبلغه خليفة سواه فيها وتوفى سنة ٨٤٥ هـ واحتفل بجنازته سلطان مصر الملك الظاهر (جقمق العلائى) ومشى في جنازته على قدميه الى دفنه بالمشهد النفيسى وبويع بعده أخوه المستكفى بالله وهو الثالث من أولاد المتوكل

(الثانى عشر المستكفى بالله)

(٨٤٥ — ٨٥٥)

هو سليمان بن المتوكل بويع له يوم موت أخيه المعتضد فأقام عشر سنين وكان مدبرا عاقلا حتى نال من العز والشرف والرفعة فوق أخيه وتوفى سنة ٨٥٥ هجرية وحمل السلطان نعشه تعظيما له واجلالا وبويع بعده أخوه القائم بأمر الله وهو الرابع من بنى المتوكل

(الثالث عشر القائم بأمر الله)

(٨٥٥ — ٨٥٩)

وهو حمزة بن المتوكل بويع له يوم موت أخيه المستكفى فأقام أربع سنين وخلعه الملك الأشرف أينال سلطان مصر سنة ٨٥٩ هجرية وأرسله الى الاسكندرية محتجا بما أفتاه به الشافعية فى عصره من أن السلطان له أن يخلع الخليفة وبويع بعده أخوه المستنجد بالله وهو الخامس من بنى المتوكل

(الرابع عشر المستنجد بالله)

(٨٥٩ — ٨٨٤)

وهو يوسف بن المتوكل بويع له يوم خلع أخيه يوم الخميس الثالث من شهر رجب سنة ٨٥٩ هجرية وكان تقيا دينا ورعا وأقام في الخلافة ٢٥ سنة

وتوفي رحمه الله في ١٤ محرم سنة ٨٨٤ هجرية ودفن بقرافة السيدة نفيسة رضي الله عنها بجوار المشهد النفيسي وهو الخامس من بني المتوكل وتولى بعده المتوكل على الله

(الخامس عشر المتوكل على الله)

(٨٨٤ ــ ٩٠٣)

وهو أبو العز عبد العزيز بن يعقوب بويع له يوم الاثنين ١٦ محرم من سنة ٨٨٤ هجرية بعهد من عمه المستنجد بالله وكانت بيعته بحضرة السلطان (قايتباى) ملك مصر وكان محبوبا للخاص والعام لما اتصف به من مكارم الأخلاق وجميل الصفات ولم يزل يمثل الخلفاء الراشدين في كل أحواله الى أن توفي رحمه الله سلخ المحرم سنة ٩٠٣ هجرية وتولى بعده المستمسك بالله

(السادس عشر المستمسك بالله)

(٩٠٣ ــ ٩٢٠)

هو يعقوب بن عبد العزيز الملقب بالمستمسك بالله بويع له بعد موت أبيه وكان من خيرة بني العباس عقلا ودينا وتوفي بمصر سنة ٩٢٠ هجرية وأعقبه المتوكل على الله

(السابع عشر المتوكل على الله)

(٩٢٠ ــ ٩٤٥)

هو محمد بن يعقوب وهو آخر العباسيين بويع له بعد موت أبيه وبقي بمصر وله شأن معلوم ومقام رفيع الى أن حضر السلطان سليم مصر وافتتحها وعند رجوعه أخذه معه سنة ٩٢٢ هجرية وبقي عنده الى أن توفي السلطان ثم رجع الى مصر وأقام بها خليفة الى أن مات سنة ٩٤٥ وبموته

انقرضت الدولة العباسية ويقال انه تنازل للسلطان سليم في آخر حياته عن الخلافة وعلى كل حال فانه لم يعقب أحدا يستحق الخلافة ولم يكن هناك من هو أولى بها من آل عثمان في ذلك الحين فصار السلطان بعد موته هو الحاكم الديني والسياسي معا والحكم لله الواحد القهار فسبحان من لا يزول ملكه ولا يهن سلطانه

(سبب انقراض الدولة العباسية بعد ما كان لها
من العظمة والسلطان ما كان)

لما أراد الله تقويض بنيان هذه الدولة التي أخذت مأخذا عظيما في التقدم والفتوحات ووصلت فيها العلوم العقلية والنقلية الى درجة عالية قد صرف قلوب ملوكها عن حب العصبية العربية فاستبدلوا غالب الجيوش والأمراء والقواد الذين كانت لهم الدراية والشوكة بغيرهم من المماليك التتارية حتى أنه في زمن المعتصم بالله ثامن ملوكهم استعمل خمسين ألفا من هؤلاء الجنود التتارية للمحافظة على الثغور وصاروا يزيدون شيئا فشيئا ويتغلبون على الوظائف العالية حتى تولوا في أغلب الأقطار ولما قويت شوكتهم اتحدوا وخلعوا الطاعة كما بينا ذلك فتفرقت بذلك الدولة فابن طباطبا تغلب على اليمن وسيف الدولة تغلب على حلب وابن بويه تغلب على فارس وأحمد بن طولون تغلب على مصر وهكذا مازالت الدولة في اختلال وانقسام الى أن ظهرت الدولة السلجوقية وكان ذلك في خلافة القائم بأمر الله سنة ٤٢٣ هجرية ولم يتعرض لهم في مبدأ أمرهم حيث كان يمكنه قمعهم بل تركهم حتى صارت لهم قوة عظيمة وشوكة قوية ففتحوا مدينة بغداد في مدة خلافة المستعصم بالله بسبب ميل وزيره ابن العلقمي اليهم وسلوا سيوفهم فيها ٤٠ يوما ففر من فر وقتل من قتل وأسر من أسر وقتلوا

الخليفة وأولاده كما سبق بيانه وهذا الاضطراب الذى حصل كان سببا في زوال الدولة العباسية من بغداد ثم حضر خلفاؤها الى مصر وأقاموا بها ولكنهم لم يكن لهم فيها سوى الاسم كما تقدم وكانت الغلبة للماليك الحاكمين الى أن مات المتوكل على الله آخر خلفائهم وبموته انقرضت الدولة العباسية من جميع الارض بعد ما كان لها من عظيم الشأن وغلبة السلطان وشامخ البنيان ما كان سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

(دولة بني بويه بفارس وبغداد والعراق)

الذى أسس هذه الدولة هم على والحسن وأحمد أولاد بويه الديلمى الملقب بأبى شجاع وكان ابتداء أمرهم في خلافة القاهر العباسى سنة ٣٢١ هجرية (وأولهم عماد الدولة) على بن بويه ملك أصفهان والكرخ وأربجان وشيراز وغيرها من بلاد فارس وكتب الى الخليفة الطائع يخبره انه مطيع له وتحت لوائه فأرسل اليه عهد الولاية ولقبه أمير الامراء وكان على الهمة شجاعا جامعا لكثير من الصفات الحميدة ولم يزل قائما بالأمر أحسن قيام الى أن توفى بعد ١٧ سنة من حكمه

(الثانى ركن الدولة)

الحسن بن بويه ملك الرى وكازورون وطوغرستان وجرجان وغير ذلك من أعمال فارس وكان معروفا بالشجاعة وعلو الهمة ولم يزل ناشرا لواء العدل موصوفا بالحزم والفضل الى أن توفي بعد أن عمر نيفا وسبعين سنة وأقام فى الملك ٤٤ سنة

(الثالث فخر الدولة)

أحمد بن بويه سار سنة ٣٣٤ هجرية الى بغداد واستولى عليها وقابله

الخليفة المستكفي بالله فولاه الخراج وجباية الأموال ولقبه معز الدولة ولقب أخاه عليا عماد الدولة ولقب أخاه الحسن ركن الدولة وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم

(الرابع مؤيد الدولة)

بويه بن ركن الدولة ملك بعد أبيه أصفهان وأعمالها واستمر الى أن مات وعمره ٤٣ سنة ومدة حكمه ست سنين وأشهر

(الخامس مجد الدولة)

أبو طالب بن فخر الدولة تولى بعد أبيه وعمره أربع سنين والمرجع الى والدته واستمر الى أن خلع لعجزه عن تدبير شؤون ملكه وكانت مدته ٣٢ سنة وعدة أشهر

(السادس قوام الدولة)

أبو الفوارس بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة (فناخسرو) بن ركن الدولة بن بويه ولي بعد أخيه سلطان الدولة الآتي ذكره والبلاد كلها له ماعدا العراق واستمر واليا الى أن مات وكانت مدته ثلاث سنين

(ذكر من ولي منهم ببغداد والعراق)

(الأول معز الدولة)

أحمد بن بويه ملك الأهواز وتلك البلاد ثم ملك بغداد والعراق واستمر الى أن مات وكانت مدته بالأهواز وما أضيف اليها سبع سنين وشهورا وببغداد والعراق ٢١ سنة وأشهرا وتوفي سنة ٣٥٦ هجرية

(الثاني عز الدولة)

بختيار بن معز الدولة ملك بعد أبيه وأساء السيرة واشتغل باللهو واللعب ونفى كبار الديلم واستمر واليا الى أن قتل بعد أن حكم ١٠ سنين وأشهرا

وكان موته سنة ٣٦٦ هجرية

(الثالث عضد الدولة)

فنا خسرو بن ركن الدولة الحسن بن بويه ملك بلاد فارس بعد عمه عماد الدولة ثم ملك بغداد والعراق بعد عز الدولة وكان عاقلا فاضلا حسن السياسة والتدبير مهيبا محبا للعلم والعلماء واستمر الى أن مات بالصرع وعمره ٤٧ سنة وكانت مدته بفارس ٢٨ سنة وبالعراق خمس سنين وخمسة أشهر

(الرابع المرزبان بن صمصام الدولة بن عضد الدولة)

ملك بعد أبيه واستمر الى أن حبس وسملت عيناه ثم عاد الى الملك وهو أعمى واستمر الى أن قتل وعمره ٣٥ سنة وسبعة أشهر وكانت مدته تسع سنين

(الخامس شيرزيك شرف الدولة بن عضد الدولة)

ملك بعد أخيه واستمر الى أن مات وعمره ٢٨ سنة وكانت مدته بالعراق سنتين وثمانية أشهر

(السادس بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة)

ملك بعد أخيه واستمر الى أن مات وعمره ٤٣ سنة ومدته ٢٤ سنة

(السابع سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة)

ملك بعد أبيه واستمر الى أن مات وعمره ٢٢ سنة وأشهر وفي مدته ضعف أمر دولة الديلم ببغداد

(الثامن شرف الدولة أبو على بهاء الدولة)

ملك بعد أخيه العراق وكان عادلا حسن السيرة وقد أراد أن يسترجع قوة الملك فلم يقدر بل بقي آخذا في الضعف واستمر يجاهد فى ارجاعه الى أن مات وعمره ٤٣ سنة وأشهر وكانت مدته خمس سنين وشهرا

(التاسع جلال الدولة بن بهاء الدولة)

ملك بعد أخيه بغداد والعراق وفى مدته استفحل أمر المخالفين له والخارجين عليه وكثر النهب والسلب حتى نهبوا أغلب النواحي وقطعوا الطرق ولم يزل يجاهدهم ويجاهدونه الى أن مات سنة ٤٣٥ﻫ بعد أن حكم سبع عشرة سنة

(العاشر أبو كاريجار المرزبان بن سلطان الدولة)

ملك بعد عمه بغداد والعراق وغير ذلك من البلاد وهو الذى بنى سور شيراز وأحكم بناءه جعل طوله اثنى عشر ألف ذراع وارتفاعه ثمانية أذرع وجعل له أحد عشر بابا ولم يزل مجدا الى أن مات وعمره ٤٠ سنة

(الحادى عشر خسرو بن أبى كاريجار)

هذا الملك كان كثير الشفقة والرحمة ولذلك طلب من الخليفة أن يلقبه بالملك الرحيم فلقبه بذلك على كره ملك بعد أبيه ولم يزل يحكم بين الناس بالقسط الى أن قبض عليه السلطان طغرلبك السلجوقى بعد أن حكم ست سنين وبموته انقرضت دولتهم بالعراق سنة ٤٤٧ ﻫ

وهذه الدولة على فخامتها لم تفد الاسلام شيئا عظيما يخلد ذكرها على ممر الدهور ويحفظه لها التاريخ ماتعاقبت الأعوام والعصور سوى ما كان من بناء بعض المدارس وأنه نبغ فى عصرها ببغداد وفارس من العلماء والفضلاء من عاد نفعهم على المسلمين

(ذكر الملوك من بنى سبكتكين بغزنة)

كان ابتداء دولة هؤلاء الملوك سنة ٣٦٦ ﻫ

(وأولهم سبكتكين)

ملك غزنة وغيرها من البلاد وارتفع قدره وعلا شأنه وغزا بلاد الهند

وكان عادلا على الهمة كثير الخيرات والمبرات ولم يزل كذلك حتى مات بعد أن حكم ٢٠ سنة تقريبا وولى الحكم بعده ابنه

(الثانى اسمعيل بن سبكتكين)

ولى بعد أبيه بعهد منه ولم تطل مدته بل أنه قد حصلت فتنة بينه وبين أخيه محمود أدت الى القتال بينهما

(الثالث محمود بن سبكتكين)

ملك بعد أخيه اسماعيل ولقب بيمين الدولة وكان شجاعا قوى الهمة عالى النفس فيه كثير من صفات الخير واستولى على خراسان وغيرها وغزا بلاد الهند عدة مرات واستمر مثالا للمجد والكمال الى أن مات وكانت مدته ٣٣ سنة وشهرا واحدا وولى بعده ابنه

(الرابع محمد بن محمود بن سبكتكين)

ملك بعد أبيه بوصية منه واستمر فى ملكه الى أن قبض عليه أخوه مسعود الذى تولى بعده بعد حروب حصلت بينهما وكانت مدته نحو سنة

(الخامس مسعود بن محمود بن سبكتكين)

ولى بعد أخيه وكان كثير الصدقة والاحسان الى العلماء وكان مشهورا بجودة الخط معروفا بالذكاء والفطنة وحسن التدبير حتى خضعت له الرقاب وأطاعته الأعداء والأحباب واستمر فى ملكه الى أن قتل بعد أربعة أشهر من حكمه

(السادس مودود بن مسعود)

ملك بعد أبيه وسلك مسلكه في الحزم والتدبير وحسن السيرة فأطاعه جميع أهل دولته وبقى كذلك الى أن مات بعد أن عمر ٢٩ سنة وبقى فى ملكه نحو عشر سنين

(السابع عبد الرشيد بن محمود الملقب سيف الدولة)

ملك بعد ابن أخيه واستمر في ملكه الى أن قتل بعد ثلاث سنين من حكمه

(الثامن فرخزار بن مسعود)

ملك بعد عمه وكان مدبرا عاقلا وصفا له الوقت ولم يزل حاكما الى أن مات بعد ست سنين وأشهر

(التاسع ابراهيم بن مسعود الملقب بالمؤيد)

ملك بعد أخيه وأحسن السيرة وغزا الهند مرارا وفتح حصونا كثيرة وكان دينا حازما وطالت مدته نحو ثلاثين سنة ثم مات مأسوفا عليه من رعيته

(العاشر مسعود بن ابراهيم الملقب علاء الدين)

ملك بعد أبيه ونحا نحوه في حسن السيرة والتدبير ولم يزل كذلك الى أن مات بعد أن حكم ٢٦ سنة وشهورا وملك بعده ابنه

(الحادى عشر ارسلان شاه بن مسعود)

ملك بعد أبيه واستمر حاكما الى أن قتله أخوه الذي تولى بعده وعمره ٢٧ سنة ومدته ثلاث سنين وأشهر

(الثانى عشر بهرام شاه بن مسعود)

ملك بعد أخيه أرسلان شاه وكان هذا الملك حسن السيرة والتدبير قائما بالامر خير قيام ولذلك طالت مدته فحكم نحو ٣٦ سنة ثم مات وتولى بعده ابنه خسروشاه

(الثالث عشر خسروشاه بن بهرام شاه الملقب نظام الدين)

ملك بعد أبيه واستمر الى أن أخذ منه الملك وكانت مدته نحو سنتين وهو آخر ملوكهم وكان انقراض دولتهم سنة ٥٥٠ هـ ومدتهم ٢٠٣ من السنين

(ذكر بنى مرداس ملوك حلب)

ابتدأ أمر بنى مرداس ملوك حلب سنة ٤١٤ بعد الهجرة

(وأولهم صالح بن مرداس)

ملك حلب وبعلبك الى غانة واستمر الى أن قتل وكانت مدته ست سنين

(الثانى نصر بن صالح الملقب شبل الدولة)

ملك بعد أبيه واستمر الى أن قتل وكانت مدته نحو تسع سنين

(الثالث سمال بن صالح الملقب معز الدولة)

ملك بعد أخيه بنحو أربع سنين واستمر الى أن أزلوه قهرا بعد أن حكم ١٦ سنة

(الرابع محمود بن نصر)

ملك بعد عمه بنحو أربع سنين أيضا واستمر الى أن نزل عن الملك قهرا لعمه وكانت مدته ثمانية أشهر ثم عاد الى الأمر سمال بن صالح ثانيا بعد ابن أخيه واستمر الى أن مات بعد سنتين

(الخامس عطية بن صالح)

ملك بعد أخيه سمال بوصية منه واستمر الى أن أخرجه عنها محمود بن نصر الذى تولى بعده وكانت مدته تسعة أشهر ثم عاد للملك محمود بن نصر واستمر الى أن مات وكانت مدته الثانية ١٥ سنة

(السادس نصر بن محمود)

ملك بعد أبيه وكان مدمنا للخمر وقتل بعد أن حكم سنة وأشهرا ثم أعقبه أخوه

(السابع سابق بن محمود)

ملك بعد أخيه واستمر فى ملكه الى أن أخرج منه بعد ثلاث سنين وهو آخر هؤلاء الملوك وبه كان انقراض دولتهم سنة ٤٧٢ﻫ

(ذكر الملوك السلجوقية بخراسان وعراق العجم وبغداد
وغير ذلك على الترتيب)

كان ابتداء أمر هؤلاء الملوك سنة ٤٣٢ وأصلهم من التركستان والذى كوّن هذه الدولة في ابتداء أمرها رجلان أحدهما (طغرلبك) محمد والثانى (جغرى بك) داود ولدا ميكائيل بن سلجوق اعتنق جدهما سلجوق الدين الاسلامي وارتحل بمن تبعه من جنود الأتراك الى البلاد الاسلامية بما وراء النهر ولم يزل يختار جهة يأوى اليها لتكون له مأمنا هو ومن تبعه الى أن مات ثم ملك بعده ابنه ميكائيل قبل أن يستقر له قرار وآل أمر عشائرهما الى ولديه (طغرلبك) وداود فكان (طغرلبك) هو (أول ملوك هذه الدولة) وهو طغرلبك أبو طالب بن ميكائيل بن سلجوق ملك البلاد وأطاعه الناس واتسعت مملكته حتى أخذ نصف مايد بنى سبكتكين ومعظم مايـد بنى بويه وفى سنة ٧٤٧ امتدت سلطته الى بغداد فأخذها من الملك الرحيم آخر ملوك بنى بويه وخطب له فيها واستمر الى أن مات وعمره ٤٧ سنة وفي سنة ٤٥١ توفي داود أخو طغرلبك صاحب خراسان وخلفه على ملكها ابنه (ألب أرسلان)

(الثانى من ملوك هذه الدولة) ألب أرسلان واسمه محمد بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق ملك بعد عمه وأطاعه الناس وعظمت مملكته وتزوج ابنة الخليفة وكان حليما كريما عادلا لا يسمع السعايات رءوفا برعيته محسنا للفقراء وكان يكثر الصدقة في رمضان حتى قيل انه كان يتصدق فيه بخمسة عشر ألف دينار وكان يأخذ الخراج من الناس على دفعتين فى السنة رفقا بهم وكان يكتفى به دون سواه من الضرائب والمكوس وكان شديد العناية بكف جنده عن اغتيال أموال الناس بالباطل حتى انه قد بلغه مرة عن

بعض خواص مماليكه أنه سلب من بعض الناس ازارا فصلبه وجعله
عبرة لسواه فكيف الناس عن التعرض لأموال غيرهم وأخذها بالباطل
وكان وزيره نظام الملك يعمل للمصلحة العامة وله عنده منزلة رفيعة وقد
سعى به بعض الناس وشكوه اليه فأرسل له الشكاية وقال له ان كانوا
قد صدقوا فهذب أخلاقك وأصلح أحوالك وان كانوا قد كذبوا فاغفر لهم
زلتهم واشغلهم بمهم يشتغلون به عن السعاية بالناس ولم يزل معروفا بالعدل
والفضل تزعن له الملوك بالطاعة الى أن قتل سنة ٤٦٥ وكانت مدته
تسع سنين وستة أشهر

(الثالث) (ملك شاه) بن ألب أرسلان ملك بعد أبيه بوصية منه وبنى
الجامع ببغداد (المعروف بجامع السلطان) ووضع قبلته منجمه بهرام وجماعة
من علماء الفلك وبنى المصانع بطريق مكة وخطب له من حدود الصين
الى آخر الشام ومن أقصى بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن
وحملت له ملوك الروم الجزية واتسع ملكه ولم تعيه مطالب وكانت مدته
زهرة تاريخ ملوك هذه الدولة وفى سنة ٤٦٦ كتب الخليفة عهدا له
بالسلطنة وكانت أيامه من أحسن الأيام حيث عم فيها العدل وكثر الخير
وكان هذا الملك من أحسن الناس خلقا وخلقا واستمر في ملكه الى أن مات
سنة ٤٨٥ بعد ٢٠ سنة وسبعة أشهر من حكمه وتولى بعده ابنه محمود
ابن ملك شاه

(الرابع) محمود بن ملك شاه ملك بعد أبيه وعمره أربع سنين وشهور
وكان ملكه تدبره أمه وبعض وزراء أبيه واستمر كذلك الى أن توفي
بالجدرى بعد سنتين وأشهر من حكمه وتولى بعده (بركيازق) بن ملكشاه

(الخامس) بركيازق بن ملك شاه ملك بعد أخيه وحصل بينه وبين

أخيه محمد الذى تولى بعده عدة حروب ولقى شدائد كثيرة واستمر في منازعات بينه وبين أخيه حتى مات وعمره ٢٥ سنة بعد أن تولى ١٢ سنة وأربعة أشهر وكانت وفاته سنة ٤٩٨ وتولى الملك بعده أخوه محمد

(السادس) (محمد بن ملكشاه) تولى بعد أخيه واستقام له الأمر ببغداد وغيرها من البلاد وكان عادلا حسن السيرة ولقى شدائد كثيرة واستمر الى أن مات وعمره ٣٦ سنة وأربعة أشهر ومدته ١٢ سنة وأشهر وملك بعده ابنه محمود

(السابع) (محمود بن محمد بن ملكشاه) ملك بعد أبيه بعهد منه وهو مراهق وكان حليما عاقلا واستمر في ملكه محبوبا الى أن مات وعمره نحو ٢٨ سنة ومدته ١٣ سنة وأشهر وملك بعده ابنه داود

(الثامن) (داود بن محمد بن محمود بن ملكشاه) ملك بعد أبيه واستمر الى أن نزع الملك منه بعد سبعة أشهر من حكمه

(التاسع) (طغربيل بن محمد بن ملكشاه) ملك بعد ابن أخيه وكان خيرا عاقلا واستمر فى ملكه الى أن نازعه فيه أخوه وحصلت بينهما وقائع فهرب وكانت مدته سنتين وشهورا وتولى بعده أخوه مسعود الذى انتزع الملك منه

(العاشر) (مسعود بن محمد بن ملكشاه) ملك بعد أخيه وكان كريما عفيفا كثير المزاح حسن الأخلاق واستمر الى أن مات بعد ست عشرة سنة وشهور

(الحادى عشر) (محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه) ملك بعد عمه وكان كريما عاقلا محبا للخير واستمر الى أن مات وكانت مدته ست سنين وشهورا

(الثانى عشر) (سليمان بن محمد بن ملكشاه) ملك بعد ابن أخيه وكان

مدمنا للخمر محبا للهو ولذلك قبض عليه وحبس ثم قتل بعد سنتين من حكمه

(الثالث عشر) (أرسلان شاه) بن طغربيل بن محمد بن ملكشاه ملك بعد عمه واستمر في ملكه الى أن توفي بعد أن حكم ١٥ سنة وأشهرا

(الرابع عشر) (طغربيل) بن أرسلان شاه ملك بعد أبيه واستمر في حكمه الى أن قتل وكانت مدة حكمه سبع عشرة سنة وأشهرا وهو آخر الملوك السلجوقيين وانقراض دولتهم كان سنة ٥٩٠ وفى آخر أمرهم قد كثروا وتشتتوا فى البلاد وصاروا ممالك صغيرة فتفرقت قواهم ولم يزالوا في انقسام وانحلال الى أن انقرضوا

﴿ ذكر الملوك من بنى أتابك ملوك الموصل ﴾

كان ابتداء أمرهم سنة ٤٧٩

(أولهم) سيف الدين (غازى بن زنكى) كان كريما حسن الصورة والفعال واستمر الى أن مات وكانت مدته نحو ثلاث سنين وشهرين

(الثانى) قطب الدين (مودود بن زنكى) ملك بعد أخيه وكان من أحسن الناس سيرة وأجلهم فعلا واستمر الى أن مات وعمره ٤٠ سنة وكانت مدته احدى وعشرين سنة ونصفا

(الثالث) سيف الدين (غازى بن مودود) ملك بعد أبيه وكان عاقلا عادلا عفيفا واستمر الى أن مات بالشام وعمره نحو ثلاثين سنة وكانت مدته سنتين وثلاثة أشهر

(الرابع) عزالدين (مسعود بن مودود) ملك بعد أخيه وكان دينا خيرا كثير الاحسان واستمر الى أن مات وكانت مدته ثلاث عشرة سنة ونصفا

(الخامس) نور الدين (أرسلان شاه بن مسعود) ملك بعد أبيه وكان

شديد الهيبة عنده جزع وقلة صبر في أموره واستمر الى أن مات وكانت مدته نحو ثمان عشرة سنة

(السادس) عز الدين (مسعود بن أرسلان شاه) الملقب بالملك القاهر ملك بعد أبيه وعمره عشر سنين ومدبره بدر الدين لؤلؤ مملوك أبيه واستمر الى أن مات وكانت مدته سنة واحدة

(السابع) ناصر الدين (محمود بن مسعود) ملك بعد أخيه وعمره نحو ثلاث سنين وتوفي بعد مدة مختلف فيها وهو آخر من خطب له من بيت أتابك بالموصل والذى ذكرناه هو أشهر الدول التى تغلبت في زمن الدولة العباسية وكثير من الدول لم نذكره حيث كان غرضنا الوحيد انما هو تاريخ مصر ولذلك نرجع اليه ونتكلم على الدول التى تغلبت عليها في عهد الدولة العباسية الى أن استظلت بظل الراية العثمانية الوارفة الظلال فنقول

﴿ الدولة الطولونيه حكمت من سنة ٢٥٧ الى سنة ٢٩٢ ﴾

هذه الدولة هى أول دولة تغلبت على مصر وأصل ملوكها من عمال الدولة العباسية عليها ثم استقلوا بها كما استقل غيرهم من العمال وسبب تغلبهم على مصر أن طولون المنتسبة اليه (وهو مملوك تركستانى) كان قد أسر في احدى الوقائع الحربية وجيء به الى ابن أسد الصمامى عامل المأمون على بخارى فأرسله الى المأمون ضمن المماليك الذين أرسلهم اليه فأعجب المأمون تناسب أعضائه وقوة بنيته فألحقه بحاشيته ومازال يرقيه حتى جعله رئيس حرسه وقد ولد له ابن سماه أحمد ورباه في دار الخلافة تربية حسنة حتى اشتهر بالعلم والشجاعة والتقوى فأحبه كثير من العلماء ومال اليه كثير من الاتراك مثل (ياركورج) وكان أكبر حراس الخليفة فزوجه بابنته التى رزق منها بابنه العباس وكان المعتز بالله وهو الثالث عشر من خلفاء

الدولة العباسية الذى سبق الكلام عليه قد أقطع مصر وحدها سوى باقى الاعمال كالاسكندرية وبرقة وغيرها من المقاطعات أحد قواده المسمى (بابكيال) ولخدمته الصادقة تنازل له عن خراجها فكان يتصرف فيما زاد عن الرواتب والمصالح من الخراج في مصالح نفسه وكان (بابكيال) قد طلب من الخليفة أن ينيب عنه بمصر حيث أنه لا رغبة له في ترك بغداد محل نفوذه ومصالحه فأذن له الخليفة بذلك فاستخلف عليها أحمد بن طولون وجعله نائبا عنه فسار اليها وأقام بها الى أن خلع المعتز وتولى بعده المهتدى بالله فقتل بابكيال وأعطى مصر وملحقاتها الى (ياركورج) الذى هو صديق أحمد بن طولون وأبو زوجته فأبقاه عاملا من قبله على مصر وجميع ملحقاتها وبذلك قد عظم أمره وقويت شوكته ولم تزل تقوى الى أن أظهر الاستقلال ومنع الخراج عن الخليفة العباسى ودعا نفسه سلطانا سنة ٢٥٧ هـ وكان ذلك في عهد المعتمد بالله فكان أول من تسلطن بمصر من ولاة العباسيين وشرع في تحسين البلاد وجمع الأموال وأكثر من العساكر وآلات الحرب وأسس مدينة سماها القطائع الطولونية لانه أقطع رؤساء جيشه أرضها وقسمها بينهم وكلفهم أن يبنى كل واحد في أقطاعه فبنوا فيها مساكن رائقة وقصورا شاهقة وأكثروا فيها من الحمامات والمساجد ومحال التجارة والاسواق واتخذ بها ابن طولون ميدانا واسعا لجيشه وأسس فيه قصره وجعل فيه مقر سلطانه وبنى الجامع المعروف باسمه سنة ٢٦٣ وأسس مستشفى للمرضى وهو أول مستشفى أسس بمصر وأصلح مقياس النيل الذى بالروضة وأنشأ عدة سفن حربية تربو عن المائة ثم عصاه أهل برقة وأخرجوا أميرهم محمد بن أبى الفرج الفرغانى فبعث اليهم ابن طولون

جيشا تحت قيادة غلامه لؤلؤ فسار اليها ودخل المدينة وأساء كل من كان سببا في الفتنة ورجع الى مصر ثم سار بعد ذلك الى الشام واستخلف على مصر ابنــه العباس فلقيه ابن أماجور صاحب دمشق بالرملة مطيعا له فأقره عليها وملك حمص وحلب وانطاكيا وطرسوس وفي أثناء ذلك بلغه أن ولده العباس قد عصاه وجبى الاموال وأخذها وسار الى برقة مضادا له فلم يكترث بذلك وبقي الى أن تمم أعماله وحفظ بلاده التى افتتحها وعاد الى مصر وأرسل لابنه يلاطفه ويطلب منه الرجوع اليه فمنعه خوفه منه وأعانه من معه على الرحلة الى أفريقيه فساروا اليها ولم يزل به أبوه حتى أحضره هو ومن معه الى مصر وعاقب كل من كان سببا فى هذه الفتنة ثم ان نائبه (بطرسوس) عصاه فسار اليه وحاصر المدينة وضيق على أهلها حتى رجعوا لطاعته ثم تركها وعاد الى انطاكيا فمرض بها ومات سـنة ٢٧٠ هـ ونقلت جثته الى مصر فدفن بالمقطم وترك من الاولاد ثلاثين ١٣ ذكورا و١٧ أناثا

وتولى بعده ابنــه خماروية فبنى بالفسطاط محلا واسعا جمع فيه أصناف الحيوان وجعل لكل مسكنا وحوض ماء من رخام وكان مولعا بالخيل والصيد وزخرفة القصور ولم يزل فى لهوه حتى ثار عليه جماعة من القواد وقالوا لانرضى بك أميرا وآل بهم الأمر الى قتله ونهب مصر وحرقها ومن بعده ضعفت هــذه الدولة حيث أجلسوا ابنه هرون على كرسى الامارة بعده فقتله عماه ولدا أحمد بن طولون في خلافة المكتفى بالله وتولى أبو المغازى شيبان بعد قتل أخيه وفي مدته أرسل المكتفى بالله جيشا تحت قيادة محمد بن سليمان فدخل مصر واستولى عليها وقتل شيبان وبذلك انتهت الدولة الطولونية وكان ذلك في صفر سنة ٢٩٢ واعيدت مصر

لتصرف العباسيين ثانيا الى خلافة الراضى بالله

﴿ الدولة الاخشيدية من سنة ٣٢٣ الى سنة ٣٥٨ ﴾

لما تغلبت الدولة العباسية على مصر ثانيا صارت ترسل اليها عمالا من قبلها فكان من ضمن هؤلاء العمال محمد بن طغج الفرغانى التركى الملقب بالاخشيد أرسله الراضى اليها سنة ٣٢٣ فطمع هذا العامل فيها واستقل بأحكامها ومنع خراجها من الخلفاء ودعا نفسه سلطانا سنة ٣٢٣ ﻫ وذلك في خلافة الراضى بالله فأرسل لها الراضى جيشا تحت قيادة أبى الفتح بن جعفر لخلعه فوقع بينه وبين الأخشيد عدة وقائع انتهت بهزيمة أبي الفتح ومن ذلك الوقت ثبت قدم الأخشيد فيها وثبت في سلطنتها ثم قدم ابن رائق من العراق الى الشام وكان بها بدر بن عبد الله الاخشيد واليا فأخرجه ابن رائق منها وملكها وسار الى العريش يريد الديار المصرية فلقيه محمد ابن طغج الاخشيد وحاربه فانهزم الاخشيد واشتغل أصحاب ابن رائق بالنهب والسلب ونزلوا فى خيام أصحاب الاخشيد فخرج عليهم فريق من عساكره فأوقعوا بهم وهزموهم وأما ابن رائق فقد نجا ووصل الى دمشق مهزوما فسير اليه الاخشيد أخاه أبا نصر بن طغج في جيش عظيم فلما سمع بهم ابن رائق سار اليهم من دمشق وتقاتلوا فانهزم عسكر أبى نصر وقتل أبو نصر فأخذه ابن رائق وكفنه وحمله الى أخيه الاخشيد بمصر وأرسل معه ابنه مزاحما وكتب الى الاخشيد كتابا يعزيه في أخيه ويعتذر اليه ويحلف أنه ما أراد قتله وانه أرسل اليه ابنه ليفديه به ان شاء فتلقى الاخشيد مزاحما بالجميل وخلع عليه الخلع السنية ورده الى أبيه واصطلحا على أن تكون الرملة وماوراءها الى مصر للاخشيد وباقى الشام لمحمد بن رائق ويحمل اليه الاخشيد عن الرملة كل سنة مائة ألف

دينار وبقي الامر على ذلك حتى قتل ابن رائق فسار الاخشيد واستولى على الشام وضمها الى مصر ثم مات بدمشق ودفن بيت المقدس سنة ٣٣٥ هـ في خلافة المتقي بالله

وتولى بعده ابنه القاسم وكان صغيرا فوسد الامر الى كافور الحبشي خادم أبيه الى أن مات القاسم في خلافة المطيع لله

وتولى بعده على مصر أخوه أبو الحسن على ولم يزل القول لكافور فأقام خمس سنين ثم تولى كافور بعدهما وأقام سنتين ومات فتولى بعده أبو الفوارس أحمد بن على بن الاخشيد فأقام سنة واحدة الى أن جاء جوهر القائد وانتزعها منه وكان زوال دولتهم سنة ٣٥٨ ثم تولت الدولة الفاطمية

الدولة الفاطمية

أصل ملوك هذه الدولة من بلاد المغرب وينسبون الى السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابتداء أمرهم بالمغرب سنة ٢٩٧ هـ وانقراضها بمصر سنة ٥٦٧ هـ وعدد خلفائها أربعة عشر حكم منهم ثلاثة ببلاد المغرب وأحد عشر بمصر والشام وأول من ملك منهم بالمغرب عبيد الله الشيعي وكان في الشام ينادي بالناس أن الحق في الخلافة لنسل اسماعيل الذي هو حفيد فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فأراد الخليفة المكتفي بالله القبض عليه فهرب الى الحجاز واجتمع هناك على بعض الحجاج من أهل المغرب ورافقهم عند عودتهم الى مصر ولما رأوا فيه أنه ذو ذكاء ألحوا عليه بالسفر معهم الى المغرب فقبل دعوتهم وسافر معهم وكانت مدة وجوده في المغرب ينتقل من محل الى آخر خوفا من المكتفي وأخيرا قبض عليه وسجن في (سجلماسه) من بلاد المغرب الاقصى وعند حصول الفتنة على آخر ملوك بني أغلب وانقراض دولتهم فتح

أبواب السجون وأطلق كل من كان فيها لسبب سياسي فخرج عبيدالله من حبسه وجمل له شهرة عظيمة في تلك النواحي وبعد قليل استمال اليه أهل تلك البلاد وتولى أمرهم وتلقب بالمهدى وأخضع أمراء افريقية الشمالية الذين نبذوا طاعة العباسيين وامتدت سلطنته من المحيط الاقيانوسى الى الاطلانطيق الى حدود مصر وجعل مقامه فى مدينة (رقادة) بالقرب من القيروان ولما استقر له الملك شرع في بناء مدينة سماها المهدية نسبة اليه على نحو مائة ميل من تونس وجعلها محلا له ولاعقابه من بعده وهى على شاطئ بحر الروم وانشأ بالقرب منها محلا لانشاء السفن وبنى فيها الدور والقصور ودون الدواوين وبعث العمال الى البلاد ونبذ طاعة العباسيين ولقب نفسه بالخليفة وأمير المؤمنين وكانت سفنه الحربية تغزو شواطئ ايطاليا وسيسيليا وغزا بلاد مصر ولم يتم له فتحها ثم مات منتصف ربيع الاول سنة ٣٢٢ ﻫ بعد أن حكم ٢٤ سنة وشهرا

وقام بالأمر بعده ابنه أبو القاسم محمد القائم بأمر الله بويع له سنة ٣٢٢ ﻫ وفي أيامه ظهر أبو يزيد وادعى النبوة وهو عبد حبشي وتبعه كثير من أهل المغرب حتى عظم أمره وحارب القائم بأمر الله واستولى على جزء من ممالكه وحاصره في المهدية وباشر حصارها فمات القائم في شوال سنة ٣٣٤ بعد أن حكم ١٢ سنة ونصفا

وخلفه على الملك ابنه اسماعيل المنصور سنة ٣٣٥ ﻫ

وكانت المملكة فى اضطراب عظيم فقام بهمته وحسن تدبيره واسترد ما كان قد أخذ من جده من الممالك وهزم أبا يزيد شر هزيمة فاستقام له الامر ورجعت سلطة خلفاء بنى عبيد الله ومهد السبيل لفتح مصر ثم مات سنة ٣٤١ وخلفه ابنه المعز لدين الله وتولى بعد وفاة أبيه

وكان المعز لدين الله من أعظم ملوك هـذه الدولة وأشدهم بأسا وهو الذى استولى على مصر وأسس بها الدولة الفاطمية وسبب استيلائه عليها أنه لما كتب له أعيانها فى التملك عليها فى خلافة أحمد بن على الاخشيد نظرا لكثرة المظالم والاضطرابات الحاصلة فيها أرسل اليها جوهرا الصقلى قائد الجيوش الفاطمية وانتهز جوهر فرصة الشقاق الذى كان بين الامراء الاخشيديين واستعد لفتح مصر فقدم مصر وفتح له أهالى الفسطاط أبوابها فتملك المدينة في شهر رمضان سنة ٣٥٨ هـ وأقام الخطبة للخليفة المعز في جامع عمرو ونزل على جامع ابن طولون وأمر المؤذن أن يؤذن بقوله حى على خير العمل وهو أول أذان للشيعة بمصر ولما تم له فتح مصر بلا قتال واستقر بها سير جعفر بن فلاح الكتامى الى الشام مع جيش عظيم فاغار عليها وأقيمت الدعوة بها للمعز فاتسعت حينئذ دائرة الدولة الفاطمية وعظمت شوكتها ولما استتبت الراحة والامن بأرض مصر شرع في تشييد مدينة جديدة سماها القاهرة (لانه وضع أساسها عنـد توسط المريخ المعروف عند العرب بالقاهر) وذلك سنة ٣٥٩ هـ وبنى بها دورا وقصورا وبنى في وسطها قصرين لسكن المعز ثم كتب الى المعز يخبره بذلك ويدعوه الى المسير اليـه ففرح المعز وسار الى الديار المصرية بعد مااستعمل على بلاد المغرب عمالا وجمع أمواله وأمتعته وحملها على الابل وسار الى طرابلس ومنها الى برقة ثم الى الاسكندرية ومنها الى القاهرة فدخلها في رمضان سنة ٣٦٢ هـ وسكنها بجميع أولاده وأهله وجعل جوهرا وزيرا له وأسس الجامع الازهر الشريف في سنة ٣٥٩ وأتمه سنة ٣٦١ وبقى محلا معتبرا لتدريس العلوم العقلية والنقلية مع اقامة الجمعة والجماعة فيه ثم جدده الحاكم بأمر الله وجعل له أوقافا ثم جدده المستنصر

ثم الحافظ وبنى فيه مقصورة بجوار الباب الغربي الذى في مقدم الجامع ثم جدده الظاهر وهكذا مازالت تعتنى بتجديده الملوك والولاة معمورة بالعبادة وتدريس كثير من الفنون الدينية وغيرها الى أن اعتنى به اعتناء كثيرا خديو مصر الحالى ﴿عباس حلمى باشا﴾ وبنى به الرواق العباسي المنسوب اليـه وأزال ما حوله من الحوانيت ولم يزل يعتنى بتجديده وتنظيمه وادخال كثير من العلوم التى كانت قد أهملت دراستها فيه كما أنه حفظه الله زاد في رواتب العلماء ولم يزل يلاحظهم بعين عنايته وحسن رعايته أطال الله أيامه وأمده بالنصر والتوفيق الى أقوم طريق وقد حول المعز مقر الدولة من القطائع وجعله فى مصر القاهرة ولما انتظم له الأمر سـير جيشا عظيما مع جعفر بن فلاح الى الشام فبلغ الرملة وملكها ثم سار الى طبرية فوجد أهلها قد أقاموا الدعوة للمعز قبل وصوله وكفى الله المؤمنين القتال ثم سار الى دمشق وملكها بعد حرب وخطب فيها للمعز وانقطعت خطبة العباسيين ولما حضر المعز سكن بالقصرين وادعى الخلافة لنفسه دون العباسيين وكان دخوله القاهرة في رمضان سنة ٣٦٢ هـ وأقام بها الى أن مات في سنة ٣٩٥ وعمره ٤٥ سنة ومـدة خلافته ٢٣ سـنة منها سنتان وسـتة أشهر بمصر والباقى ببلاد الغرب

وتولى بعده ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار واستقر بالملك من سنة ٣٦٨ الى سنة ٣٨٦ وكان عادلا عاقلا فاستقامت أمور الدولة في عصره وافتتح بعض مدن سوريا وكان العزيز مولعا بالصيد ومات ببلبيس سـنة ٣٨٦ بعد أن حكم احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر

وتولى بعده ابنـه الحاكم بأمر الله وكان جبارا عنيدا لم يل مصر

بعد فرعون شرا منه حاول أن يدعي الألوهية كما ادعاها فرعون فأمر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر أن يقوموا له اجلالا واحتراما فكان ذلك في سائر ممالكه حتى الحرمين الشريفين وكان فاسقا منهمكا في اللذات ظالما سفاكا للدماء لاتأخذه رحمة في أحد ومن شدة مضايقته للناس كثرعدد الثورات في القاهرة في عصره واضطهد اليهود والنصارى وأحرق معابدهم وبأمره هدمت كنيسة القمامة فى القدس سنة ١٠٠٩ ميلادية وتسبب عن اضطهاده للنصارى أنهم استعانوا بأهل أوروبا فكان ذلك من الاسباب التى دعت الى الحروب الصليبية وكان له خرافات كثيرة واعتقادات غريبة حتى أنه كان يدعي أنه صورة الله على الارض الى غير ذلك من خرافاته وأراد من عتهه يوما أن يفعل الفاحشة بأخته فعملت على قتله فركب ليلة الى الجبل المقطم لينظر في النجوم كعادته فأتاه عبدان فقتلاه بايعاذها بالقرب من حلوان وحملاه الى دار الخلافة ليلا فدفنته في دارها سنة ٤١١ هجرية وهو الذى بنى الجامع المعروف الآن بجامع الحاكم بالقاهرة وأراد تحويل الطلبة من الازهر اليه فلم تنجح مساعيه وتولى بعده ابنه الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن على سنة ٤٢٢ هـ ولم يكن جبارا كابيه ولكنه كان منهمكا في اللذات عاكفا على الملاهى فترك الاحكام الى الوزراء فابتدأت الدولة في الانحطاط ولم يبق للخلفاء منهم الاجاه الابهة والملك فاحتجبوا عن الناس فزادت سلطة الوزراء حتى لم يبق للخليفة منهم أن يعزل الوزير وفي أيام الظاهر هذا حدثت مجاعة شديدة بمصر ولم يزل غارقا في بحار شهواته الى أن مات سنة ٤٢٧ هـ وتولى بعده المستنصر

الثامن المستنصر بالله معد بن الظاهر

تولى بعد أبيه سنة ٤٢٧ هـ وله من العمر سبع سنين وفي أيامه افتتح الاتراك السلجوقية بلاد الشام وفلسطين واستولوا على دمشق وبيت المقدس ومن ثم زحفوا على بلاد مصر قصد افتتاحها ولكنهم رجعوا خائبين وطالت مدته وكثر فيها الفساد والقحط والوباء والفتن حتى رأى شدائد كثيرة وبقي في ملكه الى أن مات سنة ٤٨٧ هـ فكانت خلافته ٦٠ سنة وتولى بعده ابنه المستعلي بالله

(التاسع) من ملوكهم المستعلي بالله وهو أبو القاسم أحمد بن الظاهر تولى الملك سنة ٤٨٧ هـ وكان المدبر للدولة في ذلك الوقت هو الوزير الافضل وهو الذى ولى المستعلي على الملك

وفي سنة ٤٩١ دخل الصليبيون آسيا الصغرى فاجتمع أمراء السلجوقية لمقاومتهم على الصليبيين وزحف الوزير الأفضل على القدس وافتتحها عنوة واستولى عليها سنة ٤٩٢ وطرد السلجوقية منها بعد أن تملكوها عشرين سنة وبعد ذلك بسنة واحدة تغلب الصليبيون على بيت المقدس فجمع الوزير الأفضل جيشا عرمرما لقصد استرجاعها منهم فلم يستطع ثم مات المستعلي بعد ذلك بسنتين سنة ٤٩٥ وصار الأفضل وصيا على ابنه المنصور حيث كان صغير السن ولقب بالآمر بأحكام الله

(العاشر) الآمر بأحكام الله تولى سنة ٤٩٥ هـ بعد موت أبيه المستعلي وفي مدته تغلب الصليبيون على عكا وطرابلس الشام وغيرهما من الجهات البحرية وحاولوا الهجوم على مصر وساروا تحت قيادة بدوين الاول ملك القدس حتى وصلوا الى مدينة الفرما وبينما هو كذلك اذ اعتراه مرض فمات بالعريش

وفي مدة الآمر بأحكام الله نشأت الطائفة المعروفة بالباطنية وبالاسماعيلية نسبة الى زعيمهم اسماعيل الذى كان يترصد أى فرصة للنهب والسلب فلما رأى الدول القوية مشتغلة بالحرب وضع يده على بعض البلاد المجاورة لدمشق وبنى حصونا وأرسل الى ولاة المسيحيين وخلفاء الاسلام أن يدفعوا له جزية سنوية والافتك بهم وكان له حيل غريبة في الفتك بطرق سرية بواسطة دعاة من أتباعه وفي سنة ٥٢٤ سعى فى قتل الآمر بأحكام الله فأرسل اليه من قتله في ذى القعدة من سنة ٥٢٤ وهو غريق في بحار شهواته ولذاته وكانت مدة خلافته ٢٩ سنة وخمسة أشهر وخلفه ابن عمه الحافظ لدين الله

(الحادى عشر) الحافظ لدين الله وهو عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ولى الخلافة سنة ٥٢٤ واستوزر أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش فغلبه على أمره وقبض عليه واستقل بالامر وقام به أحسن قيام وما زال كذلك الى أن قتل في المحرم سنة ٥٢٦ بايعاذ الحافظ وتدبيره وبمجرد قتله أخرج الجنود الحافظ وبايعوه وعادت الدعوة له على المنابر ثم توفي الحافظ في جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ ومدة خلافته ١٩ سنة وسبعة أشهر ثم أعقبه في الملك الظافر بأعداء الله

(الثانى عشر) الظافر بأعداء الله اسماعيل بن الحافظ ولى سنة ٥٤٤ وكان منهمكا في اللذات غريقا فى بحار الشهوات فشق ذلك على وزيره العباس وكان يأنس بابنه نصر فأوعز اليه بقتله فقتله سرا وكان ذلك في منتصف المحرم سنة ٥٤٩ وتولى بعده ابنه الفائز

(الثالث عشر) الفائز بنصر الله عيسى بن الظافر ولى سنة ٥٤٩ وفى مدته زاد انحطاط هذه الدولة الذى ابتدأ فى مدة الثلاثة الذين قبله

وحكم الفائز بنصر الله ست سنين وفي مدته مات عباس الوزير وبعد ذلك بقليل مات الخليفة أيضا وكان قد تولى الوزارة بعد عباس طلائع بن رزيك وتولى الخلافة العاضد وهو آخر هؤلاء الخلفاء

(الرابع عشر) العاضد لدين الله وهو عبدالله بن يوسف بن الحافظ تولى سنة ٥٥٥ وفي مدته حضر الفرنج الى مصر فلم يقـدر على دفعهم لسوء تدبير وزيره شاور فاستغاث العاضد بنور الدين زنكي ملك الشام وكان في ذلك الوقت بحلب فأرسل اليه جيشا عظيما تحت قيادة أسد الدين شيركوه ومعه صلاح الدين يوسف المشهور بالقوة والشهامة وحسن التدبير ولما رأى الافرنج ذلك رحلوا الى بلادهم ودخل أسد الدين مصر ونودى للناس بالرجوع الى المدينة وذلك سـنة ٥٦٤ هـ ومات العاضد بعد ذلك سـنة ٥٦٧ هـ وبموته انتهت الدولة الفاطمية وآل الحكم للدولة الايوبية

الدولة الايوبية

هذه الدولة حكمت بمصر سنة ٥٦٧ ومدة حكمها ٨١ سنة وعدد ملوكها ثمانية رجال وأصلهم من الاكراد الذين كانوا في خدمة السلطان نور الدين زنكي ملك الشام وكان قد أرسلهم الى مصر لما استغاث به العاضد وكان قائدهم أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف الايوبي ولما سمعت الافرنج بمجيئهم ارتحلوا عن الديار المصرية وقبض أسد الدين على شاور الوزير الذى أشار بحرق المدينة (مصر القديمة والقطائع) وصلب باذن العاضد فخلع العاضد على أسد الدين الوزارة فلم يلبس أن مات بعد شهرين فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين يوسف الايوبي وقلده الامور فلقبه بالملك الناصر فبذل لله همته وأعمل حيلته وأخذ في اظهار

السنة واخفاء البدعة فثقل أمره على الخليفه فأبطن له فتنه كانت غايتها ظهور أمر صلاح الدين حتى ضيق على الخليفة وحبس أقاربه وقتل أعيان دولته واستولى على مافي القصور من الاموال والذخائر التي استمر البيع فيها عشر سنين سوى مااصطفاه صلاح الدين لنفسه وخطب للمستضئ العباسي بمصر وسير البشارة بذلك الى بغداد فمات العاضد قهرا بعد أن حكم ١٤ سنة وكان ذلك سنة ٥٦٧ هـ كما سبق وتم الامر للملك الناصر صلاح الدين

(الاول) من ملوك الدولة الايوبية الملك صلاح الدين يوسف الايوبي كانت ولايته على مصر سنة ٥٦٧ هـ ولما تم له الامر أظهر السنة وأخفى البدعة وطهر الأقاليم من التشيع وكان هذا الملك شجاعا عاقلا كريما مدبرا حسن الاخلاق صبورا على الشدائد وفتوحاته الكثيرة تدل على ذلك قد عمر المساجد والمدارس التي خربتها يد العدوان حين دخول الافرنج البلاد وهدم كل ماصنعوه من الكنائس سوى كنيسة القمامة اقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخذ في استخلاص ماتغلب عليه الافرنج من السواحل وبيت المقدس وسار حتى فتح أغلب بلاد الشام وفتح فتوحات كثيرة سواها فاتسع ملكه الى أقصى بلاد الهند واليمن ومن طرابلس الغرب الى النوبة وهو الذي أنشأ قلعة الجبل وسور القاهرة العظيم وكان المشرف على عماراته بهاء الدين قراقوش ولم يزل معروفا بالعدل موصوفا بالشهامة والفضل وكثرة الخيرات والعمارات الى أن مات بقلعة دمشق سنة ٥٨٩ ودفن بشمال الجامع الاموي ومدة خلافته ٢٢ سنة وعمره ٥٧ سنة رحمه الله رحمة واسعة

(الثاني) العزيز عماد الدين تولى بعد أبيه صلاح الدين وكان ملكا

عادلا محبا للعلم والعلماء كثير الخيرات واسع الكرم محسنا الى الناس معتقدا فى أرباب الخير والصلاح غير أنه كان ضعيف الرأى ولذا أشار عليه بعض الناس بهدم الاهرام وأغراه أن بها ذخائر كثيرة فأرسل عمالا واستمر على هدمها مدة ستة عشر شهرا فكانوا لايهدمون في اليوم الواحد أكثر من أربعة أحجار وبعد أن صرف على هذا العمل أموالا كثيرة تركه ورجع صفر اليدين ولم ينل شيئا ولما قبض على زمام المملكة حصلت حروب بينه وبين أخيه الملك الافضل لفتنة حصلت بينهما فاستولى فيها على دمشق وفى سنة ٥٩٤ هـ منع ما كان يحصل فى موسم خليج القاهرة وكان الناس قد اعتادوا ذلك من مدة مديدة فعظم الامر عليهم وحصل الاضطراب والهرج حتى هموا بخلعه والخروج عن طاعته لولا ما بلغهم من مرض موته ولم يزل كذلك حتى مات سنة ٥٩٥ هـ وكانت مدته نحو ست سنين ودفن بتربة الامام الشافعى رضى الله عنه وأعقبه ابنه المنصور

(الثالث) المنصور تولى بعد موت أبيه سنة ٥٩٥ هـ وفي مدته اشتدت الفتن لانه تولى الملك وعمره ثمان سنين وكان القائم بأمور الدولة في عهده بهاء الدين قراقوش الأسدى الأتابكى (عبد خصى) فاختلف عليه الأمراء وكاتبوا عمه الملك الافضل فقدم من (صرخد) واستولى على مهام الامور فلم يبق للمنصور معه سوى الاسم وأراد الافضل أخذ دمشق من عمه الملك العادل فجهز الجيوش اليها وحصلت بينهما حروب كانت غايتها هزيمة الافضل فدخل العادل مصر وأعاد الأفضل الى (صرخد) وقام بكفالة المنصور ثم خلعه بعد ذلك سنة ٥٩٦ وحبسه بالقلعة حتى مات وانفرد بسلطنة مصر والشام

(الرابع) الملك العادل تولى بعد خلع الملك المنصور سنة ٥٩٦ وعظم أمره حتى
جعل جميع من بقي من الحكام الايوبيين تحت رايته فعادت مملكة مصر كما
كانت عليه في مدة الملك صلاح الدين وفي سنة ٥٩٨ أرسل ابنه أبا
الفتح موسى الملقب بالملك الاشرف الى الرها فتملكها وتملك أيضا على
حوران ولم يزل يفتح في بلاد الشام حتى استولى على معظمها وفي
سنة ٦١٥ جاء الافرنج الى مصر وحاصروا دمياط في رابع ربيع الاول
منها وبعد حصارها ستة أشهر وأياما ملكوها ثم اجتمعت عساكر الشام
وغيرها عند الكامل بن العادل وحاربوا الافرنج وكانوا قد تحصنوا بدمياط
بعد أن ملكوها وبعد ذلك اضطروا لتسليمها في التاسع من رجب سنة ٦١٨
لما شدد عليهم الحصار وبقي العادل يفتح في البلاد ويقهر الاعداء بصبره
وجسارته حتى مات سنة ٦١٥ وكانت مدة ملكه بدمشق ٢٣ سنة
وبمصر ١٩ سنة وكان ميمون الطالع منصورا في مغازيه حسن الحظ
حتى أنه رزق أولادا لم يخلف مثلهم أحد من الملوك

(الخامس) الملك الكامل تولى بعد أبيه العادل ولما تم له الامر شرع في
تتميم بناء قلعة الجبل وأنشأ بها الدار السلطانية فى أثناء نيابته عن أبيه
سنة ٦١٥ ولما مات أبوه انتقل من دار الوزارة الكبرى بالدرب الاصفر
اليها وجعلها مسكنا له فهو أول من سكنها من الملوك ومن ذلك الوقت أخذ
الناس فى تعمير ماحولهـا من الدرب الاحمر والمحجر وجهة القطائع
والصليبة بعد أن كان بعض تلك الجهات بساتين وبعضها مقابر وبنى القبة
التي على ضريح الامام الشافعي وأنشأ في القاهرة المدرسة الكاملية التي
كانت تعرف بعد ذلك بدار الحديث ورتب لها أوقافا وكان محبا للسنة
مبيدا للبدعة وكان يبيت عنده كل ليلة جمعة جماعة من الفضلاء يباحثهم

ويسائلهم عن كل أمر أشكل عليه وهو بينهم كأحدهم وبنى مدينة المنصورة وحارب الافرنج واسترد منهم دمياط سنة ٦١٨ ولم يزل مجدا في أعماله ساعيا في الخير لاهل مملكته الى أن مات بدمشق سنة ٦٣٥ وكانت مدته في الملك ٢٠ سنة

(السادس) سيف الدين الملقب بالعادل لما مات الكامل قام بالامر بعده ابنه أبو بكر سيف الدين ولقب بالملك العادل الاصغر ولما جلس على سرير الملك وقع بينه وبين أخيه الملك الصالح نجم الدين منازعات انتهت بخنقه بيد الامراء لاستيائهم منه لكونه كان عاكفا على اللهو والطرب غريقا في بحار الشهوات وكان موته سنة ٦٣٧ ودفن عند الامام الشافعي رضي الله عنه وأعقبه على سرير الملك أخوه الملك الصالح

(السابع) الملك الصالح تولى بعد موت أخيه سيف الدين العادل الاصغر وفي أيامه حضر الافرنج وملكوا دمياط فاستمر يحاربهم أربعة عشر شهرا وكان القائد لهم لويز التاسع ملك فرنسا وهو المعروف عند مؤرخي الاسلام باسم افرنسيس وكان الملك الصالح مريضا فاستمر يحاربهم الى أن مات والحرب قائمة بعد أن حكم سنة وشهورا فأخفت زوجته شجرة الدر موته ودبرت الامور وأمضت بامضائه حتى حضر ابنه توران شاه

(الثامن) توران شاه ملك بعد أبيه وكان عند موت أبيه غائبا بحصن كيفا بديار بكر فحارب الفرنج وأسر ملكهم لويز التاسع في واقعة فارسكور وسجنه بالمنصورة بمحل يعرف بدار اقمان ووكل بحفظه خصيا يقال له صبيح وبقي أسيرا الى ولاية شجرة الدر وقتل توران شاه المذكور بعد أن حكم شهرين وقلدت شجرة الدر الملك

(شجرة الدر) امرأة الملك الصالح وكانت حسنة السياسة والتدبير فأطلقت لويز التاسع ملك فرنسا الذى كان قد أسره توران شاه واشترطت عليه أن يسلم لها دمياط ويعطى للمسلمين مالا عوضا عما نهب منهم ويطلق ماعنده من أسرى المسلمين فقبل ذلك كله بعد أن أقامت يدهم دمياط أحد عشر شهرا ثم تزوجت بنائبها عز الدين ايبك التركمانى فاتفق الامراء على أن يتسلطن الملك الاشرف موسى بن الملك الصالح ويشركوا معه اسم شجرة الدر وذلك سنة ٦٤٨ فخلعت شجرة الدر نفسها بعد ثلاثة أشهر ومن ذلك الوقت عظم أمر المماليك البحرية وتسلطنوا على الديار المصرية وكانوا ألف مملوك قد اصطفاهم الملك الصالح لنفسه واشتراهم بماله واتخذ منهم جندا وبنى لهم قلعة الروضة وأسكنهم بها وجعل لهم سفنا في البحر فيها ذخائر وآلات حربية وما يحتاجون اليه وسماهم البحرية وبخلع شجرة الدر نفسها قد انتهت الدولة الأيوبية

والحقيقة أن الدولة الايوبية قد انتهت بقتل المماليك للملك المعظم توران شاه سنة ٦٤٨ هـ وهو آخر ملك أيوبى فتكون مدة حكم الدولة الايوبية ٨١ سنة من سنة ٥٦٧ هـ الى سنة ٦٤٨ هـ

(دولة المماليك البحرية)

حكمت هذه الدولة سنة ٦٤٨ هـ وعدد ملوكها ٢٤ ملكا ومدة حكمهم ١٣٦ سنة

(وأولهم) الملك عز الدين ايبك وسبب استيلائه على مصر هو أن الاشرف موسى كان صغيرا وبلغ أهل مصر قدوم التتار

فأجمعوا على اقامته منفردا فدبر المملكة أحسن تدبير ولما صفاله الوقت وتمكن من الدولة خطب بنت صاحب الموصل فسمعت بذلك زوجته شجرة الدر فتغيرت عليه فلما رأى ذلك منها عزم على قتلها فبلغها ذلك فخافت على نفسها فاتفقت مع محسن أغا الجوهري على قتله فقتلوه في الحمام فلما بلغ مماليكه الخبر دخلوا على شجرة الدر ليقتلوها فقابلتهم زوجة أخرى له كانت أم ولد فقتلوها ظانين أنها شجرة الدر وكان عز الدين ملكا شجاعا مهيبا ومدة حكمه سبع سنين وتولى بعده ابنه الملك المظفر

(الثاني) الملك المظفر نور الدين علي بن عز الدين ايبك تولى الملك بعد موت أبيه سنة ٦٥٥ هـ وكان سنه عشر سنين وجعل الاميرسيف الدين قوتوز نائبا عنه وفي أيامه أخذت التتار بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم كما تقدم وزحفوا على الشام فلما علم بذلك قوتوز قبض على الملك ووالدته واخوته باستشارة الامراء فخلع الملك نفسه بعد أن حكم سنتين واستولى على الملك نائبه قوتوز ولقب بالملك المظفر وحارب التتار بالشام وانتصر عليهم وفي أثناء رجوعه الى الديار المصرية قتله ركن الدولة بيبرس البندقداري واستولى على ملك مصر في أواخر سنة ٦٥٨ هـ ولقب بالظاهر وهو من أشهر ملوك هذه الدولة

(الثالث) الملك بيبرس البندقداري هذا الملك تولى سنة ٦٥٨ هـ وحصلت في زمنه الفتوحات العظيمة وأصله تركي اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب واعتقه ولا زالت الاقدار تساعده حتى وصل الى ماوصل اليه وتربع في دست الملك وكان شجاعا يغزو بنفسه وله مع التتار وقائع كثيرة ومع الفرنج كذلك وفتح بلاد النوبة ودنقلة وجدد عمارة الجامع

الازهر بعد أن تطرق اليه الخراب وانقطعت منه الخطبة مدة طويلة فأعادها فيه وله خيرات كثيرة وأوقاف شتى وبنى الجامع الكبير المعروف باسمه الى الآن وأكمل عمارة المسجد النبوى من حريق كان قد أصابه وغسل الكعبة بماء الورد بيده وبنى مدرسة تجاه البيمارستان وقنطرة السباع أمام السيدة زينب وهو أول من رسم موكب المحمل والكسوة الشريفة بمصر وذلك سنة ٦٧٥ هـ ومات الظاهر بدمشق بعد أن حكم ١٧ سنة وعدة أشهر وتولى بعده ابنه الملك السعيد

(الرابع) الملك السعيد بركة خان تولى سنة ٦٧٦ ولقب بالملك السعيد فمكث سنتين وعدة أشهر واختلف عليه الأمراء وأرادوا قتله فمنعهم الحاكم بأمر الله الخليفة العباسى الا أنهم أجمعوا على خلعه فخلع فى ربيع الاول سنة ٦٧٨ هـ وتولى بعده أخوه الملك العادل شلامش

(الخامس) الملك العادل شلامش تولى بعد خلع الملك السعيد ولقب بالعادل وكان سنه سبع سنين فجعل سيف الدولة قلاوون الألفى أتابكا له فاستبد بالأحكام وخلع شلامش بعد أن حكم خمسة أشهر وجلس هو على سرير الملك

(السادس) الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى النجمى لما جلس على سرير الملك فى جمادى الاولى سنة ٦٧٨ هـ قام بالأمر حق القيام ولقب نفسه بالملك المنصور وعامل الناس بالمعروف ورفع كثيرا من المكوس والمظالم وقسم الوظائف بين الأمراء وولى جماعة من مماليكه وزاد فى الرواتب والاقطاعات وجعل عز الدين ايبك الصالحى نائبا على مصر ثم أعفاه وولى حسام الدين طرنطاى مكانه وأقر الوزير برهان الدين فى وزارته وبعد أن تمكن من الملك عزله وولى مكانه فخر الدين ابراهيم

ابن لقمان وفي سنة ٦٨٣ سافر الى الشام فملك الحصون وعاد الى قصره وجهز النائب طرنطاى مع العساكر لحصار الكرك لما وقع من شلامش وخضرو من الانتقاض فسار وحاصرهم حتى استأمنوا وجاء بشلامش وصيروا الى السلطان قلاوون فركب لتلقائهم وبالغ في اكرامهم والمساءة سيرتهم استراب منهم وعذبهم وبقى مجتهدا حتى فتح أغلب بلاد الشام وفي أيامه حضرت التتار الى الاقطار الشامية فحاربهم بالقرب من حمص وهزمهم شر هزيمة واضطر لحرق مدينة حمص فحرقها وجدد غيرها وسماها باسمها وهى الموجودة الآن

وهو صاحب الفتوحات بسواحل البحر الابيض ففتح طرابلس واستخلصها من يد الافرنج وفتح جبلة واللاذقية وفى سنة ٦٨٦ ﻫ سير عساكره الى بلاد النوبة مع علم الدين سنجر وكان عاقبة ذلك ضرب الخراج على أهلها وادخالهم تحت الطاعة وله خيرات كثيرة بمصر والشام وهو صاحب البيمارستان والجامع والمدرسة والقبة التى دفن بها فكمل هذه العمارة سنة ٦٨٢ ووقف عليها أوقافا وضياعا بمصر والشام وجلس في البيمارستان في يوم مشهود وشرب قدحا من الأشربة الطبية وقال وقفت هذا البيمارستان على مثلى فمن دونى من أصناف الخلق فكان ذلك من صالح آثاره ومات سنة ٦٨٩ ﻫ ومدة حكمه احدى عشرة سنة وتولى بعده ابنه الملك الاشرف

(السابع) الملك الاشرف خليل بن قلاوون تولى بعد موت أبيه سنة ٦٨٩ ﻫ وكان ملكا ذا همة عالية وسياسة مرضية وفي أيامه كانت الحرب قائمة بينه وبين الفرنج في السواحل الشامية فبحسن تدبيره وعلو همته أجلاهم عنها وفتح عكة وغيرها من المدائن ثم سافر الى اليمن ثم الى

الكرك ثم عاد الى مصر وفى أيامه بلغ عدد المماليك عشرة آلاف وسمح لهم بالخروج الى خارج البلد نهارا ويبيتون بالقلعة ليلا وفي سنة ٦٩٣ قتل وسبب ذلك أنه كان قد خرج الى الصيد فتبعه الامير بيدرة ومعه جماعة فقتلوه وحكم هذا الامير بعده وسمى نفسه الملك القاهر وملك يوما واحدا ثم قتلوه

(الثامن) الملك الناصر محمد بن قلاوون تولى سنة ٦٩٣ هـ وعمره تسع سنين فجعل له كفيلا وهو الامير كتبغا المنصور فقتل قتلة الملك الأشرف وقبض على بعضهم وولى عقوبتهم بيبرس الجاشنكر وآل أمرهم الى تقطيع أيديهم وأرجلهم وعلقت فى أعناقهم وشهروا بهم ثم اختلف عليه بعد ذلك مماليكه وأحدثوا فتنة فقبض على كثير منهم وصلب منهم رجالا وعلقهم بباب زويلة ولكن هذه الفتنة قد أطمعت (كتبغا) فى الملك وتمكن من انتزاعه من السلطنة سنة ٦٩٤ ورجع الى السلطنة ثانيا وعزل مرة أخرى ورجع ثالثا ومكث مهددا فى ملكه حتى مات سنة ٧٤٠ هـ ومدة خلافته ٤٣ سنة وتولى بعده كتبغا

(التاسع) الملك العادل كتبغا زين الدين المنصورى تولى سنة ٧٤٠ وأصله من مماليك السلطان قلاوون وحصل في مدته قحط شديد حتى أكل الناس الجيف ووفد على مصر طائفة من المغول يدعون باسم الاويراتية ونزلوا بالحسينية وبنوا بها المساكن والدور وكان السلطان ينزل من القلعة الى الميدان فلم ير أحدا من الناس لاشتغالهم بأمر معاشهم وشدة ماهم فيه من الوباء والغلاء واشتد خوفه فمال الى الاويراتية لانهم كانوا من جنسه وظن أنهم يكونون عونا له وأنصارا اذا اشتدت الفتنة واستمرت الحرب وخاف الاويراتية منه أن يوقع بهم وتقاعد عن المسير الى الشام

لحرب التتار فقام بعض الامراء عليه وساعدوه فترك الملك وهرب الى بلاد الشام وأقام بدمشق وتولى بعده السلطان حسن بن قلاوون

(العاشر) السلطان حسن بن قلاوون لما جلس على سرير الملك كان عمره ثلاث عشرة سنة ولذلك عهد بأمور الدولة الى الامير منجك اليوسفي بالوزارة فلم يعدل ونقص الرواتب وارتشى فعزله وسلب ماله وفي مدته حصل طاعون بالديار المصرية فأهلك العباد وخرب البلاد وحصلت في مدته فتنة فقبضوا عليه وحبسوه بالقلعة ثم أعيد ثانيا ومن آثاره جامعه الرفيع الشان الشاهق البنيان المعروف باسمه حتى الآن بنهاية شارع محمد على من جهة القلعة صرف عليه أموالا كثيرة حتى قيل انه كان يصرف عليه كل يوم ألف مثقال فجاء من أعظم غرائب الدهر ومن أحسن ما صنعته يد الانسان وهو يدل على ما كان له من الاخلاص في خدمة الدين وقوة اليقين ومن آثاره أيضا أنه بنى الجامع المعروف بجامع شيخون ومدرسة بالرميلة وغير ذلك من المباني المفيدة والخيرات العديدة ولم يزل مجدا في الخير مجتهدا في العمارات الى أن قتل سنة ٧٦٢ هـ وكانت مدة حكمه عشر سنين وأشهرا تخللها خلعه وحبسه وجاء بعده ابن أخيه محمد بن حاجى

(الحادى عشر) محمد بن حاجى ولى الملك بعد قتل عمه السلطان حسن ولقب بالملك المنصور وفي مدته توفي الخليفة المعتضد بالله العباسى سنة ٧٦٣ هـ وخلفه ابنه المتوكل على الله وفي شعبان سنة ٧٦٤ هـ خلع الملك المنصور محمد بن حاجى ووليه ابن عمه شعبان بن السلطان حسن

(الثانى عشر) أبو المعالى زين الدين شعبان تولى سنة ٧٦٤ هـ ولقب بالملك الاشرف الثالث ولما جلس على سرير الملك كان في العاشرة من

عمره ومدبر ملكه الامير بلبغا العمري وكثرت في أيامه الفتن والثورات وتعاظمت الخطوب وهو الذى جعل للأشراف العلامة الخضراء ليمتازوا بها عن غيرهم وفي ذلك يقول بعض الشعراء

جعلوا لأبناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم * أغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وفي سنة ٧٧٦ هـ قصد الاشرف الحج وخرج من مصر في أبهة ملكه وعظيم سلطانه ولما بعد عنها بمراحل ثار عليه بعض أمراء دولته فرجع الى القاهرة ملتجئا اليها فوجدهم قد أقاموا ابنه عليا عوضا عنه ولقبوه بالملك المنصور السادس فنزل بقبة النصر فعلم به هؤلاء الامراء فأرسلوا اليه فوجدوه قد هرب هو وبلبغا الناصري وبعد يومين قبضوا عليه وخنقوه في منتصف ذي الحجة سنة ٧٧٨ هـ وكانت مدة حكمه أربع عشرة سنة وشهرين

(الثالث عشر) على بن شعبان الملقب بالمنصور السادس تولى بعد أبيه وهو صغير السن لم يتجاوز السابعة وكان وصيه حين توليته برقوق مؤسس دولة الجراكسة وبقى أربع سنين وشهورا وتوفي سنة ٧٨٣ هـ وتولى بعده أخوه الملك الصالح

(الرابع عشر) الملك الصالح حاجى بن شعبان تولى بعد موت أخيه ولقب بالملك الصالح الثالث وكان سنه حين جلس على سرير الملك لايتجاوز العاشرة ولذلك لم يكن له فيه سوى الاسم وكان أمر الدولة بيد وزيره برقوق فكثرت الاضطرابات في الدولة لتنازع الامراء فى شأن الرياسة وعظمت الفتن وفسدت الأحوال فقام عليه برقوق فى لفيف من العساكر وهجم على أبواب القلعة واستحضر الخليفة العباسى الموجود بذلك العهد وهو المتوكل على الله والقضاة والامراء واتفقوا على خلعه

وتولية برقوق بعد أن حكم سنة وأشهرا وبخلعه انقرضت دولة المماليك البحرية وكان خلعه سنة ٧٨٤ هـ ومدة هذه الدولة ١٣٩ سنة هجرية كما سبق التنبيه عليه وكانت مدتهم كلها فتنا وشدائد لاقى فيها الناس الويل وان كان قد حصل في زمنهم تجديد عمارات كثيرة ومبان رفيعة وبعد انقراض هذه الدولة قامت دولة الجراكسة

دولة الجراكسة

حكمت هذه الدولة من سنة ٧٨٤ هـ الى سنة ٩٢٣ عبارة عن ١٣٩ سنة وعدد ملوكها أربعة وعشرون ملكا وأصلهم من المماليك الجراكسة وسبب دخولهم في الملك أن أواخر ملوك الدولة البحرية قد أكثروا من شرائهم اقتداء بأسلافهم وبعد أن تربوا وصارت لهم قوة وعصبية ويد في الملك انقلبوا عليهم وانتزعوا الملك منهم كما فعل غيرهم بسابقيهم وأول من جلس منهم على سرير الملك السلطان برقوق

(الاول) السلطان برقوق ولي من سنة ٧٨٣ هـ الى سنة ٧٩١ هـ وكان هذا الملك فطنا صاحب دهاء وحيل وكان له براعة في كثير من الفنون ولذلك ترقت به الأحوال من كونه مملوكا الى أن صار ملكا وكان محبا للخير وهو الذى أسس مجد هذه الدولة ونزع الملك من يد آخر المماليك البحرية كما سبق التنبيه عليه وقد حاربت جيوشه جيوش تيمورلنك وبنى مدرسة بين القصرين وجامعا معروفا باسمه للآن بالقرب من البيمارستان وبنى جامعا كبيرا أيضا خارج باب النصر بالصحراء الشرقية بساحة المقابر وقبره بها معروف ثم خلعه الأمراء بعد أن حكم ثمان سنوات وتولى بعده ابنه فرج

(الثانى) فرج بن برقوق تولى وعمره عشر سنين فقام عليه الأمير

ايتمش وأراد خلعه فلم يتمكن من ذلك ففر هاربا الى الشام وأقيم بدله بيبرس السيفى فسكنت الفتنة وكان ايتمش لما فر الى الشام نهب وسلب وأثار الفتنة فجهز له جيشا وحاربه وقتله ورجع الى مصر فى موكب عظيم وعلق رأسه على باب زويلة وفي هذا الوقت كان تيمورلنك قد أشعل نار الفتنة وقتل كثيرا من العباد وأحرق كثيرا من البلاد واستولى على حلب وغيرها من البلاد الشامية بعد وقائع قتل فيها مالايحصى عدده حتى قيل انه بنى من الرءوس منارات وأبراجا والملك لاه عنه بشهواته ولذاته ولذلك قام عليه بيبرس السيفى وصمم على قتله فهرب وخلع وولى أخوه عبد العزيز

(الثالث) الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق تولى بعد خلع أخيه سنة ٨٠٨ هـ فمكث نحو شهرين وأعيد أخوه فرج مرة ثانية ولما عاد اجتهد في الفتح فغزا دمشق وفتحها وفتح كثيرا غيرها من البلاد الشامية وفي سنة ٨١٣ هـ حصلت فتنة بمصر قتل فيها وكان ذلك فى المحرم سنة ٨١٥ هـ وكانت مدته الثانية ست سنين وتسعة أشهر وبموته بايع الجند الخليفة المستعين بالله العباسى ولقب بالملك العادل فأصلح الامور وأجرى الاحكام وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأكثر العطاء فأحبه الناس وبعد ذلك خلعه المماليك قبل أن يتم السنة التى حكم فيها بمواطأة الشيخ المحمودى الذى جعله نائبا عنه للسلطنة وكان خلعه في ربيع الاول سنة ٨١٥ هـ

(الرابع) الشيخ المحمودى تولى بعد خلع المستعين بالله وأصله من مماليك الظاهر برقوق ولقب بالملك المؤيد وبويع بالخلافة داود أخو المستعين بالله ولقب بالمعتضد بالله وكان شجاعا مقداما ما كرا مدبرا

خرج الى الشام مرتين ليمهد ملكها وكان من أشهر الفرسان العارفين بضروب الفروسية وكان محبا للعلم والعلماء معظما للشريعة الغراء كثير العبادة ومن مآثره الجامع المعروف باسمه للآن داخل باب زويلة بدأ فيه سنة ٨١٧ هـ وانتهى منه سنة ٨٢٠ وكان له مدرسة بجواره وعصى عليه نواب الشام فسار اليهم فولوا الادبار خوفا منه فعزلهم وولى بدلهم وعاد الى القاهرة وصفا له الوقت فأكثر من شراء المماليك ووقع في زمنه وباء عظيم وكان محسنا الا أنه كان سفاكا للدماء قتل كثيرا من نوابه وقتل ابنه ابراهيم لما بلغه تصميمه على نزع السلطنة منه ودفنه بجامعه المعروف ثم مات بعد أن حكم ثماني سنين وخمسة أشهر وكانت وفاته في المحرم سنة ٨٢٤ هـ ودفن بجوار ابنه بمدفنه الذي بناه بجامعه المشهور

(الخامس) الملك المظفر أحمد بن الملك المؤيد تولى بعد وفاة أبيه وكان سنه دون السنتين فمكث الى شوال من سنة توليته وتنازل عن الملك لوصيه (تتر) فتولى الملك

(السادس) الملك الظاهر سيف الدولة (تتر) جلس على سرير الملك ثلاثة أشهر ثم مات ودفن بالقرافة بجوار الامام الليث وتولى بعده ابنه

(السابع) الملك الصالح محمد بن (تتر) تولى بعد موت أبيه ولقب بالملك الصالح فلم يمكث في الملك الا أربعة أشهر ثم خلعه وصيه سيف الدولة برس باي سنة ٨٢٥ هـ ولم يزل بعد خلعه فى شقاء وعناء الى أن مات

(الثامن) الملك الاشرف برس باي تولى بعد خلع محمد بن تتر في ربيع الاول سنة ٨٦٥ هـ ولقب بالملك الاشرف وحارب الفرنج وتغلب

عليهم مرارا واستولى على جزيرة قبرص ثم عقد مع ملوك الافرنج وآل عثمان معاهدات تدل على ما كان عليه من قوة التدبير ومكانة الملك ومن آثاره المدرسة الاشرفية بالقاهرة والجركسية خارج باب النصر والجامع المعروف بجامع الاشرفية وكان هذا الملك من أعظم ملوك الجراكسة قدرا وأرفعهم ذكرا وأشدهم بطشا يشبه الملك المؤيد في كثير من أحواله وتوفي في ١٣ ذى الحجة سنة ٨٤١ هـ بعد أن ولى الملك نحو ١٧ سنة

(التاسع) الملك العزيز يوسف تولى بعد وفاة أبيه برس باى ولقب بالملك العزيز ولم تطل مدته فانه بعد ثلاثة أشهر من مبايعته تخاصم مماليكه مع سيف الدين جقمق أتابك جيشه خصاما كانت نهايته عزل برس باى ومبايعة جقمق

(العاشر) الملك الظاهر جقمق تولى بعد خلع الملك العزيز وذلك في ١٩ ربيع الأول سنة ٨٤٢ هـ وفي مدته حصل طاعون بمصر عم جميع أرجائها وفي مدته أيضا توفي الخليفة المعتضد بالله سنة ٨٤٦ وبويع أخوه المستكفي بالله وكانا بارين فأحبهما الملك ثم بويع القائم بأمر الله ولم يكن كذلك فبغضه السلطان ثم تنازل السلطان جقمق لابنه فخر الدين عثمان سنة ٨٥٧ هـ بعد أن حكم أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وله عمارات كثيرة وكان محبا للفقراء كثير الخيرات والمبرات

(الحادى عشر) الملك المنصور عثمان تولى بعد تنازل أبيه له سنة ٨٥٧ هـ ولم تطل مدته بل انه خلع بعد شهر من حكمه بايماذ من الخليفة وتولى بعده الملك الاشرف اينال

(الثانى عشر) الأشرف اينال تولى بعد خلع الملك المنصور عثمان

ولقب بالملك الاشرف وجعل مقر الخليفة مدينة الاسكندرية حتى يكون بعيدا عن دس الدسائس للملوك وتوفي في ١٥ جمادى الأولى سنة ٨٦٥ هـ بعد أن حكم ثمان سنين وشهرين وتولى بعده ابنه أحمد بن اينال

(الثالث عشر) أحمد بن اينال ولى الملك بعد أبيه ولقب بالملك المؤيد وكان يباشر كثيرا من الأحكام في حياة أبيه ولم تطل مدته فانه عزل بعد أربعة أشهر من توليته في ١٩ من رمضان سنة ٨٦٥ هـ التي تولى فيها وتولى بعده خوش قدم

(الربع عشر) خوش قدم لما عزل أحمد بن اينال بويع بعده الملك الظاهر خوش قدم الملقب بالناصرى نسبة الى الملك الناصر لانه من مماليكه ولقب بالملك الظاهر وكان حسن الصفات كريما محسنا مشيدا أركان العدل مقربا لاهل العلم والفضل وكانت وفاته في ربيع الأول سنة ٨٧٢ هـ بعد أن حكم ست سنين وخمسة أشهر ووليه الملك الظاهر بلباى

(الخامس عشر) الملك الظاهر بلباى جلس على سرير الملك بعد وفاة الملك الظاهر خوش قدم ولقب بالظاهر أيضا ولم يكن أهلا للملك لأنه كان جبارا عنيدا مستبدا برأيه لاتأخذه فى ظلمه لومة لائم ولذلك خلع بعد شهرين من حكمه في ١٧ جمادى الاولى من سنة ٨٧٢

(السادس عشر) الملك الظاهر تمار بوغا ولى الملك بعد خلع بلباى وكان حظه في الملك كحظ سابقه فلم يمكث الا نحو شهرين وخلع فى رجب من سنة توليته التى هى سنة ٨٧٢ هـ وكانت وفاته بمدينة الاسكندرية ودفن بها وتولى بعده قايتباى

(السابع عشر) الملك الاشرف قايتباى جلس على سرير الملك في رجب

سنة ٨٧٢ هـ وأصله من مماليك جقمق ولقب بالاشرف وحارب العثمانيين وكانت الحرب بينهما سجالا ثم اصطلحا سنة ٨٩٦ هـ ثم مات قايتباى بعد هذا الصلح بخمس سنين وكانت وفاته في ذى القعدة سنة ٩٠١ ومدة حكمه تسع وعشرون سنة وأربعة أشهر وأيام وبنى جامعه المعروف باسمه بالقرافة خارج القاهرة وله جامع آخر بالروضة وكان أجل الملوك قدرا وأرفعهم همة وأطولهم يدا

(الثامن عشر) محمد بن قايتباى تولى بعد أبيه في أواخر ذى القعدة سنة ٩٠١ ولقب بالناصر وخلع بعد ستة أشهر من حكمه في جمادى الأولى سنة ٩٠٢ هـ وتولى بعده الملك الاشرف قانصوه

(التاسع عشر) الملك الأشرف قانصوه خمسميه (لانه اشترى بخمسمائة) تولى بعد خلع محمد أبى السعادات ولقب بالملك الأشرف ومكث خمسة أشهر ثم تنازل عن الملك ووليه محمد بن قايتباى مرة ثانية ثم تنازل للملك الأشرف قانصوه ثم أعيد الملك الناصر محمد بن قايتباى فمكث سنة ونصفا وذبح في ربيع الأول سنة ٩٠٤ هـ وكان متوحشا يأتى بأمور فظيعة لا يأتى بها أحد من العقلاء منها أن والدته جهزت له يوما جارية وأدخلتها عليه فقفل الباب وسلخ جلدها وهى على قيد الحياة وحشاه تبنا ثم خرج يفتخر بذلك ويعرف الناس أنه بارع في السلخ فهكذا تكون الملوك وهكذا يكون حسن السلوك (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ان الى ربك الرجعى)

(العشرون) الملك الظاهر قانصوه الأشرف تولى بعد قتل الناصر محمد بن قايتباى في ربيع الاول سنة ٩٠٤ هـ وسار سيرا حميدا ولكنه خلع بعد سنة وثمانية أشهر وتولى بعده قانصوه جنبلاط

(الحادي والعشرون) الملك الأشرف قانصوه الثالث جمبلاط وأصله من مماليك قايتباى تولى بدون رضا الجند الا أنه قام بنصرته طومانباى أحد أمرائهم فلما سار في الناس سيرة غير مرضية وظلم وصادر الناس في أموالهم وارتكب متن الشطط وسار في طريق العسف غضب منه طومانباى وانضم الى أعدائه فحاربوه وقهروه وخلعوه وانتهى ملكه سنة ٩٠٦ هـ وتولى بعده طومانباى .

(الثاني والعشرون) طومانباى الأول ولقب بالملك العادل وفرح الناس بولايته لما كان لسابقه من الظلم والحيف ولكنه لم تطل مدته فان المماليك قد قاموا عليه وقتلوه في الشهر الرابع من توليته فهرب وبنى في هذه المدة القصيرة المدرسة المعروفة بالعادلية بخارج باب النصر وكانت وفاته في ذى القعدة سنة ٩٠٦ هـ ودفن بمدرسته التي خربها الفرنسيس فيما خربوا

(الثالث والعشرون) الملك الاشرف قانصوه الغوري تولى بعد طومان باى سنة ٩٠٦ هـ وهو من مماليك قايتباى أيضا وفي عهده قدم الى مصر كركود أخو السلطان سليم الاول بن بايزيد ملتجئا اليه متخاصما مع أخيه على الملك فرحب به الغوري وجهز له جيشا لحرب أخيه فلم يفلح وجهز السلطان سليم جيشا وسار لفتح سوريا وأرسل يهدد الغوري فاتحد مع ملك الفرس على السلطان سليم بعد أن سعى في الصلح فلم تنجح مساعيه وكانت عاقبة ذلك الحرب بينهما فجهز كل منهما جيشا والتقى الجيشان بالشام بموضع يقال له (مرج دابق) فانهزم المصريون ووقع قانصوه قتيلا تحت سنابك الخيل وكان ذلك في الخامس والعشرين من رجب سنة ٩٢٢ هـ وبعد موته ملك السلطان سليم حلب بدون أدنى ممانعة ولما عادوا بعد الهزيمة ولوا طومان باى وكان الغوري ذا دهاء وسياسة عالية ولذلك أمكنه أن يقمع المتمردين ويقطع

طمع الامراء في الملك غير أنه كان ظالما سفا كا للدماء ومن ظلمه أنه منع المواريث وصار يأخذ أموال الناس بالباطل ومن آثاره جامعه المنسوب اليه للآن بالغورية والمدفن والمدرسة المقابلين له وكثير غير ذلك

(الرابع والعشرون) طومان باى الثاني تولى بعد عمه الغوري سنة ٩٢٢ﻫ وكان شجاعا قويا فاستعد لحماية مصر وسار السلطان سليم اليها والتقيا شمال القاهرة ودافع دفاعا عظيما فلم يستطع رد هجمات العثمانيين فدخلوا مصر بالرغم عنه وخطب للسلطان سليم فيها وفر طومان باى وجهز جيوشا أخرى لم تغن عنه شيئا سوى أن ذلك كان سببا في شدة أذى العثمانيين للجراكسة والمصريين فقتلوا كثيرا ونهبوا وسلبوا وبعد ذلك قبضوا على طومان باى فشنق وعلق على باب زويلة ثلاثة أيام وبموته انتهت القلاقل كما انتهت دولة الجراكسة وكانت مدته ثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما

وملوك هذه الدولة وان كان لهم آثار كثيرة وخيرات عديدة ومساجد ومدارس ومعاهد علميـة وملاجئ للفقراء بمصر والشام فان لهم مظالم لا تحصى فكم قتلوا بريئا وكم أعانوا ظالما وكم سلبوا مالا لاطلاق أيديهم وعدم قدرة الناس على ممانعتهم فالقول ماقالوه والامر ما أبرموه والحكم ما أصدروه وكثيرا ما انتقم الله منهم وسلط بعضهم على بعض وكانت عاقبة ذلك البوار والدمار والحكم لله الواحد القهار

(الدولة العثمانية العلية ومصر تحت رعايتها)

هذه الدولة من أجل الدول قدرا وأرفعها ذكرا وأقواها شوكة وأشدها بأسا وأكثرها آثارا وأحقها افتخارا قائمة على دعائم العدل مؤسسة على الحكمة والفضل وقد اختلف المؤرخون في أصل ملوكها والحق أن أصلهم من التركمان وينتهى نسبهم الى يافث بن نوح عليه السلام وعدد ملوكهم خمسة وثلاثون ملكا أولهم ببلاد الروم السلطان عثمان الغازى بن الامير أرطغرل ابن سليمان جاه وكان السلطان سليمان جاه أميرا على (نيره) وهى مدينة قريبة من بحر الخزر بالتركستان وأصل منشئه بمدينة ماهان بجوار بلخ ولما ظهر (جنكيز خان) ملك المغول وتغلب على مملكة خوارزم وتفرق أهلها وترك البلاد مع من تركها معه وقصد بلاد الروم وكان قد سمع بالدولة السلجوقية وعظم شوكتها فسار هو ومن معه حتى وصل الى أزربيجان ومنها الى حلب وبعد مدة أراد الرجوع الى بلده فمند عبوره نهر الفرات ولم يكن يعرف المخاضة منه غرق وتوفي رحمه الله ودفن بجوار قلعة جعبر ويعرف قبره للآن (بترك مزارى) يزار ويتبرك به وكان ذلك سنة ٦٢٩ هجرية وكان له أولاد أربعة فرجع منهم اثنان الى خراسان بعد غرق أبيهم وبقى أرشدهم (أرطغرل) وأخوه الاصغر (دندار) ومن معهما من عشيرتهما فاستأذن أرطغرل من علاء الدين السلجوقى ملك (قونية) في الدخول الى بلاده وطلب منه موضعا ينزل فيه فعين له جبال أرميناك فنزل بها هو ومن معه وكانوا نحو أربعمائة عائلة وأقاموا ببلدة هناك تسمى (قرجه طاغ) وبعد أن أقام زمنا عزم على التوجه الى جهة الغرب عسى أن يرى جهة أخصب من الجهة التى هو فيها وبينما هو سائر اذ رأى جيشين يتحاربان وكان أحدهما للتتار وثانيهما لعلاء الدين السلجوقى فانضم لاقلهما ونصره فاذا هو جيش علاء الدين

السلجوقى ففرح بذلك علاء الدين وأقطع أرطغرل الاراضى الواسعة الواقعة على نهر (صبخاريوس) وأراضى قرجه طاغ شرق جبل أولمبة بالقرب من مدينة أنقرة بالاناضول وذلك سنة ٦٦٣ هجرية وزاد فى اقطاعاته فكانت تلك الاراضى هى منبع الدولة العثمانية ثم لما تحارب علاء الدين مع التتار ثانيا لتعرضهم لبعض بلاده فوض أمر قلعة كوتاهية لتزيله أرطغرل ففتحها بعد عناء شديد وجهد جهيد فزادت منزلته عند علاء الدين ولم يزل يجاهد حتى توفى سنة ٦٩٦ هجرية ولما أخبر السلطان علاء الدين بوفاته تأسف عليه أسفا شديدا وعين ابنه عثمان خان الغازى خلفا له ولما رأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده وحزمه وشجاعته وجهه للجهاد كوالده وأمده بأمداده وأرسل اليه الراية السلطانية وخلع عليه الخلع السنية فلما ضربت الدفوف بين يديه نهض قائما على قدميه تعظيما للسلطان ومجازاة على الاحسان بالاحسان ومن ذلك الوقت صارت هذه عادة بين العساكر العثمانية فصاروا عند سماعهم دق الطبول يقفون تعظيما لسلطانهم وأعطاه أيضا لقب بك وسمح له بضرب الدراهم باسمه وأن يخطب له على المنابر وبذلك صار عثمان بك ملكا لاينقصه غير اللقب

ولما حصلت اغارة المغول الثالثة فى مدة علاء الدين وفر هاربا تجزأت مملكته بين أمراء دولته واستقل كل واحد منهم باقليم فكان نصيب الامير عثمان منها جزءا من مملكة (بورسا) وجميع البلاد التى كانت حوالى جبل أولمبة بالاناضول فأقام دعائم الدولة العثمانية وأسسها سنة ٦٩٩ هجرية ولقب نفسه باديشاه آل عثمان وجعل مقر ملكه مدينة يكى شهر فهو أصل الشجرة العثمانية المباركة التى استظلت الرعية تحت ظلها وباتت آمنة مطمئنة بتيقظها وعدلها وهاهو موجز سيرته

(الاول السلطان الغازي عثمان خان الاول)

(٦٩٩ ـ ٧٢٦)

بويع له سنة ٦٩٩ هجرية ولما تم له الامر زحف على مدينتي أزميد(١) وازنيك(٢) فلما لم يستطع فتحهما عاد الى مقره ثم عرض على أمراء الروم في آسيا احدى خصال ثلاث اما الاسلام أو الجزية أو الحرب فأسلم بعضهم وانضم اليه وصار عونا له ودفع بعضهم الجزية واستعان بعضهم بالتتار فجهز لهم جيشا جرارا بقيادة ابنه أورخان فسار اليهم مع كثير من أمراء الروم الذين تدينوا بالاسلام فشتت شمل التتار ثم حاصروا بورصة(٣) سنة ٧١٧ هجرية ودخلها عنوة وكان ملك القسطنطينية قد أمر عامله عليها بمبارحتها وتركها لأهلها يحكمون أنفسهم بأنفسهم في مقابلة جزية يدفعونها وأسلم حاكمها أفرانوس الذي صار بعد ذلك من أكابر قواد العثمانيين ولم يزل السلطان مجاهدا حتى فتح ناحية مرمرة واستقر في يكي شهر وأسكن فيها الجند وجعلها مقر ملكه كما تقدم وفتح حصونا كثيرة ثم مرض السلطان مرض موته ولما احتضر أوصى ولده أورخان بثلاث وصايا مفيدة أولها التمسك بالشريعة الغراء وعدم الاستقلال بالرأي

ثانيها اعطاء كل ذي حق حقه من التعظيم والتكريم والانعام لاسيما العلماء الأعلام

---

(١) هي مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى أصل اسمها (نيكوميدس)

(٢) مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى أصل اسمها (نيقه) شرق مدينة بورصة وهي مشهورة بعمل السجاجيد الجيدة والخزف

(٣) مدينة جيدة الهواء عذبة الماء ترحل اليها الناس في الصيف لجودة هوائها . والاستشفاء بمائها

ثالثها التعظيم لأوامر الله تعالى والانقياد له والشفقة على خلق الله وأوصى له بالملك وكانت وفاته في ٢١ رمضان سنة ٧٢٦ هجرية ومدة ولايته ٢٦ سنة تقريبا ثم تولى بعده ابنه السلطان أورخان بوصية منه

(الثاني السلطان أورخان الغازي)

(٧٢٦ ـ ٧٦١)

ولي بعد موت أبيه سنة ٧٢٦ هجرية ولما تم له الأمر صرف همته في سن القوانين وتقرير أحوال المملكة وترتيب نظاماتها وجعل العساكر النظامية وألبسها الملابس التي تمتاز بها وأوجد فرقة الانكشارية وجعل علاء الدين باشا وزيرا له وقسم ايراد الدولة الى قسمين قسم خاص بالخزينة السلطانية والاسرة المالكة ونفقات الديوان وقسم خاص بالعساكر وضباطهم وما يلزمهم من آلات حرب وغير ذلك وبعد أن استعد استعدادا تاما شرع في الغزو والتفت للفتح ففتح قلعة قبون حصار وفتح سنة ٧٣١ هجرية مدينة أوزنيك واتخذ مدينة بورصة مقر ملكه عوضا عن يكي شهر وفتح مدينة أزميد وبفتحها سقط نفوذ الروم في آسيا وضم الى مملكته ما بقي من آسيا الصغرى واجتهد في بناء المساجد والملاجئ وفتح المدارس وغزا الروم حيث انهم نقضوا العهد مرارا وفتح كثيرا من بلادهم تحت قيادة ولده الاكبر سليمان ثم توفي سليمان هذا سنة ٧٦٠ هجرية وآلت ولاية العهد الى مراد وولي منصب الصدارة خير الدين باشا الذي كان قد اقترح تربية الشبان الذين يؤسرون في الحروب تربية اسلامية فقبل الملك ذلك فذهب بهم الى الحاج بكتاش ليدعو لهم فدعا لهم بالنصر وسماهم يكيجاري أي الجيش الجديد وهم الانكشارية المعروفون بالشهامة والقوة ولم يزالوا كذلك حتى فتك بهم السلطان محمود الثاني في تاسع ذي القعدة

سنة ١٢٤١ هجرية لما أكثروا العصيان وزادوا فى التمرد والطغيان ثم توفى السلطان أورخان سنة ٧٦١ هجرية وله من العمر ٨٣ سنة ودفن بمدينة بورصة وكانت مدة حكمه ٣٥ سنة وكانت سيرته مرضية وهو أول من بنى المدارس من ملوك الدولة العثمانية

(الثالث السلطان الغازى مراد الاول)

(٧٦١ ـ ٧٩١)

تولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٧٦١ هجرية وكان من أجل الملوك قدراً وأرفعهم ذكرا وكان شجاعا مهيبا محبا للفتح والغزو ولذلك كان يباشر الفتح بنفسه فى أغلب فتوحاته ولما استقر له الامر بدأ فى الجهاد ففتح قلعة أنقرة (مقر سلطنة القرمان) سنة ٧٦٢ هجرية وأخذها من علاء الدين ملك القرمان نكاية له لانه كان يكيد للدولة العثمانية ويمكر بها ويشعل نار الفتنة ضدها ويغرى عليها الملوك ثم اصطلحا بعد ذلك وتعاهدا وفتح مدينة أدرنة (١) وجعلها عاصمة ملكه وبقيت كذلك الى فتح القسطنطينية ثم فتح مدينة فيلبية (٢) قاعدة الروملى الشرقية سنة ٧٦٥ هـ وسائر البلاد الروملية الجنوبية فأصبحت القسطنطينية محوطة بالاملاك العثمانية ولذلك اضطر الملوك المسيحيون للاستنجاد بملوك أوروبا الغربية فوصلت امداداتهم الى ملك الصرب الذى هاجم أدرنة أثناء اشتغال السلطان مراد بحصار بيجا فى آسيا

---

(١) اسمها بالرومية (ادريانابوليس) نسبة للامبراطور ادريان الرومى لانه أجرى فيها كثيرا من التحسينات فنسبت اليه

(٢) واسمها بالرومية فيليبوليس أى مدينة فيلبس نسبة لمؤسسها فيلبس والد الاسكندر المقدونى

الصغرى بالقرب من بورصة ففاجأه العثمانيون في ظلام الليل وفتكوا بجيوشه فتكا ذريعا ومن بقي ولى مدبرا وذلك سنة ٧٦٦ ه واتحد ملك الصرب والبلغار على العثمانيين فعجزا وأبرما مع السلطان صلحا على أن يتزوج بنت أمير البلغار وأن يقوم ماله بدفع جزية سنوية ثم تأخرا عن دفعها بعد ذلك فحاربهما وأدخلهما تحت طاعته وفتح منستر وبرلية واستيب وصوفيا ١ بعد حصارها ثلاث سنين وفتح خيرالدين باشا الصدر الاعظم سلانيك ٢ ودخلها سنة ١٣٨٦ م وتمرد علاء الدين فقهره وأسره ثم رده الى مقره بشرط أن يدفع له جزية سنوية واستولى على ولاية كرمان وسواها من البلاد التي كانت مستقلة وتواطأ ملك الصرب وملوك الافلاق وأمراء بلماسيا على محاربته فلم يفلحوا وحاربهم وانتصر عليهم فأصبحت البلغار والروملي وآسيا الصغرى تابعة للدولة العلية وغزا الصرب وقهرهم وجعلهم تحت طاعته وبينما كان يمر بين القتلى اذ نهض جندي صربي يدعى ميلوك كوبلوفتش وطعنه طعنة قضت عليه وكان ذلك في النصف من شعبان سنة ٧٩١ ه ومدة حكمه نحو ثلاثين سنة وتولى بعده ابنه السلطان بايزيد

(الرابع السلطان الغازي بايزيد خان الاول)

(٧٩١ ـ ٨٠٥)

ولي الامر بعد موت أبيه سنة ٧٩١ واقتدى به في الفتح والغزو ففتح كثيرا من البلاد وكان ذا همة عالية وشجاعة تامة فتح الاشهر (فيلادلفيا) في آسيا وكانت آخر مدينة للروم بها وامتلك امارة آيدين بلا قتال وترك له علاء الدين جزءا من أملاكه وفي سنة ٧٩٥ ه استولى على امارات

---

(١) هي عاصمة البلغار الآن وعدد سكانها نحو خمسين ألفا

(٢) بلدة شهيرة رومية قديمة واقعة في جنوب بلاد مقدونيا على بحر الارخبيل

سيواس وطوقات وقسطموني وغيرها ثم عاد الى بورصة وكتب الى صاحب القسطنطينية أمانيويل اما أن تخرج من البلاد وتسلمها واما أن أسير اليك فخاف وعقد معه صلحا بأن يدفع له جزية سنوية وأن يبقى للمسلمين داخل المدينة خطة يسكنونها ويجعل لهم جامعا وقاضيا ولم يزل بايزيد يفتح في البلاد ويضيق على ملوك الطوائف حتى هرب منهم جماعة واستعانوا عليه بتيمورلنك الاعرج الباغي وحسنوا له الوصول الى بلاد الروم فوصل لبلاد الشام وسفك الدماء وسبى الذرارى والنساء ثم توجه الى بلاد الروم حتى التقى مع بايزيد وكانت بينهما واقعة تشيب من هولها الولدان ثم ان بايزيد قد خدعه عساكره وانهزموا عنه ولم يبق معه الاقليل من المشاة فثبت هو وبقى شاهرا سيفا بتارا ولم تزعزعه هذه الالوف المؤلفة وقارب على تيمورلنك قاصدا قتله لولا ماصنعوه معه من الحيلة وذلك أنهم ألقوا عليه بساطا وأمسكوه به فوقع في قبضة الاسر ولاشتداد غضبه وتأثره حصلت له حمى فمات رحمه الله في منتصف شعبان سنة ٨٠٥ هـ بالغا من العمر أربعا وأربعين سنة فبئست هذه الدنيا الغدور والدهر العثور

ماصفا الدهر لشخص * نصف يوم وأتمه

وتوفي رحمه الله عن سبعة أولاد فحصل بينهم النزاع على مابقى من بلاد الدولة وصار الاعداء يدفعون بعضهم على بعض ليضعفوا شوكتهم وينهكوا قوتهم حتى يتمكنوا من أغراضهم ولم يلبث محمد أحد أولاده مدة حتى أعاد وحدة السلطنة وجعل مقاليدها بيده وفتك بمنازعيه حتى تم له الامر

(الخامس السلطان محمد الاول بن بايزيد)

(٨١٦ ـ ٨٢٤)

لما تم له الامر وتربع في دست المملكة عقد الصلح مع الدول الاوروبية وصرف جل عنايته الى اصلاح داخلية البلاد وانتقض عليه ملك الافلاق وملك المجر فسار بنفسه لمحاربتهما فأرجعهما الى الطاعة بحزمه وهمته وقوته وشجاعته واجتهد في تسكين الفتن التي قامت في بلاده وأرجع البلاد التي استقلت وكان مشهورا بالحلم والعفو ولذلك قد عفا عن أمير القرمان الذي أقسم ألا يخون الدولة ثم حنث في قسمه وعن (قره جنيد) حاكم أزمير الذي خرج عليه لما ظفر به وفي أيامه ظهر رجل يسمى بدر الدين بما يشبه مذهب الاشتراكيين في هذا الزمان وتبعه خلق كثير وعدد غزير فعظم الخطب واشتدت الفتن ولم يزالوا متبعين حركاته حتى قبض عليه بدمشق سنة ١٤١٧م وما كاد يطمئن خاطر السلطان ويهدأ باله حتى خرج عليه أخوه مصطفى وطالبه بالملك وانضم اليه (قره جنيد) وحارباه فانهزما فالتجأ مصطفى الى سلانيك فطلب تسليمه اليه من ملك الروم فأبى واعدا بحفظه والامن من جهته مادام حيا فقبل ذلك وجعل لاخيه راتبا سنويا على قدر احتياجاته ونفقاته ثم عفا عن (قره جنيد) وتوفي السلطان سنة ٨٢٤ بأدرنة بعد أن بلغ من العمر ٥٣ سنة وهو أول من أرسل الى مكة أموال الامن العثمانيين لتوزع على فقراء مكة والمدينة (المعروفة بالصرة) وأوصى بعده بالملك لابنه مراد

(السادس السلطان مراد الثاني)

(٨٢٤ ـ ٨٥٥)

كان ملكا عظيما مقداما مطاعا عارفا بالامور ذا سياسة عالية وحكمة

سامية ولذلك لما جلس على سرير الملك شرع في عقد الصلح بينه وبين أمير القرمان ومهادنة ملك المجر ليتفرغ للاصلاح في داخلية بلاده ويتمكن من ارجاع ولايات آسيا ولكن ملك الروم (أمانويل) طلب منه تسليمه اثنين من اخوته تأمينا على عدم محاربته وتهدده باطلاق عمه محمد فلم يقبل ولم يكترث بذلك التهديد فأطلق الامير مصطفى أخا السلطان بايزيد الذي كان قد اختفى من وجه أخيه ولجئ الى سلانيك وبقي فيها الى ذلك العهد فجهز له ملك الروم اسطولا مكونا من عشر سفن حربية وبعثه يحارب ابن أخيه ليأخذ منه الملك فلم يفلح حيث حاصر (جاليبولي) ثم سار بجيشه الى أدرنة فهزم وسلم الى السلطان مراد فشنقه ثم أراد نكاية ملك الروم فحاصر القسطنطينية في رمضان سنة ٨٢٥ ه ثم تركها لعصيان أخيه عليه مع أمراء آسيا فهزمهم وقتله وأعاد الى طاعته الولايات التي أعطاها تيمورلنك استقلالها ولما تم أمره في آسيا كلف ملك المجر بالتوقيع على معاهدة تقضي عليه بترك ماله من البلاد التي على شاطئ الدانوب الايمن بحيث يكون هذا النهر حدا بين أملاكهما ولما اشتد بأسه وقوي سلطانه تقرب اليه ملك الصرب فزوجه ابنته (مارا) وصار يدفع اليه جزية سنوية وعده بفرق من جنوده في الحرب وتنازل عن مدينة (كروشيفانس) ١ وهي حصار في وسط بلاده لتكون مركز الحامية العثمانية ثم فتح سلانيك التي تنازل الروم عنها للبندقية بعد حصارها خمسة عشر يوما ثم استولى على ألبانيا واضطر أمير الافلاق أن يعترف بسيادة الدولة عليه ولكنه لم يلبث أن ثار مع أمير

(١) وتعرف في التركية باسم آلاجه حصار وتبعد عن مدينة نيش بنحو ٥٦ كيلومترا بالقرب من ملتقى نهر (موراوا)

الصرب بناء على تحريض ملك المجر فحاربهما وهزمهما شر هزيمة وهاجم المجر وعادمنها بنحو ۷۰۰۰۰ أسير وعصى أمير الصرب فى السنة التالية فغزاه السلطان وفتح من بلاده (سمندرية)۱ وحاصر (بلجراد) فاحتمى أميرها ياليبر الذى خلف سجسمون على المجر ثم أغار على ترنسلفانيا و (هرمان ستار) التابعة للمجر وكان (هونياد) حاكما عليها فحارب العثمانيين وقهرهم الى مايلى الدانوب فتخلى السلطان عن سيادة الأفلاق وورد مدائن الصرب الى أميرها وعقد فى ۲٦ ربيع سنة ۸٤۸ هـ هدنة عن الحرب عشر سنين مع المجر وبعد ذلك نزل عن الملك لابنه محمد واعتزل في آيدين للعبادة فأخل المجر بشروط الهدنة بتقرير (الكردينال سيزاريق) الذى أفهمهم (بأن عدم رعاية الذمة مع المسلمين لاتعد غدرا ولا ذنبا) فرجع السلطان اليهم وقتل ملكهم المدعو (لادسلاس) فى ۲۸ رجب سنة ۸٤۸ ثم عاد الى العزلة فاستخف الانكشارية بابنه محمد ونهبوا أدرنة فأخذ فتنتهم وساقهم الى اليونان ليشغلهم بحربهم وكانت مملكة الروم وقتئذ مقسمة بين أولاد (أمانويل) فكانت القسطنطينية لابنه يوحنا ومورة وجزء من تساليا لابنه قسطنطين فلما علم قسطنطين بعزم السلطان على حربه حصن بلاده بحصون منيعة فسلط السلطان عليها مدافعه فأحدثت فيها ثلمة دخلت منها الجيوش واستولت على مدينة (كورنثة) ثم توفي السلطان فى الخامس من المحرم سنة ۸٥٥ هـ وله من العمر تسع وأربعون سنة وكان صاحب خيرات كثيرة وكان يرسل للحرمين الشريفين في كل سنة ستة آلاف دينار الى غير ذلك من

---

(۱) معناها القديس أندريا وهى مدينة واقعة على نهر الطونة وتبعد ٤٥ كيلوا مترا عن مدينة بلغراد

الخيرات والمبرات وتولى بعده ابنه محمد الذى تنازل عن الملك اليه

(السابع السلطان محمد الفاتح الثانى)

(٨٥٥ ـ ٨٨٦)

تولى الملك بعد أبيه وكان من أعظم الملوك قدرا وأجلهم شهرة وفضلا وامتاز بمزايا كثيرة لانه كان شهما هماما وأسدا ضرغاما لايهاب الموت ولايخاف الردى وكان مع هذه الصفات في غاية من الصلاح والتقوى يخشى الله في السر والنجوى وله معرفة بلغات كثيرة وفنون عديدة فكان يحسن العربية والفارسية واللاتينية وغيرها من اللغات ويقرب أهل العلم ويحترم أولى الفضل والادب (على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم ونحلهم ومللهم) ويميل الى الصنائع الجميلة ويفرح بالأعمال الجديدة الجليلة وهو مبدع البحرية العثمانية ومظهر قوة العظمة السلطانية

ولما تمهد له أمر الملك شرع في فتح مالم يكن للدولة في البلقان كالقسطنطينية والبوسنة وألبانيا ولكنه خشى أن تمدها مملكة (طرابزون) فأقام قلعة على الشاطئ الاوروبى من البسفور فعرض عليه ملك الروم الجزية فأبى وحاصر القسطنطينية في شهر ابريل سنة ١٤٥٣ م بجيش جرار يبلغ عدده ٢٥٠ ألف جندى و ١٨٠ سفينة حربية و ١٤ بطارية (مجموعة من المدافع) صنعها رجل من المجر يدعى (أوربان) وكانت من احدى عجائب الدهر فى صنعها فكانت تقذف مقذوفات من الحجر زنة القطعة منها اثناعشر قنطارا الى مسافة ميل وأثناء هذا الحصار استكشف قبر سيدى أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه الذى استشهد في حصارها سنة ٥٢ هجرية في مدة خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ثم بنى له مسجدا يتقلد فيه كل سلطان عثمانى عند ولايته سيف السلطان

عثمان الغازى الأول (ومازالت هذه العادة مستمرة الى الآن)

وقد استنجد قسطنطين بأوروبا فوافته عمارة بحرية (عدة سفن بحرية) ولم تجد نفعا

ثم طلب السلطان منه تسليم المدينة طوعا فلم يقبل فهجم عليها هجوم الاسد وكان ذلك في عشرين جمادى الاولى سنة ٨٥٧ هجرية بنحو ١٥٠ ألف جندى ودخل المدينة وبقى قسطنطين يدافع حتى قتل وقد حوصرت القسطنطينية مرارا ولم يحصل على هذا الظفر العظيم سوى هذا السلطان الفاتح الكبير

وكان دخوله اليها ظهرا فأمر بالاذان في كنيسة (أياصوفيا) وأن ينادى في المدينة بعدم المعارضة فى اقامة شعائر الدين المسيحي

واتخذ من المسيحيين بطريقا اعتمده رئيسا عليهم وأمر بالاحتفال بتثبيته في منصبه الجديد تطمينا لخواطرهم • ويقال ان من معتقدات الروم أن السلطان محمد الفاتح لما دخل القسطنطينية ودخل أياصوفيا كان البطريق يصلى فشقت له الحائط فدخل فيها هو والصور المقدسة وأنه باق وسيرجع ويتمم صلاته عند طرد العثمانيين منها ورجوعها اليهم

وبعد ذلك قصد السلطان مورة فتعهد أميراها (ديمتريوس وتوماس) أخوا قسطنطين بدفع الجزية صاغرين فقبل منهما حقنا للدماء وشفقة ورحمة وعاد الى الصرب فصد (هونياد) المجرى مقدمة جيشه عنها الا أن الصربيين رفضوا مساعدة المجريين والتجأوا الى الصلح مع السلطان على دفع جزية سنوية فقبل منهم ذلك وبعد ذلك حاصر بلغراد وكان فيها (هونياد) فدافع عنها دفاعا شديدا اضطر السلطان لرفع الحصار عنها

مؤقتاولكنه مات بعد ذلك بنحو عشرين يومافأتم الصدر الاعظم محمود باشا فتح الصرب ودخلت تحت رعاية الدولة العثمانية ولما تم فتح مورة وجزائر بحر الروم استولى السلطان على (أماستريس) (وسينوب) وطرابزون سنة ١٤٦١م ثم مات فيلاد أمير الافلاق الذى كان يلقب بالشيطان وكان قدخالف شروط معاهدة سنة ١٣٩٣م المبرمة بينه وبين الدولة أيام السلطان بايزيد فأرسل اليه رسولين يسألانه عن صحة ماشاع عنه من اتحاده مع ملك المجر فقتلهما شر قتلة بوضعهما على خوازيق وأغار على البلغار وأسر منها ٢٥ ألف أسير فكتب له السلطان أن يخلى سبيلهم فلما أتاه الرسل أمرهم بكشف رءوسهم تعظيما له فأبوا فأمر بتسمير عمائمهم على رءوسهم بمسامير من حديد فاستشاط السلطان غيظا واشتد غضبه من هذه الافعال الوحشية الدنيئة التى تأباها الانسانية وسار فى ١٣ ألف مقاتل الى بخارست لمحاربته ومعاقبته حتى يذوق العذاب كافعل بغيره فالتجأ الى ملك المجر بعد أن قتل من قتل من أمرائهم فنادى السلطان بعزله وتولية أخيه (راوول) خلفا له وفي سنة ١٤٦٢م استولى العثمانيون على بوسنه فأراد (متياس كرفن) ملك المجر استخلاصها منهم فهزم وتم ضم بوسنه الى الاملاك العثمانية

ثم قامت الحروب مع البنادقة بسبب رقيق فر اليهم وطلب منهم فامتنعوا من تسليمه بدعوى اعتناقه الدين المسيحى وانجلت هذه الحروب عن فتح العثمانيين جزيرة (نجربونت) وانتصارهم على البنادقة في أماكن كثيرة ثم شرع السلطان في فتح البغدان سنة ١٤٧٥ م فقهر أميرها (أسطفان) الرابع الجنود العثمانية في غابة مجهولة مسالكها عليهم ففرح به البابا ولقبه بحامى حمى النصرانية ثم أغار السلطان على بلاد البنادقة ثانيا سنة ١٤٧٧م

فاضطروا لعقد الصلح معه وأنهم يتركون للدولة مدينة اشقودرة وعقدوا بذلك معاهدة في ٥ ذى القعدة سنة ٨٨٣ هجرية وبعد هذا الصلح سار العثمانيون لفتح المجر فغلبوا بالقرب من (كارلسبرج) وكان المجريون يمدون الموائد فوق جثث الموتى ويأكلون ويشربون وتحتهم من يعانى حرارة الموت وفتح أحمد باشا أمير البحر بمراكبه مدينة اوترنت مقدمة لفتح ايطاليا وكان ذلك سنة ١٤٨٠م ثم توفي السلطان محمد الفاتح في رابع ربيع الاول سنة ٨٨٦ هـ وله من العمر ٥٣ سنة فتح فيها من البلاد ما استحق به أن يلقب بالفاتح رحمه الله وعفا عنه

(الثامن السلطان بايزيد خان الثانى)

(٨٨٦ – ٩١٨)

تولى بعد أبيه سنة ٨٨٦ وكان حسن الاخلاق متواضعا ولما توفي والده كتم الصدر الاعظم محمد باشا عنه هذا الخبر ليتمكن أخوه جم حاكم القرمان من الحضور واستلام مقاليد الملك فلما علم الانكشارية ذلك قتلوا الصدر الاعظم وأرسلوا اليه بالحضور وكان حاكما بأماسيا فحضر بغاية السرعة فقابله الانكشارية وطلبوا منه الانعام عليهم بمال فأجابهم وأنعم عليهم وصارت هذه عادة لهم في تولية كل ملك الى أن أبطلها السلطان عبد الحميد الاول ومع كون السلطان بايزيد كان غير ميال للحرب فانه قضت عليه الظروف به لان أخاه (جم) استولى على (بورصة) وطلب منه الصلح على أن تكون له أملاك الدولة في آسيا فلم يقبل ذلك وحاربه وقهره بالقرب من يكى شهر وكان ذلك سنة ٨٨٦ هـ فلجأ الى حدود مصر وقضى عامه عند سلطانها قايتباى ثم عاد الى حلب واتفق

مع أحـد أمراء القرمان على أخذ قونية (عاصمة القرمان القديمة) فصدهما عنها فاستنجد جمهورئيس رهبانية القديس يوحنا برودس فقبله متعهداً للسلطان باستبقائه عنده مدة حكمه بشرط عدم تعرضه للجزيرة ثم أرسلوه بعد ذلك الى ملك فرنسا ثم الى ألمانيا ليجعلوه آلة ضد الدولة ولم يزل طريداً حتى توفي بمدينة نابلي ودفن في بلدة (جايت) بايطاليا في ١٨ جمادى الاولى سنة ٩٠٠ هـ بالغاً من العمر ٣٦ سنة ثم نقلت جثته بعد ذلك الى بورصة حيث دفن في قبور آبائه وأجداده واستمر قاسم بك القرماني في ايقاد نار الفتن ضد الدولة الى أن انضم اليه أمير بلاد ذي القدرية وحارب الجيوش العثمانية حتى كاد يعظم الفشل بين الأمتين التركية والعربية لولا توسط حاكم تونس في الصلح بينهما ثم أخذت العلائق في التحسين بين الدولة وبين الروسيا وبولونيا والبابا اسكندر وملك نابولي ودوق ميلان وجمهورية فرانسا حيث كان كل يسعى بالفوز بمحالفة العثمانيين ليستعين بهم على عدوه ولكن قد وقع ذلك وقعاً سيئاً عند جمهورية البندقية حتى كانت نتيجته استيلاءهم على ثغور مودون وكورون وتاورين وبينما السلطان يتجهز لاذاقتهم كأس المنون اذ خرج عليه أولاده كركود وأحمد وسليم طمعاً في الملك فبايع السلطان سليم لنفسه في أدرنة فأرسل اليه والده من أحضره اليه مقهوراً فألح الانكشارية عليه بالعفو عنه لانهم كانوا يودونه ويرغبون أن يكون هو القائم بأمر الملك ولم يلبثوا أن يسألوا السلطان التنازل له عن الملك فتنازل له في الثامن من شهر صفر سنة ٩١٨ هـ وقصد ديموتيقا ليقضي بها بقية حياته فتوفي قبل أن يصل اليها وكانت وفاته في العاشر من ربيع الاول سنة ٩١٨ هـ وله من العمر ٦٧ سنة رحمه الله رحمة واسعة

(التاسع السلطان سليم الاول)

(٩١٨ ـ ٩٢٦)

كان هذا السلطان شديد البأس سفاكا للدماء تولى الملك وله منازع فيه وهو أخوه أحمد الذى كان أكبر منه سنا وغيره من اخوته الذين هم أصغر منه سنا فلم يهدأ له بال حتى قتل جميع منازعيه الا من فر هاربا وهو أول من ملك مصر من العثمانيين وكان دخولها في حوزتهم في ربيع الاول سنة ٩٢٣ هـ كما تقدم وكان مولعا بالتاريخ بارعا فى اللغة الفارسية والرومية عارفا باللغة العربية والتركية وكان مغرما بالاطلاع على جميع الاحوال ولذلك كان يتجسس بالليل والنهار بنفسه مستخفيا وحارب العجم وقهرهم ولما فتح مصر عفا عمن بقى من الجراكسة وأبقى لهم أموالهم وأملاكهم ورتب الحكومة ترتيبا يكفل له عدم عصيانها ثم رجع الى مقر سلطنته وأخذ معه الخليفة العباسى وبموته أو تنازله انقطعت الخلافة العباسية وصار السلطان هو الحاكم السياسى والدينى من ذلك الوقت وصارت مصر تابعة للدولة ترسل اليها الولاة من قبلها وكان أول ولاتها عليها هو خاير بك أحد كبار رجال الدولة وكان من القواد الذين انضموا الى العثمانيين من جيش الغورى في واقعة مرج دابق فولاه السلطان سليم على مصر وأعطاه لقب بك ولكنه لم يتركه في البلاد يتصرف كما شاء بل انه جعله يحكم بمقتضى مجلس تحت رياسته وأعضاؤه من أمراء الجند وترك في مصر لحفظها ١٢٠٠٠ من الجند ستة آلاف من المشاة وستة آلاف من الفرسان وأمره أن يقيم بالقلعة ولا يخرج منها لاى سبب كان وبقى بمصر الى أن توفي سنة ٩٢٨ هـ بعد وفاة السلطان بسنتين وكانت مصر منقسمة الى اثنى عشر قسما كل قسم يحكمه سنجق

من السناجق وكان الذى يتولى حفظ القاهرة وادارة شؤونها يسمى شيخ البلد وله النفوذ التام وبقى الحال على هذا المنوال الى سنة ١١٨٣ هـ فى عهد السلطان مصطفى الثالث فاستبد بمصر على بك الكبير كما سنبينه وفي أثناء اقامة السلطان سليم في مصر جاء اليه ابن أبى البركات شريف مكة المكرمة وقدم له بيده مفاتيح الحرمين الشريفين طائعا مختارا وصارت الخطب تتلى في المساجد أيام الجمع باسم السلطان بزيادة (خادم الحرمين الشريفين) وكذلك قدم له الطاعة خير الدين أمير بلاد البربر فتم بذلك أمر الخلافة الى العثمانيين ولما عزم على الرحيل من مصر زار مساجدها وبرازخها وأسدى النعم على العلماء ثم بارحها ووصل الاستانة فى سابع عشر رجب سنة ٩٢٤ هـ وبعد ذلك قصد أدرنة وفي أثناء اقامته فيها جاء اليه سفير من اسبانيا يستأذنه في زيارة المسيحيين لبيت المقدس ويدفعون للدولة مقدار ما كانوا يدفعونه لملوك مصر (المماليك) أيام أن كانت تابعة لهم فقبل وبينما هو مجد في الغزو محفوف بالنصر اذ أدركته منيته في التاسع من شوال سنة ٩٢٦ هـ وله من العمر ٥١ سنة ورجع الى ربه

كل ابن أنثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول

(العاشر السلطان سليمان الاول القانونى)

(٩٢٦ ــ ٩٧٤)

هذا الملك تولى بعد أبيه وهو من أجل الملوك العثمانيين وقد بلغت الدولة فى زمنه مبلغا عظيما من الرفعة والتقدم حتى هابه الملوك والرعية ولما جلس على سرير الملك كانت باكورة أعماله أنه سن القوانين ووضع النظامات الحربية وعين مربيه قاسم باشا مستشارا خاصا له وبلغ

الولايات جلوسه على سرير ملكه بخطابات رسمية استهلها بالآية الكريمة وهي قوله تعالى (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) ولما بلغ خبر توليته الى والى الشام عمد الى الثورة وحرض عليها والى مصر فأجابه بأنه لايشترك معه فيها الا اذا استولى على حلب ثم بعث كتابه الى السلطان وكان السلطان قد أرسل اليه جيشا فقهره وقطعت رأسه وأرسلت الى السلطان وبعث السلطان في طلب الجزية من ملك المجر أو ينازله القتال فقتل ملك المجر الرسول فبلغ السلطان ذلك فبعث اليه جيشا فتح مدينة (شابتس) (بالقرب من بلجراد) وكان ذلك في شعبان سنة ٩٢٧ وأجلى عنها المجريين فى الخامس والعشرين من رمضان سنة ٩٢٧ هـ ودخلها السلطان وصلى الجمعة باحدى كنائسها ثم عاد الى الاستانة فأبرم معاهدة مع جمهورية البنادقة فى شهر محرم سنة ٩٢٨ كان لها أهمية عظيمة لانها أساس الامتيازات القنصلية في بلاد الدولة العلية وفتح رودس ولما شرع في فتحها عرض على رئيس الرهبان الموجود بها أن يهاجر مع المسيحيين الذين يريدون المهاجرة فأبى ظانا أنه يستطيع المدافعة فأرسل السلطان لمحاصرتها فدافع الرهبان عنها بقدر استطاعتهم حتى كانت تساعدهم النساء والصغار بالقاء الاحجار وصب الزيوت الحارة على رءوس المحاصرين ولم يجد هذا كله نفعا فاضطر رئيسهم (روبيل آدام) الى تركها وكان ذلك سنة ٩٢٩ وقابل السلطان فاحترمه وأكرمه واجتهد (فرنسو الاول) ملك فرنسا فى محالفة الدولة ليستنجد بها على شارلكان ملك اسبانيا والنمسا (وهولندة) وألمانيا وغيرها وبعث رسولا من قبله في ذلك الى السلطان فحظى بمقابلته في ٦ ديسمبر سنة ١٥٢٥ م وعرض الامر عليه فوعده بالمساعدة وكتب

بذلك كتابا الى ملك فرنسا ووفاه بوعده الذى وعده به وقد حارب المجر وهزمهم شر هزيمة وقتل ملكهم وأرسل أهل بودا (١) مفاتيح مدينتهم فدخلها السلطان في ذى الحجة سنة ٩٣٢هـ ثم عاد منها بعد أن عين عليها ملكا وهو (جان زابولى) ملك ترنسلفانيا ثم بعد ذلك سار ملك النمسا لمحاربة زابولى طمعا في ملكه فاستغاث بالسلطان فأغاثه وزحف على بودا وكان ملك النمسا قد احتلها ففر منها الى فينا وسلمت جنوده المدينة بلا قتال ولا نزال وبعد استقرار زابولى وتوطيد ملكه استصحبه السلطان الى فينا ليفتحها وترك حامية من جنوده في بودا فحاصرها وهدم جزءا عظيما من أسوارها بمدافعه الا ان الجنود العثمانية قد اشتد عليها البرد ونفد زادها فخاف عليها الهلاك فكر راجعا مارا ببودا وبلجراد ثم عاد لفتحها مرة ثانية سنة ١٥٣١م ومعه ٢٠٠٠٠٠ مقاتل الا أنه لم يتمكن من فتحها كذلك لانه رجع عنها لما بلغه استعداد شارلكان وخاف قرب الشتاء وبينما هو كذلك اذ أقبلت سفن شارلكان والبابا لمحاربته فاحتل أميرها (اندره دوريا) ثغرى كورون وبتراس فى مورة

وطلب فردينند ملك النمسا الصلح فأبى السلطان الا المهادنة مؤقتا حتى اذا سلمت اليه مدينة (جران) جعلت المهادنة صلحا ثم بعد ذلك عقدت معاهدة الصلح في ٢٢ يونيه سنة ١٥٣٣ على أن لا يرد العثمانيون شيئا مما أخذوه من المجر وأن ما تتفق النمسا عليه مع المجر لا يعتد به الا اذا صدق عليه السلطان

---

(١) هى مدينة قديمة على نهر الطونة تجاه مدينة (بست) وتبعد عن مدينة ويانة نحو مائتى كيلو متر وهى معتبرة تخت المجر مع انضمامها فى العموميات الى امبراطورية النمسا ولذلك يلقب امبراطور النمسا بملك المجر

واجتاز في عهده شريف بك خان الى مملكة العجم فبعث اليها جيشا ففتح تبريز في أول المحرم سنة ٩٤١ هـ وأبقى بها حامية ووافاها السلطان فخضع له مظفر خان وكثير من أمراء الفرس ثم احتل بغداد بعد فرار حاكمها وعاد بعد ذلك الى الاستانة فدخلها في ١٤ رجب سنة ٩٤٢ هـ وفي شعبان سنة ٩٤٢ هـ أبرمت معاهدة بين الدولة العلية وبين فرنسا بمنح النزلاء الفرنسيين بعض الامتيازات وهذه المعاهدة هي التي كانت سببا لتداخل الفرنسيين ودول أوروبا في شؤون الدولة العلية لاسيما في العهد الاخير وتوسل أهالي تونس بالسلطان ليخلصهم من مظالم ملوك بني حفص حكامهم فأصدر أمره لخير الدين باشا بالتوجه الى (تونس) سنة ١٥٣٥ م فتوجه اليها فاحتلها وعزل سلطانها مولاى حسن آخر سلالة بني حفص وولي مكانه أخاه حسن الرشيد وبعد عودة خير الدين باشا أنفذه السلطان لغزو البنادقة في ألف سفينة ففتح جزائر بحر الروم ومنها جزيرة كريد وأراد السلطان الاستيلاء على ايطاليا فأغار عليها شرقا بينما كان خير الدين باشا يهاجمها جنوبا وملك فرنسا غربا ولكن لم يتم هذا المشروع لتهادن فرنسا بعد ذلك مع شارلكان وفي سنة ١٥٤٠ م مات زابولي ملك المجر فحاصر النمساويون (بودا) فلما بلغ السلطان ذلك قصد بنفسه بلاد المجر فبمجرد وصوله رفع النمساويون الحصار عنها واحتلها الانكشارية ثم دخلها السلطان وجعل المجر ولاية عثمانية وبعد انقضاء الهدنة بين فرنسو وشرلكان استنجد فرنسو بالسلطان سليمان فتردد أولا في قبول ذلك ثم رضى لالحاح السفير عليه فزحف بجنوده على المجر من جهة وأنفذ خير الدين باشا بسفنه الحربية الى مرسيليا من جهة أخرى بعد أن غزا في طريقه جزيرة صقلية وسار منها مع السفن الفرنسية الى

ثغر نيس ففتحها في جمادى الاولى سنة ٩٥٠ هـ ثم رفض فرنسو معاهدة العثمانيين له وأبرم مع شرلكان معاهدة كريسبي سنة ١٥٤٤م فعاد خير الدين باشا وأدركته الوفاة سنة ٩٥٣ هـ وبعد حروب طويلة ومفاوضات شتى بين الدولة والنمسا فتم الصلح بينهما بشرط أن تدفع النمسا جزية سنوية للدولة العلية وتبقى المجر لابن زابولى بوصاية أمه وتحت رعاية الدولة العثمانية وفي سنة ١٥٣٧ م استغاث بالسلطان سليمان بعض أمراء الهند وطلبوا منه أن ينصرهم على البرتغاليين الذين احتلوا ثغورها فأجابهم فأمر والى مصر بتجهيز الجنود والسفن من السويس لفتح عدن واليمن فجهزت وفتحت عدن ومسقط وأخذت حصون البرتغاليين وأبرمت معاهدة سنة ١٥٥٣م بين الدولة العلية وبين هنرى الثانى ملك فرنسا بن فرنسو الاول لغزو (قورسقة) فسارت سفن الدولتين اليها وفتحتها وحصلت منازعة بين العمارتين فعادت سفن العثمانيين للاستانة وأرسل السلطان مائتى سفينة حربية لفتح مالطة فاستمر حصارها أربعة أشهر ثم فكوا حصارها

(ولاته على مصر)

كان الوالى عليها عند توليته خاير بك الذى كان واليا من قبل والده السلطان سليم وبقى بعده بسنتين كما تقدم ولما توفي أرسل بدله مصطفى باشا سنة ٩٢٦ هـ وبعد عشرة أشهر استبدله بأحمد باشا الذى خلع طاعته وأعلن استقلاله وضرب النقود باسمه وبالغ في الفسق حتى قتل وأقيم بدله قاسم باشا فمكث تسعة أشهر وأياما واستبدل بإبراهيم باشا وكان محبا للخير والاصلاح الا أنه لم يلبث الامدة يسيرة واستبدل بسليمان باشا سنة ٩٣٣ هـ وبقى هذا واليا تسع سنين وأحد عشر شهرا وفي سنة ٩٤١ هـ طلب الى الاستانة ليكون رئيسا لحملة أعدت لمقاتلة بلاد فارس والهند فأناب عنه

مدة نفيه خسرو باشا فمكث سنة وعشرة أشهر وعاد سليمان باشا فمكث سنة وخمسة أشهر ثم عهدت ولاية مصر الى داود باشا سنة ٩٤٥ هـ فمكث احدى عشرة سنة وثمانية أشهر وتوفي بها سنة ٩٥٦ هـ وكان محبا للعلم والعلماء مغرما بجمع المؤلفات العربية فجمع مكتبة غنية وكانت مصر في أيامه على أحسن مايرام ثم تولى بعده على باشا فمكث أربع سنين ونصفا وكان مغرما بترميم المباني العتيقة فرمم عدة مواضع بمصر ورشيد وفوة وفي سنة ٩٦١ هـ تولى محمد باشا فحكم ثلاث سنين ثم عزل وقتل بعد ذلك بالآستانة سنة ٩٦٣ هـ وتولى بعده اسكندر باشا فمكث ثلاث سنين وأربعة أشهر وتولى بعده على باشا الخادم سنة ٩٦٨ هـ فمكث نحو سنة وأربعة أشهر ثم تولى بعده على باشا الصوفي مدة سنتين وثلاثة أشهر وكان متساهلا في الأمور غير ملتفت فكثرت في أيامه الاضطرابات والتعدى والسلب والنهب فاستبدل بمحمود باشا في شوال سنة ٩٧٣ هـ وهو آخر ولاة السلطان على مصر وكان جبارا عنيدا كثير الظلم فكرهه الناس ثم اضطروا لقتله بعد ذلك كما سيأتي

وفي مدته قد اشتد على السلطان مرضه فتوفي في ٢٠ صفر سنة ٩٧٤ هـ

(الحادى عشر السلطان سليم الثانى)

(٩٧٤ – ٩٨٢)

ولى الملك بعد أبيه ولم تكن متوفرة فيه الصفات التى تؤهله لتوسيع نطاق مملكته أوحفظها من التشتت الذى كان يخشى عليها منه في زمنه لولا أن الله قد قيض لها وزيره محمد باشا الصقلى الذى اجتهد في عقد معاهدة مع النمسا أن تدفع الجزية المقررة فى المعاهدات السابقة وتعترف بتبعية ترنسلفانيا والأفلاق والبغدان للدولة وأن تبقى الروابط القديمة على حالها وصارت بولونيا تحت حماية الدولة وزادت الامتيازات القنصلية لفرنسا

فأرسلت البعثات الدينية الى الولايات التي بها مسيحيون لتربية أولادهم ونشأتهم على محبتها وكان ذلك من أهم أسباب ضعف الدولة بعد ذلك وأبى السلطان أن يوزع الهدايا التي كانت توزع على الجنود فنشأ من ذلك تمردهم وتحقيرهم لضباطهم وتساهلهم في اتباع الأوامر وعدم اخلاصهم في الخدمة فاضطر لاجابة مطالبهم حتى استقاموا وأخلصوا وأخضع بلاد اليمن وأخرج منها البرتغاليين وفتح جزيرة قبرص (١) التي كانت تابعة للبنادقة في ربيع الأول سنة ٩٧٩هـ وبقيت تابعة للدولة حتى احتلها الأنجليز سنة ١٨٧٨ م وغزت البحرية العثمانية جزيرة وزنطة (٢) واحتلت مدينتي دلسنيو وأنتيارى (٣) فاتحد البنادقة والاسبانيول والبابا على محاربة العثمانيين بحرا وكان عدد سفنهم ٢٣١ سفينة فقابلتها السفن العثمانية التي لم تزد عن ٣٠٠ سفينة بالقرب من ليبانته فدافعت دفاعا عظيما وكان ذلك في ١٧ جمادى الأولى سنة ٩٧٩ وانجلت الواقعة عن انهزام العثمانيين وقتل منهم نحو ٢٠٠٠٠ في مقابلة عشرة آلاف من غيرهم ومع ذلك فان هذه الواقعة الشديدة لم تقعد العثمانيين وتضعف قوتهم بل انهم جهزوا ٢٥٠ سفينة خشيت جمهورية البنادقة سطوتها وقوتها فاضطرت للصلح

---

(١) جزيرة صغيرة مهمة بالنسبة لموقعها الجغرافي بالقرب من سواحل الشام ومصر واحتلالها ضروري لمن يريد بقاء هاتين الولايتين في حوزته

(٢) احدى جزائر الروم الموجودة غرب اليونان ولا تبعد عن ساحل مورة الا بنحو عشرين كيلو مترو هي جيدة الهواء كثيرة الفوا كه

(٣) هما بلدتان باقليم الجبل الاسود والثانية منهما على البحر الادرياتيكي وأضيفتا الى امارة الجبل الاسود بمقتضى معاهدة برلين الشهيرة

الذى انتهى بتنازلها عن قبرص ودفعها غرامة حربية وفى سنة ١٥٧٤ م عصى حاكم البغدان فحورب وضرب عنقه ورأى السلطان تمردا من أصحاب تونس بتعويلهم على الاسبانيول فأرسل اليهم سفنه البحرية فلم يغن الاسانيول عنهم شيئا ودخلت تلك البلاد في سلك الولايات العثمانية كدخول الجزائر وطرابلس

(ولاته على مصر)

كان الوالى على مصر عند توليته محمود باشا الذى كان واليا من قبل أبيه وقتل لجوره وظلمه سنة ٩٧٥ هـ فلما بلغه ذلك ولى سنان باشا فبقى تسعة أشهر وفي شوال سنة ٩٧٦ هـ ذهب الى محاربة بلاد اليمن واستخلف على مصر اسكندر باشا الجركسى ثم عاد اليها بعد سنتين وأربعة أشهر فوجدها على أحسن حال وأتم مثال وبقى بها الى ذى الحجة سنة ٩٨٠ هـ وخلفه حسين باشا فمكث نحو سنة وتسعة أشهر وكان لين الجانب فكثرت السرقات فى أيامه وفي مدة ولايته على مصر كانت وفاة السلطان سليم الثانى وكان ذلك في ٢٧ شعبان سـنة ٩٨٢ هـ وله من العمر ٥٢ سنة وكان صالحا دينا كثـير الخير الا أنه لم يكن على جانب عظيم من السياسة كما قدمناه

(الثانى عشر السلطان مراد خان الثالث)

(٩٨٢ ــ ١٠٠٣)

تولى بعد وفاة أبيه وكان من الصلاح بمكان عظيم ولذلك أول عمل بدأ به أنه أصدر أمره الكريم بمنع شرب الخمر الذى أفرط فيه الجنود فثار عليـه الانـكشارية فخضعهم وفي عهده جددت الامتيازات القنصلية والتجارية لفرنسا والبنادقة ونالت ملكة الانجليز (ايزابلا) امتياز رفع

سفنها العلم البريطانى حيث كانت كل السفن ترفع في المياه العثمانية العلم الفرنسى بمقتضى المعاهدات التى أبرمت مع السلطان سليمان الثانى وبعد توليته بسنتين أمر عامله على الجزائر باعانة أمير فاس على عمه البائر عليه والبرتغاليين الذين أتوا لنصر عمه فحاربهم وظهر عليهم وانتمى صاحب مراكش للدولة لما عرف فضلها وفي مدته حصلت حروب طويلة مع العجم انتهت بفتح بلاد الجركس وتنازلها عنها وعن أقاليم شروان ولورستان وأزربيجان وتبريز وقام جيش الانكشارية باحداث فتنة فشق ملك بولونيا عصا الطاعة على الدولة وحارب المجر والافلاق جيوشها وردهم أمير الافلاق الى ماوراء نهر الطونه واستولى على مدينة نيكوبولى فرأى السلطان أن يشغل الانكشارية بمحاربة النمسا عقابا لها على أخذها بناصر الاقوام الذين شقوا عصا الطاعة على الدولة

(ولاته على مصر)

لما تولى عزل عن مصر حسين باشا الذى كان واليا عليها من قبل أبيه للين الجانب وعدم القدرة على قمع اللصوص والمفسدين وولى مكانه مسيح باشا الخادم فهابه الناس وعم الامن لما رأوه من شدته وسهره على الامن وقتله كثيرا من اللصوص ومن آثاره المدرسة المسيحية بباب القرافة ومكث خمس سنين ونصفا وتولى بعده حسن باشا الخادم سنة ٩٨٨ هـ وبقى بها سنتين وعشرة أشهر وهو الذى ألبس في أيامه اليهود الطراطير الحمر والمسيحيين البرانيط السود بعد ما كان قد ألبس اليهود العمائم الصفر والمسيحيين العمائم الزرق

وخلع سنة ٩٩١ هـ وولى مكانه ابراهيم باشا فاستقال سنة ٩٩٢ هـ فولى سنان باشا الدفتردار فمكث ستة أشهر وأياما وخلفه عويس باشا فمكث

خمس سنين وخمسة أشهر ومات فولي أحمد باشا حافظ الخادم في رمضان سنة ٩٩٩ هـ وكان حميد السيرة صاحب شفقة ورأفة محبا للعلم والعلماء وحكم بمصر أربع سنين وفي مدته كانت وفاة السلطان مراد خان الثالث رحمه الله في جمادى الأولى سنة ١٠٠٣ هـ وله من العمر خمسون سنة ودفن تجاه أياصوفيا

(الثالث عشر السلطان محمد خان الثالث)

(١٠٠٣ ـ ١٠١٢)

لما تولى ترك شؤون الدولة لوزرائه فطمع فيها الطامعون وقام أمير الافلاق وفتح عدة حصون وقلاع وهزمت جيوشه الجيوش العثمانية واستولى النمساويون على قلعة استرغون فعظمت الخطوب على الدولة فهب السلطان من نومه وتيقظ من غفلته وقبض على مقاليد الأمور بيده وخرج بنفسه الشريفة يحارب أعداءه ففتح قلعة (أرلو) التي عجز السلطان سليمان عن فتحها في مدته وفرق جند المجر والنمسا ولم يستقر لهم قرار بل ولوا الأدبار ولجئوا الى الفرار وكان ذلك في ٢٦ أكتوبر سنة ١٥٢٦ م

وفي سنة ١٦٠٠ م فتح العثمانيون قلعة (كانيشا) الحصينة بالنمسا وهزموا جنود أمير الأفلاق شر هزيمة

وفي سنة ١٦٠٤ م نقض الشاه عباس عهده واسترد الولايات التي كان قد اعترف للدولة بها وحدثت فتنة في الأناضول سببها أن احدى الفرق المرتزقة كانت قد ولت الأدبار في الواقعة التي حضرها السلطان بنفسه فنفيت الى آسيا وسميت (فراري) تحقيرا لها فادعى رئيسها قره (يازيجي) أن النبي عليه الصلاة والسلام وعده في عالم الرؤيا بأخذ آسيا من العثمانيين

وبذلك استمال البسطاه وتبعه جنده ومن على شاكلته فهم محاربة فدخل عنتاب ولم يلبث أن قبض عليه وعين بعد ذلك واليا الأماسياعسى أن يشغله ذلك عن العصيان فجحد هذه النعمة وأوقد نار الفتنة ثانيا هو وأخوه (والى حسن) الذى كان واليا على بغداد فهاجمتهم الجنود العثمانية وأذاقتهم كأس العذاب فقتل (قره يازيجى) ولكنها لم تتمكن من والى حسن بل أنه خاطر بنفسه ودافع مدافعة الأبطال حتى قتل قائد الجيوش على سوار طوقات وهزم ولاة ديار بكر ودمشق وحلب فرأت الدولة أن تصالحهُ وتكتفى شره وتنتفع بشجاعته فجعلته واليا على ولاية بوسنة فرضى بذلك وتحول اليها وحارب الافرنج هو وقومه حتى أبادهم

(ولاته على مصر)

لما جلس على سرير ملكه عزل حافظ باشا الخادم الذى كان واليا عليها من قبل أبيه واستبدله بقودر باشا فمكث سنة واستبدله بالسيد محمد باشا سنة ١٠٠٤ هـ فاعتنى بالجامع الازهر فرمم مبانيه وجعل فيه لفقراء الطلبة أعدسا مطبوخا يوميا وجدد أيضا المشهد الحسينى وفى مدته حصلت ثورة عسكرية قتل فيها كثير وفى ١٧ ذى الحجة سنة ١٠٠٧ هـ تولى ولاية مصر محمد باشا خضر فمكث ثلاث سنين واستبدل بالوزير على باشا السلحدار وفى مدته حصل بمصر قحط شديد وكثرت الوفيات وعم الخراب فازداد الرعب حتى أمر بدفن الأموات سرا ليقل الفزع والجزع وترك القاهرة واستخلف عليها بيرم بك فتوفى فانتخب الناس الأمير عثمان بك فبقى الى أن توفى السلطان رحمه الله فى ١٢ رجب سنة ١٠١٢ هـ وله من العمر سبع وثلاثون سنة

(الرابع عشر السلطان أحمد خان الأول)

(١٠١٢ ـ ١٠٢٦)

ولى الملك بعد وفاة أبيه وهو صغير في الرابعة عشرة وكان شجاعا مهيبا الا أنه ولى الملك وكان واهي الأركان ضعيف البنيان فطمع فيه الطامعون شرقا وغربا لولا أن الله بمنه وكرمه قد قيض له الوزير الجليل مراد باشا قويوجي فأهدأ الثورات وأطفأ نار الفتن وقطع أمل الطامعين وأتم حرب النمسا وفتح قلعة استرغون التي كانوا قد استردوها ثم نزلت أمارات الأردن والأفلاق والبغدان على حكمه ففاتحته النمسا في عقد الصلح فتم في قرية سيتافوروك سنة ١٦٠٦ م وازدادت به الدولة بلادا ثم أرسل السلطان جيشا لمحاربة العجم فدارت الدائرة عليه فعقد صلح بين الفريقين على أن ترد الدولة العلية لشاه العجم ثلاث ولايات وتأخذ عنها خراجا سنويا ثم نقض الشاه عهده فحورب وهزم

(ولاته على مصر)

لما ولى على مصر ابراهيم باشا فلم يمكث الا أربعة أشهر وثار عليه الجند فقتلوه فتولى مكانه مصطفى أفندى عزمي زاده فمكث شهرين وأياما واستبدل بالوزير محمد باشا الكرجي الملقب بالخادم وعند وصوله وردت الأوامر بالقبض على الثائرين فقبض على نحو مائتين من زعماء الفتنة وقتلهم وبعد سبعة أشهر استبدل بالوزير حسن باشا الدفتر دار فمكث سنة ونصفا ثم عزل وأعقبه الوزير محمد باشا في شهر صفر سنة ١٠١٦ هـ وشرع في السنة الثانية من حكمه في ابطال الضرائب غير العادلة التي كانت على القطر فعارضه الجند في ذلك وأكثروا العدوان فجمع الصناجق وسار لردع الثائرين فطلبوا الأمان فأمنهم بشرط أن

يسلموا له الرؤساء فقبلوا وسلموهم له فقتلوا وهدأ الوقت وعم الأمن فأخذ في تنظيم البلاد وخفض المكوس والضرائب واجتهد في احياء الموات من الارض ولذلك لما رجع الى الاستانة نال مالم ينله أحد قبله من الولاة من حسن الرعاية وعظيم العناية ثم خلفه محمد باشا الصوفي فمكث نحو ثلاث سنين ونصف وولى أحمد باشا الدفتدار ومكث نحو ثلاث سنين ثم توفي السلطان رحمه الله في ٢٣ ذى القعدة سنة ١٠٢٦ ﻫ وهو وال

(الخامس عشر السلطان مصطفى خان الأول)

(١٠٢٦ — ١٠٢٧)

ولى الملك بعد أخيه بوصية منه في أواخر ذى القعدة سنة ١٠٢٦ ﻫ وكان زاهداً كثير العبادة غير ملتفت لأمر الملك لقضائه جميع أيامه بالحرم السلطانى وحبسه به قبل توليته فكان لايعرف من أمره شيئا وفى مدة حكمه كادت تنشب نار الحرب بين الدولة وفرنسا وسبب ذلك أن كاتب السفارة الفرنسية ساعد أحد أشراف بولونيا المسجونين بالاستانة على الفرار فسجن هو والمترجم والسفير وقامت فتن كثيرة وبعد ثلاثة أشهر من ولايته خلع باتفاق المفتى وأغا السراى والانكشارية وكان خلعه في غرة ربيع الأول سنة ١٠٢٧ ﻫ وتولى بعده ابن أخيه وكان قد استبدل بمصر أحمد باشا بمصطفى باشا السلحدار في ١٣ صفر سنة ١٠٢٧ ﻫ

(السادس عشر السلطان عثمان خان الثانى)

(١٠٢٧ — ١٠٣١)

ولى الملك بعد عمه في أول ربيع الأول سنة ١٠٢٧ ﻫ وهو ابن أحمد الاول وكان خبيرا بضروب السياسة جديرا بالملك ولذلك لما جلس على سرير ملكه أمر باطلاق سفير دولة فرنسا وكاتبه والمترجم له حسما

للفتن والنزاع ومجاملة للملوك وحارب العجم وهزمهم في أول مرة واسترد منهم الولايات التي كانوا قد انتزعوها من الدولة ثم أعان ملك الاردن على محاربة النمسا وتداخلت بولونيا في شؤون البغدان فاعتبر السلطان هذا التداخل من أهم الاسباب لمحاربتها لجعلها فاصلا بين أملاكه وبين أملاك الروسيا فهاجمها العثمانيون ولكن طلب الانكشارية الكف عن القتال بينما كان البولونيون قد طلبوا الصلح فعقدت شروطه في اكتوبر سنة ١٦٢٠ م وأراد السلطان الانتقام من الانكشارية لاحجامهم عن الحرب فعلموا بذلك فعصوه وعزلوه ثم قتلوه في ٩ رجب سنة ١٠٣١ هـ وله من العمر ١٨ سنة وأرخ وفاته بعض الادباء بقوله

مات سلطان البرايا * فهو في الاخرى سعيد
قال لي الهاتف أرخ * ان عثمان شهيد

وأعادوا مكانه السلطان مصطفى الاول وصارت الدولة بأيديهم يولون من أرادوا ويعزلون من شاءوا وكانت نتيجة ذلك أثارة الفتن ضد الدولة وضعفها ففي أثناء حصول تلك الحوادث ووصولها الى الولاة استقلت طرابلس (وأرضروم) وسيواس وبقيت الدولة في اضطراب ١٨ شهرا ولم تهدأ نار الفتنة الا بتعيين على باشا صدرا أعظم الذي أشار بعزل السلطان مصطفى الاول فعزل في ١٥ ذي القعدة سنة ١٠٣٢ هـ وبقي معزولا الى أن توفي سنة ١٠٤٩ هـ وبعزله ولي مكانه السلطان مراد خان الرابع

(ولاة السلطان عثمان خان الثاني على مصر)

(وبيان من وليها مدة السلطان مصطفى بن محمد الثانية)

لما ولي الملك قد بلغه الاضطراب الحاصل بمصر بسبب مصطفى باشا واليها فعزله وولى عليها جعفر باشا فاشتد في زمنه الوباء ومات بسببه

كثير من الناس ثم عزل جعفر باشا بعد أن حكم نحو نصف سنة وولى مكانه مصطفى باشا في رمضان سنة ١٠٢٨ هـ وعزل فى رمضان سنة ١٠٢٩ هـ ثم ولى مكانه حسين باشا وفي مدته فاض النيل حتى كاد يغرق البلاد ويهلك العباد ثم عزل حسين باشا بعد أن حكم سنة وسبعة أشهر وولى بعده محمد باشا البستاني واستدعى بعد ذلك حسين باشا الى الاستانة وقبل وصوله اليها كان قد تم خلع السلطان عثمان خان الثاني ورجع الملك الى السلطان مصطفى الأول كما سبق وكان السلطان عثمان قد أرسل الى مصر قبل خلعه محمد باشا البستاني فلم يبق الاشهرين وخمسة عشر يوما ثم عزل وولى مكانه ابراهيم باشا السلحدار وبقى سنة ثم عزل وسافر الى الاستانة بحرا بخلاف العادة التى كانت متبعة من سفر الولاة المعزولين برا وولى بدله مصطفى باشا واستلم مهام الاعمال في ٢٢ رمضان سنة ١٠٣٢ هـ وفي مدته كان خلع السلطان مصطفى الاول

(السابع عشر السلطان مراد خان الرابع)

(١٠٣٢ ـ ١٠٤٩)

ولى الملك رابع عشر ذى القعدة سنة ١٠٣٢ هـ وكان شجاعا مقداما ثابت الجأش قوى الساعد مع حداثة سنه فقام بتدبير الملك أحسن قيام وقمع المتمردين من الطغاة والعساكر الذين كانوا يثيرون الفتنة وقمع ثورة أباظة باشا وأعاد له ولايته بعد خضوعه ثم حارب العجم وهزمهم وفتح مدينة أريوان ثم حاصر بغداد بعد ذلك حصارا طويلا ولكن الانكشارية تذمروا من طول الحصار فاضطره ذلك الى فك الحصار عنها ورجوعه للموصل وديار بكر وفي زمنه توفى شاه العجم عباس وخلفه ابنه الملقب (مرزا شاه الفق) فعاد أمله فى العجم فحاصر الصدر الاعظم خسرو باشا

بغداد ثانيا الا أن الجنود لم تمتثل أوامره فتقهقر الى حلب ثم عزل أثر ذلك خسرو باشا من الصدارة فأفهم الجند أن ذلك ناتج عن مدافعته عنهم فثار الجند وطلبوا من السلطان عودته فلم يحفل بهم وأوعز بقتل خسرو باشا فقتل وعين بدله في الصدارة بيرم محمد باشا فاستقامت الامور وهدأت الفتنة ثم سار السلطان بنفسه الى العجم ليسترجع كل ما كان قد فتحه السلطان سليمان الاول ففتح كثيرا من بلادهم ثم عاد الى الاستانة فبلغه عصيانهم وتغلبهم على الجيوش العثمانية فسار اليهم ثانيا بجيش عرمرم فحاصر بغداد في الثامن من رجب سنة ١٠٤٨ هـ وكان رحمه الله يشتغل بنفسه الشريفة في اعمال الحصار مع الجنود تنشيطا لهم ولم يزل مجدا في فتحها حتى فتحها بعد حرب عوان استمرت نحو ٤٨ ساعة وحينئذ التجأ الشاه لطلب الصلح واستمرت المفاوضات عشرة أشهر على أن ترد أريوان للفرس وتكون بغداد للدولة وتم ذلك في ٢١ جمادى الاولى سنة ١٠٤٩ هـ ثم توفي السلطان مراد الرابع ولم يعقب وكانت وفاته في ١٩ شوال سنة ١٠٤٩ هـ ولم يتجاوز من العمر ٣١ ربيعا وله مآثر كثيرة منها أنه جدد باب الكعبة الشريفة وأمر بفرش الحرم الشريف بالحصر ومنع شرب الدخان وأبطل محال القهوة في جميع ممالكه

(ولاته على مصر)

لما ولي أمر الملك عزل مصطفى باشا الذى كان واليا عليها بعد أن وليها ثلاثة أشهر وذلك في ١٥ ذى الحجة سنة ١٠٤٩ هـ وولى مكانه على باشا الا أن الجند عارضوا في ذلك لعدم اعطائهم ما كان يدفع لهم من العطاء عند تولية كل وال جديد فقهروه على الرجوع الى الاستانة فاضطرت الدولة الى ارسال مندوب عثماني لمصر فحضر وألبس مصطفى باشا الذى كان قد

عزل الخلعة المرسلة اليه من السلطان وتلا عليهم (القرمان) الوارد من السلطنة بتثبيته في منصبه فرضي الجميع بذلك وهدأ الوقت وزالت الاضطرابات وبقي الامر على ذلك حتى جاء ربيع الاول سنة ١٠٣٥ هـ فظهر في مصر وباء شديد قد عم جميع أنحائها في مدة وجيزة حتى كان شعبان من تلك السنة فأخذ يتناقص حتى تلاشى في شهر رمضان منها وصار مصطفى باشا يأخذ مال من توفي بهذا الوباء فكثرت الشكايات وبلغ ذلك الخبر السلطان فغضب عليه وعزله وولى بيرم باشا وأمره أن يكلف مصطفى باشا بأن يدفع للناس ما أخذه ويرسله الى الاستانة ليلاقي جزاء ما كسبت يداه فلما حضر بلغه ذلك فباع كل مايملك ودفع للناس ما أخذه منهم وقدم الى الاستانة سنة ١٠٣٧ هـ فحكم عليه بالاعدام فذهب ضحية طمعه وظلمه ولم ينفعه شيء مما أخذ وكان مافعل به عبرة للظالمين وبقي بيرم باشا بمصر مدة أظهر فيها من العدل والكفاءة ماخلد له جميل الذكر وبعد ذلك رجع الى الاستانة وعين في الوزارة المرة الثالثة وولي بدله محمد باشا وكان عادلا حازم الرأى محبا للعزلة والاعتكاف بقي بمصر نحو سنتين كان فيها مثال العدل والشهامة وفي أثنائها أرسل فرقة من رجاله الى اليمن لاخضاع القبائل المتمردة بأمر السلطان ورمم الكعبة وحفظها مما أصابها من تيار الماء الذى مر بمكة في شعبان سنة ١٠٣٩ هـ ثم استدعى في سنة ١٠٤٠ هـ الى الاستانة ودخل فى الوزارة السلطانية مكافأة له على عدله واخلاصه وولي الوزير موسى باشا فساءت سيرته وكثرت مظالمه وامتدت أطماعه لما في أيدى الناس فعزل وولى خليل باشا فحضر في ربيع الاول سنة ١٠٤١ هـ وبعد مدة يسيرة بلغه أن عصابة من اللصوص نهبت مكة تحت رياسة أحد الاشراف فأرسل اليهم الامير قاسم بك بجيش

من قبله فقهرهم ورجع سنة ١٠٤٢ هـ ثم استقال في السنة المذكورة خليل باشا فولي الوزير أحمد باشا الكرجي وكلفته الدولة بارسال ٤٠٠٠ جندي لمساعدة العثمانيين على دروز لبنان مع ٥٠٠٠ قنطار من الخبز ومثلها من البارود ثم طلب منه أيضا نحو ذلك للمساعدة في محاربة الفرس فاعتذر الى السلطان بأن مصر لا يمكنها القيام بذلك فأرسل اليه ١٢٠٠٠ قنطار من النحاس لجعلها نقودا ويرسل بدلها ثلثمائة ألف محبوب فأجهد نفسه في صنع ذلك ولكنه عجز عن انجازه في المدة المعينة فاستقر رأى النواب والقضاة أن يوزع هذا النحاس على الأهالي حسب حالتهم ويؤخذ بنسبته نقود فكان ذلك حملا ثقيلا عليهم وبعد قليل استدعى الى الاستانة فسار اليها وولى بدله الوزير حسين باشا فمكث نحو سنتين وكان شديدا سفاكا للدماء فقتل كثيرا من الناس وبعد ذلك عزل وتولى محمد باشا ابن بنت السلطان سليم الثاني ولم يكن ينقص عن سلفه شيئا في الظلم والعسف والجبروت بل زاد عنه في أنه اختلس أموالا كثيرة من التركات والتهم الاموال التي كانت توزع صدقات على الارامل والايتام وفي مدته توفي السلطان مراد خان الرابع

(الثامن عشر السلطان ابراهيم خان الاول)

(١٠٤٩ ـ ١٠٥٨)

ولي الملك بعد وفاة السلطان مراد خان الرابع سنة ١٠٤٩ هـ وهو ابن السلطان أحمد الاول فكان ملكا مهيبا حسن المنظر والمخبر كريما ميمون الطالع في جميع مغازيه فهابته الملوك وانحسمت الفتن وأهم ما حصل في زمنه أنه فتح جزيرة كريد وكانت للبنادقة سنة ١٦٤٥ م وظهرت أساطيله على أساطيل البنادقة وعصت الجنود بالاستانة وسبب ذلك أن السلطان

أراد الفتك بالانكشارية ليلة زفاف ابنته على ابن الصدر الاعظم لتداخلهم في شؤون المملكة فاتفقوا على عزله وتولية ابنه محمد الرابع وتم لهم ذلك في ١٨ رجب سنة ١٠٥٨ هـ وقامت الجنود الفرسان تطلب اعادة السلطان فخاف رؤساء الحزب الذين عزلوه أن يتم له الامر فينتقم منهم فأسرعوا بخنقه وله من العمر ٣٤ سنة

(ولاته على مصر)

لما ولي استبدل محمد باشا الذى كان واليا على مصر بمصطفى باشا البستانى فأخذ له كاتبا يدعى أحمد أفندى وفوض اليه الامور وكان ظالما فاستبد فاضطربت الاحوال حتى ألجأت مصطفى باشا للاستقالة وخلفه مقصود باشا وفي مدته حصل وباء شديد سنة ١٠٥٢ هـ وكان مبدأ ظهوره ببولاق ثم انتقل الى القاهرة ثم سرى في جميع أنحاء القطر واستمر الى أواخر صفر سنة ١٠٥٣ هـ وكثرت الاضطرابات بمصر ولم تنته الا بعزله فعزل في أواخر ذى الحجة من السنة المذكورة وولي شعبان بك الدفتدار مؤقتا حتى يحضر الوالى الجديد من الاستانة فولي أيوب باشا وحضر وكان حازم الرأى محبا للعدل ناشرا لواء الامن فاستقامت الامور في أيامه وبقي الحال على هذا المنوال نحو سنتين ثم استقال وولي الوزير محمد باشا ولم يكن مثل سلفه فعادت الاضطرابات لما كانت عليه أولا وفي مدته توفي السلطان ابراهيم خان الاول

(التاسع عشر السلطان محمد خان الرابع)

(١٠٥٨ — ١٠٩٩)

ولي الملك يوم خلع أبيه في ١٨ رجب سنة ١٠٥٨ هـ وهو حديث السن لم يتجاوز السابعة من عمره ولذلك قد عاد الاضطراب وزاد الفشل حتى

اضطر حسين باشا لرفع الحصار عن قنديا وانهزمت السفن الحربية العثمانية أمام مدينة فوسيا القريبة من أزمير ونار بآسيا الصغرى (قاطرجى أوغلى) (وكورجى بى) وزحفا بأشياعهما على الاستانة وتغلبت مراكب البنادقة على سفن الدولة عند مضيق الدرديل واحتلت تندوس ولمنوس واعترضت السفن الحاملة للمأكولات برسم الاستانة حتى غلت فيها أصناف الاغذية وظلت هكذا حتى تولى الصدارة سنة ١٠٦٧ ﻫ الوزير محمد باشا كوبريلى فانه أرغم أنوف الانكشارية وشنق بطريرك الاروام لتداخله فى الفتنة واسترد من البنادقة ما احتلوه من الثغور والجزائر وكانت الحرب قائمة بين السويد وبولونيا فطلبت الأولى من الدولة مساعدتها على الثانية في مقابلة الاعتراف بحمايتها عليها فامتنعت الآن أمير ترنسلفانيا أجاب طلب السويد مع أميرى الافلاق والبغدان فعزلته الدولة فتمرد فساقت اليه الجنود وطردته وعينت آخر مكانه وما تم لها ذلك حتى ثار أمير الافلاق واضطهد المسلمين فقهره الوزير محمد باشا وعزله وعين أمير البغدان مكانه ثم احتل والى بودا العثمانى مدينة (جروس واردن) النمسوية فاعتبرت النمسا هذا الحادث اعلانا للحرب عليها أما فرنسا فضعف نفوذها حيث طرد اليسوعيون من الاستانة بمساعى انكلترا وهولندة والبروتستانتيين واستأثر اليونان بخدمة بيت المقدس بعد أن كانت للكاثوليك وسببه اشتغال فرنسا بمحاربة النمسا ومساعدتها البنادقة سرا على الدفاع عن كريد وفي سنة ١٠٧٢ ﻫ توفي الوزير محمد باشا فخلفه ابنه أحمد فتتبع خطوات أبيه في اعادة مجد الدولة حيث أخذ بنفسه قلعة (نوهزل) النمسوية وكانت منيعة واهتزت أوروبا لهذا الخبر والتمس ملك النمسا بواسطة البابا اسكندر السابع مساعدة ملك فرنسا فساعده

بستة آلاف انضم اليهم ثلاثون ألفا من الالمانيين فانتصر الوزير كوبريلى عليهم في ٨ محرم سنة ١٠٧٥ ﻫ الا أنه لم يتقدم الى الامام وسميت هذه الواقعة بواقعة سان جوتار وبعدها بأيام أبرمت معاهدة تجعل ترانسلفانيا تحت سيادة الدولة العلية وتقسم المجر بحيث يكون للنمسا ثلاث ولايات منها وللدولة أربع مع بقاء الحصون المفتوحة في قبضتها وفي أثناء ذلك حاولت فرنسا اعادة الصلات الودادية بينها وبين الدولة فلم تفلح حيث رفض الصدر تجديد امتيازات فرنسا ومرور بضائعها برسم الهند من مصر ومنح جمهورية جنوة امتيازات كانكلترا ولهذا ساعد الفرنسيون كانديا حتى فتحها الصدر الأعظم بنفسه في ٢٩ ربيع الاول سنة ١٠٨٠ ﻫ بعد أن استمر الحصار والقتال عامين وأمضى مع البندقية معاهدة تعترف فيها بامتلاك الدولة للجزيرة ماعدا قرى سودا وقره بوزا وسبينالونجا وفي سنة ١٦٧٠ م أرسل ملك فرنسا سفيرا آخر لاعادة الصلات يعززه اسطول قصد به ارهاب الدولة فرجع من مهمته كما عاد الاول وأراد لويس الرابع عشر لذلك محاربتها ولكن وزيره كولبر استعمل دهاءه فى تسكينه وتوصل باللطف واللين الى تجديد المعاهدات القديمة ومنها حق حماية بيت المقدس وفي ٢٤ رمضان سنة ١٠٨٧ ﻫ توفى الصدر الاعظم كوبريلى أحمد فخلفه (قره مصطفى) زوج أخته الذى حاصر فينا سنة ١٦٨٣ م واستولى على قلاعها الامامية ودك أسوارها وكان البابا قد استنجد بملوك النصرانية فلما كاد يتم الفتح جاسوبيسكى ملك بولونيا وغيره فهجموا على العثمانيين في ٢٠ رمضان سنة ١٠٩٤ ﻫ وهزموهم فبعث السلطان بمن أتى برأس قره مصطفى وبعد هذه الواقعة تحالفت النمسا وبولونيا والبندقية ورهبانية مالطه والبابا والروسيا على محاربة الدولة محاربة دينية ولذا سموا هذا التحالف

بالمقدس فزحفت جيوش سوبيسكي على البغدان وسارت أساطيل البنادقة والبابا والرهبنة الى سواحل اليونان فاحتل البنادقة موانيها حتى كورنثة وأتينا وأخذ النمساويون مدينة بست وحاصروا بودا وكادوا يأخذونها لولا مدافعة حاميتها ثم احتلوا (نوهزل) وغيرها ولما تعاقب الفشل عزل الصدر الاعظم ابراهيم باشا وعين مكانه السرعسكر سليمان الذي بادر بامداد حامية بودا التي يحاصرها تسعون ألف نمساوي ولكن الدوق دي لورين قائد هذا الجيش دخلها عنوة في ١٣ شوال سنة ١٠٩٧ هـ وقتل حاكمها عبده باشا وكان بهذا الاستيلاء ضياعها حتى الآن وفي ٣ شوال سنة ١٠٩٨ هـ التقى الصدر وجيشه المؤلف من ٦٠ ألف مقاتل و٧٠ مدفعا بجنود الاعداء فانهزم وغنم هؤلاء ما كان معه من أسلحة وذخائر ولما وصلت أنباء هذا الفشل الى الاستانة هاج الناس والعساكر وطلبوا من السلطان أن يقتل الصدر الاعظم فقتله الا أنهم لم تخمد فتنتهم الا بعزله وتم لهم ذلك في ٢ محرم سنة ١٠٩٩ هـ وتوفى سنة ١١٠٤ هـ بالغا من العمر ٥٣ عاما

(ولاته على مصر)

فى أول سلطنته عزل محمد باشا بعد أن حكم سنتين ونصفا كانت مثال الفشل والفوضى وولى مكانه أحمد باشا وبقي سنتين لم يستطع فيهما تسكين الاضطرابات والقلاقل فاضطر السلطان الى عزله وولى الوزير عبد الرحمن باشا وبقي بها الى غرة شوال سنة ١٠٦٢ هـ ثم عزل وولي الوزير محمد باشا خضر في ٨ محرم سنة ١٠٦٣ هـ وهكذا صاروا يتولون في زمنه الواحد بعد الآخر حتى انتهت مدته ولم يعد هذا التغيير الكثير والعزل المتوالى على مصر بشيء من الفوائد فضلا عن الضرر فان الوالى من هؤلاء الولاة ما كان يجعل نصب عينيه الا أن يحصل شيئا لنفسه قبل عزله وكانت

هذه حالة غير مرضية وربما كانت أعظم أسباب الاضطرابات والقلاقل

(العشرون السلطان سليمان خان الثاني)

(١٠٩٩ - ١١٠٢)

تولى بعد عزل أخيه في شهر المحرم سنة ١٠٩٩ هـ فقام بأعباء السلطنة حق القيام حتى رفع لها بعد الانحطاط رايات وأعلاما وسكنت الاحوال وهدأت الفتن وانتظم نظام العساكر الانكشارية ثم استرد من النمساويين جميع البلاد التي كانوا قد أخذوها مثل مداش نيش وودين وسمندريه وبلغراد وقذف بهم الى الضفة الاخرى من الطونه وهزم جيش النمسا من بلاد الاردن وانتصر عامله سليم كراى خان على الروس وثوار الصرب الذين كانوا قد حاولوا فتح بلادهم وعاد المجد والسؤدد للدولة العلية وباتت بلادها آمنة مطمئنة تهابها الاعداء ثم توفي رحمه الله في ٢٦ رمضان سنة ١١٠٢ هـ بالغا من العمر ٥٠ سنة ولم يعقب

(ولاته على مصر)

لما جلس على سرير ملكه ولى على مصر حسن باشا السلحدار وفي أواخر سنة ١٠٩٩ هـ حصل بمصر بين ابراهيم بك بن ذى الفقار وبين عرب الحجاز حروب خلف جبل الجيوشي قتل فيها كثير من العرب فوقفوا بذلك في طريق الحج في تلك السنة وقتلوا كثيرا من الحجاج وقتلوا خليل كتخدا أمير الحج فأرسل اليه خمسة سناجق بعسكرهم فلما وصلوا الى العقبة ولى العرب الادبار ثم عزل حسن باشا وتولى غيطاس بك ثم أحمد باشا وفي ٢١ جمادى الآخرة سنة ١١٠٢ هـ مات ودفن بالقاهرة بعد أن ولى سنة ونصفا ومن مآثره ترميم جامع المؤيد بعد أن كان قد آل الى السقوط ثم أذن السلطان بولاية على كتخدا باشا مؤقتا فتصرف

ثلاثة أشهر حتى تولى على مصر على باشا وحضر في ١٢ رمضان سنة ١١٠٢ هـ وفي ٢٦ منه توفى السلطان سليمان خان الثانى كما سبق

(الحادى والعشرون السلطان أحمد خان الثانى)

(١١٠٢ - ١١٠٦)

ولى بعد أخيه سنة ١١٠٢ هـ فاستعاد حرب النمسا فكانت الحرب بينهما سجال وحاول البنادقة استرجاع جريد فلم يستطيعوا وغنمت الدولة منهم ثغر قرابوسة ومات في زمنه الصدر الاعظم (مصطفى باشا ابن كوريلى) أثناء قتال النمسا فكان موته خسارة على الدولة لعدم كفاءة من تولى بعده (عربه جى باشا) فتقوى البنادقة واستنجدوا بأساطيل البابا وبأهالى مالطة واحتلوا جزيرة ساقز وأهم ما حصل بمصر في وقته أنه في سنة ١١٠٦ هـ لم يف النيل وهبط بسرعة فلم يرو كثيرا من الاراضى فاشتد الغلاء وكثر الفناء ولم يغير على باشا والبهائم توفى السلطان رحمه الله في الثانى والعشرين من جمادى الثانية سنة ١١٠٦ هـ وكانت أعماله مرضية

(الثانى والعشرون السلطان مصطفى خان الثانى)

(١١٠٦ - ١١١٥)

هو ابن السلطان محمد الرابع جلس على سرير الملك بعد وفاة سابقه سنة ١١٠٦ هـ وكان رحمه الله حازم الرأى شديد البأس فهابته الاعداء وخضعت له الجبابرة وبعد جلوسه على سرير ملكه بثلاثة أيام جند الجنود وخرج بنفسه محاربا (بولونيا) فهزمها وانتصر عليها عدة مرات ثم حارب الروس واضطرهم لرفع الحصار عن مدينة آزاق (من بلاد القرم على البحر الاسود) ثم أخذها بعد ذلك بطرس الاكبر وهو الذى أسس مدينة (بطرسبرج) وجعلها عاصمة الروس واسترد السلطان جزيرة ساقز من البنادقة

وهزمهم شر هزيمة وانتهت الحرب بين الدولة العلية والنمسا والروسيا وبولونيا والبنادقة بمعاهدة (كارلوفتش) في ٢٢ رجب سنة ١١١٠ هـ الموافق ٢٦ يناير سنة ١٦٩٩ م

فتخلت الدولة بمقتضى هذه المعاهدة عن المجر وترنسلفانيا للنمسا وآزاق للروس وبودوليا وأوكروين لبولانيا والمورة واقليم دلماسيا للبندقية ومن هذا الوقت ظهرت سياسة التعصب ضد الدولة لاقتسام أملاكها ثم استقال الصدر الاعظم في شهر ربيع الاول سنة ١١١٤ هـ فعين مكانه دالطبان مصطفى باشا فلم ترق في نظره معاهدة كارلوفتش وكان شجاعا ميالا للحرب فأراد نقض هذه المعاهدة فلم يرض السلطان فاستقال فأقاله في شهر رمضان من تلك السنة وعين بدلا عنه في الصدارة (رامى محمد باشا) فاقتفى أثر (كوبريلى حسين) في التنظيم والتنسيق وبينماهم كذلك اذ ثارت الانكشارية وطلبوا عزل السلطان فبعث فرقة من الجنود لارجاعهم عن غيهم فانضمت اليهم وانتهى الامر بعزله في ٢ ربيع الآخر سنة ١١١٥ هـ وتوفى في الثاني والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وله من العمر أربعون سنة

(ولاته على مصر)

عزل على باشا الذى كان واليا عليها وورد الامر بذلك في ١٨ محرم سنة ١١٠٨ هـ بعد أن حكمها أربع سنين وثلاثة أشهر وولى اسماعيل باشا وفي مدته كثر الفناء حتى عجز الناس عن حمل كثير من الاموات فما كانت تخلو طريق منهم حتى اضطر الناس لوضع الثلاثة والأربعة في نعش واحد ووفق الله هذا الوالى كغيره من أهل الخير لتكفين ألوف من الموتى وكثر الغلاء واشتد البلاء وبقى الامر كذلك نحو تسعة أشهر ثم زاله

الشر وارتفع الضرو في ٢١ ربيع الاول سنة ١١٠٩ هـ خلع الجند اسماعيل باشا بعد أن ولي سنتين وأقيم مصطفى بك قائم مقام مؤقتا حتى يحضر غيره وفي رجب من هذه السنة حضر حسين باشا واليا على مصر وطلع القلعة في موكب حافل وبقي الى ربيع الثاني سنة ١١١١ هـ وفيه قد عزل وتولى بدله قره محمد باشا وفي زمنه فشا أمر الفضة المغشوشة وقل وجود العملة الديوانية وان وجدت اشتراها اليهود وقصوها وتلاعبوا بالعملة فاجتمع فريق من الناس ودخلوا الازهر وشكوا أمرهم الى العلماء وألزموهم بالركوب الى الديوان فأجابوا طلبهم ورفعوا عن ذلك تقريرا الى الوالي فأمر بعقد جمعية في بيت حسن أغا بابطال الفضة المقصوصة واستعمال الجيد وأدار دار الضرب لضرب النقود الفضية والنحاسية بها وبقي بمصر ناشرا لواء العدل حتى خلع السلطان مصطفى خان الثاني

(الثالث والعشرون السلطان أحمد خان الثالث)

(١١١٥ — ١١٤٣)

جلس بعد أخيه سنة ١١١٥ هـ ولم يظهر للانكشارية سوءا بل أغدق عليهم بالنعم وصرح لهم بقتل المفتي ولما تمكن في عرشه انتقم منهم فقتل زعماءهم وعزل الصدر (نشانجي أحمد باشا) الذي كانوا قد انتخبوه وعين بدله (داماد حسن باشا) فتمكنوا بعد ذلك من عزله وأعطيت الصدارة الى (بلطه جي محمد باشا) فلما تم أمره حارب الروس بمائتي ألف جندي وحاصر القيصر بطرس الاكبر وخليلته كترينا التي رشته بما كان معها من الجواهر والحلي فرفع الحصار عنهما وأمضى القيصر معاهدة فلكزن التي تقضي عليه باخلاء مدينة آزاق فلم ترق هذه المعاهدة في نظر السلطان وعلم خيانة الصدر الاعظم فاستبعده الى جزيرة لمنوس وعين

بدله يوسف باشافعقد مع الروس معاهدة تقضي بعدم الحرب ٢٥ سنة ولكن لم تمض مدة أشهر حتى شبت نار الحرب فتداخلت هولندة وانجلترا في اطفائها وأبرمت معاهدة أدرنة القاضية بتنازل الروسيا عن جميع مالها من البلاد على البحر الاسود ولما ولي الصدر الأعظم علي باشا داماد استرد مورا من البنادقة وأخذ جميع قراهم في كريد فاستنجدوا بالنمسا فأبلغت الباب العالي بكونه اذا لم يرد لها ماأخذه منها اعتبر رفضه اعلانا للحرب ففضلت الدولة الحرب فدارت رحاها بينهما وبعد حوادث تم الصلح بين الفريقين على أخذ النمسا مافتحته مع جزء من الصرب والافلاق وأن تبقى شواطئ دلماسيا للبنادقة وتسمى هذه المعاهدة معاهدة بساروفتس وفي شوال سنة ١١٣٦ هـ عقدت معاهدة بين الدولة والروسيا تقضي بقسمة بلاد العجم التي طلب ملكها (طهماسب) بعد ذلك من الدولة اعادة ماأخذته من بلاده فلم تجبه فزحف عليها فرغب السلطان في الصلح فقام الانكشارية عليه وعزلوه في ١٥ ربيع الأول سنة ١١٤٣ هـ وبقي معزولا حتى توفي سنة ١١٤٩ هـ وفي عهده أسست دار الطباعة في الاستانة بعد اقرار المفتي واصداره الفتوى بالطبع مشترطا عدم طبع القرآن الشريف خوفا مما عساه أن يقع فيه من التحريف ثم تولى بعد عزله ابن أخيه السلطان محمود خان الاول

(ولاته على مصر)

لما استقر على سرير ملكه أخذ في تغيير العمال فعزل محمد باشا عن مصر بعد أن وليها خمس سنين وورد أمر عزله في شهر رجب سنة ١١١٦ هـ وكان محمود السيرة كما سبق التنبيه عليه ومن مآثره أنه أنشأ في (قراميدان) جامعا وملجأ للفقراء الأروام وأنشأ تجاهه مطبخا ودارا

لضيافة الفقراء وفي أعلاها مكتب لقراءة الفقراء من الاطفال الى غير ذلك
من الآثار التى تدل على علو همته وشريف عواطفه وولى بعده محمد باشا
وبقى بمصر لليوم السادس من شهر رجب سنة ١١١٨ هـ ثم عزل وولى مكانه
على باشا وفي أوائل رجب سنة ١١١٩ هـ ورد أمر عزله وجعل ابراهيم
بك قائم مقام بدله مؤقتا حتى حضر حسين باشا في ١٣ شعبان من هذه
السنة وأقام بأمر مصر وفي ١٩ رمضان سنة ١١٢١ عزل وولى ابراهيم باشا
القبودان وأرسل الى حسين باشا كتابا بالنيابة عنه لحين حضوره فبقى الى
أن حضر في ١٥ ذى الحجة من هذه السنة وفي ١٥ رجب سنة ١١٢٢ هـ عزل
وولى الوزير خليل باشا وأقيم أيوب بك لحين حضوره وحضر يوم
الثلاثاء العاشر من شهر شعبان من هذه السنة وفي مدته حصلت فتنة بمصر
سنة ١١٢٣ هـ بين العسكر أقفلت فيها أسواق القاهرة وحوانيتها
وأخذت المدافع تضرب ليلا ونهارا حتى هدمت كثيرا من المبانى وأهلكت
كثيرا من الارواح وسفك دم كثير من الامراء منهم أحمد باشا الشهير
بافرنج الذى اشتهرت بهذه الواقعة وعزل خليل باشا الذى أوقد نار
الفتنـة وولى والى باشا فحضر وطلع القلعة في أواخر شهر رجب
من هذه السنة وفي سنة ١١٢٥ هـ حصل بمصر طاعون ابتدأ من القاهرة
وانتشر في أنحاء القطر وكان ابتداؤه غرة ربيع الأول منها وأخذ في
التناقص في أواخر جمادى الآخرة وفى هذه السنة عزل والى باشا وولى
مكانه عابدين باشا ولم يلبث أن عزل وولى مكانه على باشا الازميرى ثم عزله
سنة ١١٣٣ هـ فولى مكانه رجب باشا فقبض على على باشا وحبسه ثم خنقه
وأرسل رأسه الى الباب العالى ثم عزل رجب باشا بعد ثلاثة أشهر وعشرة
أيام ونزل من القلعة محقرا وحضر بعده محمد باشا البستانى فلم يمكث الا

شهرا واحدا وعزله العسكر فولي بدله عبد الله باشا الكبورلي وكان ميالا للفضل والأدب ولذلك مدحه كثير من شعراء مصر وله ديوان شعر مرتب على حروف المعجم يدل على فضله وأدبه وأرخ مجيئه بعض الشعراء بقوله

ولما جاء مصرا أرخوه * لقد سعدت بعبد الله مصر

وفي مدته خلع السلطان أحمد الثالث

(الرابع والعشرون السلطان محمود خان الأول)

(١١٤٣ – ١١٦٨)

هو ابن السلطان مصطفى الثاني كان محبا للسلم ناشرا لواء المعارف أتم حرب العجم بما أعاد الحدود القديمة بين الدولتين ثم حارب الروسيا والنمسا وانتصر عليهما وعقد معهما معاهدة بلغراد التي ردت للدولة العلية جهات أورسوه والافلاق النمسوية وقضت على الروس بهدم قلعة آزوف وعدم تسيير سفن حربية أو تجارية في البحر الاسود وبحر آزوف وبأن ترد للدولة ما أخذته من بلادها وبقيت الحرب في مدته واضعة أوزارها تسع سنين وكانت أيامه أيام يمن واقبال وعز واجلال ثم توفي السلطان في السابع والعشرين من صفر سنة ١١٦٨ هـ وله من العمر ستون سنة

(ولاته على مصر)

عزل عبد الله باشا عن مصر في أواخر سنة ١١٤٤ هـ وولي محمد باشا السلحدار وبقي الى سنة ١١٤٦ هـ ثم عزل وولي الوزير عثمان باشا الحلبي وبقي سنة وخمسة أشهر ثم عزل سنة ١١٤٨ هـ وتولى بدله الوزير بكير باشا وبقي الى سنة ١١٤٥ هـ وفيها حصلت

بمصر فتنة قتل فيها جماعة من الامراء منهم محمد بك غيطاس وعلى بك وصالح بك وعثمان كتخدا مستحفظان ويوسف كتخدا وقامت الجند على الباشا وعزلوه وحضر الامير مصطفى أغا بأمر من الدولة لضبط تركات المقتول ثم أتى أمر آخر بتوليته على مصر فوليها وبقي بها واليا الى سنة ١١٥٢ﻫ ثم تولى بعده سليمان باشا الشامي الشهير بابن المعظم فمكث الى جمادى الاولى سنة ١١٥٣ﻫ وعزل وولي مكانه على باشا حكيم اوغلى (وهي توليته الاولى بمصر) فمكث الى جمادى الاولى سنة ١١٥٤ﻫ وتولى مكانه الوزير يحيى باشا فمكث الى ان عزل في شهر رجب سنة ١١٥٦ ﻫ فتولى بعده محمد باشا اليدكشى فاستمر في ولاية مصر الى أن عزل سنة ١١٥٨ﻫ وتولى بعده محمد باشا راغب فمكث واليا على مصر سنتين وستة أشهر وعزله العسكر سنة ١١٦١ﻫ لفتنة وقعت قتل فيها خليل بك أمير الحج وعلى بك الدمياطى وهرب فيها الى الصعيد ابراهيم بك غيطاس مع طائفة من السناجق وعمر بك بن على بك مع طائفة أخرى الى الحجاز ثم تولى الوزير أحمد باشا المعروف بكوروزير فدخل مصر غرة المحرم سنة ١١٦٢ﻫ وبقي بها واليا الى شوال سنة ١١٦٣ﻫ ثم عزل وولي الشريف عبد الله باشا فحضر في رمضان سنة ١١٦٤ﻫ ومكث الى سنة ١١٦٦ ﻫ ثم عزل وأقيم مقامه الوزير محمد باشا أمين وحضر مريضا وتوفي بعد شهرين من حكمه في ١٥ شوال من هذه السنة وتولى بعده الوزير مصطفى باشا وكان حضوره في ١٣ ربيع الاول سنة ١١٦٧ﻫ وفي مدته توفي السلطان محمود خان الاول سنة ١١٦٨ ﻫ كما سبق

(الخامس والعشرون السلطان عثمان خان الثالث)

(١١٦٨ - ١١٧١)

جلس على سرير ملكه بعد وفاة أخيه يوم من سنه ١١٦٨ ه وهو ابن السلطان مصطفى خان الثانى وكان متيقظا عادلا يطوف متنكرا ليعرف أحوال الناس ويقف على كل أمر يهمه الوقوف عليه اقتداء بعمر رضى الله تعالى عنه ولما ولى عين نشانجى على باشا رئيسا للصدارة فأكثر من المظالم وبينما السلطان يطوف متحسسا اذ سمع ذم الناس وتحدثهم بكثير من مظالمه فأمر بقتله ووضع رأسه في اناء من الفضة أمام باب القصر وعين مكانه مصطفى باشا ولم تمض مدة حتى استبدله براغب باشا صاحب المعارف الكثيرة والمؤلفات الشهيرة وبينما السلطان قائم على قدم وساق فى كل مايعود على رعيته بحسن الحال وسعادة الاستقبال اذ دعاه داعى المنون فأجابه في السادس عشر من شهر صفر سنة ١١٧١ ه بالغا من العمر ستين سنة

(ولاته على مصر)

أبقى مصطفى باشا واليا عليها الى شهر ربيع الاول سنة ١١٦٩ ه ثم عزله وولى على باشا حكيم أوغلى فحضر الى مصر وبقى واليا الى أن عزل سنة ١١٧١ ه وفيها توفي السلطان عثمان خان الثالث

(السادس والعشرون السلطان مصطفى خان الثالث)

(١١٧١ - ١١٨٧)

هو ابن السلطان أحمد الثالث جلس على سرير الملك سنة ١١٧١ ه وكان عاقلا مدبرا محبا للاصلاح وكان وزيره الاعظم راغب باشا العالم الفاضل صاحب سفينة الراغب فاجتهد في اصلاح الشؤون فأسس مستشفيات

للحجر على الوارد من الخارج مدة الوباء وأنشأ مكتبة جليلة وسهل الطرق لتسهيل المواصلات الى الممالك العثمانية ترويجا للتجارة وبقي باذلا جهده الى أن توفي في ١٤ رمضان سنة ١١٧٦ هـ وبعد موته لنشبت الحروب بين الدولة والروسيا فاشتغل السلطان بهذه الحروب فأغفل ارسال الولاة الى مصر وولى أمرها المماليك بشرط أن يدفعوا خراجا للدولة فأحدث هذا الامر اضطرابات وقلاقل وكثرت الفتن والمخاصمات بينهم فاختلت الامور وعم الفساد ولم تمض مدة من الزمن حتى سلط الله بعض هؤلاء الطاغين على بعض وانتقم الله ممن شاء بما شاء الى أن ظهر بينهم رجل كان على جانب عظيم من العدل والشجاعة والفضل يسمى (علي بك الكبير) فطهر مصر من هؤلاء الطاغين وقطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وهدأت البلاد وارتاحت العباد ولكن لم تمض مدة الا وقد وشى به أعداؤه للدولة بأنه يريد الانضمام الى الروسيين فأرسل السلطان بقتله ولم يلتفت لحزمه وفضله فلما علم ذلك اضطر لان يعلن استقلاله محافظة على حياته وقد ساعدته الظروف على ذلك حيث أن الدولة كانت مشغولة بحرب الروسيا فاستقل سنة ١١٣٠ هـ وحابى الأهالي بتخفيف الضرائب ومنع الاذى عنهم فأحبوه وانقادوا له ورضوا بحكمه فخطب له وضربت الدراهم باسمه ثم أرسل مملوكه محمد بك أبا الذهب وجهزه بجيش عرمرم الى مكة لمحاربة الشريف أحمد بن سعيد فظفر به وعزله وولى مكانه الشريف عبد الله بن حسين وأراد فتح الشام فأرسل اليها محمد بك أبا الذهب بجيش جرار فاستولى على الديار الشامية أيضا بعد قتال شديد وجهد جهيد ثم أمره بعد ذلك أن يستولي على ماجاوره من البلاد فامتنع هو وجنوده لشدة مالحقهم من التعب وكثرة ماحل بهم من العناء والنصب فحصل شقاق بينه وبين علي بك كانت غايته

وقوع الحرب بينهما جهة الصالحية فحلت الهزيمة على جنود على بك حيث انضم الى مملوكه اثنان من أعاظم قواده وهما ابراهيم بك ومراد بك وانكشفت هذه الهزيمة عن قتل كثير وعن جرح على بك الكبير في وجهه جرحا أسقطه عن جواده فحملوه الى خيام محمد بك فخرج اليه وتلقاه بالتكريم والتعظيم وقبل يده وأظهر له الاسف الشديد وأجلسه بخيمته ثم توجه به الى مصر وأنزله في منزله وقام بخدمته الا أن الجرح كان بليغا والأجل كان قريبا فمات بعد سبعة أيام وكان ذلك سنة ١١٨٧ هـ وكان رحمه الله من الشجاعة والعدل بمكان مع فعل الخيرات وكثرة المبرات ومن مآثره مسجد سيدى أحمد البدوى وقبته رحمه الله والشوارع وما بها من الحوانيت بطنطا ووقف له أوقافا كثيرة ورتب عدة من الفقهاء والمدرسين وطلبة العلم الشريف وجدد قبة الامام الشافعى رضى الله عنه وغير ذلك من المآثر الحميدة والخيرات العديدة وبموته عادت مصر الى ما كانت عليه من تبعة الدولة العلية فأخذت ترسل اليها الولاة من قبلها على الطريقة الاولى الا أن كثرة تغيير الولاة جعل أغلبهم لايحرص الا على مافيه الفائدة لانفسهم فبقى الاضطراب يزداد والخطب يتعاظم يوما بعد يوم الى أن أفضى ذلك الى دخول الجيش الفرنسى مصر كما سيجىء ثم توفى السلطان مصطفى ثامن ذى القعدة سنة ١١٨٧ هـ وتولى بعده السلطان عبد الحميدخان الاول

(السابع والعشرون السلطان عبد الحميدخان الاول)

(١١٨٧ ـ ١٢٠٣)

هو ابن السلطان أحمد الثالث لما تولى لم تمض مدة حتى اجتاز جيش الروسيا نهر الطونة قاصدا وارنة وقهر الجيش العثمانى الذى أنفذ اليه من (شوملا)

بالقرب من قوزليجق ثم قصد معسكر الصدر الاعظم الذي طلب الصلح فأبرمت معاهدة في ٢١ يوليه سنة ١٧٧٤ م بمدينة (فينارجه) وسميت بها وهي تشتمل على ٢٨ مادة تتضمن اعتراف الدولة باستقلال القرم وبسارابيا واعطاء القيصر لقب باديشاه في المعاهدات والمكاتبات الرسمية ومنح حرية الملاحة في البحر الاسود والبحر الابيض المتوسط ودفع الدولة غرامة حربية قدرها ١٥٠٠٠ كيس ولما تم للقرم الاستقلال سمحت الدولة الروسية في الاستيلاء عليها فأوقدت فيها نار الفتن حتى تأهبت للحروب الأهلية فاحتلتها بسبعين ألف جندي ولم تلتفت لمعاهدة فينارجه فأرادت الدولة محاربتها فنصحتها فرنسا بالعدول عن ذلك فامتنعت واعترفت بضم القرم للروسيا ولم تسبط همم الروس بل حصنوا سباستبول وأنشأوا (دونمة بحرية) قوية وبثوا الجواسيس لاثارة خواطر المسيحيين على الدولة وفي سنة ١٧٨٧ م طافت الامبراطورة كاترينه بلاد القرم فأقام لها القائد الروسي أقواس نصر كتب عليها طريق بيزنطه يعني الاستانة فلما علمت الدولة بذلك أرسلت الى الروسيا بلاغا رسميا تطلب به (مفروكورداتو) حاكم الافلاق الذي التجأ اليها والتنازل عن حماية الكرج وعزل القناصل المهيجين لعواطف الأهالي وقبول قناصل عثمانيين في البحر الاسود وتفتيش المراكب الروسية التي تمر من الاستانة فرفض السفير ذلك فأعلنت الدولة العلية الحرب وكان القائد الروسي غير مستعد له فأشار على الامبراطورة باخلاء القرم فلم تصغ له وأمرته بالمسير حالا فسار ودخل بلدة (أوزي) في ٢٠ ربيع آخر سنة ١٢٠٣ هـ وكانت النمسا أعلنت الحرب على الدولة لمساعدة الروسيا وقصد امبراطورها يوسف الثاني أخذ بلغراد فارتد منها خائبا الى تموار متعقبا بالعثمانيين ثم توفي السلطان .

بعد هذه الحوادث في ١٢ رجب سنة ١٣٠٣ هـ بعد أن عمر ستاوستين سنة

(ولاته على مصر)

لما عادت مصر الى الدولة بعد وفاة على بك الكبير ولي عليها الوزير ابراهيم باشا عرب كبرلى سنة ١١٨٩ هـ فتوفي في ليلة النصف من شعبان من هذه السنة فولي الوزير محمد باشا القرملي الكبير وتوفي في ذى القعدة سنة ١١٩٢ هـ ثم تولى بعده الوزير اسماعيل باشا فوصل مصر في شهر المحرم سنة ١١٩٣ هـ وفي آخر شعبان منها أتى فرمان اليه بتوليته على جدة وتولية واليها ابراهيم باشا مصر ثم أتى فرمان آخر باقراره في موضعه حيث قد مات ابراهيم باشا فبقي في منصبه الى أن عزل في الثالث من شهر رجب سنة ١١٩٤ هـ ثم أقيم مقامه ابراهيم بك ثم حضر الوزير محمد باشا الى مصر في شهر رجب سنة ١١٩٥ هـ وبقى الى أن عزل ليلة النصف من شعبان سنة ١١٩٦ هـ ورجع الى الاستانة لتولية الصدارة العظمى وتولى بعده الوزير الشريف على باشا القصاب وبقى الى أن عزل في نصف شعبان سنة ١١٩٧ هـ وولي مكانه الوزير محمد باشا السلحدار وبقى الى أن عزل في ذى الحجة سنة ١١٩٨ هـ فتولى بعده الوزير محمد باشا يكن ثم عزل في ١٦ محرم سنة ١٢٠١ هـ وخلفه الوزير عابدين باشا وعزل في شهر رجب سنة ١٢٠٣ هـ وفيه توفى السلطان وأعقبه السلطان سليم خان الثالث

(الثامن والعشرون السلطان سليم خان الثالث)

(١٢٠٣ - ١٢٢٣ هـ)

هو ابن السلطان مصطفى الثالث وفي مدته اتحدت الجيوش الروسية والنمساوية على العثمانيين فظهروا عليهم واستولت الروس على مدينة

بندر واحتلوا جزءا عظيما من البغدان والافلاق ودخل النمسويون بلجراد وفتحوا الصرب وبينماهم كذلك اذتوفي يوسف الثاني امبراطور النمساوخلفه (ليوبولد الثاني) فأبرم مع الدولة معاهدة (زشتوى) التي بمقتضاها رد اليها الصرب وبلجراد وسائر فتوحاتها وبعد هذا الصلح التفتت الدولة لاصلاح شؤونها الداخلية فأنشأت كثيرا من السفن الحربية على طراز جديد وصنعت مدافع ضخمة وحسنت مدرستي البحرية والطبجية وترجمت كثيرا من المؤلفات الشهيرة في الفنون العسكرية وشرعت في تنظيم فرق الجيش بعناية رجل انجليزى قد اعتنق الدين الاسلامي فسمي انجليز مصطفى وفي سنة ١٢١٣ هـ جهزت فرنسا في طولون جيشا مؤلفا من ٣٦٠٠٠ مقاتل وعشرة آلاف بحرى تحت قيادة نابليون بونوبارت فسار تقله ثلاثين سفينة حربية و٧٢ كوروفيدو أربعمائة نقالة الى جهة غير معلومة فوصل مالطة في ١٠ يونية واحتلها ثم الاسكندرية في ١٢ يولية فدخلها وكان ما كان مما سلينه وفي أثناء هذه الفتن واحتلال الفرنسيين مصر عصا على باشا والى يانيا وهو رومى الاصل ثم عدل عن ذلك وعينته الدولة واليا على بلده ابيروس التي هي مسقط رأسه فساعدها على اخضاع والى أشقودرة وطوينو اللذين عصيا الدولة ولما احتل الفرنسيون مصر وأعلنت الدولة عليهم الحرب كان من أعماله أن احتل ثغر أوترانتو وفتح مدينة بروازة بعد أن فاز على الجنود الفرنسية في واقعة عنيفة ولما كوفئ برتبة الروملي التي تخول لصاحبها الحق في قيادة الجيوش بعد الصدر الأعظم عهدت اليه هذه المهمة في محاربة المقدونيين الذين ثاروا بتغرير الروسيا فزحف عليهم في ثمانين ألف مقاتل وأخضعهم ولكنه اغتر بهذا الظفر فتحصن في ابيروس وصار

كحا كم مستقل فيها وتوالت بعد ذلك الفتن وفاز أصحابها على الجنود مرارا فأراد السلطان تجربة فرقه المنظمة فأرسل منها فرقا لم تقو عصابات الثوار على الوقوف أمامها فسر السلطان بذلك وأمر الولاة بترتيب العساكر على النظام الجديد فثار الانكشارية باتفاق مع العلماء والطلبة فطلبوا من السلطان ابطال النظام الجديد فعدل السلطان عن هذا المشروع المفيد ارضاء لهم وتسكينا للفتنة التى كان تسبب عنها قيام الصرب تطالب بالاستقلال فعرض والى اشقودرة عليهم الاستقلال الادارى مقابلة دفعهم ٦٠٠٠٠٠ فلورينو لتوزيعه على العساكر الذين أعطيت لهم الأراضى الصربية التزاما فقبل زعيمهم ولكن الباب العالى أبى الا اخضاعهم كرها مما جر لانتشاب الحرب بينه وبين الروسيا

وبعد خروج فرنسا من مصر أرسل بونوبارت الجنرال سبستيانى لتجديد الروابط الودية مع الدولة فتمكن من عزل أميرى الافلاق والبغدان الذين هما من حزب الروسيا فأرسلت الروسيا جنودها لاحتلالهما بدون اعلان حرب واتحدت انجلترا معها حيث أرسلت اسطولها الى الدردنيل وطلبت من الدولة تسليم اسطولها والدردنيل لها والتنازل عن الافلاق والبغدان للروسيا وطرد الجنرال سبستيانى من الاستانة واعلان الحرب على فرنسا والا اضطرت الى اجتياز الدردنيل وضرب الاستانة فلم تكترث بذلك التهديد وصرحت لها باجتياز الدردنيل فاجتازته في ١٢ ذى الحجة سنة ١٢٢١ ﻫ ولم يكن في غاية التحصين فحطم سفنا عثمانية في جاليبولى ثم وقف خارج البسفور ولما علم السلطان بذلك طلب من السفير الفرنسى مبارحة الاستانة فقابله السفير وأكد له صدور أمر نابليون الى جيوشه فى سواحل بحر الادرياتيك بالسفر لمساعدتم

الدولة فعند ذلك اطمأن خاطره ورفض طلبات انجلترا وكان العساكر والاهالى ونزلاء الفرنسيين يواصلون الليل بالنهار في تشييد القلاع وتسليحها بالمدافع ويشرف السلطان بنفسه على أعمالهم مع استمرار تحصين الدردنيل فأسرع الاميرال بالعودة الى البحر المتوسط بالاسطول الأنجليزى خوفا من حصاره بين البوغازين ووقوعه بين نارين حاميتين وكان ذلك في ٢٠ ذى الحجة سنة ١٢٢١ هـ ويقال انه تحطم وقتل من رجاله ستمائة وغرقت سفينتان من سفنه وأثناء اشتعال نار الحرب بين الروسيا والدولة حدثت ثورة في الاستانة بتحريك مفتيها والقائم مقام الصدر ضد التنظيمات الجديدة وانبث الثائرون في الجيش فى أرجاء المدينة لقتل معضدى هذا المشروع فقتلوهم وصفوا رؤسهم في رحبة آى ميدان ولما بلغ السلطان هذا الخبر بادر بالغاء النظام الجديد ولكن خشى الثائرون أن يعود اليه ثانيا فنادوا بعزله في ٢١ ربيع آخر سنة ١٢٢٢ هـ وتوفي في الرابع من جمادى الأولى سنة ١٢٢٣ هـ وله من العمر ثمان وأربعون سنة

(حالة مصر فى زمنه وولاته عليها)

(واحتلال الفرنسيين وخروجهم منها)

لما توفي على بك الكبير سنة ١١٨٨ هـ كما قدمناه تولى بعده شياخة البلد محمد بك أبو الذهب وحارب أهل يافا حتى تغلب عليها بعد حصارها حصارا شديدا وأسرف في القتل حتى قتل جميع الأسرى ولم يميز بين الظالم والمظلوم واستولى على عكا وأذعنت له باقى البلاد وكان قد أرسل الى السلطنة يطلب تقريره واليا على مصر فأجيب الى ذلك فامتلأ فرحا وحم بدنه فمات سنة ١١٨٩ هـ وقيل انه وجد مخنوقا بخيمته وبعد موته رجعت جيوشه الى مصر وأحضروا جثته معهم ودفنوها في مدرسته تجاه الازهر المعروفة للآن

وكان ابراهيم بك ومراد بك اللذان كانا مملوكين لمحمد بك أبي الذهب نازعهما في السلطة اسماعيل بك ولكنهما فازا بها فحكما مصر نحو ٢٤ سنة وأفرطا في الظلم والعدوان ونهبا أموال الأهالي ولم يكتفيا بذلك بل انهما صارا ينهبان أموال التجار الاوروبيين وكثر تشكي الأهالي وقناصل الدول للسلطان سليم الثالث فلم يكترث بذلك ولم يلتفت اليه فعند ذلك كتب قنصل فرنسا (شارمجالون) الى باريس بما هو حاصل بمصر فأرسلت حكومة فرنسا جيشا تحت رئاسة الجنرال (نابليون بونوبارت الى مصر) فحضر الى الاسكندرية في شهر محرم سنة ١٢١٣ هـ وتملك الفرنسيون هذه المدينة بعد مقاومة قليلة ثم قصدوا مدينة القاهرة بجيش مؤلف من ٣٤٠٠٠ مقاتل فساروا على الشاطئ الايسر من النيل حتى وصلوا أمام هذه المدينة بعد خمسة عشر يوما فقابلهم مراد بك بجيوشه عند الرحمانية وتغلبوا عليه فرجع القهقرى فلحقه نابليون بجنوده عند قرية انبابه بقرب الجيزة فانهزم مراد بك وفرّ هاربا الى جهة الصعيد ودخل الفرنسيون مدينة القاهرة فجعل بونوبارت على ادارتها ديوانا مؤلفا من عشرة أشخاص من أعيان البلد ثم خرج من القاهرة لتبديد جيوش ابراهيم بك فوصل الى الصالحية وتملك عليها وفر ابراهيم بك الى بلاد الشام فعاد بونوبارت حينئذ الى القاهرة وفي أثناء عودته بلغه خبر موقعة أبي قير التي حطمت فيها العمارة الانجليزية العمارة الفرنسية برمتها

وكان من ضمن الفرنسيين الذين حضروا الى مصر أشخاص يزعمون أن الرسل محمدا وعيسى وموسى عليهم الصلاة والسلام كانوا جماعة عقلاء وأن الشرائع المنسوبة لهم عبارة عن قوانين وضعوها بحذقهم وفطنتهم تناسب أزمانهم ولذلك جعلوا في مصر وقراها الكبيرة دواوين فيها رجال

يديرونها بما يناسب عقولهم وتنطبق على حال البلاد ولكنهم من لطف الله جعلوا فيها جماعة من العلماء يراجعونهم في بعض الاشياء التي لاتنطبق على الشرع الشريف

والذي دعا الناس لاتباعهم عجزهم عن مقاومتهم هذا مع أن الفرنسيين عند قدومهم كتبوا كتبا وفرقوها في البلاد وذكروا فيها أنهم ليسوا نصارى لانهم يعتقدون وحدة الاله والنصارى تقول بالتثليث وأنهم يعظمون محمدا صلى الله عليه وسلم ويحترمون القرآن الكريم وأنهم لم يأتوا الا لطرد المماليك الظلمة الذين نهبوا العباد وأضروا بالبلاد وأنهم لايتعرضون للناس في شيء مع أنهم لما دخلوا لم يقتصروا على نهب أموال المماليك والايقاع بهم بل أنهم قتلوا كثيرا من الناس لما قامت عليهم الاهالى بسبب طلبهم غرامة على البيوت وضربوا المدينة بالمدافع من القلعة وهتكوا بعض أعراض النساء وقتلوا من علماء مصر نحو ١٣ عالما ودخلوا بخيولهم الجامع الأزهر ومكثوا فيه يوما وليلة ونهبوا مافيه من أمتعة وكتب الى غير ذلك من الأعمال الفظيعة والأفعال القبيحة وسكن نابليون بونوبارت بيت محمد بك الألفي الذي كان بالازبكية ثم علم أن الدولة العلية سعت في استرجاع مصر من الفرنسيين وبعثت الى أحمد باشا الجزار والى عكا أن يرسل جيشا لاحتلال العريش فجهز حينئذ بونوبارت جيشا ليس للمدافعة عن مصر فقط بل لاحتلال الشام فافتتح بعض مدنها ولكنه لم يقو على فتح عكا لمنعتها ومساعدة الأسطول الانجليزى من البحر فعاد الى مصر بعد مالحق جيشه العذاب الاليم فلم يلبث بعد رجوعه الى مصر الا وقد بلغه خبر قدوم العساكر العثمانية الى أبي قير ونزولها الى البر فأسرع لملاقاتها بجيشه فهزم جيش الترك غير أنه بعد هذا النصر طلب الى فرنسا ليصادم أخطارا أحدقت

بها فسار من مصر تاركا قيادة العساكر فيها للجنرال (كليبر) أعظم قواده حزما وعقلا وشهامة فاستمال الأهالى بحزمه وحكمته ولكنه عرف عدم امكان استمرار الفرنسيين على احتلال مصر فأخذ فى المخابرة مع الصدر الاعظم يوسف باشا الذى أرسلته الدولة لاخراج الفرنسيين من مصر واتفقا على أن الجيش الفرنسى ينجلى عن مصر فى مدة ثلاثة أشهر ويحمل الى فرنسا على مراكب تركية غير أنه لم يتم هذا الامر لعدم قبول نواب الحكومة الانجليزية له فعاد النزاع بين الطرفين وسار كليبر لملاقاة جيش الترك فقابله بين المطرية وسرياقوس فانهزم جيش الترك غير أن طائفة منه تقدمت الى القاهرة فظن الأهالى أن جيش الفرنسيين قد هلك فقاموا على من بالمدينة قتلا ونهبا ثم رجع كليبر وحاصر المدينة وأرغم الأهالى على التسليم وضرب عليهم غرامات ثقيلة وبعد ذلك وثب على الجنرال كليبر رجل من مجاورى الشوام اسمه سليمان الحلبي وطعنه بخنجر في صدره فمات وأخذت جثته الى فرنسا وانتقلت رآسة الجيش بعده للجنرال (مينو) فعقد معاهدة بالانجلاء عن مصر فخرجوا منها في شهر ربيع الأول سنة ١٢١٦ ﻫ وحمل الجيش الفرنسى الى فرنسا على مراكب انجليزية ثم انجلى الجيش الانجليزى أيضا ودخل الوزير يوسف باشا مصر في الشهر المذكور فكانت مدة تصرفهم فى مصر ثلاث سنين وشهرا واحدا وقبل دخول يوسف باشا مصر بأربعة أيام دخلها محمد باشا الغزى الذى كان مرشحا لولايتها فعزله عنها وولاها لمحمد باشا خسرو واستمر الوزير يوسف باشا يدبر أمورها الى شهر شوال من السنة نفسها ثم رجع الى الاستانة وبقى محمد خسرو باشا بها واستمر الى سنة ١٢١٨ ﻫ فثارت فتنة بينه وبين العساكر لتأخير أرزاقهم أدت

الى عزله وتولية طاهر باشا وهذه الفتنة كانت سببا لمبدأ ظهور محمد على باشا المولود (بقوله) بالروملى لانه كان قدحضر الى مصر مع العساكر التى جاءت مع الوزير يوسف باشا لاخراج الفرنسيين منها وسيأتى الكلام عليه

(التاسع والعشرون السلطان مصطفى خان الرابع)

(١٢٢٢ ــ ١٢٢٣)

هو ابن السلطان عبد الحميد الأول لما تولى أهمل الاعتناء بتنظيم العساكر على الطراز الجديد خوفا من الاضطرابات والفتن وقوى أمر الانكشارية ولما وصل خبرهم الى انكشارية الجيش المحارب للروس قتلوا قائدهم الصدر حلمى ابراهيم باشا وأقاموا مكانه جلبى مصطفى باشا فكثر الهرج فى الجيش ولولا اشتغال الجنود الروسية فى ألمانيا بمحاربة نابليون وخذلانها أمامهم للحق العثمانيين ضرر عظيم ثم تم الصلح بين فرنسا والروسيا على أن تتوسط فرنسا بين الروسيا وبين الباب العالى واذا لم يقبل توسطها اتحدتا معا على أخذ أملاكه فتأخذ فرنسا البوتنا والبانيا وايبروس واليونان ومقدونيا وتأخذ الروس الأفلاق والبغدان وبلغاريا وترسته وفى الثالث من جمادى الأولى أبلغت المعاهدة للروسيا وتركية فقبلتاها وأمضتا عليها فى ١٩ جمادى الثانية ولكن الروسيا أخلت بالشروط حيث أنها لم تتجل عن الافلاق والبغدان ثم حدثت فتنة فى الدولة وهى أن مصطفى باشا البيرقدار حاكم رستجق ومن أنصار السلطان سليم الثالث دبر مكيدة لعزل السلطان مصطفى الرابع فلما وقف على سرها قتل سليما ورمى جثته الى الثائرين فاشتعلت نيران الفتن وزادلهيبها فعزلوا السلطان ثم قتلوه بعد ذلك كما سنبينه

(الثلاثون السلطان محمود خان الثانى)

(١٢٢٣ ـ ١٢٥٥)

هو ابن عبد الحميد الأول ولما تم له الامر قد عهد بالصدارة الى البيرقدار وكلفه بتنظيم الانكشارية وتقليدهم الاسلحة الحديثة فلما شرع في تنفيذ ذلك ثاروا وشقوا عصا الطاعة في فيلبه فجهز لهم ١٢٠٠٠ مقاتل من جيوشه ولم يبق معه الا أربعة آلاف فانتهز الانكشارية هذه الفرصة وأرادوا ارجاع السلطان مصطفى فاعترضهم البيرقدار ولما خاف من فوزهم عليه قتل السلطان مصطفى فأضرموا النار في القصر الملوكي ليضطروا البيرقدار الى الفرار فيصلون الى غرضهم ولكنه ثبت حتى مات محروقا وفي ذلك الوقت كان قد أتى رامز باشا أمير البحر بثلاث سفن حربية عند ممر البسفور وألقى القنابل على الانكشارية ثم نزل مع البحرية الى البر في مقاتلتهم وانضم اليه عبد الرحمن باشا فقهرت الانكشارية وسارت الجنود فى اليوم التالي تقذف عليهم نارا حامية فلما أيقنوا بالهلاك أضرموا النار في المدينة فأذعن السلطان لمطالبهم وبعد هذه الفتنة عقد الباب العالي الصلح مع انجلترا في ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٢٢٤ هـ ثم استأنف محاربة الروس الى أن أشهر نابليون عليهم الحرب فعقدوا معه معاهدة بوخارست في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٢٢٧ هـ على أن تبقى الأفلاق والبغدان للدولة وكذلك الصرب ببعض امتيازات وبذلك تفرغت لمحاربة نابليون وقهرته بعد أن أحرق مدينة موسكو ولما بلغ خبر هذه المعاهدة الى زعماء ثورة الصرب آثروا التفانى فى الدفاع عن استقلالهم فأخضعتهم الدولة قهرا وعينت ميلوش أوبرينوفتش منهم شيخا لاحدى القرى بما تظاهر به من الولاء فعكف على اثارة الخواطر

حتى اذا أقبل عيد الفصح سنة ١٨١٥ ميلادية رفع لواء العصيان وظل القتال بينه وبين الجنود عامين أذعن بعدهما على أن تدبر الصرب شؤونها الداخلية بنفسها فقبل الباب العالى وعين واليا عليها مرعشلى باشا وأمره بالرفق في معاملة أهلها وفي عهد السلطان محمود ظهرت فتنة الوهابية ببلاد العرب فوكل الى والى مصر محمد على باشا اخضاعها واسترداد مكة والمدينة منها فتم له ذلك في ذى القعدة سنة ١٢٣٣ وفي خلال هذه الحوادث عقد اليونانيون النية على عصيان الدولة فاغتنموا فرصة اشتغالها بمحاربة على بك والى يانيا الذى كان اعتصم بجبال ابيروس واستبد فيها لاشعال نار الثورة ولما انتهت من فتلته بقتله في ٥ فبراير سنة ١٨٢٢ م كلف خورشيد باشا باخضاع اليونان فتغلبوا عليه فى أغسطس فسم نفسه ومات وكان البحرية اليونانيون أحرقوا اسطولا عثمانيا فى ساقز يوم ١٨ يونية ومات ثلاثة آلاف من رجاله ولما رأى السلطان نزول هذه الشدائد ناط بمحمد على باشا والى مصر محاربة الثوار وجعله لذلك واليا على كريد ومورة ينبوعى الثورة فسيت العساكر المصرية في ١٩ ذى القعدة سنة ١٢٣٩ هـ الى رودس تحت قيادة ابراهيم باشا الذى أمر الضابط سيف (سليمان الفرنسى) بحمايتها من تعديات الثوار واحتل كريد ثم قصد مورة فنزل بجنوده في ميناء مودون وأمد مدينة كورون التى كان يحاصرها الثوار بالرجال والذخائر وفتح مدينة نافارين بعد حصار شديد فى ٢٨ رمضان سنة ١٢٤١ هـ ثم كلاماتا فتريبو تسا فيسولونجى في ١٤ رمضان سنة ١٢٤١ هـ وبعد هذا التاريخ بعشرة شهور فتح العثمانيون أثينا بالرغم عن دفاع اللورد كوشران الذى كان عينه اليونانيون قائدا عاما لهم لاختلافهم على تعيين واحد منهم وأثناء الاستمرار على الفتح تداخلت الدول فاضطرت الروسيا الباب

العالي على امضاء معاهدة آق كرمان في ٢٨ صفر سنة ١٢٤١ هـ التي تخول لها
حق الملاحة في البحر الاسود ومرور سفنها من البوغازين بدون تفتيش
وتحتم على الدولة أن لا تولي ولا تعزل حاكما على الافلاق والبغدان الا
باقرار منها وأن تعترف باستقلال الصرب مع احتلال الجنود العثمانية
قلعة بلغراد وثلاث قلاع أخرى وفي ١١ ذي الحجة سنة ١٢٤٢ هـ اتفقت
فرنسا والروسيا وانكلترا على الزام الدولة بمنح اليونان الاستقلال
الاداري مقابل دفع جزية معينة فلم تعبأ بهذا الاتفاق فاجتمعت أساطيل
الدول الثلاث في نافارين وكانت بها أيضا (الدونتمتان) التركية والمصرية
ولسبب واه سلطت تلك الاساطيل عليها النار حتى أحرقت سفنها عن
آخرها وفي هذه السنة بعث السلطان الى كافة ولاته يخبرهم بسوء نوايا
الدول نحو الدولة والاسلام وحث الناس على القتال فأشهرت الروسيا
الحرب على الدولة في ١١ شوال سنة ١٢٤٣ هـ وحينئذ أخلى ابراهيم
باشا بلاد مورة ماعدا مودون وكورون ونافارين فانه ترك فيها ١٢٠٠
جندي واحتلت الجنود الفرنسية الجهات التي انجلى عنها وفي ٨ جمادى
الأولى سنة ١٢٤٤ هـ عقد مؤتمر في لندره لتقرير أحوال اليونان ودعيت
الدولة اليه فرفضت فأقر المؤتمر على استقلال مورة وجزائر سكلندة
وأن يحكمها أمير مسيحي تحت حماية الدول في مقابلة دفعه للباب العالي
جزية سنوية قدرها ٥٠٠٠٠٠ ألف قرش فرفض هذا القرار وكان
السلطان يشتغل من قبل بتنظيم الجيش على الطراز الجديد فاعتصب
الانكشارية فرفع السلطان العلم النبوي في صبيحة التاسع من ذي القعدة
سنة ١٢٤٠ هـ وقصد بجنوده الطبجية ساحة آت ميدان حيث كان الثائرون
مجتمعين وصب على رءوسهم نارا حامية والتجأ من نجا منهم الى الثكنات

التي دمرت وصدرت الاوامر الى كافة الولايات بتعقبهم وقتلهم حيث وجدوا والغاء فرقهم ومحو فتنهم ولما أعلنت الروسيا الحرب على الدولة احتل جيشها عاصمة البغدان ثم بخارست قاعدة الافلاق وأخذ ما والاهما الى نهر الطونة ثم شهور القيصر حصار وارنه بنفسه وسار في جيش عرمرم لحاصر (أوسكى) استامبول ولكن اضطره الى رفع الحصار عنها القبودان محمد عزت باشا الذى أوصل المدد اليها بحرا بالرغم عن مراقبة السفن الروسية وكان القيصر قد يئس من فتحها لولا خيانة القائد يوسف باشا الذى سلمها الروس في غرة ربيع الثانى سنة ١٢٤٤ هـ ثم أخذ الروس من جهة آسيا قلمة قارص واجتازوا في أوروبا نهر الطونة فاحتلوا أدرنة ودنوا من الاستانة فاضطرت الدولة لامضاء معاهدة أدرنة في ٢٥ ربيع الاول وهى تخول للروس حق الملاحة في البحرين الابيض والاسود والمرور من البوغازين بدون تفتيش وتمنح الصرب الامتيازات التى بينت في معاهدة آق كرمان وتلزم الدولة بالتنازل للروسيا عن مصاب نهر الطونة ودفع تعويض لتجار الروس ودفع خمسة ملايين جنيها انجليزيا تعويضا حربيا على عشرة أقساط سنوية ينجلى الروس بسداد القسط الاول منها عن أدرنة والقسط الاخير عن ولايتى الافلاق والبغدان وأن يهاجر منها المسلمون بعد بيع مالهم من أملاك ثابتة ومنقولة في ثمانية عشر شهرا وبعد هذا صادق السلطان على معاهدة لوندرة المبرمة في نوفمبر سنة ١٨٢٨ م القاضية باستقلال اليونان ثم تفرغ للاصلاحات الداخلية فسلح الجنود بالسلاح الحديث وألغى طائفة البكتاشية لانتصارها للانكشارية وجعل الزى الاوروبى الزى الرسمي للعسكرية والملكية وأنشأ وسام الافتخار وطاف ممالك أوربا للوقوف على أحوالها وفي سنة ١٨٣٠ م استولت فرنسا على

الجزائر بحجة أن الباى حسين ضرب قنصلها بمروحة في يده وكان قد تعدى الادب في مجلسه فنزل جيشها في ١٣ يونيه بالقرب من ثغر الجزائر ثم دخلها بعد مقاومة شديدة وكان الباب العالى بعث الى الباى حسين مندوبا بايعاز من انكلترا ليأمره باجابة مطالب فرنسا فلم يمكنه الفرنسيون من الوصول اليه كي يتم مقصدهم من الفتح وفي سنة ١٨٣١م سير محمد على باشا والى مصر جيشا بقيادة ابراهيم باشا لمحاربة والى سوريا عبد الله باشا الجزار الذى أبى ارجاع من هاجر من المصريين الى الشام ففتح غزة ويافا والقدس ونابلس ثم حاصر عكا برا بينما كان الاسطول المصرى يحاصرها بحرا فلما علم الباب العالى بذلك أوعز الى والى حلب أن يسير لمحاربته فلم يمهله ابراهيم باشا حتى يحضر بل قصده وانتصر عليه بالقرب من حمص ثم عاد الى عكا ودخلها عنوة في ٢٧ الحجة سنة ١٢٤٧هـ وبعث بالجزار أسيرا الى مصر وعندئذ جهزت الدولة ستين ألف مقاتل وساروا الى الشام فانتصر المصريون على مقدمتهم ودخلوا حلب في ١٨ صفر سنة ١٢٤٨ هـ فتحصن قائدهم حسين باشا ببقية الجيش في مضايق طوروس فلحقه فيها المصريون وانتصروا عليه في غرة ربيع الأول فأنفذ السلطان جيشا ثانيا بقيادة رشيد باشا فانتصروا أيضا عليه ولما توآترت هذه الانتصارات خشيت الدول أن يكون مطمح انظار محمد على باشا الخلافة فأنزلت الروسية ١٥٠٠٠ جندى على الاناضول لحماية الاستانة ونصحت فرنسا وانكلترا السلطان بسرعة الاتفاق مع محمد على باشا فقبل الباب العالى وانجلت المخابرات عن ابرام معاهدة كوتاهيا في ٥ مايو سنة ١٨٣٣ م القاضية باخلاء المصريين الاناضول الى ماوراء جبال طوروس واعطاء محمد على باشا مصر مدة حياته وولايات عكا وطرابلس وحلب ودمشق وولاية كريد واعطاء ابنه

ابراهيم باشا ولاية اطنه وفي ٨ يونية عقدت الدولة معاهدة هجومية دفاعية مع الروسيا ضد المصريين وسميت معاهدة (خونكار اسكله سى) وقد عقدت هاتان المعاهدتان مع اعتقاد الفريقين بأن لابد من الحرب ثانيا ولذا جاهر محمد على باشا برغبته في أن تكون له ولاولاده من بعده ولاية مصر والشام فرفض الباب العالى وأوعز الى السر عسكر حافظ باشا بالتقدم الى الشام فالتقى بالمصريين في نصيبين في الحادى عشر من ربيع الثانى سنة ١٢٥٥ هـ فتقهقر العثمانيون تاركين ١٦٦ مدفعا و ٢٠ ألف بندقية ولم يصل خبر هذه الواقعة الى السلطان محمود لوفاته فى ١٩ ربيع الثانى سنة ١٢٥٥ هـ

(الحادى والثلاثون السلطان عبد المجيد خان)

(١٢٥٥ – ١٢٧٧ هـ)

تولى الامر بعد أبيه سنة ١٢٥٥ هـ وكانت الاحوال مضطربة بسبب انتصارات محمد على باشا وتسليم أحمد باشا قبودان الدنمة العثمانية كافة مراكبها له بالاسكندرية في الثانى من جمادى الاولى سنة ١٢٥٥ هـ فخشيت الدول أن تحارب الروسيا الجيش المصرى بمقتضى معاهدة خونكار اسكله سى فعرضت وساطتها على الباب العالى بينه وبين محمد على باشا وتفاوض الوزراء والسفراء فقال سفير النمسا وانكلترا بارجاع الشام الى الدولة وخالفهما في رأيهما سفير فرنسا والروسيا وانحاز سفير الروسيا الى الاول وتقرر بالأغلبية ثم اختلفت الدول في آرائها بشأن مصر ازاء تركيا فكانت تذهب فرنسا الى وجوب بقاء فتوحات مصر تابعة لها وانكلترا الى اعادة هذه الفتوحات للباب العالى ماعدا النصف الجنوبى من الشام والروسيا الى وجوب احتلالها ماجاور الاستانة صونا لها من

اغارة المصريين عليها وهكذا كل دولة ذهبت مذهبا حتى أنهن لما دعين الى الاجتماع في لندرة لحسم هذا الخلاف لم يتفقن على شيء ورأى تيرس وزير فرنسا بعد ذلك في مارس سنة ١٨٤٠ م أن تعزز مطالب محمد علي باشا بالقوة فلما علم اللورد بامرستون بنيته أسرع بعقد محالفة مع الروسيا وبروسيا والنمسا في ١٥ يولية سنة ١٨٤٠ م مقتضاها الزام محمد علي باشا برد فتوحاته للدولة مع استبقاء جنوبي الشام ماعدا عكا واعطاء سفن الروسيا والنمسا وانجلترا حق الدخول في البسفور لحفظ الاستانة من اغارة الجنود المصرية وقد أبلغت هذه المعاهدة الى محمد علي باشا فأوعز الى سليمان باشا (الفرنسوي) بتحصين ثغور الشام وبعث بالامدادات اليه عن طريق البحر فوردت الاوامر الى الاسطول الانجليزي بمحاصرة هذه الثغور وأخذ السفن المصرية أينما وجدت واعلان الأهالي بما اتفقت الدول الاربع عليه ثم تقابل قناصل هذه الدول بمحمد علي باشا وعرضوا عليه أن تكون مصر له ولورثته وعكا له مدة حياته وأمهلوه عشرة أيام للاجابة وأفهموه ان فرنسا لاتستطيع نجدته فلما انقضت المهلة ولم يجب أخبروه بانه صار لاحق له الا في مصر ثم أمهلوه عشرة أيام أخرى للاجابة فلما انقضت ولم يجب قرر الصدر الاعظم أخذ مصر والشام منه وهنا استعد المصريون للقاء اسطول الدول المتحدة بعد يأسهم من نجدة فرنسا وفي ١١ سبتمبر سنة ١٨٤٠ م اطلق هذا الاسطول قذائفه على بيروت حتى أحرق معظمها وفعل مثل ذلك بالثغور الاخرى وأنزل الجنود الى البر فلم ير محمد علي باشا بدا من الاذعان لمطالبها ولذا أمر جيشه بالعودة الى مصر في ديسمبر سنة ١٥٤٠ م وورد الدونتمة العثمانية مقابلة اعتراف الباب العالي ببقاء مصر له ولذريته في فرمان تاريخه ٢١ القعدة

سنة ١٢٥٦هـ وأهم ماجاء فيه من الشروط أن يحدد جيش مصر بثمانية عشر ألف مقاتل وقت السلم وان لاتنشأ سفن حربية الا باذن سلطانى وبعد حسم المسئلة المصرية على هذا المثال سعت فرنسا وانكلترا في الغاء معاهدة خونكا اسكله سى التى تخول للسفن الروسية حق المرور من بوغازى البسفور والدردنيل فأجمعت الدول ومن ضمنها الروسيا في معاهدة ١٣ يولية سنة ١٨٤١م على أن لايكون لاحداهن هذا الحق وفي سنة ١٨٤٨ م طمحت الافلاق والبغدان للاستقلال فثارتا على أميريهما وأقامتا حكومة مؤقتة فأنفذت الدولة جنودها لاخضاعهما وفعلت الروسيا كذلك واحتلت البغدان فاحتج الباب العالى على هذا الاحتلال ثم دارت المفاوضات التى انجلت عن وفاق (بلطه ليمان) الذى حفظ للدولة حق تعيين أمراء الولايتين وقضى بان يحتلهما جيش تركى روسى مدة سبع سنوات ريثما يستتب الامن فيهما هذا وقد كانت حراسة الاماكن المقدسة بأيدى الارثوذكس فطالبت فرنسا بهذا الحق للكاثوليك فأجابها الباب العالى الى هذا الطلب ولما كانت الروسيا أرثوذكسية المذهب فقد أوفدت البرنس منتشيكوف الى دار الخلافة للمخابرة في هذا الشأن ووقف أمام رجال الدولة موقفا يدل على أنه يريد أن ينتحل أى سبب لاضرام نار الحرب لذا بعثت فرنسا مراكبها الحربية الى مياه اليونان في شهر ابريل سنة ١٨٥٣ وانتظرت المراكب الانجليزية في مالطا ولما رفض الباب العالى طلبات منتشيكوف بعث اليه بلاغا بذلك في ٥ مايو سنة ١٨٥٣ فبارح الاستانة مهددا الدولة باحتلال الافلاق والبغدان وقد حصل ذلك بالفعل فاجتاز الروس نهر البروث الفاصل بين الدولتين في ٢ يولية سنة ١٨٥٣ واحتلوهما ثم أراد أمبراطور النمسا حقن الدماء فاقترح عقد مؤتمر في فينا للتوفيق بين الدولتين

فسقد ولكنه انقض بدون جدوى حتى ان الدول اعتقدت سوء مقاصد
الروس فحرضوا الباب العالى على مطالبتها باخلاء الولايتين السابقتين فأرسل
لها بلاغا رسميا فى ٤ ا كتوبر سنة ١٨٥٣ بأن تخليهما فى مدة خمسة عشر
يوما والادارت رحى الحرب واحتلهما بالقوة فلم تلتفت اليه فاجتاز عمر
باشا النهر المتقدم وانتصر على الجيش الروسى نصرا مبينا وفاز العثمانيون
من جهة آسيا وفى آخر نوفمبر من السنة المذكورة فاجأت المراكب
الروسية الاسطول العثمانى في (سينوب) فدمرته وخالفت معاهدتها التى
تقضى عليها بعدم اتيان أى عداء في البحر الاسود فاتفقت فرنسا وانجلترا مع
الدولة بالاستانة في ١٤ مارس سنة ١٨٥٤ على محاربة الروسيا وتعهدت الأولى
بارسال خمسين ألف جندى والثانية بارسال خمسة وعشرين ألفا وكانت
الدارعة فوريوس الانجليزية قد ذهبت الى أودسا لأخذ القنصل والرعايا
الانجليز رافعة علم السلم فأطلقت عليها قلاعها القذائف النارية فضربتها السفن
الحربية الانجليزية والفرنسية حتى دمروها ثم أخذتا فى ضرب الثغور
الروسية فأعلن القيصر الحرب في شهر ابريل سنة ١٨٥٤ وكان في
(سلسترة) خمسة عشر ألفا من الجنود العثمانية تحت قيادة عمر باشا وفيهم كثير
من الصربيين فحاصرهم الجنرال بسكفتش بنحو ستين ألفا فلم يفلح واضطر
لرفع الحصار عنهم وطارده العثمانيون وأرادوا احتلال البغدان والافلاق
من بعده ولكن كانت الجيوش النمسوية قد سبقتهم لاحتلالها ثم اتفق
قواد الدول المتحالفة على نقل ميدان القتال الى أراضى آسيا فنقلوه اليها
وفي ٢٠ سبتمبر قهر الفرنسيون الروسيين الذين فروا الى سباستبول وفي
٢٨ منه دخل المتحالفون في ميناء بلا كلافا وفي ١٠ ا كتوبر ابتدءوا
في اطلاق النار على سباستبول التى كان الروسيون تمكنوا من تحصينها وبعد

جملة وقائع توفي في أثنائها القيصر نيقولا والقائدان الفرنسي والانجليزي عقد مؤتمر بفينا في شهر فبراير سنة ١٨٥٥ لايقاف تيار الحرب بشروط تتعلق بحماية مسيحي الدولة والمرور من البوغازين وتحديد القوة البحرية للروسيا في البحر الاسود بعشر سفن فقبلتها الروسيا بعد سقوط قلعة سباستبول في التاسع من شهر سبتمبر سنة ١٨٥٥ وفي ٢٥ فبراير سنة ١٨٥٦ عقد مؤتمر باريس الذى تقرر فيه مبدأ حفظ كيان الممالك العثمانية المحروسة وما هدأت الاحوال قليلا في أوروبا حتى أثار ذوى الغايات الفتن بين المارونيين والدروز وكثر القتل والسلب في أنحاء الشام فوصل الوزير فؤاد باشا الى بيروت ثم قصد منها دمشق في خمسة آلاف جندى وقبض على زعماء الفتنة وأعدمهم ولكن الدول اتفقت أثناء ذلك مع فرنسا على ارسال ستة آلاف مقاتل لمساعدة الجيش العثماني فوصل هذا الجيش الى بيروت في العاشر من شهر أغسطس ثم انتهى الامر بانجلائه في الخامس من شهر يونية سنة ١٨٦١ وباعطاء جبل لبنان حكومة مستقلة تحت سيادة الباب العالى ومنح تعويض لمن أحرقت دورهم من المسيحيين ثم توفي السلطان عبد المجيد في سابع عشر ذى الحجة سنة ١٢٧٧ هـ وله من العمر أربعون سنة

(الثاني والثلاثون السلطان عبد العزيز خان)

(١٢٧٧ ـ ١٢٩٣)

هو أخو السلطان عبد المجيد السابق تولى بعد وفاة أخيه في شهر ذى الحجة سنة ١٢٧٧ هـ وقبل توليته كان نيقولا أمير الجبل الاسود قام لمساعدة ثورة الهرسك فهاجمته الجنود العثمانية في كل جهة والتفت بداخل بلاده واضطرته للامضاء على شروط في ٣١ أغسطس سنة ١٨٦٢ منها أن لا يقيم

والده في الجبل وأن تبنى الدولة قلاعا على الطريق الموصلة من أشقودرة الى الهرسك ولكن الدول عارضت في تنفيذها فعدلت عنها وكانت معاهدة باريس تقضي أن تكون الصرب مستقلة تحت سيادة الباب العالي وأن تكون الجنود العثمانية في ستة من قلاعها منها قلعة بلغراد وأن لا يسكن المسلمون خارجا عنها فاتفق حدوث فتنة عقب قتل أحد الاهالي جنديا عثمانيا فأطلق القائد القنابل من الحصون على المدينة أربع ساعات متوالية بعد أن آوى اليها المسلمون فنتج عن ذلك تداخل الدول وقرروا جلاء العثمانيين عن قلعتين وبقاؤهم في قلاع بلغراد وسمندرية واجبار المسلمين على بيع ما يملكون والمهاجرة من البلاد في مقابلة تعويض مالي يدفع لهم وفي أثناء ذلك سار الكريديون بدسائس يونانية فأرسلت الدولة لقمعهم جيشا ساعده خديو مصر الاسبق بفرقة مصرية كان لها الفوز في عدة وقائع ثم أرسلت مندوبا لحسم المشاكل بالحسنى فلم يفلح فأرسلت القائد الشهير عمر باشا بطل القرم لقمعهم وانتهى الامر بعقد مؤتمر بباريس كانت نتيجته اصدار السلطان أمرا في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٦٩ م بمنح الجزيرة جملة امتيازات منها اسقاط سنتين من الرسوم المتأخرة عليهم واعفاؤهم من الخدمة العسكرية وفي الرابع عشر من شهر شوال سنة ١٢٧٩ هـ حضر السلطان الى مصر فزار الاسكندرية والقاهرة ثم بارحها في التاسع عشر من شهر صفر قاصدا باريس بدعوة من الامبراطور نابليون لحضور معرضها العام وفي سنة ١٢٨٢ هـ حصرت وراثة الخديوية المصرية في ذرية المرحوم اسمعيل باشا الخديو الأسبق ثم صدر فرمان بتاريخ ١٣ ربيع آخر سنة ١٢٩٠ هـ بامتيازات مخصوصة بمصر وكيفية التوارث في الخديوية

وقدكان من فكر السلطان عبدالعزيز محالفة الروسيا على أن تختص بجميع بلاد الشرق التي يغلب فيها العنصر المسيحي وتختص الدولة بالبلاد التي يكثر فيها المسلمون فلم يرق هذا في نظر أوروبا وأوغروا عليه الصدور وأثاروا عليه الفتن في الاستانة حتى أفتى شيخ الاسلام بعزله وحاصروا قصره برا وبحرا وأخذوه الى قصر (طوب قبو) وكان ذلك فى ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ ﻫ وقد اختلفوا في أسباب وفاته فقيل انه انتحر وقيل انه قتل وبويع بعده السلطان مراد .

(الثالث والثلاثون السلطان مراد خان)

هو ابن السلطان عبد المجيد بويع له في السابع من جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ ﻫ وكان محبا للسلم مهذب الاخلاق ولكنه عقب ولايته باسبوع ظهرت عليه علامات الاضطراب العصبي فاستدعى له طبيب نمسوى اختصاصى بهذا المرض فأقر بعد الاختبار الطويل والبحث الدقيق باستحالة برئه فاجتمع الوزراء في العاشر من شعبان وقرروا البيعة لاخيه السلطان عبد الحميد خان الثاني

(الرابع والثلاثون السلطان عبد الحميد خان الثاني)

(١٢٩٣ – ١٣٢٧)

جلس على سرير الملك سنة ١٢٩٣ ﻫ بعد عزل السلطان مراد وزينت له المدينة ثلاثة أيام وفي اليوم الثامن عشر من شعبان منها تقلد السيف في جامع أبي أيوب الانصارى على ماجرت به عادتهم وقام بأعباء الامر حق القيام بهمة ونشاط وأصدر فرمانا بما في نيته من الاصلاحات ثم أرسل جنودا الى حدود الصرب والجبل الاسود وبوسنة وهرسك لاطفاء نار الثورة فانتصرت وهزمت العصاة شر هزيمة فتوسطت الدول في المهادنة حتى

توضع شروط الصلح وفي أثناء هذه المدة استقال الصدر الاعظم محمد رشدى باشا فعين بدله مدحت باشا وأصدر السلطان القانون الاساسى وجعل مجلسا للشورى قاصدا بذلك عمارة البلاد وراحة العباد وبعد مضى شهرين لمدحت باشا نفي بدسيسة روسية وخلفه فى الصدارة أدهم باشا وأرجئ عقد مجلس الشورى لاجل غير مسمى ووضع السفراء شروطا للصلح مع الولايات الثائرة بدون أن يشركوا معهم مندوبا عثمانيا فلم تحفل بها الدولة ورفضت بتاتا فبث الروسيا جنودها للحدود التى بينهما وحشدت جنودا أخرى الى حدود الاناضول وكتبت لسائر الدول التى اشتركت في مؤتمر الاستانة أن تكلف الدولة العلية باسترجاع جنودها من مواقف القتال وترك الاهبة الحربية والقاء السلاح وتحسين أحوال الولايات الثائرة ففعلت الدول فلم يعبأ بهم وأعلنت الحرب وكان للدولة اسطولان في البحر الأسود فاستوليا على كثير من القلاع والموانى وقطعا الطريق على سفن الروس وكان لها اسطول ثالث في نهر الطونة فضيق عليه الاعداء بوضع النسافات في جميع طرقه وكان لها اسطول رابع في البحر الابيض المتوسط لحماية الجيش المصرى الذى كان قد أرسل لمساعدتها فكان يقيم بالجزر والشواطئ التى يخشى من ثورة أهلها هذا ما كان من أمرها في البحر وأما وقعاتها في البر فكانت كلها مكللة بالنصر مقرونة بالظفر فانها قد حشدت جنودها تحت قيادة احمد باشا مختار الذى جعلته قائدا عاما للجنود فى (أرضروم) وجعلت المشير عبد الكريم باشا قائدا عاما في الروملي والمشير درويش باشا قائدا في (باطوم) وعثمان باشا قائدا في (ودين) وفي الخامس والعشرين من شهر ابريل سنة ١٨٧٧ زحفت عساكر الروس الى الامام ودخلت الحدود العثمانية مستعينة بما كانت تمدها به رومانيا من الميرة والذخيرة سرا وفى ٢٧ يونية

من تلك السنة كانت جنود الاعداء قد جازت ولايق البغدان والافلاق وعبرت نهر الطونة كل ذلك وعبد الكريم باشا لم يبد حراكا فعزل وتولى قيادة الجند (محمد على باشا الروسى) ثم سارت جنود الروس نحو البلقان واستولت على مضايقه وبعض أماكنه واحتل جانب منها مدينة (نيكوبولى) فلما رأى عثمان باشا ذلك اتخذ بلونة حصنا (وهى مركز فى ملتقى الطرق بين سواحل الطونة ومضايق جبال البلقان) فهاجمه الاعداء مرتين وكانوا أكثر عددا وأكمل عددا ومع ذلك فانهم عادوا خائبين وأمدت الدولة جيوشها بالجنود والذخائر فأضيف ذلك المدد الى الجيش وقسم الى ثلاثة أقسام أحدها قد بقى فى بلونة تحت قيادة عثمان باشا والثانى انتصر على جيش (باسكى زغرة) والثالث وهو الذى كان يقوده محمد على باشا الروسى هزم الاعداء شر هزيمة فى موقعة صارى نصوحار فأصبح مركز الاعداء حرجا ووقعت الروس فى حيرة وعند ذلك بعثت رومانيا مائة ألف جندى لمساعدتهم فعبروا نهر الطونة وتقدم القيصر نفسه الى ساحة القتال فتقوت الروس وتقدمت عساكرهم وتقهقرت الجنود العثمانية الى وارنة وفى ٢٤ اكتوبر حوصرت وارنة حصارا شديدا وبقيت كذلك الى أن اشتد الجوع على حاميتها وأشرفوا على الهلاك فأخرجهم عثمان باشا مضطرا مخاطرا بهم اما للنصر واما للقبر وكان المحاصرون نحو ثلاثة أضعافهم فقهروهم وخرج عثمان باشا وسلم سيفه فرده اليه القيصر معجبا بشجاعته وأما الحوادث التى حصلت فى أثناء ذلك فى الاناضول فانها كانت من الاهمية بمكان كذلك فان الروسيا كانت قد استولت جنودها أيضا على مدينة أردهان وحاصرت قارص وصارت تهدد أرضروم واستولت على مدينة بايزيد وهزمت الجنود العثمانية أيضا فى موقعة (درام داغ) فاحتل

مختار باشا بمحلات زوين وهزم فيها الروس شر هزيمة واضطرهم لرفع الحصار عن قارص فرفعوه عنها صاغرين وتبعهم الغازى وجنوده فهزمهم شر هزيمة فاستغاثوا فجاءتهم النجدات فقاوموه ثانيا وتمكنوا من حصارها ولم يزالوا كذلك حتى استولوا عليها فالتجأ مختار باشا الى مدينة أرضروم وجمع شتات الجيش وأقام الحصون والمعاقل بسرعة عجيبة واستمر رابضا في موضعه كالاسد الى نهاية الحرب وأظهر من البسالة وحسن التدبير ما خلد له ذكرا جميلا ولم تكتف الروس بذلك كله بل خافت أنها اذا انقطعت عن الحرب مدة الشتاء تقوى شوكة الدولة وتخمد بعض الثورات فقدموا جيوشهم الى الامام حتى جاوزوا جبال البلقان بين الثلوج المتراكمة ولم يزالوا كذلك حتى استولوا على صوفيا بعد قتال شديد وجهد جهيد وكان ذلك في رابع شهر يناير سنة ١٨٧٨ وفي اليوم التاسع منه استولوا على شبقة ثم قاتلوا جيش سليمان باشا الذى أبلى بلاء حسنا ثلاثة ايام ولكنه لم يلبث أن تقهقر الى جبال رودوب ثم فتحوا أدرنة ودنوا من أبواب الاستانة فطلبت الدولة هدنة للمباحثة في الصلح فأجيبت وأبرمت معاهدة (سان استيفانو) ووقعت عليها الدولتان ولكن الدول الاخرى حالوا دون تنفيذها لاسيما دولة انجلترا فاستبدلت بمعاهدة برلين الشهيرة التى أبرمت في ١٣ يونية من هذه السنة وهي مجحفة بحقوق الدولة اجحافا بينا ولم يمض على نفوذها مدة شهر حتى حدثت فتنة جريد التى أدت الى عقد معاهدة هلبية في الخامس والعشرين من اكتوبر سنة ١٨٧٨ وتحركت دولة اليونان وامارة الجبل الاسود يطلبان مامنحتهما معاهدة برلين فأجابتهم الدولة الى ذلك بعد مداولات كثيرة وعقب ذلك خرج الالبانيون على الدولة فأرسلت اليهم درويش باشا فتغلب عليهم ولكنهم لم يخضعوا

تمام الخضوع وفي ٢٩ يونيه من سنة ١٨٨١ حكم على مدحت باشا بالقتل هو وثمانية من ذوى المناصب العالية بدعوى أنهم قاتلو السلطان عبدالعزيز ثم حولت هذه العقوبة الى النفى وفى سنتى ١٨٨١ و ١٨٨٢ احتج الباب العالى على احتلال فرنسا لتونس وانجلترا لمصر ومن ذلك الوقت أخذ السلطان يتودد لألمانيا للانتصار بها واستعان بضباطها على تجديد النظامات العسكرية وفي يوليه سنة ١٨٨١ حمل اسكندر بانبرج الذى كان قد جعل أميرا على البلغار مجلس نواب الامارة المذكورة على منحه قوة تشريعية شبيهة بالمطلقة الى سبع سنوات وفي سنة ١٨٨٩ فتح الخط الجديد الذى يصل الاستانة بالبلاد الاوروبية ومنحت بعد ذلك امتيازات ميناء بيروت وبعض الخطوط الحديدية الاخرى المعروفة في الولايات وفتح كثير من المدارس فى جميع الجهات واعتنى بأمر التعليم في كل الولايات وفى سنة ١٨٩٠ م حدثت المذابح الارمنية الاولى في ولايات أرضروم وتبليس ووان وبايزيد وغيرها ثم جددت فنشأ عن ذلك ان الارمن المقيمين في الاستانة اجتمعوا في كنيستهم وسألوا بطريقهم أن يرفع شكواهم الى جلالة السلطان بطلب عدة من الاصلاحات فأبى فضربوه وجرحوه فاستقال من منصبه ثم ان الباب العالى لم يلبث أن أجاب بعض مطالب الارمن وفي ٩ اكتوبر سنة ١٨٩٥ عادت مذابح الارمن في جميع الولايات الموجودين فيها فنتج عن ذلك عدة مشا كل انتهت بصدور أمر بالاصلاحات الجديدة التى قررها السفراء وفي سنة ١٨٩٦ اشتدت الثورات في بلاد الاناضول والارمن وحوران ولم تزل المشا كل تتزايد باغراء المغرين وافساد المفسدين ولم تقف الدول عند هذا الحد بل أنها أعطت تونس لفرنسا وألحقت ادارة الرومللى الشرقية ببلغاريا وسلخت

جزيرة جريد من أملاكها عقب الحرب التى حصلت بينها وبين اليونان سنة ١٨٩٧ وكان الفوز فيها لها ولا تزال تدس الدسائس في البقية الباقية من أملاكها بقصد انتزاعها منها ومن أهم أعمال السلطان التى يسطرها له التاريخ بيد الشكر والامتنان السكة الحديدية الحجازية التى أنشأها وكان البدء فيها سنة ١٣١٧ هـ ولا يخفى ما لهذه السكة من الفوائد الكثيرة والمنافع العديدة ولم يزل قائما على قدم الاجتهاد حتى خلع لعدم منحه رعاياه مجلسا نيابيا وجعلها أمة دستورية فقامت الجنود الدستورية المكونة للفيلقين الثانى والثالث تحت قيادة محمود شوكت باشا فحاصرت مدينة القسطنطينية برا وبحرا وذلك في ١٣ ابريل سنة ١٩٠٩ ثم استولت بعد ذلك على الاستحكامات والقلاع الحربية ووضعت بعض ضباطها في المدرعات العثمانية ولذا سلمت جنود الحرس السلطانى وبعد أيام أفتى شيخ الاسلام بخلع السلطان بحجة أنه حنث في يمينه وبذر في أموال الامة الى آخر ما جاء في الفتوى وان المؤرخ المنصف لا يسعه الا أن يحكم بانه كان سلطانا كبيرا مهيبا في عرشه مطلق الارادة ينهج بالدولة سبيل الرشاد والسداد عند المضايق وانه ان أراد أن يحصى عليه شيأ من السيئات فلابد أنه يرى فى تاريخه كثيرا من الحسنات والله تعالى يقول (ان الحسنات يذهبن السيئات)

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وبعد خلعه تربع في دست الملك أخوه مولانا السلطان الاعظم محمد الخامس حفظه الله وكان ما كان مما هو معلوم للخاص والعام فلا حاجة للاطالة به وبغاية ما نرجوه أن يمده الله بنصره ويعز أمره بأمره انه سميع مجيب

(مصر تحت رعاية الاسرة الخديوية فى ظل الدولة العلية)

(المغفور له محمد على باشا الأكبر)

ذلك الشهم الشهير والهمام الكبير هو رأس الاسرة الخديوية الكريمة وأصل مولده بمدينة (قوله) التابعة لولاية سلانيك بالروملى ولم يزل بها الى أن أرسلت الدولة العلية جيشا الى مصر تحت قيادة مصطفى باشا لاخراج الفرنسيين الذين نزلوا بها سنة ١٢١٣ ه تحت قيادة (بونوبارتو) وكان من ذلك الجيش الذى أرسلته الدولة ثلاثمائة جندى من (قوله) تحت قيادة على أغا ابن حاكم (قوله) وحضر معه محمد على وكيلا على تلك الفرقة فسار الجيش الى مصر ونزل بأبى قير وقامت الحرب على قدم وساق ولم تزل بين الفريقين الى أن اتفقت الدولة مع الانجليز على اخراج الفرنسيين فأخرجوا من مصر سنة ١٢١٦ ه ثم عاد الانجليز الى بلادهم كذلك وعادت السلطة للدولة العليه في البلاد المصرية وعينت خسرو باشا واليا عليها من قبلها وذلك في جمادى الأولى سنة ١٢١٦ ه ؛ كما سبق فبقى محمد على مع خسرو باشا رئيسا على فرقته ورجع على أغا الى (قوله) ولم يزل محمد على مشمرا عن ساعد الجد الى أن صار رئيسا على فرقة كبيرة مؤلفة من أربعة آلاف جندى من الألبانيين (الارنؤد) وساسهم أحسن سياسة حتى ملك قلوبهم بحسن سياسته ثم حصلت فتنة أدت الى قيام العساكر على خسرو باشا أهم أسبابها عدم صرفه مرتباتهم اليهم فاضطروه للخروج من مصر فتوجه الى دمياط وتحصن بها وجعل يضرب عليها وعلى ماجاورها من البلاد الضرائب الفادحة ويكلف الناس مالا يطيقون ويذيقهم كأس الظلم والهوان فاتفق محمد على وعثمان بك البرديسى

على محاربته وتوجه اليه البرديسي وقهره وأتى به الى القاهرة أسيرا وسجن بالقلعة وبقيت مصر بلا وال وكثر النهب والسلب في أنحاء البلاد ولما بلغ الخبر الدولة أرسلت على باشا واليا فلم يفلح لانه ظلم فقتل وفي ذلك الوقت كان قد استفحل أمر محمد على باشا وجمع اليه القلوب والقوة وصار الكل واثق به فأشار عليهم بطلب خورشيد باشا الذي كان حاكما على الاسكندرية واليا على مصر فأجابوه بشرط أن يكون وكيلا له فأجاب وكتبوا للدولة فأقرت وورد الفرمان بذلك في الثاني والعشرين من محرم سنة ١٢١٩ هـ ولم يكد يهدأ الوقت حتى ورد فرمان آخر بتولية محمد على باشا على جدة فأظهر الامتثال والامتنان وأخذ يتأهب للسفر فاضطرب حال العسكر والاهالي لمفارقته وألح العلماء والاعيان عليه بعدم سفره لظلم خورشيد باشا وسوء معاملته للجميع

وانتخبوه واليا عليهم وكتبوا للدولة يستصدرون أمرها بذلك فجاء الفرمان بتوليته في ربيع الاول سنة ١٢٢٠ وسر الناس بذلك سرورا كثيرا لكن الانجليز قد طلبوا من الدولة عزله أو نقله الى ولاية أخرى فأرسلت اليه فرمانا آخر بتوليته ولاية سلانيك فأجاب لكن العلماء والاعيان قد أبوا مبارحته مصر لعدله وحزمه وخوفا من اعادة حكم المماليك ثانيا وكتبوا كتابا آخر يسترحمون فيه السلطان ويستعطفونه لاجل بقائه وأرسلوه مع ابنه ابراهيم بك فحل محل القبول وحضر الفرمان النهائي بتثبيته في مصر في أواخر شوال سنة ١٢٢١ هـ فاجتهد في ترقية حالة البلاد وعكف على ما فيه نفع العباد ودخلت مصر به في دور تقدم جديد حيث ان الحروب المتوالية في الأزمان الغابرة والضرائب الفادحة والمظالم الكثيرة كانت قد انهكت قواها واضعفت شوكتها وشغلتها عن كل ما فيه صلاح لها وصارت

محلا لمصائب الدهر من كل جانب حتى ان الأمراض الوبائية ما كانت تفارقها ساعة من نهار فكثر الفناء وعم الفساد واندثر العلم وساد الجهل وآذنت بالخراب ولم يبق من آثار تقدم المصريين شئ سوى الاسم فى التواريخ المدونة اللهم الابقية باقية من العلوم العقلية والنقلية بالجامع الازهر الشريف فأخذ يوطد دعائم العدل والراحة ويعيد للبلاد رونقها الاول وتاريخها الماضى وفى مبدأ الامر كان يحول بينه وبين كثير من مقاصده الشريفة بواقى رؤساء المماليك الذين لم يزل بأيديهم شئ من الامر والقوة ولم تمض مدة حتى قهرهم وصفا له الوقت وساعده على ذلك موت محمد بك الألفى وعثمان بك البرديسى اللذين هما من أشهر رؤسائهم

الا أن انكلترا لما هبطت مساعيها فى الاستانة واستمرت مماكسة فرنسا لها عزمت على تعضيد المماليك فأرسلت (اسطولا) الى مصر سنة ١٢٢٢ هـ فاستولى على اسكندرية بدون حرب وخرجت فرقة من الانجليز لتملك رشيد فهزمتهم عساكر الارنؤد فاصطلحوا مع محمد على باشا وعادوا من حيث أتوا وبعد ذلك التفت محمد على باشا لاصلاح الشؤون الداخلية فى البلاد المصرية وقسمها الى مديريات وأجرى فيها مناهل العدل وكان اذ ذاك قد استفحل أمر الوهابية بالأقطار الحجازية تحت رياسة عبد الوهاب التميمى الذى جعل (محمد بن سعود) الذى هو من قبيلة مصالح قائدا فاستولوا على الحرمين الشريفين وقطعوا الطريق على الحجاج والمسافرين واستولوا على اليمن وبلاد الحسا والبصرة والبحرين ودخلت تحت قبضته بلاد حوران التى بين مكة ودمشق وبلاد نجد واليمن الى مدينة صنعاء وحينئذ صدرت لمحمد على باشا الاوامر السلطانية بتوجهه لمحاربتهم وتخليص مكة والمدينة من أيديهم فاهتم بالامر وأنشأ عمارة سفن مصرية بالسويس لتحمل

عساكره الى بلاد الحجاز ولكنه خشى بأس المماليك وخاف شرهم بعد سفر الجنود من مصر فاجتهد في قطع دابرهم أولا حتى ترتاح منهم البلاد والعباد فدبر حيلة ودعاهم الى القلعة سنة ١٢٢٦ هـ لحضور تقليد ولده طوسن باشا قيادة جيش الحجاز وجعل موكبا لهذا الامر فلما اجتمع من بقي من المماليك فتك بهم فتكا ذريعا وقطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم سافر طوسون باشا بالجيش واستخلص المدينة ومكة وجدة والطائف من الوهابية ولكن سعود دبر حيلة هزم بها الجيش المصري وحاصر المدينة وانتشر جنده في نواحي مكة وجدة وقطع مواصلتهما لجهات أخرى فيئس المصريون من الظفر فلما علم محمد على باشا سار بنفسه للحجاز وتولى تدبير الجيش فأخذ يظفر بالوهابية ويقلل من عددهم حتى مات سعود والوهابية محاصرون للطائف وترك اثنى عشر ولدا ليس في أحدهم كفاءة للقيام مقام أبيه فكانت الغلبة لمحمد على باشا فخلص الطائف من الحصار في شهر ينايرسنة ١٨١٥ م وأملى ابنه طوسون باشا عبدالله بن سعود شروطا للصلح تحط من كرامته وأخيرا أرسل الى مصر وسار منها الى الاستانة وضرب عنقه وبذلك خمدت أنفاس الوهابية وانفرد محمد على باشا بالحكم على بلاد العرب ولكنه رد للدولة الحرمين الشريفين وزالت الشواغل فاجتهد في رفع شأن مصر ووفق بين العدو والصديق وقطع دابر قطاع الطريق وأرسل ابنه ابراهيم باشا في زمن السلطان محمود سنة ١٢٤٢ هـ فأخضع جريد وكاد يتغلب على مورة لولا تداخل الروس وفرنسا وانجلترا وحصول واقعة (ناورين) الشهيرة

وفتح الديار الشامية على يد ابنه الشجاع ابراهيم باشا سنة ١٢٤٧ هـ واستمرت في يده نحو ثمان سنين ثم استخلصتها منه الدولة العلية بمساعدة

انجلترا مدة السلطان عبد المجيد وفتح بلاد السودان وضمها الى البلاد المصرية ثم في ٢١ من ذي الحجة سنة ١٢٥٦ هـ صدر فرمان من الدولة بجعل ولاية مصر وراثية لمحمد على باشا وذريته وهدأ الوقت وانحسمت المشاكل وهذه الاضطرابات كلها ما كانت تؤخره عن السهر على راحة البلاد وصنع كل مايوجب تقدمها ولما علم أن مصر في ذلك العصر قد ضرب عليها الجهل أطنابه مع علمه أن سعادة الامة مرتبطة بتربية أبنائها قد بلغ قصارى جهده في انشاء كثير من المدارس والمكاتب المنتظمة في مصر والاسكندرية وجميع أنحاء القطر التي رأى فيها الاستعداد الى ذلك حتى بلغت المدارس في أيامه ثلاثا وستين مدرسة سوى المكاتب المنتظمة التي أنشأها وهذه المدارس منها احدى عشرة عالية أو خصوصية واثنتان تجهيزيتان وخمسون ابتدائية أما العالية والخصوصية فهي مدرسة الطب بأبي زعبل وكان رئيسها كلوت بك ومدرسة (المهندسخانة) ببولاق وكان رئيسها لامبر بك ومدرسة الألسن ورئيسها رفاعة بك ومدرسة الزراعة بناحية نبروه ومدرسة الطب البيطري ومدرسة الموسيقى ومدرسة المساحة ومدرسة البيادة بدمياط ومدرسة (السواري) بالجيزة ومدرسة (الطوبجية) بطره ومدرسة ورشة العمليات ببولاق وأما التجهيزيتان فكانت احداهما بأبي زعبل وثانيتهما باسكندرية وأما الابتدائية فكان منها ثلاث مدارس بالقاهرة واثنتان بالاسكندرية وخمس وأربعون بالأقاليم وهذا العدد مأخوذ من التقرير الذي قدمه المرحوم مصطفى بك مختار مدير المدارس الى المسيو (مانجان) وأما المكاتب التي أنشأها ونظمها فانها كثيرة يضيق المقام عن ذكرها ولم يكتف رحمه الله بتعليم الناشئين في المدارس المصرية على نفقة الحكومة المحلية بل انه بعث البعوث الى أوروبا ممن ظهرت عليهم علامات النجابة سواء

كانوا من طلبة الازهر أو من تلاميذ المدارس وألحقهم بأعلى معاهد التعليم بها وخصص كل فريق منهم بفن من الفنون كتقويم البلدان والتاريخ والآداب وعلوم التربية والعلوم الطبيعية والرياضية والطب والزراعة والقوانين والحرب وفنون البحر وغير ذلك مما تحتاج البلاد اليه وبسط كفه للنفقة عليهم مع شدة الاحتياج الى بذل المال في مصارف أخرى فنبغ في زمنه رجال من أفضل الفضلاء وأنبل النبلاء

وأنشأ محلا لضرب النقود ومصانع لعمل الاسلحة والمدافع ودارا للطبع ومحلا لعمل السفن وترميمها وقدم الصناعة والتجارة بالاكثار من السفن والمعامل لغزل ونسج الحرير والصوف والكتان والقطن ومعامل الطرابيش والجوخ ومعامل السكر ومعاصر الزيت الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى

وقد اعتنى أيضا بتقدم الزراعة فأدخل زراعة القطن والنيلة في مصر وأصلح حالة الري بحفر الترع واقامة القناطر واصلاح الجسور فأمر بحفر ترعة المحمودية ليصل الماء الى مدينة اسكندرية ويروى ما بينها وبين مدينة رشيد من البلاد والاراضي ويسهل المواصلات وأقام على فرعي النيل عند مبدئهما القناطر المعروفة بالقناطر الخيرية ليحفظ الماء ويصرف عند الاحتياج اليه بطرق مضبوطة هندسية فعظمت نتيجتها وعمت فائدتها

ورتب الجيوش وأدخل فيها النظام الاوروبي وأنشأ (الاساطيل) البحرية وقوى الثغور المصرية حتى باتت مصر آمنة من طوارئ المعتدين وكيد الماكرين هذا فضلا عن العمارات الكثيرة التي أنشأها منها جامعه المشهور بالقلعة الذي جعل تربته فيه وتكايا بالحرمين الشريفين ورتب لها ما تحتاج اليه من النفقات وبقي مجدا في الأعمال الخيرية والأمور المرضية الى أن أدركه الكبر فتخلى عن الاعمال لابنه ابراهيم باشا سنة ١٢٦٤ هـ بعد أن حكم

خمسا وأربعين سنة ثم توفي في الثالث عشر من رمضان سنة ١٢٦٦ هـ بالاسكندرية ونقل الى مصر ودفن بتربته التي بمسجده بالقلعة بعد أن جاوز الثمانين وترك من الآثار ما يخلد له ذكرا جميلا على ممر الدهور وتعاقب العصور

(المغفور له ابراهيم باشا ابن محمد على باشا)

هو الثاني من الاسرة الخديوية الكريمة تولى بعد تنازل أبيه له سنة ١٢٦٤ هـ وكان مولده بمدينة (قوله) سنة ١٢٠٤ هـ وبعد توليته سار الى الاستانة ومنح فرمان التولية وعاد يصحبه اليمن والاقبال وكان من الشجاعة بمكان عظيم وجميع غزواته في سوريا وقونية ومورة وغيرها تدل على ذلك وكان له المام بكثير من اللغات فكان يعرف الفارسية والعربية والتركية والفرنسية عالما بتاريخ البلاد الشرقية ولما ملك ساس البلاد وأراح العباد وعنى بتقدم الفلاحة في مصر لانها مادة حياتها ومنبع ثروتها الا انه لم تطل مدته بل اختطفته يد المنون بعد أن حكم نحو أحد عشر شهرا وجاوز الستين من العمر ودفن بالامام الشافعي بمدفن الاسرة الخديوية وتولى بعده ابن أخيه عباس باشا الاول

(المغفور له عباس باشا الاول)

هو الثالث من الأسرة الخديوية وهو ابن طوسون باشا ابن محمد على باشا تولى بعد موت عمه ابراهيم باشا سنة ١٢٦٥ هـ فسار كسير عمه بالحكمة والعدل والتبصر كما كان قد عود على ذلك من صغره فعم الامن ربوع البلاد وسهل طريق التجارة بالشروع في انشاء السكة الحديدية بين مصر والاسكندرية ومد خطوط الاسلاك البرقية ومهد الطريق بين مصر والسويس واعتنى بتشييد المدارس الحربية بالعباسية وتشييد مساجد أهل البيت وبرازخهم ومساجد غيرهم من الاولياء والصالحين ومات في أول حكمه جده المرحوم محمد على باشا وكانت وفاته في ١٣ رمضان

سنة ١٢٦٦ كما سبق وكان رائق الفكر غير ميال للدجالين والمفسدين فنفاهم الى السودان ونظم العساكر وسن قانون القرعة وكان شديد العزم لا تأخذه في الحق لومة لائم فكان يميل مع الحق أينما كان ولو كان ذلك على نفسه أو على أكبر عظيم من عائلته وكان شديد الفراسة قوى الفكرة ولم يزل رحمه الله عاملا على مافيه الخير للبلاد حتى مات بينها العسل ودفن بالقاهرة سنة ١٢٧٠ هـ بعد أن حكم خمس سنوات تقريبا وعمر اثنتين وأربعين سنة وهو والده المرحوم ابراهيم الهامي باشا والد والدة الجناب العالى الخديوى وتولى بعده عمه سعيد باشا

(المغفور له سعيد باشا)

هو الرابع من هذه الاسرة الكريمة وهو محمد سعيد باشا ابن محمد على باشا الاكبر تولى بعد موت ابن أخيه عباس باشا الأول سنة ١٢٧٠ هـ وكان قد تربى تربية مدرسية وتعلم كثيرا من اللغات وأحاط بكثير من العلوم الرياضية وغيرها فبدأ باصلاح الادارة وتنظيم شؤونها وكان من ذلك انه قسم الخراج على الاطيان بطريقة عادلة واجتهد فيما يعود على البلاد بالنفع كتطهير ترعة المحمودية واتمام الخطوط الحديدية بين مصر والاسكندرية التى كان قد ابتـدأ انشاؤها في مدة سلفه وساعد على مشروع قناة السويس فأقيمت على آخرها من الشمال مدينة بورسعيد تخليدا لذكر اسمه وتذكرة لمحبته النافعة للبلاد وبذلك اتصلت أوروبا بممالك الشرق الاقصى وبنى القلعة السعيدية عند القناطر الخيرية وكان له اعتناء خاص بتنظيم الجنود وكثرة الجيوش وله لوائح كلها تدل على شفقته ورحمته وكان قويا على الاقوياء له رحمة بالضعفاء مع الحزم والعقل وحسن التدبير ولم يزل قائما بالامر خير قيام الى ٢٧ رجب من سنة ١٢٧٩ هـ فأدركه الاجل فمات

بالاسكندرية ودفن بها وكانت مدة حكمه ثمان سنين وعمره اثنتان وأربعون سنة تقريبا وتولى بعده ابن أخيه خديو مصر الاسبق اسماعيل باشا

(المغفور له اسمعيل باشا الخديو الاسبق)

هو الخامس من هذه الاسرة الكريمة وهو اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا ولي الامر في ٢٨ رجب سنة ١٢٧٩ هـ بعد وفاة عمه محمد سعيد باشا فوسع نطاق التجارة وأكثر من انشاء الخطوط الحديدية والسلوك البرقية والتفت الى اصلاح حالة الري فأنشأ كثيرا من الترع وأوسع (فبريقات) عمل السكر التي أنشأها عمه سعيد باشا بالوجه القبلي وأكثر من المدارس على اختلاف أنواعها وأوجد المحاكم المختلطة وأنشأ دار التحف والآثار المصرية ودار الكتب وبنى مدينة الاسماعيلية وأنشأ كثيرا من القصور والبساتين بالقاهرة والاسكندرية ونظم الشوارع وأوجد شركات المياه وغاز الاستصباح وفتح قناة السويس وعمل لذلك مهرجان حضره كثير من ملوك أوروبا واختط مدينة الاسماعيلية وبنى بها قصورا مشيدة وبنى مرفأ الاسكندرية وأرصفتها وبنى منارات متعددة في البحر الابيض المتوسط الى غير ذلك من الاعمال الجسيمة التي اضطرته للقرض من الخارج ولزيادة الضرائب في الداخل ووطد الروابط بين مصر وأوروبا وأبطل تجارة الرقيق وغزا الحبشة وفي سنة ١٢٨٣ هـ حصل على قانون الوراثة في أولاده على عمود النسب بحيث تكون حكومة مصر محصورة في أكبر أولاده ثم تنتقل لابن ابنه الاكبر وهكذا ونال من جلالة السلطان عبد العزيز لقب (خديو) وهو أول من نال ذلك اللقب الذي هو أرفع ألقاب وزراء الدولة العلية واستقل بالاحكام الادارية وفي سنة ١٢٩٠ هـ حصل على فرمان آخر بتوسيع نطاق الامتيازات الخديوية

المصرية وفي رجب سنة ١٢٩٦ هـ قضت عليه بعض أعماله السياسية والمالية بالتنازل عن الحكم لاول أنجاله وأرشدهم محمد توفيق باشا وتوجه هو الى بلاد ايطاليا وأقام بها بمدينة نابلي مدة ثم انتقل الى الاستانة وبقي بها الى أن توفي سنة ١٣١٢ هـ وحضرت جثته الى مصر ودفن بمدفنه بالرفاعي واحتفل بجنازته احتفالا رسميا لائقابه ومدة حكمه سبع عشرة سنة

(المغفور له محمد توفيق باشا)

(الخديو السابق)

هو السادس من الاسرة الخديوية ولي الخديوية المصرية بعد والده يوم الخميس سابع شهر رجب سنة ١٢٩٦ هـ فحسم بحزمه جميع المصاعب وأخذت مصر تدخل في دور جديد من التقدم ونشرت فيها ألوية العدل في جميع الارجاء ورفع كثيرا من الضرائب التي كانت قد أثقلت كاهل الاهالي وأنشأ المحاكم الاهلية وشكل مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ووسع نطاق المعارف فأنشأ المدرسة التوفيقية والمدرسة الخديوية وكثيرا غيرهما من المدارس والمكاتب واعتنى بتوسيع نطاق دار العلوم وجدد بناء مدرسة الطب ووسع نطاقها ونظم المستشفيات خصوصا القصر العيني وكان كثيرا مايزور المدارس ويوزع الجوائز على النابغين بيده الشريفة تنشيطا لهم وألغى السخرة التي كانت على فلاحي مصر واعتنى بتحسين حالة الري وأرسل الوفود الى أوروبا للمشاهدة الاستكشافات والاختراعات العلمية وكان متمسكا بالدين القويم ميالا لصلة الرحم ومساعدة الفقراء وآماله متوجهة دائما الى اقامة شعائر الدين فاهتم بعمارة كثير من المساجد والأضرحة وكان له محبة زائدة في زيارة أهل البيت وبينما هو مجد في كل مايعود على البلاد بالخير العميم اذ عصاه أحمد عرابي باشا ناظر

الحربية بعد ما انحاز اليه القسم الاكبر من قواد جيشه فهددته دولتا انكلترا وفرنسا وأمرتاه أن يكف عما هو عازم عليه فلم يسمع نصيحة نوابهما وأظهر استعداده لمقاومتهما فأرسلتا سفنهما الحربية الى ميناء الاسكندرية وهددتاه بالضرب فأخذ يحصن القلاع ويتجهز للدفاع وحينئذ هاج رعاع الناس ضد الاجانب في مدينة اسكندرية سنة ١٨٨٢ م وقتلوا منهم أناسا وتعاظم الامر وكثر الخوف عند الاجانب وصاروا يرحلون الى أوروبا ولما لم يرتدع عرابى باشا ولم يزل مصمما على العصيان والدفاع أطلق (الاسطول) الانكليزى قنابله على قلاع الاسكندرية فهدمها وهرب عرابى ومن معه بعد أن أحرقوا قسما كبيرا من المدينة وتحصنوا بكفر الدوار فأنزل الأنجليز قسما من الجنود استلموا المدينة وحضر في الاسكندرية والسويس نحو عشرين ألفا من العساكر الانكليزية تحت قيادة (ولسلى) وحيث رأى هذا القائد أن مهاجمة المصريين من جهة كفر الدوار خطرة نقل قوة العساكر الى الاسماعيلية وحصلت بينهم وبين المصريين واقعة عظمى في التل الكبير كانت غايتها انهزام المصريين ودخل الجيش الانكليزى مدينة القاهرة فى شوال سنة ١٢٩٩ هـ الموافق شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ م

واستلموا القلعة وقبضوا على عرابى باشا ومن معه وحكموا على كل واحد منهم بما يستحقه واستمر الجيش الأنجليزى بمصر الى الآن ثم توفي بعد ذلك المرحوم محمد توفيق باشا مأسوفا عليه في يوم الخميس الموافق ٧ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ هـ بمدينة حلوان ودفن بقرافة المفيق ومدة حكمه ١٣ سنة الا شهرا وتولى بعده ابنه أفندينا الحاضر عباس باشا حلمى الثانى بلغه الله الأمانى

(سمو خديوينا الأفخم وولى نعمتنا الأكرم)

(عباس باشا حلمى الثانى)

هو السابع من الاسرة الخديوية الكريمة وهو حفظه الله نجل المغفور له محمد توفيق باشا ابن اسماعيل باشا ابن محمد على باشا ولد حفظه الله في أول جمادى الثانية سنة ١٢٩١ﻫ ولم ينفطم سموه من الرضاع حتى لاحت عليه سمات النجابة والفلاح وظهرت عليه أنوار التقدم والنجاح وقد اعتنى والده المغفور له بشأن تربيته وتهذيبه فأنشأ له ولشقيقه صاحب الدولة (محمد على باشا) مدرسة مخصوصة بجوار قصر عابدين العامر وسماها المدرسة العلية وجمع معهما من هو في سنهما من أبناء الوزراء والامراء لتنشيطهما وتأكيد روابط المحبة بين الجميع واختار لها أساتذة فضلاء وجهابذة نبلاء فبرعا في الآداب والفنون وكثير من اللغات ولما أتما مابها من العلوم أرسلهما الى أوروبا سنة ١٨٨٥ م ومعهما أستاذان جليلان أحدهما لتعليم اللغة التركية والثانى لتعليم اللغة العربية الى مدرسة (هاكيسوس) بالقرب من جنيف (بسويسرة) فلبثا بها الى سنة ١٨٩٧م ثم أرسلهما الى (الترزيانوم) الكلية بمدينة ويانة عاصمة النمسا ليكملا معارفهما بأحسن مدرسة على أكفأ أساتذة الحكومة النمسوية فبرعا في عدة لغات وجملة فنون ولم يقتصر سموهما على ذلك بل أنهما تلقيا فنون الحرب والسياسة وقد قارنا علمهما بالعمل حيث طافا في أغلب أنحاء أوروبا للاطلاع على كثير من العوائد والاخلاق فقابلهما جميع الملوك بما يليق بمقامهما الكريم من أنواع التبجيل والتكريم ولقد كان من ضمن الممالك التى شاهداها ألمانيا وانكلترا والروسيا وايطاليا

وفرنسا فلقيا من الحفاوة والاجلال ما لم يسبق له مثال وكانا كلما نزلا بمملكة من هذه الممالك قابلهما ملوكها وأمراؤها وأرباب الحل والعقد فيها أجمل مقابلة وأعدوا لهما منازل الضيافة والاكرام ومما لقياه في انكلترا أنهما نزلا في قصر جلالة الملكة واستعرضت أمامهما الجيوش على اختلافها وفي الروسيا أنهما نزلا ضيفين كريمين في قصر الملك واستعرض جلالته أمامهما فرقا كثيرة من جيوشه وقبل أن يبارحا أي مملكة كانت تهدى اليهما أعلى الوسامات وأفخر النياشين وفي سنة ١٨٨٩ م وفدا الى مصر ففرحت بقدومهما البلاد وأقاما مع المرحوم والدهما نحو شهرين بالاسكندرية ثم استأذناه في السفر لزيارة المعرض الباريسي فأجابهما الى ذلك فتوجها الى فرنسا فلقيا هناك من التجلة والاحترام ما لا يدخل تحت حصر فانهما قد قوبلا بمرسيليا وباريز مقابلة فائقة وخصص لهما رئيس الجمهورية ضباطا من ضباطه العظام لملازمتهما أيام اقامتهما بباريز وأعد لهما قصر (فونتن بله) وهو من أفخر القصور بها ودعاهما لتناول الطعام مع جنابه مرارا عديدة وأهدى سمو أفندينا نيشان (اللجيون دونور من رتبة جران) وأهدى دولة أخاه نيشان (الكرافات دي كوماندير) واحتفل لهما رئيس الوزارة وناظر الخارجية احتفالا عظيما كل ذلك لما ظهر لهؤلاء الملوك من علامات النجابة وسمات الكمال على وجهيهما

وعلى الجملة فان ولي نعمتنا قد تربى تربية راقية علميا وعمليا حتى صارت تربيته تضارع أعاظم ملوك أوروبا وهو يحسن تكلما وكتابة خمس لغات العربية والتركية والانكليزية والألمانية والفرنسية ولم يزل مجدا في العلم والعمل حتى طير اليه البرق وفاة العزيز والده على غير سابقة انتظار وصدرت ارادة سلطانية من لدن مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني بتولية سمو خديوينا

(عباس باشا حلمى الثانى) على أريكة الخديوية المصرية فى الثامن من شهر يناير سنة ١٨٩٢م فتقوى على الحزن وسافر هو وشقيقه من ترستا فى ٩ يناير سنة ١٨٩٢ فوصلا الى الاسكندرية فى ١٦ رجب سنة ١٣٠٩هـ وأقبل على مهام الأعمال التى وكل أمرها الى سموه بقوة الشباب فى حكمة الشيوخ وبينما هو كذلك اذ حضر مندوب عثمانى من مشيرى الدولة وهو صاحب الدولة أحمد أيوب باشا حاملا للفرمان العلىّ الشان واحتفل بتلاوته رسميا فى الرابع عشر من ابريل سنة ١٨٩٢ بقصر عابدين العامر على جمهور من عظماء الامة وكبرائها وكنت ممن أكرمهم المولى بحضور ذلك الاحتفال الذى كان مثال العظمة والجلال ووردت لسموه التهانى تترى من جميع الجهات وابتهجت البلاد وفرحت العباد وهاهى ترجمة الفرمان العلى الشان

الدستور الأكرم المعظم الخديو الافخم المحترم نظام العالم وناظم مناظم الأمم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأى الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد أركان السعادة والاجلال مرتب مراتب الخلافة الكبرى مكمل ناموس السلطنة العظمى المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى خديو مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة فعلا الحامل لنيشاننا الهمايونى المجيدى المرصع ولنيشاننا العثمانى الاول وزيرى سمير المعالى عباس حلمى باشا أدام الله اجلاله وضاعف بالتأييد اقتداره واقباله

أنه لدى وصول توقيعنا الهمايونى الرفيع يكون معلوما لكم أنه بناء على ما قضى به الله من انتقال (جنتمكان) محمد توفيق باشا خديو مصر الى رحمته تعالى واعلاما بجليل التفاتنا ونظرا الى حسن خدامتكم وصداقتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ولمنافع دولتنا العلية ولما هو معلوم لدينا من أن لكم وقوفا ومعلومات تامة بخصوص الاحوال المصرية وانكم كفء لاصلاحها وجهنا

الى عهدتكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المبينة فى الفرمان الشاهانى الصادر بتاريخ ٢ ربيع الثانى سنة ١٢٥٧ هجرية وذلك بمقتضى ارادتنا الشاهانية فى ٧ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ﻫ ولانكم أكبر أولاد (جنتمكان) الخديو المتوفي وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية توفيقا للقاعدة المقررة بالفرمان الشاهانى الصادر فى ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ القاضى بأن الخديوية المصرية تؤول الى أكبر الاولاد البكر فالبكر ولما كان تزايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين راحة أهاليها ورفاهيتهم هى من المواد المهمة لدينا ومن أجل مرغوبنا ومطلوبنا كنا وجهنا فرمانا شاهانيا لتحقيق هذه الغاية الحميدة بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٢٩٦ الى (جنتمكان) والدكم بتولية الخديوية المصرية وضمناه المواد الآتية

ان جميع ايرادات الخديوية المصرية يكون تحصيلها واستيفاؤها باسمنا الشاهانى حيث ان أهالى مصر أيضا من تبعة دولتنا العلية وان الخديوية المصرية ملزمة بادارة أمور المملكة الملكية والمالية والعدلية بشرط أن لا يقع في حقهم أدنى ظلم ولا تعد فى وقت من الاوقات فخديو مصر يكون مأذونا بوضع النظامات اللازمة الداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة عادلة وأيضا يكون خديو مصر مأذونا بعقد وتجديد المشارطات مع مأمورى الدول الاجنبية بخصوص الجمرك والتجارة وكافة أمور المملكة الداخلية لاجل ترقى الحرف والصنائع والتجارة واتساعها ولاجل تسوية المعاملات السائرة التى بين الحكومة والاجانب مع أمور ضابطة الاجانب بشرط عدم وقوع خلل بمعاهدات دولتنا العلية (البوليتيقية) وفى حقوق متبوعية مصر لها ولكن قبل اعلان الخديوية المشارطات التى تعقد مع الاجانب بهذه الصورة يصير

تقديمها الى بابنا المالى وأيضا يكون حائزا للتصرفات الكاملة في أمور المالية لكنه لايكون مأذونا بعقد قرض بوجه من الوجوه وانما يكون مأذونا بعقد استقراض بالاتفاق مع المدائنين الحاضرين أو وكلائهم الذين يعينون رسميا وهذا الاستقراض يكون منحصرا في تسوية أحوال المالية الحاضرة وخصوصا بها وحيث أن الامتيازات التى أعطيت لمصر هى جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التى خصت بها الخديوية واودعت لديها فلايجوز لاى سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة أرض من الاراضى المصرية للغير مطلقا ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠٠٠٠ ليرة عثمانية الذى هو الويركو المقرر دفعه في كل سنة في أوانه وكذلك جميع النقود التى تضرب في مصر تكون باسمنا الشاهانى ولايجوز جمع عساكر زيادة عن ثمانية عشر ألفا لان هذا القدر كاف لحفظ الامن ببلاد مصر الداخلية في وقت الصلح ولكن حيث أن قوة مصر البرية والبحرية مرتبة كذلك من أجل دولتنا يجوز أن يزاد مقدار العساكر البرية والبحرية والعلامات المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم ويباح لخديو مصر أن يعطى الضباط البرية والبحرية لغاية رتبة أميرآلاى والملكية الى الرتبة الثانية ولايرخص لخديو مصر أن ينشئ سفنا مدرعة حربية الابعد الاذن وحصول رخصة صريحة قطعية اليه من دولتنا العلية ومن اللزوم المحافظة على كل الشروط السالفة الذكر واجتناب وقوع حركة تخالفها وحيث صدرت ارادتنا السنية باجراء المواد السابق ذكرها فقد أصدرنا أمرنا هذا الجليل القدر والموشح أعلاه بخطنا الهمايونى وأرسلناه لكم تحريرا في ٢٧ شعبان المعظم سنة ١٣٠٩ من هجرة صاحب العزة والشرف

ثم أخذ يبذل جهده في كل ما يعود على البلاد براحة البال وحسن الحال فكان من باكورة أعماله أنه نقص الرسوم القضائية وخفف عوائد المصلح وأمر بتغذية جميع المسجونين على مصاريف الحكومة وعدل الضرائب وفي جمادى الاولى سنة ١٣١٠ صدر أمر عال باستعمال لائحة جديدة لمستخدمي الحكومة المصرية واعتنى بتحسين حالة الزراعة واحياء الموات من الارض وبدأ بذلك في مزارعه الخصوصية ليكون قدوة حسنة لرعيته وفي أيامه بني خزان أسوان واقيمت جسور أسيوط واسنى وانشئت ترع عديدة وخطوط حديدية كثيرة

واهتم أيضا بأمر الصناعة فاستجلب الآلات والادوات اللازمة لانتشار الصناعة وتقدمها في البلاد وصار يحث الأهالي على المحافظة على صنائعهم القديمة التي كادت تمحى آثارها مع تنشيطهم بشراء شيء من مصنوعاتهم ومنسوجاتهم واستعمال كل فيما يصلح له

وفي مدته انشئت بمصر محطة السكة الحديدية الحالية وجسر انبابه الذي تمر عليه قطر الوجه القبلي وسارت بمصر والاسكندرية المركبات الكهربائية وأسس محلا جديدا للمتحف المصري بجوار قصر النيل واسترجع السودان وقامت به حكومة منتظمة ووسع اختصاص مجلس الشورى ومجالس المديريات والجمعية العمومية وأوجد محاكم الاخطاط لراحة صغار الفلاحين ومزارعيهم واعتنى بتوسيع نطاق المعارف ففتحت في عصره مدارس كثيرة ومئات من الكتاتيب النظامية والمدارس الصناعية ومدرسة التجارة ومدرسة القضاء الشرعي والطب البيطري والبوليس والزراعة وحصل الاعتناء بالمدارس على اختلاف أنواعها حتى كثر المتعلمون وساعد الحكومة على ذلك أهل الخير من الامة فأنشأوا جامعة مصرية وكثرت الجمعيات الخيرية لهذا الغرض الشريف

ثم زيد على الضريبة خمسة في المائة لنشر التعليم في جميع أنحاء القطر ولا يزال آخذا في الرقي مع مستقبل الزمان

ولحبه في مساعدة الفقراء وعدم حرمانهم من التعليم قد أنشأ على نفقته الخاصة مدرستين لابناء الفقراء والمزارعين احداهما بالقبة والاخرى بجوار قصره الرفيع الذى بناه بين أبي قير والرمل بالاسكندرية وبنى بجواره مرفأ تأوي اليه السفن عند خوف غلبة الرياح عليها

وقد اعتنى بتنظيم الازهر الشريف والمعاهد الدينيه اعتناء لم يسبق له مثيل وأحيا كثيرا من العلوم الدارسة في تلك المعاهد ولم يزل قائما على قدم وساق في كل ما يعود على البلاد بالخير العميم والنفع الجسيم حتى صار عصره أزهى عصر مر على مصر في التقدم والرفاهية وعمارة البلاد وراحة العباد حتى ان أعماله الجليلة لاتكاد تحصى وآثاره الجميلة لا يمكن أن تستقصى فهو من خيرة من عمر البلاد وساس العباد أطال الله أيامه وبلغه مرامه وحفظ آله وأنجاله الكرام ورجال حكومته الفخام حتى نفوز بما نتمناه ونبلغ من القصد منتهاه والحمد لرب

الهداية في المبدا

والنهاية